

ديوان السلیمان بن ابی

(الجزء الرابع عشر)



نمو شعر عربي، أصله ومادته وبنائه وجاد ومختاره

كم كتبت الشعرَ إحساساً وطيفاً! كان شعري في هجير الخذل كهفا
ثم صغت الحس والإحساس شعراً ورشفت الشعر من بلوأي رشفا
فإذا الشعرُ صديقٌ يحتويني بات ما أكتب - في دنيائي - إلفا
إنما الشعرُ معاناة وفحوى قبل أن تلقاه تعبيراً وظرفاً
وجراحٌ في فؤادي وانفعالٌ وعذابٌ صُغته كمّاً وكيفاً

الطبعة الأولى



ديوان السليمانيات

(الجزء الرابع عشر)

الشعر مسبّحتي وتغريدتي

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

الحمد لله الملك الوهاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الغالب ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسول الله الملك الوهاب. ما من عاقل إلا علم أن الإيمان به حق وواجب. سل الغدول ، وسل هل عابه في الحق عائب؟ سل الشهداء عنه هل كانت له في الدنيا مآرب؟! سل صنائيد قريش في قلب بدر من الصادق ومن الكاذب. سل السيوف ، سل السهام ، سل الرماح: هل حملها مثله محارب. سل سراقه عن قوائم بغيره كيف ساخت في الصخر حتى المناكب. سل أم معبد كيف سقاها اللبن والشاة مجهدة وعازب. سل الشمس ، سل القمر عن نوره وضيائه إذ الكل غارب. سل النجوم متى صلت وسلمت عليه في المسارب. سل المسجد الأقصى عن قرآنه والرسول تسمع والملائكة مواكب. سل الزمان متى توقف وسل المكان كيف تقارب. سل السموات السبع هل وطنها قبله راجل أو راكب. سل أبوابها كيف فتحت ومن استقبله على كل جانب. سل الملائكة أين اصطفت لتحيته كما تصطف الكتاب. سل الروح الأمين جبريل لماذا توقف عند الحجاب ومن الحاجب. سل العشاق الذين عشقوا محبة ربهم وطاعته ، سلهم عن حبهم والناس فيما يعشقون مذاهب. سل سدره المنتهى عن كأس المحبة من الساقى ومن الشارب. يا رب ، صل على الحبيب المصطفى أهل الفضائل والمواهب. وعلى الصاحب والآل ومن تبع عدد ما في الكون من عجائب وخرائب. إلهنا لو أردت إهانتنا ما هديتنا ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا ، اللهم فمتعنا لما له هديتنا وأدم علينا ما به سترتنا ، نحن الجريون على المعاصي لا نفلح ، نحن المتمادون في الذنوب لا نستحي ، هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقيير والهالك الغريق ، عجل إغاثتنا اللهم وفرج كربنا وأرنا آثار رحمتك في قلوبنا وفي دنياننا وأخرتنا ، وأدقنا برد عفوك ومغفرتك وارزقنا قوة عصمتك يا أرحم الرحمين ، اللهم إنك تسمع كلامنا وترى مكاننا وتعلم سرنا وعلانيتنا ولا يخفى عليك شئ من أمرنا ، نحن البائسون الفقراء ، المستغيثون المستجيرون الوجولون المشفقون المقرون المعترفون ، نسألك مسألة المسكين وابتهاال المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته وذل لك جسمه ورغم لك أنفه وفاضت لك عينه ، اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك وأسعدنا بتقواك ، ولا تجعلنا بمعصيتك مطرودين ، رضا بقضائك وبارك لنا فيه ، اللهم انصرنا على من ظلمنا ، وأرنا فيه ثأرنا وأقر بذلك أعيننا ، اللهم إنا نستغفرك مما تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ، ونستغفرك لما قطعناه على أنفسنا فلم نوف لك به ، ونستغفرك مما زعمنا أننا نريد به وجهك فخالط قلوبنا فيه الرياء ، اللهم يا من هو أقرب من حبل الوريد يا فعلاً لما يريد ، يا من تحول بين المرء وقلبه ، حل بيننا وبين من يؤذينا بحولك وقوتك ، يا كافي كل شيء ولا يكفي منه شيء ، اكفنا ما يهمننا من أمر الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعل لسان كل مؤمن بذكرك لهيجاً ، واجعل قلب كل موحد بحبك متيماً ، من علينا بحسن إجابتك ، وأقل عثرتنا واغفر زلتنا ، اللهم إنك أمرتنا بدعائك وضمنت لنا الإجابة فإليك ربنا نصبنا وجوهنا ومددنا أيدينا ، فبرحمتك استجب دعاءنا ولا تقطع رجاءنا ، اللهم إنا نبرأ إليك من حولنا وقوتنا ، ونلجأ إلى حولك وقوتك ، اللهم ألبسنا ثوب العافية ، حتى تهيننا بالمعيشة ، واختم لنا بالمغفرة حتى لا تضرنا الذنوب ، واكفنا كل هول دون الجنة حتى تبلغنا إياها برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم أعطنا من الدنيا ما تقينا به فتنها وتغينا بها عن أهلها ويكون بلاغاً لنا لما هو خير منها ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم إنا نسألك أن ترفع ذكرنا وتضع وزرنا وتطهر قلوبنا وتحصن فروجنا وتغفر ذنوبنا ، ونسألك الدرجات العلا من الجنة ،

اللهم قننا بما رزقتنا ، وبارك لنا فيه ، واخلف علينا كل خالفة بخير ، أنت أرحم الراحمين اللهم وفر حظنا من خير تنزله ، أو إحسان تفضله ، أو بر تنشره ، أو رزق تبسطه أو ذنب تغفره ، أو خطأ تستره ، إلهنا أنت بيدك نواصينا يا عليم بفقرنا ومسكنتنا ، يا خبير بفقرنا وفاقتنا ، يا ربنا نسألك بحققك وقدسك وأعظم صفاتك بأسمائك أن تجعل أوقاتنا كلها في الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة ، وأن تجعل أعمالنا عندك مقبولة ، يا من عليه معولنا ، يا من إليه شكوانا يا من عليه اتكالنا في جميع أحوالنا قوي على خدم. واشدد على العزيمة جوارحنا وهب لنا الجد في خشيتك والدوام على الاتصال بك حتى نخافك مخافة الموقنين ، ونجتمع في جوارك مع المؤمنين ، اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا. اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ، اللهم إنك حيي ستير تحب الستر فاسترنا اللهم استرنا في الدنيا والآخرة ، وارزقنا العافية في الدين والدنيا والآخرة ، وما ذلك على الله بعزيز يا أرحم الراحمين ، يا لطيف الطف بنا بلطفك الخفي. إلهنا اغفر لنا تقصيرنا في حق الإسلام والإيمان والقرآن ولغة القرآن! لقد ضعف توحيدنا ووهنت عقيدتنا! لقد ضاع منا الكثير من لغتنا الجميلة التي زاحمتها اللهجات واللغات الأجنبية الدخيلة! فاللهم ردنا إلى ديننا وإلى لغتنا الفصحى!

رَدُوا إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ لِهَجْرَتِكُمْ يُمَدِّدْ لَكُمْ رِيكْمَ عِزِّنا وَسُلْطَانِنا

ما أَجْمَلَ الضَّادَ تَبْيِئَانَا ، وَأَعَذْبَهَا جَرَساً ، وَأَفْسَحَهَا - لِلْعِلْمِ - مِيدَانَا!

تُوبُوا إِلَى الضَّادِ ، وَاجْنُوا مِنْ أَزْهَرِها واستروحوا صُوراً - مِنْها - وَأَلْوَانَا

إلهنا وخالفنا جنناك لا نملك إلا دموعنا على ما فرطنا في جنبك! ولذنا ببابك فاللهم لا تردنا خائبين خاسرين! أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير! اقبل من تائب أتاك!

أَتَيْتُ وَمَا لِي سِوَى بَابِكُمْ وَلَا مَلْتَجِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ!

إِلَهِي مَنْ لِي إِذَا هَلَانِي بجمع الخلائق يَوْمَ الوعيد؟

اللهم اجعل شعري هذا وسيلة لبيان الحق وإرساء دعائم العدل وتبصير الناس بواقعهم ودلهم على الفضائل وحضهم عليها ، وتحذيرهم من الرذائل والتنفير منها! وإن هذا الديوان الرابع عشر: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) أهديه لأسرتي الكريمة وللمسلمين المؤمنين الموحدين أجمعين وللشعراء والأدباء الإسلاميين ولأمتي المسلمة ، أهديه إليهم جميعاً ليكون شاهداً على العصر الذي نعيش! وقد تناولت فيه موضوعات شتى تثري - فيما أزعم لها - الأدب العربي والإسلامي ، وتدعم فكرة معالجة الشعر بالواقع ومخاطبة الناس بلسان البيان شعراً ونثراً! ولقد سرت فيه على ذات المنوال الذي سرت في سائر الدواوين الشعرية التي سبقته! وزودت كل قصيدة بمقدمة تعتبر بمثابة الجو النفسي وسبب كتابة النص ، وهي على العموم مدخل للقصيدة! ويبدو من العنوان أنني عولت كثيراً على الشعر في الحديث عن آرائي وأفكاري! فما كان فيها من صواب فمن الله وحده وليس لي فيه نصيب! وما كان فيها من الباطل فمن نفسي وهواي وشيطاني ، والله منه براء! وأسأل الله أن ينقي أعمالنا عامة ، وأعمالنا الشعرية خاصة من الرياء والنفاق! وأن ينفع بها كل من قرأها!

المقدمة

الحمد لله ألهم عباده المؤمنين الزهد في الدنيا والعمل للآخرة! ألا إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. دافع الخطرة ، فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة ، فإن لم تدافعها صارت فعلاً ، فإن لم تتداركه بصدده صار عادة ، فيصعب عليك الانتقال عنها. بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. الذنوب جراحات ، ورب جرح وقع في مقتل. ومن عظم وقار الله في قلبه خاف أن يعصيه – ومن تجنب سخط الله امتنع في قلوب الخلق أن يُذلوهُ. القلوب أنية الله في أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها. ألفت عجز العادة ؛ فلو علت بك همتك رُبما المعالي لاحت لك أنوار العزائم. إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مُسرَّ حربٍ ، فاستتر منها بحجاب (قل للمؤمنين) فقد سلمت من الأثر ، وكفى الله المؤمنين القتال. الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ؛ فإنها إما أن توجب ألمًا وعقوبةً ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تتلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالا بقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها أذ وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب همًا ، وغمًا ، وحرزًا ، وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علمًا ذكره أذ من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدوًا ، أو تحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق. أبعد القلوب عن الله القلب القاسي. أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. إن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب. فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ. خلقت النار ، لإذابة القلوب القاسية. إذا قسا القلب قحطت العين. المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذي فعل ، لأجل أنه فعل. ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله. لا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود وأبي بن مالك: اقتصاداً في سنة خير من اجتهاد في بدعة. الدنيا كلها ملعونة ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة ، وأس بنيانه عليها ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم ، فإذا درست آثارُ الرسل من الأرض وانمحت بالكليّة خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة. فمن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. وأما الدنيا فأمرها حقير ، وكبيرها صغير ، وغاية أمرها يعود إلي الرياسة والمال ، وغاية هذه الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاماً منه! وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لما أدى نبي الله موسى. والمرأة الصالحة تكون في صحبة زوجها الرجل الصالح سنين كثيرة ، وهي متاعه الذي قال فيها رسول الله: (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة المؤمنة ، إن نظرت إليها أعجبتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك)! وهي التي أمر بها النبي في قوله لما سأله المهاجرون أي المال نتخذ فقال: (لساناً ذاكرًا ، وقلباً شاكراً ، أو امرأة صالحة تعين أحدكم على إيمانه). رواه الترمذي ، من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان. ويكون منها من المودة والرحمة ما امتنَّ الله تعالى بها في كتابه ، فيكون ألم الفراق أشد عليها من الموت أحياناً وأشد من ذهاب المال وأشد من فراق الأوطان ، خصوصاً إن كان بأحدهما علاقة من صاحبه ، أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق ويفسد

حالهم. في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية ، على الصدقة ، فلما قدم ، قال: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولّانا الله ، فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً ، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بغيراً له رُغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ ثلاثاً. من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقه وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغيرها ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه! وكم نرى من رجل متورع عن الفحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموال ولا يبالي ما يقول! اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر!

يا من رَضيتَ - لنا - شرعَ الهدى دينا حمداً إليك ، فذاك الفضلُ يكفينا
يا رازقَ الطير فضلاً أنت سابعهُ أوليتنا نعماً فأقت أمانينا
يا فالقَ الصُّبحِ في الأرجاءِ من ظلمٍ يا صاحب الأمرِ أنت المرتجى فينا
يا كاشفَ الضُرِّ يا رحمنُ يا صمداً يا من يُجيرُ ، وإن ندعو يَلبينا
ثبنا إليك ، فطهرنا بمغفرةٍ واهدِ الخلائقَ ، واقبل من تناجينا

اللهم صل على محمد وآله وصحبه في الأولين! وصل على محمد وصحبه وآله في الآخرين!
وصل على محمد وآله وصحبه في السماوات والأرضين! وصل على محمد وصحبه وآله إلى
يوم الدين! نشهد اللهم أننا نحب نبيك ورسولك محمداً وأصحابه أجمعين وأزواجه أمهات
المؤمنين ومن اتبعه واقتفى أثره ودان لله بدينه إلى يوم يُبعثون!

كل القلوب إلى المليك تميل ومعى بهذا شاهداً ودليل
أما الدليل فإن ذكرثك ربنا صارت دموع المؤمنين تسيل
هذا إليه الناس جل جلاله إن المهيمن طيبٌ وجليل
رحمك أدركنا بواسع رحمةٍ! هذا المتيمم في جمالك نزيل
لو صادفتني من لدنك عناية لازور طيبة والنخيل جميل

اللهم لا تجعلني من الشعراء الذين قلت فيهم: (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) واجعني من الشعراء المستثنين بقولك: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا)! وبهذا أقدم لديوان: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) أملاً أن أكون قد وفقته فيه لما انتويت من تحبير شهادة على هذا العصر الذي أعيش في جملة من القصائد هي بعض عمري أضعها (رسائل شعرية) بين أيدي القراء!

الافتتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. اللهم اجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم إنا نسألك الإيمان وحقانه ووثاقه ، وكريم ما امتننت به من الأخلاق والأعمال ، التي نالوا بها منك حسن الثواب ، اللهم اجعلنا ممن يتقيك ويخافك ويستحيك ويرجوك ، اللهم استرنا بالعافية ، اللهم ارحم في الدنيا غربتنا ، وارحم عند الموت مصرعنا وارحم قيامنا بين يديك ، اللهم عظم الذنب عندنا فليحسن العفو منك يا أهل التقوى وأهل المغفرة ، اللهم يا أرحم الراحمين اجعل طاعتك همتنا ، وقوّ عليها أجسامنا وسخي بها نفوسنا عن الدنيا ، واشغلنا بما ينفعنا وبارك لنا في قوانا حتى ينقضي منها حالنا ، اللهم امنن علينا وارحمنا ، اللهم إنا نسألك أن ترحم ضعفنا ، وتجبر كسرنا وتتولى أمرنا ، اللهم اجبر كسرنا وتول أمرنا وأحسن خلاصنا. تقبل توبتنا واغسل توبتنا وامحْ خطيئتنا وارفع درجتنا وسدّد ألسنتنا ، وأتلجْ سخيمة صدورنا. إلهنا إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك يا إلهي أسالك لا بغيرك أن تجعلنا في أول زمرة السابقين ، وأن ترفعنا لديك في أعلى عليين وأن تنزلنا درجة المقربين وأن تلحقنا بعبادك الصالحين ، أنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا رحيم ، يا ذا الجلال والإكرام ما أشوقنا إلى لقائك ، ما أشوقنا إلى النظر إلى وجهك الكريم ، أنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهنا إن كان قد دنت آجالنا ولم تقربنا منك أعمالنا فقد جعلنا الاعتراف بذنوبنا وسائل عللنا ، فإن عفوت فمن أولى منك هنالك ، وإن عذبت فمن أعدل منك في ذلك ، إلهنا قد جُرنا على أنفسنا في النظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل لنا إن لم تسعفنا ، إلهنا وسيدنا إنك لم تزل بنا براً أيام حياتنا ، فلا تقطع عنا برك بعد مماتنا ، إلهنا إننا رجونا ممن تولانا في الدنيا بالإحسان أن يُسعفنا عند الموت بالغفران ، إلهنا كيف نياس من حسن نظرك إلينا ، بعد مماتنا وأنت لم تولنا إلا الجميل ، في حياتنا إلهنا إن كانت ذنوبنا أخافتنا فإن محبتنا لك قد أجاتنا ، إلهنا تولّ من أمرنا ما أنت أهله ، وعد بفضلك على من غرّه جهله! قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء ، و إذا ردّوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل. لو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا ، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة). سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: أيهما أنفع للعبد؟ التسبيح أم الاستغفار؟ فأجاب: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له. فالتسبيح بخور الأصفياء والاستغفار صابون الغصاة). أخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق ، المحشوّ بالأفات إلى الفناء الرحب ، الذي فيه ما لا عين رأت ؛ فهناك لا يتعذر مطلوب ، ولا يفقد محبوب. إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله ، وإذا فرحوا بالدنيا فإفرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله. من وطن قلبه عند ربه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق. القلب يمرض كما يمرض البدن ، وشفائه في التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرأة ، وجلأه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسم ، وزينته التقوى ، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة ، والتوكل ، والمحبة ، والإنابة. القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها. من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس. من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه. المؤمن إذا كانت له نية أتت على عامة أفعاله وكانت المباحات من صالح أعماله لصالح قلبه ونيته. إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله ، والدار الآخرة ،

والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. إلهنا ومليكننا عجزت الكلمات عن مدحك والثناء عليك! وعزائي كشاعر أن ربي يتقبل العمل المخلص ولو كان قليلاً! وهذا مني جهد المقل فتقبله مني خالصاً لوجهك الكريم!

أولاً أخـرّ عـلـي غـنـي
بـاعـث و ارث كـفـيـل وكـيـل
كـيـف نـحـصـي آلاـه الـوـافـرات؟
وأـمـانٌ لـلـأنـفـس الخـانـفات
بـارـي عـ حـافـظ حـمـيـدٌ مـجـيـدٌ
فـارـج الـهـم كـاشـف الـمـعضـلات
الـوـلي الـمـتـين ، مـا خـاب ظنّ
لـنـفـوسٍ فـي فـضـلـه طـامـعـات
مـؤمّنٌ مـحـسنٌ شـكـورٌ صـبـورٌ
لـلأـدنى والـجـحـود والإفـتـنـات
خـالقٌ رازقٌ سـمـيـعٌ مـجـيـبٌ
وـيـداه تـفـيـضُ بالأعـطـيـات
إنـه الـواحد الـذي لا يـضـاهـي
فـي مـعـاني أسـمائه والـصـفـات

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وأشهد أنه كان قد أدى الأمانة وقام بالرسالة ونصح للأمة وكشف الله - عز وجل - به الغمة! سيدي يا رسول الله:

أنقذتها من ظلام الجهل سرت بها
إلى نرى النور فاناجابت دياجيتها
أشرقت فيها إماماً للهدى علماً
ما زال يخفيق زهوا في سواريتها
وحدت بالدين والإيمان موقفها
ومن سواك - على حُب - يواخيها؟
كنت الإمام لها في كل معترك
وكنت أسوة قاصيها ودانيها
في يوم بدر دحرت الشرك مقتدراً
طوداً وقفنت وأعلى من عواليها
رمى قبضة حصباء بأعينها
فاسأقت وارتوت - منها - مواضيها

اللهم لا تجعلني من الشعراء المنافقين الذين لا تعكس أشعارهم ما هم عليه في الحقيقة! اللهم ما دعوت إلى فضيلة في شعري اجعلني عليها! وما نفرت من رذيلة اجعلني أول من هجرها! وها نحن أولاء نفتتح ديواننا: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) أسأل الله أن يقيمني اليوم في أمة الإسلام مقام حسان بن ثابت بالأمس في هذه الأمة! كما أسأله سبحانه أن يجعل شعري في الذود عن الفضائل والقيم وفي التنفير من الرذائل والفتن! كما أبتهل إليه سبحانه أن ينشره في العالمين وأن لا يجعل ثناء الناس عليه غاية أجري فما كتبت من أجلهم وإنما كتبت أرشدهم إلى الخير وأدعوهم إلى المعروف وأحذرهم من الشر! ربه أنت وحدك تعلم مدى ما بذلت في هذا الشعر ، فاللهم إن كنت كتبت أريد به وجهك الكريم تعلم ذلك من نيتي ، فاللهم انشره في الدنيا كلها واجعل أفئدة من الناس تهوي إليه وارزقهم فهم غوامضه ورموزه يا رب العالمين! آمين.

صورة الغلاف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين! اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغنا حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلنا ومن الماء البارد على الظمأ ، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - وعبادك الصالحون ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - وعبادك الصالحون ، أنت المستعان وعليك البلاغ وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا همماً إلا فرجته ولا ديناً إلا قضيته ولا مريضاً إلا شفيته ولا سائلاً إلا أعطيته ، ولا مأسوراً إلا فككته ولا مظلوماً إلا نصرته ، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تغنينا بها عن رحمة من سواك ، اللهم لا تدع لنا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها ويسررتها ، أنت رب العالمين. اللهم إنا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم إنا نسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك اللهم إنا نسألك السنة صادقة وقلوباً سليمة ، ونعوذ بك من شر ما تعلم ، ونسألك من خير ما تعلم ، فإنك تعلم ما لا نعلم ، إنك أنت علام الغيوب اللهم إنا نستغفرك مما تعلم ، اللهم قنعنا بما رزقتنا وبارك لنا فيه ، واخلف علينا كل غائبة بخير اللهم زدنا ولا تنقصنا أعطنا ولا تحرمنا ، أثرنا ولا تؤثر علينا رضنا وارض عنا أنت الكريم يا كريم. اللهم كما حسنت خلقنا فحسن خلقنا ، اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق ، ومنكرات الأعمال والأهواء. اللهم أنزل علينا من خيرات السماء ، وأنبت لنا من بركات الأرض ، واسق عبادك العطشى يا رب العالمين. اللهم استقنا الغيث ولا تجعلنا من القاطنين ، ولا تهلكننا بالسنين ، ولا تؤاخذنا بفعل المسنين ، يا رحمن يا رحيم . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر. اللهم أغننا بالعلم وزيناً بالحلم ، وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية ، وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة. اللهم أغننا بالافتقار إليك ، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك. اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء. اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فنسترزق من دونك ، ونسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ودم من منع ، وأنت من فوقهم ولي الإعطاء. وببيدك وحدك خزائن الأرض والسماء. اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ، ومن التسليم إلا لك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن التوكّل إلا عليك ، ومن الطلب إلا منك ، ومن الرضا إلا عنك ، ومن الصبر إلا على بلانك. اللهم إنا نسألك خفايا لطفك ، وفواتح توفيقك ، ومألوف برّك ، ومنن إحسانك ، وجميل سترك ، وروح قربك ، وجفوة عدوك. اللهم احرسنا عند الغنى من البطر ، وعند الفقر من الضجر ، وعند الكفاية من الغفلة ، وعند الحاجة من الحسرة ، وعند الطلب من الخيبة ، وعند المنازلة من الطغيان. يا رب إن لم نكن أهلاً لبلوغ رحمتك ، فإن رحمتك أهلاً لأن تسعنا ، فإنك قلت وقولك الحق: (ورحمتي وسعت كل شيء) ، ونحن شيء يا رب فلتسعنا رحمتك. علمنا من علمك الأكرم ، واحفظنا بسر اسمك الأعظم ، حققنا بحقائق أهل القرب ، واسلك بنا مسالك أهل الحب والخوف والرجاء ، أغننا بتدبيرك عن تدبيرنا ، وباختيارك عن اختيارنا ، وأخرجنا من

دُلَّ معصيتك ، إلى عَزَّ طاعتك ، طَهَّرنا من الشكِّ والشركِ ، بك نستنصر فانصرنا ، عليك نتوكَّل
 فلا تكلنا لغيرك! إياك نسأل فلا تخيِّبنا ، من فضلك نرغب فلا تحرمنا ، لجنابك ننتسب فلا تبعدنا ،
 ببابك نقف فلا تطردنا. إلهنا بفقرنا إليك وتوكلنا عليك أحسن خاتمتنا في الأمور كلها ، واستر
 علينا وأكرم نزلنا وحسن مدخلنا ومخرجنا! إليك أنبنا وإليك المصير ، يقع في ملكك ما تريد!

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعدُّ لكل ما يتوقَّعُ
 يا من يُرَجِّي للشَّدائد كلها يا من إليه المُشْتَكى والمَفْزَعُ
 يا من خزائن رزقه في قول كن امنن فإن الخير عندك أجمع
 مالي سوى فقري إليك وسيلةً فبالافتقار إليك فقري أذفع
 مالي سوى قرعي لبابك حيلةً فلئن رددت فأبي باب أقرع؟
 ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقير يُمنع؟
 حاشا لجودك أن يقنط عاصياً الفضلُ أجزلُّ ، والمواهبُ أوسع!

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفوته من عباده. ذلك النبي العظيم والرسول الكريم الذي
 عجزت كلماتي وأشعاري عن التعبير عن خالص حبي وأشواقي! وعزائي أن يجمعني الله به في
 مستقر رحمته - سبحانه وتعالى - . اللهم إني أشهدك أنني أحبك وأحب شريعتك وأحب نبيك!

تأبى الخُروفُ ، وتستعصي معانيها حتَّى ذكُرْتُكَ فأنهالت قوافيها
 (محمَّد) قَلَّتْ فأخضرت رُبي لُغتي وسالَ نَهْرُ فِراتٍ في بواديها
 فكيفَ يجِدُّ حَرْفٌ أنتَ مُلهِمُهُ؟ وكيفَ تظمأُ روحٌ أنتَ ساقِياها؟
 تفتحتُ زهرةَ الألفاظِ فاح بها مِسْكٌ من القَبْلة الخضرَاءِ يأتيها
 وضجَّ صوتٌ بها دوى فزلزلها وفجرَ الغار نبعاً في فيافيها
 تأبَدتْ أممٌ في الشركِ ما بقيتْ لو لم تُكن يا رسول الله هاديها

اللهم ما حوى شعري من القيم فاجعلني أول من يحملها ويعمل بمقتضاها! وما حواه من
 التحذير من الخطايا وكبائر الذنوب ، فاجعلني أول المنتهين عنها النابذيين لها! والحقيقة أننا
 اتفقنا من قبل على تصميم غلاف موحد لديوان (السليمانيات) ونعطيه فقط رقم الجزء على كل
 ديوان! ومن هنا انتظم ذلك المذهب ديوان: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) ومن هنا تجنبت رسم
 المسبحة لكيلا أنهم من قبل البعض بالصوفية مع أن الراجح جواز التسبيح على المسبحة! كما
 ربأتُ بنفسِي وشعري حقاً أن يُنسب إلى الموسيقى إن أنا رسمتُ ما يدل على اللحن والإيقاع!

هذا الديوان

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى! اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك ، تحصناً بالله الذي لا إله إلا هو إلهنا وإله كل شيء ، واعتصمنا بربنا ورب كل شيء ، وتوكلنا على الحي الذي لا يموت ، واستدفعنا الشر كله بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل! حسبنا الرب من العباد ، حسبنا الخالق من المخلوقين ، حسبنا الرازق من المرزوقين ، حسبنا الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس. اللهم اجعل لنا ولجميع المسلمين من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، ونسألك يقيناً صادقاً حتى نعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتبنا لنا ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، يا هادي المضلين ، يا راحم المذنبين يا مقيل عثرات السائرين ، يا محسن ، يا منعم ، يا متفضل يا ذا النعم والعظيم ، يا ذا العرش العظيم ، اجعل لنا مما نحن فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم بك أنزلنا حاجتنا وإن قصر رأينا وضعف عملنا وافتقرنا عن توضيح ذلك ونشره ، فإنا نفتقر إلى رحمتك بعلمك ، فنسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنا من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور ، اللهم ما قصر عنه رأينا وضعف عنه علمنا وعملنا ولم تبلغه مسألتنا من خير وعدته أحد من خلقك أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك ، فإن نرغب إليك فيه ، ونسألك إياه برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا هادين مهديين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلماً لأوليانك حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من عاداك ، اللهم فارح الهم ، وكاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، اللهم إنا ضعفاء فقونا ، أذلاء فأعزنا ، فقراء فأغننا. إلهنا وسيدنا ومولانا وقف السؤال ببابك ولاذ المذنبون بجنابك ، ورفع ذنوب الحاجات حاجاتهم إليك ، ونكس العصاة رؤوس الانكسار بين يديك ، وانقطعت حجج المقصرين من الاعتذار إليك ، وأرست سفينة المساكين على بحر كرمك ، كلهم يرجون الجوار إلى ساحة فضلك ونعمك ، إلهنا وسيدنا امتدت أيدي السائلين إلى وابل غيث جودك ، وتقلقت قلوب الخائفين من وعيدك. إلهنا فمن للسائلين إذا ردوا ، ومن للعاصيين إذا عن بابك طردوا ، من للمتخلفين إذا قطعوا ، ومن غيرك يقبل التائبين إذا رجعوا ، إلهنا خضع المتكبرون من هيبته جلالك ، وخشع المتجبرون لصفوة كمالك وارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك. إلهنا رُد سائر الحائرين إلى أبواب معرفتك ، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعئنا ، تصلح بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، تزكي بها عملنا ، وتلهمنا بها رشدنا وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء ، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعئنا ، تصلح بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، تزكي بها عملنا ، وتلهمنا بها رشدنا وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء ، اللهم أعطنا إيماناً يقيناً ليس بعده كفر ، ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. إلهي جنتك مُقراً بما اجترحته من المعاصي والذنوب ، ولم أظن بك إلا الخير فاللهم اغفر الذنب واستر العيب! اللهم عاملني بما أنت أهله ، أنت أهل التقوى وأهل

المغفرة! ولا تعاملني بما أنا أهله أنا أهل الذنوب والخطايا! اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأجل الأبر الأكرم! إن تكرم تكرم جماً ، وإن تغفر تغفر جماً! فاللهم اغفر وارحم!

إلهي لا تعذبني ، فإنني
ومالي حيالة إلا رجائي
فكم من زلة لي في البرايا
إذا فكرت في قلمي عليها
يظن الناس بي خيراً ، وإنني
أجن بزهرة الدنيا جنوناً
وبين يدي محتبس ثقيل
ولو أنني صدقت الزهد فيها

مُقرّ بالذي قد كان مني
لعفوك إن عفوت وحسن ظني
وأنت عليّ ذو فضل ومنن
عضضت أناملتي وقرعت سنني
لشر الخلق إن لم تعف عني
وأفني العمر فيها بالتمني
كأنني قد دعيت له كأني
قلبت لأهلها ظهر المجنن

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الهادي إلى صراطه المستقيم! وأعترف كشاعر بتقصيري في حقه - صلى الله عليه وسلم -! حيث لم يكن من بين قصاندي الزخم الكافي في قصيدة ما أوفي فيها حقه عليّ شعراً! وإن كنت قد حيرت ثلاث بردات عارضت فيها ابن زهير وغيره!

لزممت باب أمير الأنبياء ومن
فكملت فضل وإحسان وعارفة
عقلت من مدحه حبلأ أعز به
يُزري قريضي زهيراً حين أمدحه
محمداً صفوة الباري ورحمته
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة
سناؤه وسناه الشمس طالعة
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته
نموا إليه ، فزادوا في الوري شرفاً
خواه في سبحات الطهر قبالهم
أسأل الله أن يبارك في هذا الديوان!

يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
ما بين مسلم منه وملائم
في يوم لا عز بالأسباب واللحم
ولا يقاس إلى جودي لدى هرم
وبغية الله من خلق ومن نسيم
متى الورود وجبريل الأمين ظمي؟
فالجرم في قلبك والضوء في علم
من سؤدد بادخ في مظهر سنم
ورب أصل لفرع في الفخار نمي
نوران قاما مقام الصليب والرحم

رحلتي مع الشعر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم المرسلين ورحمة الله للعالمين. اللهم ارزقنا الهجر الجميل لعبادك المذنبين ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك الذين تجاوزوا في حقوقنا وأعراضنا ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك المقصرين في حقوقنا ، والهجر الجميل: هجر بلا أذى ، والصبح الجميل: صبح بلا عتاب ، والصبر الجميل: صبر بلا شكوى. أيها الداعي إلى المعروف بشعره وأيها الناهي عن المنكر بشعره ، ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر. من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين ، وشر الشريرين. الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وبستان العارفين. (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) . فيها اعتراف بحقيقة الحال ، وليس لأحد من العباد أن يبرئ نفسه عن هذا الوصف لا سيما في مقام مناجاته لربه. السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله ، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله ، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله ، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم ، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم. إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً ، ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم ، مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى ، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج. والعامّة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن ، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب. إن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرّم مطلقاً لا يباح بحال. إن الله قد ينصر الدولة الكافرة بعدلها على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم).هـ. سبحانك ربي خلقت ورزقت ، وبعض الناس عبدوا غيرك! (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ). ومكنت لقوم في الأرض وآتيتهم الملك ، ونزعت الملك من آخرين! (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). اللهم انصرنا على من عادانا! إلهنا وخالفنا اقتضت حكمتك أن لا يراك أحد في الدنيا! وإنما نرى آثار حكمتك وقدرتك وعظمتك! (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أُنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ وَإِن كُنَّا لَإِن نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ). إلهنا اقتضت حكمتك أن يزول كل شئ وتبقى وحدك بعد فناء خلقك! (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ، لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ، يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا). إلهنا رضيت لنا الإسلام ديناً ، وهديتنا إلى صراطك المستقيم ، وعلمتنا ما لم نكن نعلم ، وكان فضلك علينا عظيماً وجليلاً! فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك! إلهنا عجز الشعراء والأدباء عن قصائد مديحك والثناء عليك! أنت كما أثبتت على نفسك تباركت ربنا وتعاليت! كثيرة هي المدائح النبوية ، وكم هي قليلة ونادرة تلك المدائح الربانية! مع أنه لا أحد المدحة أحب إليه من الله تبارك وتعالى! ولقد أفاض الزهراني في تانيته

العذبة التي أنشدها في مدح رب البرية - سبحانه وتعالى - وأراها من عيون المدائح الربانية
التي قل أن نري مثلها في القديم والحديث ، ومنها قوله:

قربوا ريشتي ، وهاتوا دواتي واتركوني من التسي واللواتي
لم يعد في فؤاد مثلي مكان للتعني بالحب والغايات
تاه لبي وذاب قلبي لربي فهو حبي وسلوتي في حياتي
ولله كل ذرة في كياتي ومماتي ومنسكي وصلاتي
يا مرادي هذي ترانيم حب من فيوض المشاعر الخاشعات
أنت أهل الثناء والمجد فامنن بجميل من الثناء المواتي

اللهم إنا نشهدك أنا لا نملك إلا حبك وحب نبيك - صلى الله عليه وسلم -! فاللهم ارزقنا بهذا
الحب العمل بكتابك وسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم -!

هذا رسول الله هذا المصطفى هذا لرب العالمين رسول
هذا الذي رد العميون بكفه لما بدت - فوق الخدود - تسيل
هذا الغمامة ظللته إذا مشى كانت تقييل إذا الحبيب يقييل
هذا الذي شرف الضريح بجسمه منهجاه - للسالكين - سبيل
يا رب إنني قد مدحت محمدًا فيه ثوابي - للمديح - جزيل
صلى عليك الله يا علم الهدى ما حن مشتاق وسار دليل

اللهم أقمني اليوم كما أقمت حسان بالأمس! واجعل لشعري من القبول والأجر ما ادخرت لشعر
حسان بالأمس! رباه إن لم أبلغ شأو حسان فلي شرف محاولة السير على خطاه! والحقيقة أنني
اعتدت أن أزود كل قصيدة بمقدمة تستفتح على القراء ما تحويه القصيدة! كما أنها تكون بمثابة
الجو النفسي للقصيدة وشيء عن سبب كتابتها وإنشادها! وأوردت كثيراً من آيات الذكر الحكيم
وأحاديث رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! وكان من أبرز الموضوعات التي
ناقشناها في دواويننا بعامه وهذا الديوان بخاصة ما يتعلق بالجار وحقه والتحذير من الإساءة
إليه! وذلك أنني وقبل عشر سنوات كتبت قصيدة عنوانها: (جيران أم جدران؟) ، وجعلتها بين
قصائد ديوان: (دموع التصبر) برقم 39 ص 129. وتحكي عن الجيران الذين شغلتهُم مباريات
كأس العالم عن أن ينفذوا جيرانهم الأطفال الخمسة الذين أصيب أبوهم في حادث سير ، بعد أن
أوصل أمهم إلى مستشفى الولادة لتضع مولودها السادس ، لتخرج من المستشفى وقد احتسبت
عند الله زوجها وأبناءها الخمسة ، بسبب الجيران الذين هم أقرب إلى الجدران منهم إلى

الجيران! وأما في ديواننا هذا فنحن أمام جيران على النقيض من ذلك فلئن كان جيران قصيدتنا الأولى قد سلموا الأبناء لحتفهم ، فإن الجيران في قصيدة ديواننا هذا فقد أنقذوا الأسرة بكاملها من الموت! وبرغم عدم وجود أدنى مقارنة بين إمكانيات هؤلاء وأولئك ، ولا قياس أبداً بين قدرة هؤلاء وقدرة أولئك! وليس من مقارنة أيضاً بين فرص النجاح هنا وفرص النجاح هناك! ففي الأولى إن هو إلا باب يكسر ليذهب الأبناء إلى أي بيت مجاور حتى يأكلوا ويشربوا ويأمنوا ويلهوا ويلعبوا ريثما يعود الوالدان أو أحدهما ليستلمهم ولو بمعرفة الشرط! وأما في قصيدتنا الثانية فالأمر مستحيل وفرص النجاح فيه لا تتجاوز في نظري 5%! فهذه أسرة مؤلفة من زوج وزوجة وتسعة أبناء في مختلف مراحل العمر. وهناك في الطابق الرابع وعبر ليلة من ليالي الشتاء القارس ، وبينما الأسرة تغط في نوم عميق تنفجر اسطوانة الغاز ، إذ كان المطبخ مغلق النوافذ وكان هناك تسريب للغاز ، وتمدد الغاز وملاً المطبخ المحكم الغلق ، ووصل الغاز إلى مفاتيح الكهرباء ومعلوم أنه موصل جيد للكهرباء ، فوصل بين الأقطاب الكهربائية ، وكان هناك حريق هائل اندلعت منه ألسنة اللهب ، وملاّت المطبخ وانفجرت الاسطوانة وبرحت النوافذ أماكنها ، وبدأت النار في الانتشار والتمدد في سائر غرف الشقة! وفي سرعة مذهلة استيقظ الأب وأيقظ الأسرة بسرعة ، وتعذر الخروج من الشقة نظراً لاندلاع ألسنة اللهب ، وزاد النار لهباً أن اسطوانة احتياطية أخرى انفجرت لتمتد النار في كل مكان من الشقة التي باتت ككرة من السعير والجحيم! ومن فضل الله أن أبواب الشقق المجاورة كانت متباعدة! وإلا لامتدت النار إلى الشقق الأخرى المجاورة! وليس من الموت مفراً! ولم يكن أمام الجميع سوى البلكونة (الشرفة) فانطلقوا جميعاً إليها ، لضمان حياة مؤقتة حيث الأكسجين والهواء ، ولضمان الخيار بين الموت حرقاً أو الموت تردياً! وانطلقت أنظارهم يمنة ويسرة باحثين عن أي طوق نجاة ، فلقد بعدوا عن شاطئ الحياة ، وباتوا جميعاً قاب قوسين أو أدنى من الموت ، وانحسرت الدقائق عن موتٍ مُحقق بإحدى النهايتين: الحرق أو التردى! وبينما هم كذلك نظروا من دورهم الرابع ليجدوا جيرانهم قد أعدوا فرشهم ورتبوا على هيئة بنر لها جدران ، وأمروا الأب أن يُلقِيَ بهم واحداً تلو الآخر بدءاً بزوجه على أن يكون هو الأخير! وقام الوالد بتنفيذ ما أمروا بسرعة. وما أن أتى دوره حتى كانت ألسنة اللهب قد هشمّت باب البلكونة ، وبدأت تنطلق في الهواء من البلكونة حارقة الأخضر واليابس! وبعد عشرين دقيقة جاء الإطفائيون وأخمدوا الحريق وسيطروا عليه في عشرين دقيقة أخرى! وحول الجيران المخلصون الأوفياء دفة الموقف ، وجعلوا من البلكونة التي قصدها الضحايا طلباً للموت المؤجل والحياة المؤقتة ، فصارت طلباً للحياة الدائمة! فصارت المعادلة بذلك صفرية! إذ نجا أفراد الأسرة جميعاً! بعد أن أصبحت الحياة أقرب إلى أحدهم من شراك نعله! أو بالمعنى الدارج: كتب لكل فرد من أفراد هذه الأسرة عمراً جديداً! وإن كانت لنا تحفظات على هذا التعبير! وهناك أحاديث صحيحة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حق الجار ، تبين أن للجار حقوقاً حددتها شريعة الإسلام. فعن مجاهد قال: ذُبحَت شاة لعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - في أهله ، فلما جاء قال: أهديتم لجاننا اليهودي؟ أهديتم لجاننا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارة لجانها ولو فرسن شاة". وعن نافع بن عبد الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء". وعن عبد الله بن

عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال: "كن محسناً" ، قال: وكيف أعلم أنني محسن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت ، فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت ، فقد أسأت"). وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق أو الماء ، فإنه أوسع أو أبلغ للجيران". وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول - صلى الله عليه وسلم -: "يا أبا ذر ، إن اشتريت لحماً ، أو طبخت قدرًا ، فأكثر مرقتة ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك ، فأغرف له منه"). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله: إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك باباً". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عور الدلو والقدر. وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول خصمين يوم القيامة جاران". وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" ، وفي رواية: "فليكرم جاره" وفي رواية: "فليحسن إلى جاره". وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ("والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن" ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه" ، فقالوا: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال: "شره"). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب ، سل هذا لم أغلق بابه دوني ومنعني فضله ". وعن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا استأذن أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره فلا يمنعه" ، فلما حدث أبو هريرة طأطأوا رءوسهم ، فقال: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرmin بها بين أكتافكم. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأله جاره أن يدعم على حائطه فليدعه". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة ، فإن جار البادية يتحول". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام ، فإن جار البادية يتحول عنك" ، وفي رواية: "فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زایل". وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: ("جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال: يا رسول الله ، إن لي جاراً يؤذيني! فقال: "أذهب فاصبر" ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال: "أذهب فاطرح متاعك في الطريق" ، فانتقل ، فطرح متاعه في الطريق ، فاجتمع الناس عليه ، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق" ، فجعلوا يلغونه ، ويقولون: فعل الله به وفعل وفعل! فجاء [أي جاره] إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من الناس ، قال: "وما لقيته منهم؟" ، قال: يلغونني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد لعنك الله قبل الناس. وفي رواية: "إن لعنة الله فوق لعنتهم" ، قال: فإني لا أعود. ثم قال للذي شكاً: ارجع

إلى منزلك ، فوالله لا ترى مني شيئا تكرهه). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتفعل وتصدق ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال: "لا خير فيها ، هي من أهل النار" ، فقالوا: يا رسول الله ، فإن فلانة تصلي المكتوبة ، وإنها تصدق بالأتوار من الأقط ، ولا تؤذي أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي من أهل الجنة". وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه". وعن الوليد بن دينار قال: سئل الحسن عن الجار فقال: أربعين داراً أمامه ، وأربعين خلفه ، وأربعين عن يمينه ، وأربعين عن يساره. وتقول العرب: المرووات أربع: العفاف ، وإصلاح الحال ، وحفظ الإخوان ، وإعانة الجيران. وتقول: قلب المؤمن عالم فسيح ، يسع الأهل والأحباب والجيران والأصحاب ، ويسع هذا العالم الكبير. وتقول: الثقافة التي تخاف على نفسها من هجمة قط الجيران ثقافة فئران. وتقول: من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره. وتقول: عندما يحترق منزل جارك انتبه إلى منزلك. وتقول: الجار السيء يعطيك الإبرة دون خيط. وتقول: من لديه جار طيب يباع منزله بسعر أغلى. وتقول: الجار القريب خير من الأخ البعيد. وتقول: من كان له جار ممتاز ، فإنه يملك كنزاً ثميناً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وإرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَأَرَادَ بَيْعَهَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَارِهِ. حديث صحيح في سنن ابن ماجه. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْجَارُ أَحَقُّ بِشَفْعَةِ جَارِهِ يَنْتَظِرُ بِهَا وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيفُهُمَا وَاحِدًا. مسند الإمام أحمد. وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: سألت ، أو سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك. قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ}. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأذنين أنهم لا يعلمون إلا خيراً ؛ إلا قال الله: قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما لا تعلمون. وعن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال: لا يصحبنا اليوم من أدى جاره. وعن نافع بن الحارث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة. متفق عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أدى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن حارب جاره فقد حاربني ، ومن حاربني فقد حارب الله). ولقد تعددت الأمثال والحكم المأثورة عن الجار! تلك الأمثال والحكم التي تعكس ما عليه الشعوب والأقوام من التجارب والخبرات! فمن ذلك: جين أوستن الكاتبة الأمريكية تقول: كل شخص مُحاط بجيرة من الجواسيس فهو مبتلى ، وخير له أن يتحول عن داره. وهذا جورج هيربرت يقول: أحب جارك لكن لا تحن له رأسك. وهذه إيميلي

بوست تقول: أن تفعل كما يفعل لجيرانك من الخير كما يفعلون لك لك لهي القاعدة الوحيدة المعقولة. وتقول مينا أنتريم: معرفة المرء لنفسه حكمة ، لكن معرفة المرء لجيرانه عبقرية. وهذا حكيم الصين كونفشيوس يقول: لم تترك الفضيلة لتكون وحدها ، من يمارسها سيكون له جيران. ويقول جورج بانكروفت: الحقيقة ليست مثيرة بما يكفي لأولئك الذين يعتمدون على شخصيات وحياة جيرانهم من أجل لهوهم بأكمله ، بل الأمر أن تعطي جارك أفضل مما يعطيك. والمثل الألماني القائل: استفسر عن الجار قبل أن تشتري الدار. والمثل النرويجي القائل: أحب جارك لكن لا تهدم الجدار الفاصل بينكما. والمثل الروسي القائل: من يرم الشوك لدى جاره يره ينبت في حديقته. ولقد كثرت حكم الشعوب بما فيهم العرب عن الجيرة ومدح حسن الجوار وذم سوء الجوار! فهذا بنيامين فرانكلين يقول: كن في حرب مع عيوبك وفي سلام مع جيرانك ودع كل عام جديد يجدهك رجلاً أفضل. وهذا جورج أيد يقول: افعل لنفسك كما يفعل جيرانك لأنفسهم وأظهر سرورك. وهذا بتاح حنب الفرعوني يقول: لا تثرثر مع جيرانك بلا فائدة ، فالناس تحترم الصامت. ويقول تشارلز ديكنز: يبدأ الإحسان في البيت ، وتبدأ العدالة عند الجار. ويقول الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان: الركود الاقتصادي هو عندما يفقد جارك وظيفته ، أما الكساد فهو عندما يأتي دورك أنت ، إذ الجيران جسمٌ واحد. ويقول ماركوس أوريليوس: كم من الوقت يحفظ من الضياع من لا يتطلع إلى معرفة ما يقوله جاره أو يفعله أو يفكر فيه؟ ولو أنني تناولت كل قصيدة كتبتها بهذا التحليل لاحتجنا إلى مجلدات لتستوعب قصائد الديوان كله! الأمر الذي جعلني هنا أشير فقط إلى اللمحات الاجتماعية واللفات الأخوية التي لطالما ضربت على وطرها وناقشت فحواها! وجعلت من (قصيدي الجيران) مثلاً عليها فقط. إن ديوان: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) وترتيبه الرابع عشر من ديوان: (السليمانيات) ليجعلني في سعادة غامرة وراحة تامة أنني استطعت أن أغلب عنصر الزمن الذي يلاحقني! والذي أشعر معه أن الطموحات والآمال أكبر بكثير من العمر! وأوقن أن العمر سوف ينقضي ولم أحقق من آمالي وطموحاتي العشر! إن الشعر كان سلاح الذي أدود به عن القيم والمبادئ والفضائل والمناقب والمعايير الفاضلة والأسس الإنسانية العظيمة التي استقيتها أجمعين من دين خير المرسلين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم! إن من يعتقد أن ديننا يحتاج إلى ترقيعات من الشرق أو من الغرب لسفيه لا يعي حقيقة الدين! ولقد طالعت التفاسير المختلفة وشروح الأحاديث المتعددة ، فاستنتجت أن ديننا جامع مانع ، كامل شامل! ومن هنا ركزت في ديوان: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) على هذا الجانب وعمت كل قصيدة بما تيسر في مقدمتها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة! ناهيك عن التضمن الذي تتضمنه الأبيات الشعرية! وعزوت كل كلمة أخذتها من فلان أو علان إلى صاحبها أو صاحبها ودعوت له وأعطيته حقه من الإطراء والمدح في غير مبالغة! والذي لا أعرفه كتبت نصه ودعوت لصاحبه وإن كان عندي مجهولاً فليس عند الله بمجهول! وأحياناً كنت أكتفي ببعض سطور من مقالته أو من كتابه ، وأراها لا تكفي ولذا اعتدت أن أحيل إلى المقالة في كتابها أو إلى الكتاب في سلسلته! ولزمت الأدب مع المخالف وأوردت دليلاً وإن كنت غير مقتنع به! ولكنني فعلت ذلك ليكون القارئ على بينة من أمره! وما غلبت رأيي إلا إذا كان الدليل معه! وأسأل الله العزيز الحكيم أن ينشر هذا الشعر في العالمين! كما أسأله أن يكون لشعري اليوم ما كان لكلمة نبيه الخليل بالأمس: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً)! فأذن إبراهيم وأتى الناس ولا يزالون يأتون! فاللهم إني أشهدك أنني كتبت أريد بما كتبت وجهك والدار الآخرة! فاللهم إن يكن ذلك كذلك ، وتعلمه من نيتي ، فانشره!

توبة بين السماء والأرض

(ذهب إلى تايلاند باحثاً عن اللذة التي اعتادها لسنوات كل صيف. وفي رحلة عودته كان أحد الدعاة الصالحين على نفس الطائرة قد ذهب للعلاج هناك. وأخذ يعظ الركاب موعظة بليغة لما وجد حديث أغلبهم عن مغامرات الفاحشة التي قاموا بها ، وضرب لهم المثل بنفسه ، فقال: اقترضتُ ثمن التذاكر والتداوي. وعدتُ مديناً مُعافىً والله الحمد. وأنتم أعطاكمُ الله المال لتستعينوا به على معصيته. عاهدوا الله بين السماء والأرض وتوبوا إليه. وتلا عليهم قول الله: (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور). فتأثر بكلامه أحدهم. بينما راح الباقيون اللاهون يسخرون من الداعي ويشوشون عليه. وراح يبكي وينتحب وتاب وأتاب. وتحت عنوان: (الأضلاع الستة) يقول الدكتور سلمان بن فهد العودة ما نصه: (تأملت المعصية فوجدتها إنما كانت حراماً وخبواً ؛ لأنها نقطة سوداء محاطة بستة ألوان من الخطر ، لا يكاد يسلم صاحبها من أحدها ، وربما أصابته جميعاً. * أولها: المرض ، وحسب تقرير لبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز 2009-11-24م ، أن 25 مليون شخص قضوا بفيروس الإيدز في العالم وأن 60 مليوناً أصيبوا به منذ ظهوره. وربما كان سبب المرض مقارفة واحدة لساعة أو بعض ساعة أو لعشر دقائق ، لم يجد صاحبها فيها ما كان يتخيله من المتعة والسرور ، ويتذكر أنه كره رائحة صاحبه ، أو استقدر سنها ، أو مقت بعض خلقها. * ثانيها الفضيحة ، وهي قد تكون بالمرض الذي ينبني عن علاقة محرمة مكتملة ، وقد تكون بتوثيق الحادثة ؛ تصويراً أو إشهاراً واستفاضة ، يتسامع بها الناس ، وقد تكون بظهور الآثار من السكر أو غيره. * ثالثها: الإدمان ، وقد يبدأ الأمر باستطلاع أو استكشاف أو تجربة أو رغبة غامضة ، ثم يتكرر بسبب الاستسهال ويتطور من فعل سهل إلى ما هو أبعد منه ، وما كان تحصل به اللذة أمس قد لا تحصل به اليوم ، فيحتاج إلى تركيز ومضاعفة واستجماع وسائل المتعة الحرام! * رابعها: الفقر ، إذ المبتلى بمعصية تغلغل في عروقه وتمكنت من سويدائه ؛ مستعد لبذل الغالي والنفيس في سبيل تحصيلها ، وهو لا يفرح بالمال لينفقه في وجوه الخير ، ولا ليوسع به على عياله ، ولا ليستثمر ، بل ليحصل به على المزيد من لذته وشهوته ، وهو لا يحسب للمال حساباً قل أو كثر ، لا عرو سيشتري قرصاً بدرهم أو مائة أو ألف ، فالسَم المتلمظ في عروقه يلح عليه ويلزمه ويطلبه مطالبه الغريم الذي لا يمل ولا يفتقر. وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرِّمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدَّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ». رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. * خامسها: عذاب الضمير ، وهو التائب والتقريع ، أخلت بحق نفسك ووضعتها في غير موضعها ، أفسدت نظام الأسرة وسننت لها سنة سيئة ، اغتيال براءة الأطفال لم يكن خياراً حسناً ، الإخلال بحقوق الآخرين ، امرأة ورطتها ، علاقة شرعية أفسدتها ، مال حرام استحلته ، طفل يدلّف إلى الحياة عبر المجهول لا يعرف أباه ، كنت سبباً في نشر السوء والفاحشة وتسهيل أمرها وإشاعتها عذابات متواصلة ، وآلام متزايدة ، وهموم وغموم ، وخواطر سيئة ، فالضحية الزوجة والأطفال والمحيطون بك ممن يصطلون بنار الغضب السريع والتهمج غير المسوغ ، والصراخ المفضي إلى الكراهية ، والإحساس بمقت الحياة حين تكون إلى جوارك. هل يستطيع العاصي أن يملك نفساً هادئة وأعصاباً لينة ، وقدرة على التعايش مع المحيطين دون توتر أو قلق؟ لا أظن! إلا أن يكون ممن لا يعرف معنى "المعصية" ممن لم يتصل بعلمه تحريم ، ولم تفرغ أذنه النصوص المخوفة والوعيد المجلجل. وفي البخاري يقول

ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ». فَقَالَ بِهِ هَكَذَا قَالَ أَبُو شَهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. * سادسها: عذاب الآخرة ، وأعظمه الحجاب عن الرب ، والحرام من مرضاته ، ومن رؤية وجهه ، ومن سماع كلامه والأنس بقربه ، وهو أعظم النعيم وأساسه: (وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرَاهُمْ ذَلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). والوعيد وإن كان لأصحاب السيئات الكبرى المتعلقة بالكفر والجحود ، فإن لأصحاب المعاصي العظام نصيباً منه إن لم يتجاوز الله عنهم ، أو يوفقه للتوبة. وما يبدو على الوجوه من الكآبة وسفغات الغضب وملامح الضيق لدى العصاة هو مؤشر على ما وراءه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في البدن وضيقاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق". على أننا نقرر دوماً أن ليس كل معاناة نفسية سببها المعصية ، فقد يبئلى المرء باكتئاب أو وسواس أو اضطراب أو قلق ، وهي أمراض شأنها شأن أمراض الجسد).هـ. وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ("ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخبز ، وفي رواية: (يستحلون الحر والحريم ، وليشربن ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يأتيهم آتٍ لحاجة ، فيقولون: ارجع إلينا غداً فيخسف الله بهم الأرض ، ويمسخ منهم آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة". وعن ميمونة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا ، فإذا فشا فيهم ولد الزنا ، فيوشك أن يعتمهم الله - عز وجل - بعقاب". وعن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيقال: يا فلان ، هذا فلان قد خانك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت! ثم التفت إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما ظنكم؟ ، ترون يدع له من حسناته شيئاً؟". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي ينهشه أسود من أسود يوم القيامة". وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا شباب قريش ، احفظوا فروجكم ، لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة" وفي رواية: "من سلم له شبابه". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكاهم ، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر". وعن عبد الله بن

مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله - عز وجل - ". فتخيلت ذلك الشاب التائب يقول لنا:

←

لاهنشأ جئت أشتهي الانسجاما	باحثاً - عن ليلاي - بين الأيامي
في بلاد تبيع حُسن الصبايا	لضيوف يسـتعذبون الحراما
للمعاصي والفسق شدوا رحالاً	أنهكتهم ، واستغرقت أياماً
واستساغوا الآثام ، هانت عليهم	كيف يهنأ من يعشق الآثاماً؟!
واستحلوا عمداً فروج الزواني	واستباحوا - بعد النساء - المُداما
بأذلين الأموال فيما يُدسي	هاجرين الإيمان والإسلاما
مُشهرين سيف المجون ابتذالاً	معلنين الإفساد والإجراما
أقتعوني حتى اتخذت قراري	واتبعث السبيل والأقواما
ثم مرّت سني عمري تترى	والضمير لم يُدرِك الأعواما
صرفتني اللذات عن أمر ربي	والفؤاد فيما تلهيت هاماً
أسرّثني - عن ذكر ربي - الخطايا	والرفاق كم أمطروني سيهاماً!
فانحدرت - نحو الدنيا - اختياراً	واعتياد الذنوب عندي تنامى
فاحترفت الفحشاء سَمَماً وهدياً	وابتنيث السراب والأوهاماً
كنت أنوي إشباع نفسي انحطاطاً	ثم ذعت الأسرار والأحلاماً
غير أني التقيت من هز قلبي	وهداني حتى التزمت التزاماً
وذرفت الدمع الغزير احتساباً	وطرحت السواى وأشقى الندامى
إن هذا المتأب أحرى بعبدٍ	بعد أيام سوف يلقي الحماما
توبتي عن فعل المعاصي نصوح	ولها قلبي استسلم استسلاما

لا اجتهاد مع النص

(إنها قاعدة شرعية أصيلة في ديننا من أن للنص الصدارة متى استبان ووضح. ومناسبة هذه القصيدة. أنني ابتليت على مسيرة عقدين عمري ما بين العشرين وحتى الأربعين بأناس يقدمون أهواءهم على نصوص الكتاب والسنة. يقول الله - عز - وجل - (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ، ويقول (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)! وأخذ الله على بني إسرائيل إيمانهم ببعض وتركهم البعض الآخر وسمى ذلك كفراً ، فقال: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون). * وهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول لبعض الصحابة عندما اختلفوا في الأفراد والقرآن في الحج واحتجوا بما يرى أبو بكر وعمر: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم: يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقولون: يقول أبو بكر وعمر. * وهذا ابن مسعود يقول: (أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل ستماً وهدياً ، غير أنني هل تعبدون العجل أم لا؟!) وهذا الإمام البخاري يترجم لأحد أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة فقال: باب (تعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل). وما أصدق المهلب حين قال معقّباً على هذه الترجمة: ومراد البخاري أن العالم إذا كان يمكنه لأن يحدث بالنصوص لا يحدث بنظره ولا بقياسه. ولنتأمل في الأمثلة الآتية كيف تحدّث الصحابة الكرام بنصوص السنة ، وردوا قول من تحدّث منهم بنظره: * - فتلك أمنا وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ترد نظر عمر وابن عمر: - فعن محمد بن المنتشر قال: (سألت عائشة فذكرت لها قول ابن عمر: ما أحب أن أصبح مُحَرَّمًا أنضج طيباً (وفي رواية مسلم: لأن أطفى بقطران أحب إليّ من أن أفعل ذلك)! فقالت عائشة - رضي الله عنها -: أنا طيّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف في نسائه ثم أصبح مُحَرَّمًا). وورد في فتح الباري: (وقد روى سعيد بن منصور عن طريق عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول: لا بأس أن يمس الطيب عند الإحرام! قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: فدعوتُ رجلاً - يعني أباه عمر بن الخطاب - وأنا جالسٌ بجانب ابن عمر فأرسلته إليها ، وقد علمت قولها ، ولكن أحببتُ أن يسمعه أبي. فجاءني رسولي فقال: إن عائشة تقول لا بأس بالطيب عند الإحرام ، فأصب ما بدا لك. قال: فسكت ابن عمر. وكذا كان سالم بن عبد الله بن عمرو بن دينار عن سالم أنه ذكر قول عمر في الطيب ، ثم قال: قالت عائشة - رضي الله عنها - فذكر الحديث ، قال سالم: سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحق أن تتبع. وقال الحافظ ابن حجر: (ويؤخذ من الحديث (أن المفزع في النوازل إلى السنن ، وأنه مستغنى بها عن آراء الرجال ، وفيها المقنع). أقول: ليلحظ القارئ أن الرجال هنا هما عمر وابنه عبد الله - رضي الله عنهما - وهما من هما في العلم والفضل - ولكن - سبحانه الله لا عصمة لأحد غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . * وأيضاً عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - تردان نظر أبي هريرة والفضل بن العباس: عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقصّ في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصمّ ، فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث فأنكر ذلك ، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك! فكلتاها قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُصبح جنباً

من غير حُلْم ثم يصوم. فجئنا أبا هريرة - رضي الله عنه - فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم. ثم ردّ أبو هريرة - رضي الله عنه - ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعتُ ذلك من الفضل ، ولم أسمعهُ من النبي - صلى الله عليه وسلم - . قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول ذلك. * وتلك عائشة تردّ نظر عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - . فعن عبيد بن عمير قال: بلغ عائشة - رضي الله عنها - أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذ اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن فقالت: يا عجباً لابن عمرو هذا! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن! أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟! لقد كنتُ أعتسل أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد ولا أزيد - أن أفرغ على رأسي ثلاث إفرغات. (رواه مسلم). وأيضاً عائشة - رضي الله عنها - تردّ نظر ابن عباس: - فعن عائشة أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة - رضي الله عنها - أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: من أهدى هدياً حرّم عليه ما حرّم على الحاج حتى ينحر هديه. فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس كما قال ابن العباس! أنا فتلت قلائد هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيدي ، ثم قلدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيديه ، ثم بعت بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً أحله الله حتى نحر الهدى. رواه البخاري. وهذا ابن عمر يرد نظر ابن عباس: - فعن وبرة قال: كنت جالساً عند ابن عمر فجاءه رجل فقال: أياصالح لي أن أطوف بالبيت قبل أن آتي الموقف؟ فقال: نعم. فقال: إن ابن عباس يقول: لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف. فقال ابن عمر: فقد حج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف ، فبقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحق أن تأخذ أو بقول ابن عباس إن كنت صادقاً؟ وفي رواية: فسنة الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أحق أن تتبع من سنة فلان إن كنت صادقاً. وهذا ابن عباس يرد نظر زيد بن ثابت - رضي الله عنه - : فعن عكرمة أن أهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة طافت ثم حاضت. قال لهم: تنفروا قالوا: لا نأخذ بقولك وندع قول زيد ، قال: إذا قدّمتم المدينة فسلوا. فقدموا المدينة ، فسألوا فكان فيمن سألوا أم سليم - رضي الله عنها - فذكرت حديث صفية: إنها قد كانت أفاضت وطافت بالبيت ، ثم حاضت بعد الإفاضة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (فلتنفروا). وهذا عمران بن حصين يردّ نظر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : فعن عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله (يعني متعة الحج) وأمرنا بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى مات. قال رجل برأيه بعدما شاء. رواه البخاري. وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرد نظر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : فعن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: اختلف علي وعثمان رضي الله عنهما في المتعة (أي متعة الحج) فقال علي - رضي الله عنه - : ما تريد إلا أن تنتهي عن أمر فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى ذلك علي أهلّ بهما جميعاً. وفي رواية: قال: ما كنت لأدع سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - لقول أحد. رواه البخاري ومسلم. وهذا ابن عباس يردّ نظر ابن الزبير: فعن مسلم القرني قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عنهما عن متعة الحج فرخص فيها. وكان ابن الزبير - رضي الله عنه - تحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رخص فيها فادخلوا عليها فاسألوها ، فدخلنا عليها فإذا هي امرأة ضخمة عمياء فقالت: قد رخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها. رواه مسلم. وقد أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم: عن أبي السّمح قال: إنه سيأتي على الناس زمان يسمن الرجل راحلته ، ثم يسير عليها حتى تهزل يلتمس من يفتيه بسنة فلا يجد إلا من يفتيه

بالظن. ومما يدعو إلى التأمل في سُمُو شرع الله وفضله أن جميع نصوص السنة التي مرّ ذكرها - وردّ بها نظر الرجال - تتجه إلى التيسير على المؤمنين وترفض التعسير. والإمام الشافعي يقول: لا يجوز لأحدٍ استبانته له سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتركها لقول أحدٍ كائناً من كان. فأُنشِدْتُ - في التعريض بمن يغلب الرأي والعقل على النص- أقول:

النصوصُ أولى من الآراءِ تلك رُوحُ الشرعية الغراءِ
كل نص له اعتبارٌ وروحٌ وضياءٌ يُجَلِي دُجى الظلماءِ
كم نصوص قد يُتَيْتُ ، فاستبانته! ما اعتراهامن بعدُ أي خفاءِ
ربنا المولى قوله خيرُ قول وكذا قولُ أشرفِ الأنبياءِ
كم ضللنا بالاجتهادات حادت عن صراطِ الرَّحمن رب السماءِ!
ثم جادلنا أهلها باحترام فاستبدَّ الأغرارُ بالآراءِ
ليس رُزءٌ كالأعداد برأي مُستترِب يُفضي إلى أرزاءِ
والليِّبُ من يسألك الحق درياً مُستدلّاً بالصفاة العلماءِ
مُستعيناً بالبينات احتساباً رافضاً نهجَ الطغمة السفهاءِ
ليس يلغى دَوْرَ العقول بتاتاً حيث إن التكليف للعقلاءِ
إنما دَوْرُ العقلِ إعمالُ فِكرٍ بعد فهم يقوده لاهتداءِ
ماله - في علم الكلام - نصيبٌ جُلِّ علم الكلام محضُ افتراءِ
هكذا أصحابُ النبي جميعاً فاستحقوا مدارج الأولياءِ
إن بدا النصُّ عظموه وقالوا: قد أظننا بلا قلى أو جفاءِ
واقتمدى بالأصحاب من تابعوهم واقتمدى أيضاً خيرة الفقهاءِ
قولهم إن خالف النص يُرفضُ أعلنوها في الناس دون امتراءِ!

العدل أساس الملك

(السلطان محمود بن سبكتكين الغرنوي مناقبه كثيرة ، ومنها قتله لابن أخته. حيث اشتكى رجل إلى السلطان محمود أن ابن أخت السلطان يقتحم بيته فيخرج الرجل من بيته ، ويختلي بامرأته ، وقد اشتكى الرجل إلى أولياء الأمور ، فهابوا هذا الظالم الفاسد لمكانته عند السلطان ، فأتى السلطان محمود من هذا الخبر ، وقال للرجل ويحك! متى جاء بادر بإعلامي ، ولا تلتفت إلى من يمنعك عن الوصول إليّ ، وأمر السلطان الحَجَبَة بالسماح له متى جاء ليلاً أو نهاراً. فذهب الرجل ، فما كان غير ليلتين أو ثلاث ، حتى هجم عليه ذلك الشاب ، فأخرجه واختلى بأهله ، فذهب باكياً إلى دار السلطان ، فقيل له: إن الملك نائم ، فقال: قد تقدم إليكم بما علمتم ، فأنبهوه فاستيقظ وخرج معه بنفسه وجاء إلى منزله ، فنظر إلى الغلام وتأكد من إتيانه الفاحشة بالإكراه فقتله بنفسه. وله قصة عجيبة مع الهنود - عندما فتح الهند - مع الصنم (سومَنات) ، حيث كان هذا الصنم الحقيق أعظم أصنام الهند قاطبة ، وكانوا يعتقدون أنه يحيي ويميت ، ويقصدونه من بلاد بعيدة جداً ، وافتتنت به أمم لا تحصى ، ولم يبق ملك ، ولا ذو ثروة إلا وقد قرّب له قرباناً من نفيس ماله ، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلات خزائنه من أصناف الأموال والجواهر. وكان عند هذا الصنم ألف رجل من البراهمة يخدمونه! وثلاثمائة رجل يخلقون رؤوس الحجاج إليه ولحاهم عند القدم ، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه. وكان بين أدنى بلاد الإسلام إليه ، والقلعة التي فيها الوثن كمسيرة شهر في صحراء ملتهبة ، في غاية المشقة والصعوبة! ولما دخل السلطان محمود هيكل الصنم سومنات ، وجد حوله من أصناف أصنام الذهب والفضة ، المرصعة بالجواهر شيئاً كثيراً محيطاً بعرشه ، والسدنة يزعمون أنها الملائكة ، ووجد في أذنيه نيفاً وثلاثين حلقة ، فسألهم محمود عن معنى ذلك؟ فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة! فأحرق هذه الأصنام ، وكسر ما يكسر منها وترك هذا المعبد قاعاً صافصفاً. وكان لهذا الصنم أثر بارز في الأدب الفارسي ، وغيره من آداب الهنود ، واستمر هذا التأثير حقبة عديداً ، حتى بعد تحطيم الصنم ، فهذا سعدي الشيرازي ، الشاعر المشهور ، يجري حديثاً طويلاً حول هذا الوثن ، ويشير إليه غير مرة شعراً ونثراً ، وسعدي ولد بعد حرق الصنم بقرن وثلثي قرن. وكان السلطان محمود طالما سمع عنه ، وتطلع إلى تدميره ، حتى بلغه أن الهنود قالوا: خرب أكثر بلاد الهند غضب الصنم الكبير سومنات على سائر الأصنام ، فعزم على غزو هذا الوثن الذي كان يغسل كل يوم بماء وعسل ولبن؟! وينقلون إليه الماء من نهر على مسيرة شهر. يقول الأستاذ المؤرخ تامر بدر في ذلك ما نصه: (ظل فتح الهند حُلماً كبيراً يُراود الخلفاء والسلاطين طيلة أربعة قرون ؛ إلى أن يسّر الله فتح الشمال الهندي كله ، ومهدّ الطريق للفتاحين من بعده على يد بطلنا السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين ؛ حيث قاد محمود بن سبكتكين ست عشرة حملة عسكرية إلى شمال الهند ؛ فقضى على ملوكها الواحد تلو الآخر ؛ فقاد حملة ضدّ الملك الهندي جايبال وذلك سنة (392هـ = 1001م) ؛ وكان أكبر ملوك الهند على الإطلاق ، وأكبر عقبة في وجه الدعوة الإسلامية ، وقاد - أيضاً - حملة ضد الملك اندبال سنة (398هـ = 1007م) ، وواجه الملك ناكر كوت سنة (400هـ = 1009م) وألزمه بدفع الجزية ، وواجه - أيضاً - الملك راجا ناندا سنة (410هـ = 1019م) وأدّت تلك المعركة إلى انتشار واسع للإسلام في منطقة كالنجار ، وكان قد قضى على ملك الكجرات بيذا سنة (409هـ = 1018م). كانت هذه الفتوح بفضل الله أولاً ثم بفضل سلاح الفرسان الذي أنشأه محمود بن سبكتكين ؛ الذي وصل عدده - في رواية

بعض المؤرخين العرب والمستشرقين - إلى مائة ألف فارس مسلحين بأحدث وأفضل الأسلحة ، وسلاح الفيلة الذي كان السلاح الرئيسي في معارك المسلمين في الهند ، وكان السلطان محمود بن سبكتكين يهتمُّ بهذا السلاح إلى حدِّ كبير ؛ حتى إنه لربما يُصالح بعض ملوك الهند مقابل عدد من الفيلة. ظلَّ السلطان محمود منتصراً في معاركه ضدَّ الهنود منتقلاً من نصر إلى نصر ، وكان السلطان محمود الغزنوي كلِّما هدم صنماً ، قالت الهنود: «إن هذه الأصنام والبلاد قد سخط عليها الإله سومنات ؛ ولو أنه راضٍ عنها لأهلك مَنْ قصدها بسوء». فسأل السلطان محمود عن سومنات هذا؟ فقيل له: «إنه أعظم أصنام الهنود». وكان الهنود يحجُّون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر ؛ فتجتمع إليه عوالم لا تُحصى ، وكان الهنود يزعمون أن الأرواح بعد الموت تجتمع إليه ، فيبثُّها فيمنُ يشاءُ بناءً على التناسخ ، وكان المدُّ والجزر عندهم هو عبادة البحر لسومنات ، وكانوا يقدِّفون إليه كلَّ نفيسٍ ، وكانت ذخائرهم كلها عنده ، وكانت له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة ، وكان يقوم عند الصنم ألف رجل في كلِّ يوم للعبادة ، وثلاثمائة لخلق رعوس الزوَّار ولحاهم ، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يُغنُّون ويرقصون ، فعزم السلطان محمود على هدم هذا الصنم ، وقاد جيوشه بنفسه إلى أن وصل إلى سومنات. عرض الهنود على السلطان محمود بن سبكتكين أموالاً جزيلاً ليتترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فقال: «حتى أستخير الله عز وجل». فلما أصبح قال: «إني فكَّرْتُ في الأمر الذي دُكِّرَ فرأيتُ أنه إذا نُوديَتْ يوم القيامة: أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحبُّ إليَّ من أن يُقال: الذي ترك الصنم لأجل مال يناله من الدنيا». وفي ذي القعدة 416هـ = يناير 1026م انتصر المسلمون على الهنود! وقد قُتل من الهنود خمسون ألفاً كانوا يُدافعون عن سومنات ، ودخل محمود المعبد وحطَّم الصنم ، فوجد عليه وفيه من الجواهر والذهب والجواهر النفيسة ما يزيد على ما أنفقه في الحملة بأضعاف مضاعفة ، وكانت عنده خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهباً وفضة عليها ستور معلقة بالجواهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار).هـ. كتبتُ في هذا أقول:

الحق فوق الأهل والولدان	ونراه فوق الدُّور والأوطان
والعدل يُعلي المُلْك ، إذ هو أسَّه	وبه يعم الخيرُ في البلدان
وبه تسوِّدُ حضارة رُوحية	وتزولُ كل معالِم الطغيان
واستقرئ التاريخ ، واسبرُ غوره	يُفضي اليك بدقيةٍ وبيان
أن العدالة أصلُ كل تقدم	وأساسُ ما نبني من العمران
والعدلُ يُنشئ - في الرعية - عِزة	حتى تعيش حياتها بأمان
والعدلُ في تطبيق شريعة ربنا	مهما تخرَّص كل ذي بُهتان
وأراك (يا محمود) خيرُ من اتقى	في عصره منظومة الشنان
فحكمت ، ثم عدلت بين رعيةٍ	عانت كثيراً من لظى العدوان

وسلمت حتى قيل غيرُ مدان
وجعلته في غاية التبيان
من حمأة التدمير والخسران
وبه تُصانُ كرامة الإنسان
ويزول كل تضعع وهوان
وعليه دُونَ ساطع البرهان
ومدمر الأحجار والأوثان
دمرتها بتجرده وتفان
كم أقصيت - جبراً - عن الإيمان!
إذ عاش يهتك عرض أي حصان
ولئن زنا بعقائل النسوان!
بل ثرت منذ علمت باستهجان
حتى تُريح الناس من خوان
وعددت إذ عاجلته بطعان
هَذَا أوان البر بالأيمان
فاهناً بمائك يا فم الظمان!
وأكلت من ثمر هنالك دان
شمسٌ بأنوار على الأكوان!

فأمنت حتى نمت غيرَ مُروَع
وضربته مثلاً يُعلم جاهلاً
لا شيء مثل العدل يحفظ دولة
تالله يُعلي العدل كل فضيلة
وبه تعود شرافة ضاعت سُدىً
(محمود) سَطرتِ الصحائفُ عدلكم
يا حاطم الأصنام دون ترددٍ
لما رأيت الناس قد فتنوا بها
لتقيم دين الله بين رعية
وقتل عبيداً - بالفساد - مُجاهراً
ما قلت: لابن الأخت كل سلامةٍ
ما قلت: يفعل ما يريد ويشتهي
وحلفت أن لا تشربن على الظمأ
ثم انطلقت إليه دون تكاؤ
وسألت بعض الماء يروي ظمناً
شربتُ رمال الأرض من دم مجرم
وسقاك ربك في الجنان شرابها
وعليك رحمة ربنا ما أشرفتُ

انتكاسة غير مسبوقه

(ساقطة لبنانية تدلّ قسمات وجهها على الغهر والفجور. كما تدلّ كلماتها على الفسق والكفر. كانت هذه الساقطة المرذولة قد تزوجت من شقيقها علانية. ثم راحت تناظر المفتي اللبناني الشيخ خليل الميس على قناة (الدينا) ، وتبرّر هذا الزواج الملعون تحت مسمى الحرية الشخصية ، وراح أخوها الداعر الفاجر والمذيع الذي لا يختلف كثيراً عنهما ، يبزران وبيباركان ذلك الزواج الغهري الملعون القذر. وانطلق الشيخ الميس يردّ عليها ويصفعها بالأدلة التي تدلّ على أنها قد خرجت من دين الإسلام. بينما راحت تدافع عن رأيها باسم الحرية ، فخرج الشيخ من القاعة غاضباً ساخطاً على القاعة ومن فيها وعلى مجرد الجدل. ذلك أن هذه العاهرة المرذولة المومس راحت تدافع عن فعلتها الغاوية الضالة الأثيمة ، ويساعدها أخوها الزاني والمذيع المنحل والجمهور المتفحش المجاهر بتأييد الإباحية والانحلال. وإنه ليُفترض في المذيع المحاور أن يكون على الحياد كما هو منصوص عليه في أخلاقيات مهنة المذيع ، ولكن مديعنا تحوّل إلى أحد الخصمين! وليته كان مع الحق! وزادت الفحبة العاهرة الأمر سوءاً وقبحاً عندما خلعت ما يستر رأسها وصدرها لتبدو شبه عارية ، أمام الجمهور الذي صفق تصفيقاً حاداً يؤيدها في ذلك. وقالت: أنا لست مقتنعة بهذا الحجاب ، وإذن فهي مقتنعة بزواجها من شقيقها بعقد وشهود على ملة إبليس وعلى مذهب العهرة الكفرة الفجرة ، الذين دينهم شهواتهم وقبلتهم أهواؤهم. أما الحجاب فليست راضية عنه. وكنت قد شاهدت المناظرة ، فاحتقرت تلك الداعرة من كل قلبي! وسوف أظل أحتقرها ما حييت! وكتبت هذه القصيدة مندداً بها وبالمذيع وبالجمهور الساقط وبأخيها الزاني (زنا المحارم) الذي هو من أشنع وأقبح أنواع الزنا بإطلاق في شريعتنا! وتحت عنوان: (المرأة بين عز الإسلام ودلّ الجاهلية المعاصرة) تقول الأخت نور الإيمان ، من بنيات فلسطين ما نصه: (إن الباعث الحقيقي لأن ننظر إلى واقع المرأة المسلمة في الأُمس القريب زمن وجود الدولة الإسلامية وفي ظلّ مجتمع يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، هو مقارنته بالواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة حالياً في مجتمعات غير إسلامية تحكم بغير كتاب الله وسنة رسوله وتطبق قوانين الكافر المستعمر صاحب السيادة والريادة حيث يصول ويجول دون رقيب ولا حسيب. فمادام قدم الإسلام للمرأة؟ ومادام قدمت المرأة للإسلام؟ وما هو حالها بعد زوال دولة الإسلام؟ ومادام يكيد لها أهل الكفر في كل بقاع الأرض؟ لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة منذ أن أشرق فجر الإسلام فأكرمها حين أدلّها أهل الكفر وصان عرضها حين داسه أهل الكفر والجاهلية قديماً ، فأعطاهم حقوقها كاملة حين لم تكن إلا سلعة وممتعة لأهل الكفر وحافظ على تلك المكانة التي أعظم بها المرأة ورفع من شأنها من خلال الدولة الإسلامية التي كانت تصون أعراض المسلمين وتدود عنها ، وكان خليفة المسلمين يجيش الجيوش من أجل شرف امرأة وعرضها ، وفي ظلّ هذه الكرامة والمجد العظيم شاركت المرأة في الحياة وكان لها دور كبير لا يمكن أن ينسى أو يهمل على مرّ العصور! فلقد كُرمت في ظلّ الإسلام وفي كنف سلطانها ، فقدّمت من أجل إعزاز دين الله الكثير الكثير ، ابتداءً بأُمّ المؤمنين خديجة الكبرى كيف صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وكيف دافعت عنه وصدّقته حين كذّبه الناس ، وكانت له عوناً وسنداً في دعوته إلى الله! ومن بعدها عائشة وزيرة صدق لرسول الله ، وسمية أول شهيدة في الإسلام ، وها هي نسبية بنت كعب التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة". عندما

دَافَعَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَتَبَتَّ أَمَامَ الْكُفَّارِ فِي أُحُدٍ. نَعَمَ الْمَجَاهِدَةُ الْمُطَبَّبَةُ الْمُؤْمِنَةُ النَّفِيَّةُ النَّفِيَّةُ هِيَ ، وَحَوْلَهُ بِنْتُ الْأَزْوَارِ وَهَنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَالْخُنَسَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي عُرِفَتْ بِالْبُكَاءِ وَالنُّوَاحِ ، وَإِنْشَاءِ الْمَرَاثِي الشَّهِيرَةِ فِي أَخِيهَا الْمُتَوَفَّى إِبَانَ جَاهِلِيَّتِهَا ، وَمَا أَنْ لَامَسَ الْإِيمَانَ قَلْبُهَا ، وَعَرَفَتْ مَقَامَ الْأُمُومَةِ وَدَوَّرَ الْأُمِّ فِي التَّضْحِيَّةِ وَالْجِهَادِ فِي إِعْلَاءِ الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ وَرَفَعَةِ مَقَامِهِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَعَظَّتْ أَبْنَاءَهَا الْأَرْبَعَةَ عِنْدَمَا حَضَرَتْ مَعْرَكَةَ الْقَادِسِيَّةِ تَقُولُ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ اسْلَمْتُمْ طَانِعِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِينَ ، وَإِنَّكُمْ لِأَبْنِ أَبِي وَاحِدٍ وَأُمِّ وَاحِدَةٍ ، مَا حَبَبَتْ أَبَاؤُكُمْ ، وَلَا فَضِيحَتْ أَحْوَالُكُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا بِأَشْرَوْا الْقِتَالَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى قُتِلُوا ، وَلَمَّا بَلَغَهَا خَبَرَهُمْ مَا زَادَتْ عَلَى أَنْ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ". هُوَ لَاءِ الْمَجَاهِدَاتِ الصَّابِرَاتِ الْحَافِظَاتِ الْقَائِمَاتِ وَعَيْرُهُنَّ الْكَثِيرَاتِ مِنَ اللَّوَاتِي سَطَّرَتْ سِيرَتُهُنَّ بِمَاءِ الدَّهَبِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ ، هَكَذَا كَانَتْ أُمَّهَاتِنَا وَهَكَذَا كَانَ الْإِسْلَامُ عَظِيمًا ، فَعَظَمَتْ مَعَهُ الْمَرْأَةُ فَانْعَمَ بِهِنَّ مِنْ نِسَاءِ أَكْرَمَهُنَّ الْإِسْلَامُ وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِنَّ وَحَمَى أَعْرَاضَهُنَّ وَدَافَعَ عَنْ شَرَفِهِنَّ ، فَحَافِظُنَّ عَلَى دِينِهِنَّ وَتَمَسَّكُنَّ بِهِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَاعْتَصَمْنَ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَهُنَّ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّهِنَّ بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ وَصَلْنَ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا. وَبَقِيَتْ الْمَرْأَةُ شَامِخَةً كَرِيمَةً عَزِيزَةً مَصُونَةً بِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَحَامِيَةً بِيَضَّةِ الْإِسْلَامِ دَوْلَةَ الْخِلَافَةِ عَلَى مَدَارِ أَرْبَعَةِ عَشْرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا أُصِيبَ الْإِسْلَامُ فِي مَقْتَلِ ، وَكَانَتْ الرِّصَاصَةُ مَصُوبَةً مُبَاشِرَةً إِلَى قَلْبِ الْإِسْلَامِ ، فَسَقَطَتْ حَامِيَةُ بِيَضَّةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ دَوْلَةَ الْخِلَافَةِ سَنَةَ 1924م. فَمَاذَا خَسِرَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ سُقُوطِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ وَانْتِهَاءِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَتَنْحِيَةِ الشَّرْعِ جَانِبًا وَوَضْعِهِ فِي سُجُونِ الْأَتِّهَامِ بِالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّخَلُّفِ؟ إِنَّ حَالَهَا يُوَافِقُ حَالَ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَعِيشُ فِي بَيْتِهَا تُحِيطُ بِهَا جُدْرَانُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَوِيَّةً نَابِتَةً ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحِمَهَا عَلَيْهَا عُنُودَ تَعِيشُ بِهَدُوءٍ وَسَلَامٍ وَأَمْنٍ وَطَمَئِينَةٍ مَعَ زَوْجِهَا وَأَبْنَائِهَا وَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ يَتَسَلَّلُ الْعَدُوُّ الْكَارَهُ الْحَاقِدُ ، مُتَخَفِيًا فِي ثِيَابِ الصَّدِيقِ الْمُحِبِّ الْوَدُودِ فَيَشْرَعُ فِي نَقْضِ عُرَى الْبَيْتِ عُرُودَ عُرُودًا وَهَدْمَهُ حَجْرًا حَجْرًا ، إِلَى أَنْ هَدَمَ الْبَيْتَ بِأَكْمَلِهِ وَقَتَلَ الزَّوْجَ الَّذِي يَصُونُهَا وَيَحْمِيهَا ، وَصَارَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ فِي الْعَرَاءِ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْتُرُ نَفْسَهَا وَكَيْفَ تَحْمِي أَوْلَادَهَا ، وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَرْعَاهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهَا يُرِيدُ الْخُصُولَ عَلَيْهَا بِأَيِّ ثَمَنٍ وَيُرِيدُ أَنْ يَرَى تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ كَاللُّوْلُؤَةِ فِي الْمَحَارَةِ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْطِشَ بِهَا أَحَدٌ كُلُّ مَنْهُمْ يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ ، يُرِيدُهَا سَافِرَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ يَتَهَافَتُ إِلَيْهَا الْفَاصِي وَالِدَانِي مِنَ كِلَابِ الْبَشَرِيَّةِ! فَمَا أَصْعَبَهُ مِنْ حَالِ أَلْتِ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ. هَذَا مَا حَصَلَ لِكِ أَيْتِهَا الْمُسْلِمَةُ عِنْدَمَا سَقَطَ الْبُنْيَانُ الْعَظِيمُ وَهَدِمَ عَلَى يَدِ أَهْلِ الْكُفْرِ! وَأَبْعَدُوا رَاعِيَ الْبَيْتِ وَرَبَّ الْأُسْرَةِ عَنْ صَوْنِ عَرَضِكَ وَكَرَامَتِكَ مَنْ لَوْ اسْتَنْصَرَحْتَهُ: وَاحْلِيْفَتَاهُ لَقَالَهَا مُدَوِيَّةً مُجَلِّجَةً تَهْرُ عُرُوشَ الطَّغَاةِ: لَبَيْكَ أُمَّةَ اللَّهِ. فَقَالُوا مُرَاوِغِينَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ حَبَسَهَا بِأَحْكَامِهِ وَقَيْدِهَا بِشُرُوطِهِ وَضَيْقِ عَلَيْهَا الْخِنَاقِ ، وَلَمْ يُعْطِهَا حُرِّيَّتَهَا فَتَفَعَّلَ مَا تَشَاءُ وَتَقُومُ بِمَا تُحِبُّ وَلَا تَقُومُ بِمَا لَا تُحِبُّ! لِمَادَا تَفْرَضُونَ عَلَيْهَا أَحْكَامًا وَحَرَامًا وَحَلَالًا؟ دَعُوهَا تَعِيشُ! دَعُوهَا بِحُرِّيَّتِهَا! قَالُوا: لِمَ هَذَا الْحِجَابُ إِنَّهُ يُضَايِقُهَا وَيَقْيِدُهَا! شَعْرُهَا جَمِيلٌ لِمَ نُخْفِيهِ؟ فَخَلَعُوا عَنْهَا حِجَابَهَا! خَلَعُوا عَنْهَا إِسْلَامَهَا! خَلَعُوا عَنْهَا حُكْمَ اللَّهِ فِي حَقِّهَا: "قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ". وَاعْتَبَرُوا كُلَّ مَنْ تَرْتَدِي الْحِجَابَ مُتَّهَمَةً بِالتَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَأَصَافُوا كَذِبَتَهُمُ الْجَدِيدَةَ "إِرْهَابِيَّةٌ"! وَمَا حَدَثَ فِي دَوْلِ الْإِتِّحَادِ الْأَوْرُوبِيِّ لَيْسَ عَنْكُمْ بِبَعِيدٍ. ثُمَّ لِمَادَا هَذَا الْجِلْبَابُ؟ فَتَلْخَلَعُهُ عَنْهَا! هَلْ جَسَدُهَا مُنْظَرُهُ مُنْفَرِّ لِدَرْجَةٍ أَنْ تُحْجَلَ مِنْهُ؟ لَا بَلْ هِيَ الْجَمِيلَةُ ،

فَبِكَلِمَاتٍ مُزْخَرَفَةٍ أَزَلُوا عَنْهَا ثُوبَ الْعَفَافِ وَالطُّهْرَ وَأَمَرَ رَبُّهَا: "أَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً". فَاسْتَبَاحُوا جَسَدَهَا وَاسْتَعْمَلُوهُ سِلْعَةً لِتَرْوِيجِ الْبِضَاعِ وَإِشْبَاعِ الشَّهَوَاتِ! فَصَارَتْ تَعْيِشُ لَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهَا فِي بَيْتِهَا ، وَلَا فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَلَا فِي كُلِّ شَأْنٍ حَيَاتِهَا. هَذَا مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا! وَالْمُصِيبَةُ الطَّامَةُ وَجُودُ نِسَاءِ سَادَجَاتِ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ. تَنْتَازِلُ بِبَسَاطَةِ وَيُسِرُّ عَنْ دِينِهَا وَتَقْبَلُ بِأَنْ تَدَلَّ وَتَهَانَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْتُرُ النِّسَاءَ وَيَهْتَكُنَّ سِتْرَكَ لَهُنَّ بِأَيْدِيهِنَّ! عَفْوِكَ رَبِّي إِنَّ قَوْمِي لَا يَعْلَمُونَ. وَهَنَّاكَ أَحْوَاتُ أُجْبِرْنَ عَلَى حَيَاةِ الدُّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَتَلَوِيثِ الشَّرْفِ وَالْعَرَضِ ، وَلَا حَامِي لَهُنَّ فَلَا يُوجَدُ مَنْ يَدُودُ عَنْهُنَّ أَوْ يُدَافِعُ عَنْ كَرَامَتِهِنَّ الَّتِي انْتَهَكْتَ ، وَهُنَّ كَثُرَ فَانظُرُوا إِلَيْهِنَّ فِي الْعِرَاقِ وَأَفْغَانِسْتَانَ وَالشَّيْشَانَ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يُطَبَّقُ فِيهِ شَرَعُ اللَّهِ! إِنَّهِنَّ مُسْلِمَاتٌ قَابِضَاتٌ عَلَى الْجُمْرِ! قَابِضَاتٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَيَتَحَمَّلْنَ الْمَشَاقَّ وَالتَّضْيِيقَ عَلَيْهِنَّ ، وَلَكِنَّهِنَّ يَصْبِرْنَ وَيَتَحَمَّلْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. كُلُّ هَذَا يَخْدُثُ لِلْمُسْلِمَةِ! لِمَاذَا الْمُسْلِمَةُ بِالذَّاتِ؟ لِمَاذَا هَذِهِ الْحَرْبُ الشَّرْسَةُ عَلَيْهَا بِاسْمِ الْحَرِّيَّةِ؟ لِمَاذَا هَذِهِ الْهَجْمَةُ الدِّينِيَّةُ عَلَى الْمُسْلِمَةِ بِاسْمِ الْمُسَاوَاةِ؟ اتَّعَلَّمِينَ أُخْتِي الْمُسْلِمَةُ لِمَاذَا أَنْتِ فَقَطْ؟ لِأَنَّكَ تَقُولِينَ رَبِّي اللَّهُ ، وَلَيْسَ رَبِّي مَا تَفْتَرُونَ! فَقَطْ لِأَنَّكَ تَقُولِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ! فَقَطْ لِأَنَّكَ تَسْجُدِينَ لِلَّهِ وَلَا تَسْجُدِينَ لِشَهَوَاتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمُ الْعَفَنَةَ! فَقَطْ لِأَنَّكَ تَنْتَهِينِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ فِي زَمَنِ نِسَاءِ أَهْلِ الْكُفْرِ عَارِيَاتٍ وَضِيَعَاتٍ ، يَبْعُنَ أَنْفُسَهُنَّ بِثَمَنِ بَخْسٍ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ. وَمِمَّا يَزِيدُ الطَّيْنَ بَلَّةَ حَالٍ مَنْ احْتَسَبُوهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ رُوساً وَوَلَّوهُمْ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلُوهُمْ لَهُمْ رِعَاةً بَلَّ هُمُ الرِّعَاةُ وَاللَّهُ ، فَهِيَ هُمُ الْمُزْتَمُونَ بِأَحْضَانِ الْعَرَبِ ، الْمُوَالُونَ لِسِيَاسَتِهِ ، وَالْحَاضِعُونَ لِإِرَادَتِهِ ، وَالْمُنْتَفِدُونَ لِأَهْدَافِهِ ، يَفْعَلُونَ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ وَيَقْدِمُونَ لَهُ الْوَلَاءَ وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ. إِنَّ الْعَرَبَ الْكَافِرَ الَّذِي عَمَّرَانَهُ عَلَى دِمَارِ الْآخَرِينَ ، الَّذِي يُغْذِي جِسْمَهُ مِنْ دِمَاءِ الْمُفْهُورِينَ وَالَّذِي لَمْ يَبْنِ جَنَّتَهُ الْمَرْعُومَةَ ، الَّتِي ظَاهَرَهَا الرَّحْمَةُ وَبَاطَنُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ، إِلَّا مِنْ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِعْلَالِهِمْ وَاسْتِعْمَارِهِمْ ، وَمَصَّ دِمَانِهِمْ ، وَنَهَبِ خَيْرَاتِهِمْ. فَكَيْفَ يَكُونُ الدَّوَاءُ وَهُوَ الدَّاءُ بَعِينِهِ؟! ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَفْسَهُ ، وَعَلَى أَرْضِهِ ، حَيْثُ يَدْعِي أَنَّهُ يَحْيَا بِرِفَاهِيَّةٍ وَغِنَى وَكِفَايَةِ وَحُرِّيَّةٍ الْمَرْعُومَةَ ، يَعِيشُ تَفَكُّكاً أَسْرِيّاً وَانْحِلَالاً خُلُقِيّاً ، وَانْحِطَاطاً فِي الْقِيمِ ، وَانْغِرَاقاً فِي الشَّهَوَاتِ ، وَاخْتِلَاطاً فِي الْأَنْسَابِ سَبَبُهُ زِنَا الْمَحَارِمِ ، وَوَفْرَةَ فِي الْجَرَائِمِ تَدُلُّ عَلَى شُدُودِ خُلُقِيٍّ وَفِرَاحِ رُوحِيٍّ وَقَلَقِ نَفْسِيٍّ. فَلِنَنْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ إِلَى رُوسِيَا فِيمَا أوردته قناة BBC الْعَرَبِيَّةُ: "تَشِيرُ بَعْضُ التَّقَارِيرِ الْمُسْتَقْلَةِ إِلَى أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الرِّجَالِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْعَمَلِ فِي رُوسِيَا حَالِيّاً إِمَّا يَعَانُونَ مِنَ الْبَطَالَةِ أَوْ يَتَوَاجَدُونَ فِي السُّجُونِ أَوْ يَدْمِنُونَ الْكُحُولِيَّاتِ. فَمِنْ بَيْنِ 20 مِلْيُونِ رَجُلٍ قَادِرٍ عَلَى الْعَمَلِ نَجِدُ مِلْيُونِ رَجُلٍ فِي السُّجُونِ ، وَ4 مِلْيُونِ يَخْدُمُونَ فِي الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ ، وَ5 مِلْيُونِ يَعَانُونَ الْبَطَالَةَ ، وَ4 مِلْيُونِ مِنَ الْمَدْمِنِينَ عَلَى الْخَمْرِ ، وَمِلْيُونِ يَدْمِنُونَ تَعَاطِي الْمَخْدَرَاتِ. كَمَا أَنَّ حَوَالِي 60% مِنْ إِجْمَالِي السُّكَّانِ فِي رُوسِيَا هُمْ مِنَ الْمُسْنِينِ وَالْأَطْفَالِ وَالْمُعَاقِينَ". هَذَا حَالُ بَلَدٍ حَضَارِيٍّ وَمَا حَفِي كَانَ أَعْظَمَ. كَمَا أَنَّهُ يَعِيشُ فِي بَهِيمِيَّةٍ وَاضِحَةٍ بِحَقِّ نَفْسِهِ وَبِحَيَوَانِيَّةٍ شَرْسَةٍ بِحَقِّ غَيْرِهِ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أوردته قناة الْعَرَبِيَّةُ بِخُصُوصِ الشَّوَادِ جِنْسِيّاً: "وَضَعَتْ دَوْلٌ عَرَبِيَّةٌ مِثْلَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَفَرَنْسَا قَضِيَّةَ الشَّوَادِ جِنْسِيّاً فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ عَلَى أَجْنَدَةِ الْمَحَادَثَاتِ مَعَ الْمَسْئُولِينَ الْعَرَبِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ ، لِذَرَجَةِ أَنَّ الرَّئِيسَ الْفَرَنْسِيِّ جَاكْ شِيرَاكْ تَدَخَّلَ شَخْصِيّاً لِصَالِحِهِمْ فِي مِصْرَ ، فِيمَا تَقَدَّ إِلَى الْعِرَاقِ جَمْعِيَّاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ لِدَعْمِهِمْ هُنَاكَ - كَمَا ذَكَرَتْ تَقَارِيرُ صَحْفِيَّةٍ نَشَرَتْهَا صُحُفٌ وَمَوَاقِعٌ إِخْبَارِيَّةٌ أجنبيَّةٌ.

وتقول وكالة "أسوشيتد برس" تختلف مشاعر المواطنين في المنطقة العربية إزاء الشذوذ الجنسي! مؤكداً أن الناس ينظرون إليه باعتباره انحرافاً خطيراً تفق ورأه مؤامرات أمريكية إسرائيلية لتخطيم الإيمان وتشويه معالم الدين لديهم" وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنهم يريدون أن ينفقوا عن حصارتهم إلى المسلمين بأي وسيلة ممكنة. هذا بالإضافة إلى حال بريطانيا الدولة العظمى ، حيث أوردت قناة العربية عن صحيفة التايمز اللندنية 25-7-2005م: كنيسة بريطانية تبارك زواج رجال الدين الشواذ: "تمنح كنيسة بريطانيا مباركتها للزواج بين رجال الدين الشواذ جنسياً الراغبين في دخول عقد شراكة مدني. إلا أن الكنيسة البريطانية" ترفض منح هذه الشراكة الزوجية المدنية صفة "العلاقة الزوجية الرسمية" ، كما أنها ستطالب رجال الدين الشواذ الراغبين بالزواج بالحفاظ على طهارتهم أي علاقة زوجية "بلا ممارسة جنسية". وكان أسقف "نوريتش" قد أشرف على إعداد هذا الحل بالنسبة لرجال الدين الشواذ. كما يذكر أن المجمع الإنجيلي العالمي منقسم حول فكرة زواج رجال الدين الشواذ جنسياً ، ووصل إلى حافة الانشقاق بعد انتخاب أول أسقف شاذ جنسياً ، ريف روبنسون في الولايات المتحدة. ومن المتوقع أن يجري احتفال رسمي بأول زواج لرجال دين شواذ في ديسمبر/كانون أول القادم للأسف. وكان جاك سبونغ أسقف أبرشية تابعة للكنيسة الأسقفية البروتستانتية وهي أبرشية "نيويورك" في أمريكا ، قد أعلن مؤخراً بعد تقاعده أن "نصف الأساقفة الكاثوليك شاذون جنسياً". هذا نتاج فساد حصارتهم الغربية! وهذا حالهم! فأى دول عظمى تلك التي تعيش في وحل الشواذ ومستنقع الانحطاط الخلفي. فكان حقاً على المسلمين أن يختاروا الإسلام ويلفظوا حضارة الغرب التي ابتلعوها ، ولكن لم يهضموها في يوم من الأيام ، وإذا ما تذكروا أيامهم الخوالي! يوم كانوا متمسكين بالإسلام كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وإن المسلمين لم يتأخروا عن مقدمة الركب إلا يوم تخلوا عن الانقياد لأوامر الله في شؤون حياتهم كافة! والله الذي لا إله إلا هو لو قارنا بين أحكام الإسلام وما تحمله من رحمة وهداية وبين تعاليم الغرب وما تفرضه من شقاء وعوابة ، لو وجدنا اليون شاسعاً وأنا نترك عزتنا للذل والصغار. كما أن العالم كله وأوله الغرب بحاجة ماسة إلى الإسلام لينقذ نفسه مما يتردى فيه ، بل قل مما أزداه به الفكر الغربي والحضارة الغربية. هذا ما يدركه الغرب ويحن جثونه له ، ويكيد للمسلمين كيداً عظيماً ، ويمكر مكرًا تزول منه الجبال ، ولعله يتمخض عن كيدهم هذا وعي المسلمين على إسلامهم بشكل يجعلهم أهلاً لحمل الإسلام إلى العالم كله. أما أولئك المغرضين من دعاة تحرير المرأة ، فكفاهم كذباً ونفاقاً! فلا والله فإن نساء المسلمين كريمات بإسلامهن عزيزات بعقيدتهن ويعلمن المخطط جيداً وما ترمون إليه ، فلا وألف لا لس من يبعن الشرف بالرديلة والعزة بالمهانة والكرامة بالذل! وإنهن بإذن الله صابرات ثابتات على دينهن عاملات لإقامة شرع الله في الأرض من جديد لتعود العزة والكرامة ولا يكون لأمتنا كم عليهن سلطاناً وإن فجر الخلافة لناظره قريب). هـ. لقد استهجت ما فعلت المتزوجة اللبنانية بأخيها ، أو بالمعنى الأدق الزانية بأخيها ، فقلت على البحر البسيط والقافية الميمية):

خنزيرة رتعث في عالم البهائم واستحسنت ما ارتأت عينا غريزتها
 واستحسنت ما ارتأت عينا غريزتها واستحسنت ما ارتأت عينا غريزتها
 واستحسنت ما ارتأت عينا غريزتها واستحسنت ما ارتأت عينا غريزتها

وقدمت رأيها على شريعتها
وحكمت شهوة ، ما كان أهونها
وأطلقت للزنا ساقى مسافحة
تزني - بمحرمها الباغي - مجاهرة
من كان حتماً سيحمي عرضها طلباً
اليوم يهتكه باسم الزواج بها
وأصبجا داعراً يأوي لداعرة
ودافعت - ويحها - عن دعر فاجرة
فكيف أفضت إلى الشقيق عامدة
وأوصدت بابها ، تخلو بعاشقها
تجوذ بالعرض ، إذ حاميه هاتكه
لكنه الكلب ينزو لاهثاً شبقاً
أخ ، وتفعل هذا في مراتبنا
قد يستحي الكلب - مما جنته - أنفاً
وقد يمارسه الخنزير مُفتخراً
يأتي أختيه ، أو أمه شغفاً
ولا يغاز على أنثاه واقعهها
لأنه يأكل الأعفان زاهمة
فناولته - من الأخلاق - سآيتها
وأنت أشبه بالخنزير ، عيشته
وأختك اليوم كالخنزيرة انفلتت

ويل أمها سقطت في المرتع الوخم!
لو أنها ضبطت بالشرع والقيم!
إن الزنا والخنأ من أفظع الجرم
في محفل خائن للعهد والذم
للأجر عند المليك الواحد الحكم
خاب الشقيق الذي - بالحق - لم يقم!
في عشرة خبثت في حماة الرمم
واستمرأت ما أتت من أشنع التهم
بلا حياءٍ بثوب غير مُحْتشَم؟
وكشفت ثوبها تُصليه بالضم
لو كان جد أخ لصانه بدم!
والكلبة اختبلت من شدة النهم
وتدعي نسبة للبيت والحرم؟
وإن أتاه لقد يأوي إلى الندم
لأنه - في المطايا - غير مُحترم
بعشقها ، ياله من هائم غلم!
سواه جهراً ، فما هذا بمنكتم!
وليس يطعم شيئاً ليس بالهزم
وأشربته الخنا في سآتمه التتم
تحلو إذا اصطبغت بالتية والعدم
ومالها شبة بالنسوة العضم

أَوْ كَالْحِمَارَةِ أَلْقَتْ حَمَلَهَا ، وَسَعَتْ
تُرَاوِدُ الْحُمُرَ الَّتِي بِهَا ظَفَرَتْ
فِيمِ ادْعَاؤِكُمَا الْإِسْلَامَ عَنْ رَغْبٍ
أَتَسْخَرَانِ مِنَ الْمُفْتَيِّ وَلَهْجَتِهِ
وَعِنْدَمَا جَاهَرَتْ - بِالْكَفْرِ - أَلْسِنَةُ
(الْمَيْسِ) أَفْحَمَكُم ، وَصَدَّ بِاطْلَاكُم
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ نِيرَانُ فِتْنَتِكُمْ
أَنْهَى الْحَوَارِ - مَعَ الْجَهَّالِ - فِي وَضْحٍ
يُجَادِلُونَ بِإِلْمِ وَلَا رَشَدٍ
لَا شَيْءٍ - مِثْلُ الْهَوَى - يَغْتَالُ عِزَّتَنَا
يَا قَوْمِي كَفَّوْا عَنِ الْإِفْلَاسِ جُنْدَاكُم
تَذَكَّرُوا مَاضِيَ الْأَجْدَادِ ، وَادْكُرُوا
وَاسْتَقْرئُوا يَا غَثًا تَارِيخَ أُمَّتِكُمْ
وَزَايِلُوا حَيْلَ التَّغْرِيبِ ، وَامْتَثَلُوا
سَطْرَتْ شَعْرِي ، وَرَبِّي سَوْفَ يَأْجُرُنِي
نَحْوَ الْحَمِيرِ ، وَمَلَتْ عَضَّةُ الشُّكْمِ
إِنَّ التَّقَرَّبَ مِنْهَا خَيْرٌ مُغْتَنِمًا!
مِنْ بَعْدِ مَا ضِيقْتُمَا بِالْمَنْهَجِ اللَّقِيمِ؟
وَقَدْ أَحَاطَكُمَا بِالذُّوقِ وَالشِّيمِ؟
مَضَى وَخَلْفَهَا تَلُوكٌ فِي الْكَلِمِ
بِلَهْجَةٍ صُبِغَتْ بِالرُّشْدِ وَالْحِكْمِ
وَأَحْرِقَتْ سُبُحَاتِ الْفِكْرِ بِالْأَيْمِ
فَقَدْ بَدَّوْا - لِلْوَرَى - كَعَابِدِي الصَّنَمِ
وَالْجَهْلُ يَدْمَغُهُمْ بِسَيِّئِ الْعِنَمِ
وَمَنْ يُقِمُ دِينَهُ - فِي الْخَلْقِ - يَسْتَقِمِ
وَقَادِكُمْ لِلرَّدَى وَالذُّلِّ وَالْقَحْمِ
وَاسْتَمْسَكُوا بِرِشَادِ الْمَصْطَفَى الْهَشَمِ
يَوْمَ اعْتَلَتْ بِهَدَايَا صَهْوَةِ الْأُمَمِ
أَمَرَ الْمَلِيكَ ، وَخَلَّوْا دَاجِيَ الظُّلَمِ
أَكْرَمَ بِشِعْرِ جَلِيلِ الْقَدْرِ مُحْتَرَمًا!

رسالة من يتيمة

(في المدرسة الوطنية بعجمان اقترحت إحدى الفاضلات فكرة المشاركة في كفالة اليتيم ، ولقيت الفكرة ترحيباً من بعض المعلمين والمعلمات. فتم كفالة ثمانية أيتام. وبعد سنوات جاءت رسالة سطررتها إحدى اليتيمات كانت قد حفظت القرآن الكريم كاملاً. وباتت في الصف التاسع متفوقة بين زميلاتها وصدرت رسالتها بالدعاء لم كفلها ، ووجهتها لكافلها الذي لا تعرفه ، وإنما تعرف إحسانه وجوده ، وهو أيضاً لا يعرفها ولكن يعرف خلقها وأدبها. وراحت تبين لكافلها أنها لا تستطيع أن ترد بأفضل من إحسانه عليها ولا حتى ترد الإحسان ذاته. عملاً بالمبدأ القرآني الذي تقرره الآية : (وإذا خيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها). وتقرره الآية: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) وتقرره الآية: (ولا تنسوا الفضل بينكم). وآثرت أن يكون رد التحية والفضل والإحسان الدعاء بقولها: (جزاك الله خيراً) عملاً بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (من قال لأخيه: جزاك الله خيراً فقد أجزل له العطاء!) ونلاحظ أن كلمة (خيراً) نكرة في سياق العموم فهي تفيد الخير المطلق الذي يشمل جميع أنواع الخير في الدنيا والآخرة. وراحت هذه اليتيمة تدعو لكافلها من معلمي ومعلمات (المدرسة الوطنية) أنه لو كان من قدر الله لابن أو لابنة أحد من هؤلاء المعلمين والمعلمات أن يعيش يتيماً ، فليجند له الله ساعتئذٍ من يكفله ويغدق الخير عليه ويصب الجود والكرم والإحسان ابتغاء مرضاته وطمعاً في جنته سبحانه. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وَ(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) قَالَ: اجْتَنَبَ النَّاسُ مَالَ الْيَتِيمِ وَطَعَامَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) إِلَى قَوْلِهِ: (لَأَعْنَتَكُمْ). أخرجهم أحمد وأبوداود. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). أخرجهم البخاري. وتحت عنوان: (الإسلام وإكرام اليتيم) يتحفنا الأستاذ الدكتور بدر عبد الحميد هميسه بدر استنتجها وعنون لها بالفوائد أي فوائد كفالة اليتيم والإحسان إليه ، فقال ما نصه: (ولكفالة اليتيم وإكرامه فوائد كثيرة منها: * صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وكفى بذلك شرفاً وفخراً. * كفالة اليتيم صدقة يضاعف لها الأجر إن كانت على الأقرباء (أجر الصدقة وأجر القرابة). * كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليل طبع سليم وفطرة نقيّة. * كفالة اليتيم والمسح على رأسه وتطيبب خاطره يرفق القلب ويزيل عنه القسوة. * كفالة اليتيم تعود على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلاً عن الآخرة. * كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خال من الحقد والكراهية ، وتسوده روح المحبة والود. * في إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة اليتيم وفي هذا دليل على محبته صلى الله عليه وسلم. * كفالة اليتيم تزكي المال وتطهره وتجعله نعم الصاحب للمسلم. * كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التي أقرها الإسلام وامتدح أهلها. * كفالة اليتيم دليل على صلاح المرأة إذا مات زوجها فعالت أولادها وخيريتها في الدنيا وفوزها بالجنة ، ومصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في الآخرة. * في كفالة اليتيم بركة تحل على الكافل وتزيد من رزقه. موسوعة نضرة النعيم). هـ. وجزى الله تعالى الدكتور بدر الخير كله على هذه الاستنتاجات التي لو أردنا تفصيلها لاستغرقتنا

الصفحات ولكنه عمد إلى مبدأ: (خير الكلام ما قل ودل) ، والمعنى ما قل في كلماته ودل على المراد منه! وبينما أخذ الأستاذ/ عبد الحميد الخطيب معلم التربية الإسلامية بالمدرسة يقرأ رسالة هذه اليتيمة ، فرأيتُ الدموع في عيون بعض المعلمين والمعلمات ، وكنت واحداً منهم ، فترجمتُ دمعتي شعراً على لسان هذه اليتيمة ، فأنشدتُ من شعري على لسانها أقول:

أهلّ المرودة جُوزيتم - بها - الخيرا	يا من رفعتم بها - عن كاهلي - الفقرا
ونلتّم الفوز - بالجنات - عامرة	وأعظّم الخالقُ الثوابَ والأجرا
وخصّكم ربنا بالبر عاقبة	وضاعفَ التوبَ والتكريمَ والذخرا
أكرمتمونا ، وحققتم مطامحننا	وعن يتيمتنا دفعتم الضرا
أعنتمونا - على عيش - يُسرّبلنا	وشدتم المجدَ والإعزازَ والفقرا
آثرتم عوننا على مصالحكم	ولليتامي لقد أسديتم الخيرا
أشعرتمونا بأنا بعض عترتكم	ونحن من غيرنا - بما جرى - أدرى
أسيتّم - بالسخا - جراح صدمتنا	تلك التي لم تكن - من نزفها - تبرا
وكنتم الأهلّ ، لمّا أهلنا رحلوا	وكنتم الرذءَ والأحبابَ والظهرا
وكنتم الشاطئَ الذي نقيمُ به	لمّا اشتكى البحرُ - منا - المدّ والجزرا
وكنتم الماءَ يروي ظمناً عطشاً	ولم يجد - في بيادي - عيشه نهرا
وكنتم الظل - في صحراء - كُربتنا	يقي اليتامي لهيبَ الشمس والحرا
كم التمسنا قلوبَ الصيّد ترحمنا!	وليس يرحم قلبٌ ، إن غدا صخرا
والله أنقذنا بكم ، وأخرجنا	من البلاء طغى ، وأورث الخسرا
فلم نعان - من الحياة - شدتها	ولم نجالدَ مَرارَ العيش والقهرا
ولم نصارعَ عذابَ الضيق يجعلنا	نستشعرُ الهَمَّ والتكليلَ والأسرا
ولم نواجهَ حُزوناتِ تكبّدنا	فلاننال - بما قد أحدثت - خيرا
وكم حرصنا على جهدٍ ومنفعة!	حرصاً يُبلغنا الأمالَ والنصرا
فلم نضيّع نوال المحسنين سدىً	بل الانتفاع - به - أمسى هو الشكرا

بل انطلقا ، وسُقنا السعي والصبرا
وإن طمحننا - إلى تحقيقها - دهرا
وأفضل القول ما أصوغه شعرا
أبأ يعوضها - من حنظل - تمرا
ولا سطرث - من البلوى - ولو سطرأ
إذ لا أحب - لمافي خاطري - الجهرا
ذرعاً ، وتعصرني غصاته عصرا
وإن يكن بعضها يستأهل الذكرا
فكم نصبنا! وكم ذعنا الأسى جبرا!
شمساً تضيئ - لنا - الحياة والعُمرا
من عيشة تُشبه المنفى ، أو القبرا
لكن رأينا العطايا - نحونا - تترى
إلا الذي حَسبة يستكتم السرا
وفي البرايا تزف السعد والبشرا
ويغفر الذنب والتقصير والوزرا
في جنة بالتقى وبالعطا تشرى!

وما استهنا بما عشنا نؤمله
وما مللنا - من الآمال - ننشدها
إني لأسطر - بالأشعار - تكرمي
لولا محبتكم في قلب من فقدت
لما كتبت أحاسيسي وتجربتي
ولا جهرت - بمافي القلب - من شجن
ولا شكوت - لكم - حالاً أضيق به
ولا ذكرت - من الآلام - خردلة
والوضع قبلكم كم كان جندنا!
حتى ظفرتنا بكم ، والله سخركم
فخفف الله عنا ما نكابده
لماترونا هنا ، ونحن لم نركم
وليس ينكر ما جُدتم به أحد
رسالتي اليوم بالحسنى تُبشركم
وأسال الله ربي أن يُبارككم
وأن تكونوا رفاق المصطفى قدماً

الشورى قِوامُ الإدارة

(كل إدارة واعية ناجحة تجعل أول رכיـزة لها الشورى. خاصة وإن كانت إدارة مدرسية. لأنها في مقام التعليم والتعلم. أما عندما تقوم الإدارة على مبدأ الظلم والاعتساف ورأي الفرد ، فلنتوقع الإحن والبلاءات والكوارث والعثرات. ولقد أشار ذلك المعلم على إدارته باتباع الشورى نهجاً ، ونصح الرجل بما فيه الكفاية. فلم يستمع إليه أحد وإن أبدت الإدارة إعجابها بكلامه. وأدعت بعد ذلك الإصلاح والتقويم! ولكنها لم تصل به إلى التنفيذ والتطبيق ، وكان من ضمن القرارات الاستبدادية قيام المدرسة برحلة لطلابها إلى مكان كله مسابح عارية قدرة لنساء وبنات ورجال وشباب هم للبهائم أقرب منهم للآدميين. فنصح المعلم وبين ووضّح! والإدارة على صلفها وغرورها ، وكأنها صماء بكماء ، تؤيد بالإشارة فقط دون التطرق إلى تنفيذ ما يقال لها. ولأن ذلك المعلم اختير للإشراف على هذه الرحلة السيئة السيئة ، اختار المسجد الذي أقاموه في المسيح ذراً للرماد في العيون ، وأخذ الأستاذ يقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم أخذ النوم العميق ، فما استيقظ إلا على صوت الهاتف إصر اتصال أمير الركب مشرف الرحلة الثاني وعاد معهم وقد عصم عينيه من البهائم الآدمية العارية! أورد البخاري في صحيحه عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنّ ناساً قالوا لجدّه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إنّا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم خلاف ما نتكلّم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنا نعدّها نفاقاً). يقول ابن عثيمين معقّباً على قول ابن عمر: (وذلك لأنهم حدّثوا فكذبوا وخانوا ما نصحوا ، فالواجب على من دخل على السلاطين - من الأمراء والوزراء والرؤساء والملوك - أن يتكلّم بالأمر على حقيقته ، ولا يجوز للإنسان أي إنسان أن يدخل على الأمير أو على الملك أو ما أشبه ذلك ثم يقول: الناس بخير الناس وأحوالهم مستقيمة ، الناس اقتصادياتهم جيدة ، الناس أمنهم جيد وما أشبه ذلك وهو كاذب. هذا حرام وخداع). شرح رياض الصالحين 1 / 1915. جاء في حكاية رمزيّة عن سلطان سأل طبّاحه: ما طبّبخك لنا اليوم. صفه لنا؟ فأجاب: أمرك سيدي! فقال له: ماذا تقول في الباذنجان؟ قال الطبّاح: لله درك سيدي ، إنّه طعام لذيق المطعم ، مبهج للروح ، يزيد من الذكاء. وأكمل مسيرة التدبير والمديح لفخامة الباذنجان! فقال له السلطان: ولكنّه حار ويسبب العطش ، فوقف الطبّاح يبين مساوئه ، ويقول: إنّ فلاناً من الأطباء ذمّه ، وقال: إنّّه يسبب التبدل! فقال له السلطان: يا لك من طبّاح متفنّن! كنت سابقاً تقول لي: إنّّه يسبب الذكاء ، وبعد أن ذممت لك الباذنجان قلت لي: إنّّه كيت وكيت ، وأنّه يسبب التبدل! فأجاب: إنّني خادمك أنت السلطان ، ولست خادماً للباذنجان! فأنشدت هذه القصيدة في ذم الاعتساف والقهر والاستبداد ورأي الفرد في العمل الإداري! وقد عملت مع ثمان إدارات على اختلاف الأمكنة والأزمنة ، كلها كانت ديكتاتورية باطشة ظالمة مركزية ، على اختلاف في الدرجة إلا إدارة واحدة هي إدارة الأستاذ عطية أحمد عبد العال في مدرسة أم القرى! وأما باقي الإدارات فالشورى برينة منها براءة الذنب من دم يوسف ابن يعقوب عليه سلام الله! وكانت آخر هذه الإدارات امرأة! فقلنا: رحمة تعيد الأمر إلى نصابه وتعدل وتشور وتعطي كل ذي حق حقه! فكانت أعتى وأشد وأظلم منهم مجتمعين! فلقد اجتمع فيها الشر كله: عجرة وتبرج وصلف وغرور!

المُسْتَبْدُ بِرَأْيِهِ مُتَحَدِّقٌ مادام - بالحق الموضّح - يَشْرِقُ

وتراه يُعجبه عزيّف هرائه! مثل الغراب - لغير بأس - ينعق

ويظنّ يُمعنّ في الضلالة والهوى وبكل قبج - في الورى - يتخلق

ويرى حلالاً ما الشريعة حَرَمَتْ
لا يستشيرُ ، فليس يسمعُ غيرَه
إن الإدارة هَمَّة وعزيمة
لا شيء كالشورى يُقيم إدارة
والمستشيرُ تراه يَختصر المدى
هو ليس يندمُ ، أو يَخبِبُ لحِيظة
وترى جماعته الذي هو لا يرى
أما التفردُ - بالقرار - فخيبة
ورأيتُ الاستبدادَ يُزري بالورى
والواجباتُ - به - تُبددُ غنوة
ويرى المديرُ الناسَ عُبداناً له
إن المديرَ موظفٌ بمرتب
فلمَ التشامخ والتعنُّتُ والجفا؟
جاد الحكيمُ بنصحه وبوعظه
لم يدخر جهداً ، ولم يَن حكمة
فمدحتُ فكرته ، ولم تعملُ بها
واحتلتُ في صنْع القرار مُفضلاً
ورأيتُ نفسك في الصدارة قائداً
وجنوده قد نفذوا ما قاله
دعُ عنك عجرفة يُسينك رسمها
ها قد نصحتك ، والمهيمن شاهدي

إذ ليس بينهما السفية يُفرق
إذ إنه - في بحر عُجب - يَغرق
ومشورة بين الأنام ، ومنطق
ويُحيلها فرضاً يُحِب ويُعشق
إذ يستشيرُ بمن يَجِد ، ويصدق
بل يستقيم مساره ، ويؤفّق
وتقولُه حقاً ، ولا تتملق
يعتادها - من بالهوى - يتعلق
وبه حقوقُ الناس - جهراً - تُزهق
والخيرُ يُهدرُ ، والكرامة تُصعق
والعبدُ - ويح العبد - يوماً يُعتق!
وتراه - من أجر الإدارة - يُنفق
ولم التكبر والغرورُ المُوبق؟
والدمعُ - فوق نذيره - يتدفق
وأذاك يسبقه الإخاء المشفق
وأخذتُ - دون تلوم - تتشددق!
ما ترتثيه ، تقول: هذا الأليق
يعلوه ناقوسٌ يدقّ ويُبرق
والحق أنك بينهم تتحذلق
واطرحُ - من الجلساء - من يتملق
فاعقل ، ولا يُطغيك جهلٌ مُطبق!

أمي الحنونة

(الكتابة عن الأم وفضلها شرف لا يُبارى! وعندما يهدي الشاعر ديوانه لكل من هب ودب متجاهلاً أمه وأباه فأراه من العقوق المقيت! إذ الوالدان سبب وجوده وصاحباً فضل عليه كبير! والآن أكتب هذه الأبيات البسيطة لأمي وكل أم مخلصه ربت وعلمت وصبرت وكابدت!)

عشتِ يا أمي الحنونة
تسـ تحقين التحايا
كم تفضلتِ عليـنا
ودعوتِ الله دوماً
كم أزلتِ الكربَ عنا
وبذلتِ النصـحَ يهـدي
كم غمرتِ القلبَ فرحاً
فإذا بالنفس تحيا
كم منحتِ الكل خيراً
كالذي يركبُ بحرأ
عشتِ يا أمهـا ذخراً
ياسـراجاً شمع نوراً
اغفري التقصيرَ ، إننا
فأضـعنا كل حـق
لم نقتـر فضـل أم
علمتنا كل حـق
ربنا أحسنُ إليـها
ما بدت شمسٌ ، وغابت

بين أهليـنا مصـونة
زخرفتها كل زينة
بالعطـاءات الثمينـة!
بدموع مسـ تكينة!
والعـذاباتِ الحزينـة!
للسـبيل المسـ تبينة!
بابتسـاماتِ حنونـة!
دون حقـدٍ أو ضـغينة!
وتكافـتِ المـعونـة!
ولله التقـوى سـفينة
للسـورى يهـدي السـكينة
فمحمـا بأسـ الدجونـة
كم جنـنا للرعونـة!
بالأباطيـل الدفينـة
ففي سـجايها رزينـة
بالأسـاليب الحسنـة
وارحمـم الأم الأمينـة
أو سـلا خـلّ قرينـه

نور

(عاشت نور مع أبايها طفلة نابغة نابهة. تلتقط المعلومة التقاطاً من معلماتها ، حتى تفوقت نور في دراستها. واعتادت على أن تحوز المركز الأول على زميلاتها في الصفين الأول والثاني من المرحلة التأسيسية. ثم ما لبثت أن انخفض مستواها التحصيلي والدراسي نسبياً. فأرسلت رائدة صفها رسالة إلى المنزل لتستفسر عن سر هذا. فجاءت الرسالة من المنزل تخبرها بأن أم نور أصيبت في ساقها بالسرطان! الأمر الذي شغلها عن متابعة نور! وفي يوم تحتفل فيه المدرسة بالمعلمات جاءت كل طالبة بهدية تعبر عن الحب والاحترام والتقدير للمعلمات. أما نور فقد وضعت عقداً لؤلؤياً قد انفطرت حباته ومعه قنينة عطر قد استخدم نصفها ، ووضعت هذا كله في كيس بلاستيكي عادي ، ومع الكيس كتبت وريقة صغيرة تقول: (هذا أغلى ما أملك: عقد أمي الذي انفطرت وقنينة عطرها التي بقي نصفها). أما المعلمة فأحتفظت بكيس نور لترفع من معنوياتها فقط. ومرّت الأيام. وإذ بالمستوى الدراسي لنور ينزل أكثر من 30% ، الأمر الذي هال رائدة الصف ، فأرسلت برسالة أخرى إلى البيت لتستفسر ، ولكن كانت هذه الرسالة شديدة اللهجة عن سابقتها لأن المستوى قد هبط كثيراً. فإذا برسالة تأتي من البيت أشدّ وقعاً وتأثيراً ونصها: (لقد ماتت أم نور)! فدمعت عينا المعلمة والتزمتها طويلاً ، وعاهدتها أن تكون لها أمّاً بعد أم. وراحت تتعهدا بالرعاية والعطف والحنان حتى تجاوزت أزمتهما ، ونهضت وتفوقت من جديد. ووضعت من عطر أمها ولبست عقدها. ومرت السنون. وانتهت نور من المرحلة الجامعية ، وحن وقت حفل خُطبتها. واعتادت المعلمة المربية أن تتابع أخبار نور بالسؤال والاتصال والرسائل فقط. وفي هذا اليوم أحضرت المعلمة كيساً متواضعاً ، وضعت فيه عقد الأم وقنينة العطر مُبقية فيها شيئاً من العطر ، ولبست العقد ووضعت بقية القنينة في الكيس ، والتمست العروس في الحفل حتى ظفرت بها. وهناك سألتها: من أنا؟ فتعرفت عليها بشق الأنفس نظراً لتغير الملامح وبعُد العهد. وما هي إلا أن رأت العقد وشمّت العطر فقالت: أمي ، عقد أمي وعطر أمي وبكت ، فخلعت المعلمة العقد ووضعت في الكيس مع قنينة العطر ووريقة كتبت عليها: (هذا أغلى ما أهدي إليك). فسعدت بهذا الجميل. وإنه لشعور طيب أن تكون المعلمة هكذا مع تلميذتها! وليت كل المعلمات المؤمنات يكن كذلك لتلميذاتهن! وشيشرون يقول: (المعرفة فن ، و لكن التعليم فن قائم بذاته). وجبران خليل جبران يقول: (تقوم الأوطان على كاهل ثلاثة: فلاح يغذيه ، جندي يحميه ، ومعلم يربيه). والإسكندر المقدوني يقول: (أنا مدين لوالدي لأنه آمن لي الحياة ومدين لمعلمي لأنه آمن لي الحياة الجديدة). وكامل درويش يقول: (ما أشرقت في الكون أي حضارة إلا وكانت من ضياء معلم). وتوماس كاروترس يقول: (المعلم هو الشخص الذي يجعلك لا تحتاج إليه تدريباً). وفيلوكسين يقول: (إن معلمنا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة). وعبد الله بن عبد الكريم السعدون يقول: (المعلم الناجح هو أهم أعمدة بناء التعليم الناجح). وليوناردو دافنشي يقول: (من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً تافهاً). ولقد تأثرت كثيراً وأنا أتابع سماع أحداث هذه القصة من راويها! وكانت هذه القصيدة ترجمة حية لذلك الشعور وهذا الإحساس! ومن هنا أنشدت في هذا الموقف هذه القصيدة والتي عنونت لها باسم الفتاة: نور. وذلك أنني تخيلت نوراً ترد على معلمتها مجاملتها الرقيقة تلك التي كانت قد أهدتها إياها منذ عقدين من الزمان!)

ذَكَرَكَ أَغْنَتْ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالسِّمِّمْ يَارَبِّةَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

والنفسُ تذكُرُ ما أسديتِ مِن خِدم
وفي الأحاسيسِ جِرسٌ حالِمُ النغم
بمثلهالِم تجذُ حناجرُ الرنم
ومنه صرثُ أعاني وطاة السقم
بدمع شوق - إلى لقياك - منسجم
وسائلي أسرَ الأهلين كلهم
ويجحوك لَمَّا أرويه مِن شيم
لولا يمينكِ سالتِ مِن عزيز دمي
فأنتِ أهلُ العطا والخير والقيم
والعلمُ خيرٌ مِن الأنساب واللحم
شتان - والله - بين النور والظلم!
وكم شرقتِ بما تلقين مِن غَم!
مع اللطيمة إذ جافى ذوو رحمي!
فلم أحسَّ بما - في اليتم - من سأم!
حنانَ أم علي أطفالها الفطم!
تهدي لشرع قويم طيب لقيم!
ربي تعالي اسمه من واحدٍ حكَم!
في قلب لم يكن يوماً بمنبهم!
وكم أنبتِ حديث المصطفى الهشم!
وكم نهيتِ عن الفحشاء واللمم!
وصُننتِ قلباً - بسهم العائدات - رُمي

في القلب أنتِ ، وللذكرى خفاوتها
وفي المشاعر مِن خير الجميل صدئ
وفي الفؤاد ترانيمٌ مُسلية
يا من فراقني لها فاضت مرارته
والعينُ تبكي ، إذا ما الطيفُ راودني
أجلَ قدركِ في سِر وفي علن
هم أكبروكِ بما أحكيه مِن نبل
يا من مسحتِ دموعاً أحرقتِ كبدي
يا من بذلتِ جهوداً غاب باذلها
زينتِ لي العلمَ ، حتى بتت أعشقه
والعلمُ نورٌ ، وأهلُ العلم شُعلته
وكم تحملتِ مِن أجلي مكابدة!
وكم قضيتِ مِن الأوقاتِ أعذبها
وكنتِ لي - في الورى - أندى مربيةٍ
وكم حنوتِ بعطفٍ لا مثيل له
وكم زرعتِ بقلبي الغصنَ مِن أسس
وكم صبرتِ - على البذور - أنبتها
وكم غرستِ مفاهيماً تُجملني
وكم تلووتِ كتابَ الله خاشعة!
وكم أمرتِ بمعروفٍ بلا ملل!
فكنتِ بعد - رحيلاً الأم - والدة

وللهدايا بريق ساطع الخدم
في جونة صبغت بالورد والعنم
بعقد أم - من الأحزان - منفصم
ومن شقاء بنفسي خطه قلبي
هدية شأنها مستشرف العظم
لأن قصدي - وربّي - غير مُتهم
من كل ثوب قشيب الشكل مُحتم
عين لها أبدأ في عالم النسم
عن طيب نفس ، وهذا غير مغتم
وإنّ ذكرك يُقري خاطري وفمي
بأعذب السير الشّماء والكلم
ولا انتحيث هنا من أي مصطدم
بواعظ - باطيف القول - متسم
خير الهدايا التي صينت من القدم
بوجه والدة في العرس مُبتسم
ولا أذاقك طعام البؤس والوضم
يا من - بك - الله أنجاني من القم
لله ضارعة - بالدمع - في الغسم
وأن يُجنبها مطارق النقم
ويوم لقياه تُعطي خير مختتم!

حتى إذا احتفل الأقسام في ملاً
وقد نحتك عطر الأم باكية
وجدت طائفة أرضي معلّمي
وبعد سطرث - ما في القلب - من شجن
هذان أثنان ما قد كنت أملكه
تقبليها بلا لوم ولا عتب
لو شئت أهديتك الرياش فاخرة
أو شئت جنتك بالخلي ما نظرت
أو شئت جنتك بالأموال طائلة
وبيننا دارت الأيام دورتها
أحكيه للناس ، والدموغ ساجمة
فما نأيت عن الفواد يا ألمي
وعشت أحلم بالعصماء تنصحني
ويوم عرسي أتيت اليوم حاملة
العقد والعطر قد أتيتني بهما
جزاك ربك خيراً لا حدود له
يا خير أم لمن - في أمها - فجعت
لا شيء عندي سوى الدعاء أبذله
أن يحفظ الله من سوء مربيتي
وأن يبذلها - من ضيقها - فرجاً

المتوكل "أثر الرفيق الأعلى"!

(في يوم 28 / شوال / 1432 هـ. الموافق 26 / 9 / 2011 م ، بلينا بلاءً شديداً ، وفجعنا في عزيز غال على النفس ، وفي الفؤاد مكانه. حيث فارقنا إلى الدار الآخرة الشاعرُ الحبيب أحمد المتوكل على الله عز ، من أهل تفتاز بسورية ، بعد عشرة هنا في الغربية دامت 20 سنة بين مد الحياة وجزرها. فألفيته صاحباً وأخاً وصديقاً. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها خطاياها). وفي صحيح ابن حبان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاءً؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبئلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة). وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيراً منها" قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: ومن خيرٌ من أبي سلمة؟ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عزم الله عليّ فقلتها. فما الخلف؟ قالت: فتزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم! ومن خيرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وفي سنن الترمذي: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة). وروى الإمام أحمد من حديث معاوية بن قرّة عن أبيه: (أنه كان رجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتعبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه. فتفقدته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل ابن فلان؟ فقالوا: يا رسول الله مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: أما تحب أن تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عليه ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله ، أله خاصة أم لكلنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل لكلكم). وكان للمحدث إبراهيم الحربيّ ابن له إحدى عشرة سنة حفظ القرآن ولقّنه من الفقه جانباً كبيراً ثم مات الولد ، قال محمد بن خلف: جئت أعزّيه فقال: الحمد لله والله لقد كنتُ على حبي له أشتهي موته. قلت له: يا أبا إسحاق ، أنت عالم الدنيا تقول ذلك في صبيّ قد حفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم ، أو يخفى عليك أجر تقديمه؟ ثم قال: وفوق ذلك ، فلقد رأيت في منامي وكان القيامة قامت وكان صبياناً في أيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس فيسقونهم وكان اليوم حاراً شديداً حرّه. قال فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء. قال: فنظر إليّ وقال: لست أبي. قال قلت: من أنتم؟ قال: نحن الصبية الذين متنا واحتسبنا أبائنا. ننتظرهم لنستقبلهم فنسقيهم الماء. وفي البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). وأنا أشهد الله تعالى أننا احتسبناك عند الله يا أحمد المتوكل! وإلى لقاء في الجنة إن شاء الله! وكم سيؤثر علي رحيلك هذا! لقد ودعت الكثير والكثير من الناس إلى الرفيق الأعلى! ولكنني عندما أودع أخاً وأستاذاً وشاعراً وناصحاً أميناً في الوقت ذاته ، فإنني أستشعر عظم البلوى التي حلت بي! فكم راجعت لي من قصائد ، وصححت لي من أخطاء ، وعلقت لي على بعض الأبيات ، ونصحت لي في بعض الأمور! وكم اختلفنا ، وكم اتفقتنا ، وكم عشنا الحياة معاً بمدها وجزرها

وبأفراحها وأتراحها! وبقي الود بيننا شاهداً بأصالتك ونجابتك! فرحمك الله تعالى رحمة واسعة!
وأسكنك ربي فسيح جناته ، وألهم أسرتك وأصدقائك وجيرانك ومحبيك الصبر والسلوان!

كم كنت أرجو أن تُؤبني غدا
وتشيع الجثمانَ تحملَ نعشه
وتذكر الأحياء بالموت الذي
وتعيد للأذهان ذكرى من مضوا
وترد للحق الذين ترهّلوا
وتلقن البلهاء درساً شافياً
كم كنت أمل أن تُعزي عترتي
وتسحّ دمعاً - في المصيبة - غالياً
وتصبر الأحابابَ فيمن قد سوى
وتذرّ وعظك ، كي تجفف دمعهم
وتسوق نصحك للعِيال وأمههم
وتبث - بين الناس - خطبة مُخبِتِ
وتقول - للأبناء - لم يرحل أب
رَبّي وعلمَ وفق شريعة ربنا
لكنه أملٌ ومَحضُ تخيّل
وقضاء ربي فوق كل ترقب
وبليتي - في الخُل - تكسرُ خاطري
ونعتُ إليّ حبيبَ قلبي أسطر
فقرأتها ، والدمعُ يغمُرُ مُقلتي
لكنها الذكرى تُسرِبُ مُهجتي

بقصيدةٍ في الموت تختصرُ المدى!
وتمدّ - بالدعوات - للمولى يدا
وافى ، وإن لكل عبدٍ موعدا
أرأيت فرداً لم يُزلزله الردى
وتتّجّبوا - بعدُ - السبيل الأقسدا
بين الورى ينعي الشبابَ الأغيذا
عند المقابر شيعوني شهدا!
يُمسي - لفرط الوجد - بحرّاً مُزبدا
وغدا - له - قبرُ المنية مرقدا
وتفيد - بالوعظ - الضيوفَ الرودا
لتخفف الحزنَ العتيّ الموقدا
طابت مواعظه ، وعزّت مقصدا
كلا ، ولم تذهب نصائحه سُدى!
وأبان درباً يصطفيه من اهتدى
وتعشم في عالم الذكرى شدا
والله يعلم ما يكون - لنا - غدا
والعينُ تُزجي الدمعَ رياً مُرفدا
ترثي الفقيد العبقري المفتدى
والحق أن الخُل ليس مُخاذا
والحزنُ في قلبي الأسيف تجددا

مِن شُؤْمِ غَائِلَةِ الرِّيا ، وتجرّدا
والصحبُ عاشوا يمدحون المشهدا
أضحى بها الكروان إن هو غردا
والحب كان له بقلبيننا صدى
وعن الصديق الشهم كم ردّ العدا!
وورودها طفقت يُداعبها الندى
ماتن الشرافة مُخلصاً ، وتفردا
بل عاش يحملنا على حب الهدى
ليحوز - من صون الأمانة - سُوددا
وغدا ببذل الطيبات مُمجدا
فدنا ، ورحب مادحاً ومُقصّدا
شأن التقى إذا صفا وتعبددا
ومزاحه ، ثم استهل وأنشد
وأعد مائدة ، وأحضر مقعددا
إن البساط يُريح ضيفاً مُجهددا
حتى يُقوم الاعوجاج إذا ابدا
لما غدا الخيل المُبجل مُرشدا
إذ ليس عبداً - في الحياة - مُخلدا
عما قريب كي يُواصل ما ابتدا
والله أكرم من أغاث وأنجدا
شمس ، وأسدى الله ليلاً سرمددا

أنا وابنُ عز صاحبان تخلصا
هي صُحبة في الله ، فاح أريجها
والشعر - ويح الشعر - بارك خلة
عقدان أهداني المودة فيهما
لم نختلف يوماً ، ولم يك هاجري
نعيم الصداقة أينعت ثمراتها!
والفارس (المتوكل) الفذ اعتملى
لم يدخر جهداً ، ولم ين عزيمة
ورعى الأمانة عالماً ومُعلماً
وسما - بأمجاد الأخوة - شامخاً
وطرقت باب البيت من شهر مضى
ورأيتُه مستبشراً متبسماً
وشدا وجاملني بأعذب قوله
وأتى بشاي في الكؤوس مُعطر
فجلست فوق بساطه ووساده
وأخذتُ أسمعه رطيب لطفاني
فأصختُ سمعي للوصايا قانعاً
إنني التمسثُ رحيله عن دارنا
فضربتُ بين يديه وعداً باللقا
فاختار لقياء الله أصدق صاحب
فعلية رحمة ربنا ما أشرفتُ

مت بغیظك

(رجل حيي كريم – ولا أزكي على الله أحدا – وله لون اجتهاد في الإسلام والحمد لله. وتكلم إلى امرأة في ضرورة ماسة في أمر مهم لأنه لم يعرف لها رجلاً يحدثه في ذلك الأمر. كما أنه لم يُعرف عن الرجل أنه زير نساء! إنما ضرورة تقدّر بقدرها وتحدّ بحدّها ولا يتوسع فيها! ثم إن هذه المرأة يكلمها القاصي والداني ، للمناسبة وغير المناسبة وللسبب ولغير السبب. فإذا بزوجها يتهم الرجل التقى بالريبة ويقع في عرضه. على أن الله قد رزقه بزوجة دينة جميلة تفوق التي كلمها بملايين المرات. وإن المقاربة بينهما تُزري بالثانية. حيث إن الأولى التي كلمها ليس فيها ما يشتهي رجل يدرك جمال وعذوبة النساء! وإن كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد فصل وبين أن المرأة تنكح لأربعة أشياء: (لمالها وجمالها ولحسبها ولنسبها ولدينها) ، فلست أرى في هذه الشمطاء الحيزيون الدردبيس أنها قد خصت بشيء من هذه الأربعة ، لا المال فهي فقيرة ، ولا الجمال فهي دميمة ، ولا الحسب ولا النسب فهي من عوام الناس ، ولا الدين فليس لها لون اجتهاد في الإسلام. والأصل يا هذا الزوج الجاهل المجهل الجهول الجهل أن نحسن الظن ولا نظن بالآخرين ظن السوء إلا بدليل وحجة وبرهان! ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث". وعن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب قال: (قالت عائشة - رضي الله عنها -: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلنا: بلى ، قالت: لما كانت ليلتي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي ، انقلب (أي رجع من صلاة العشاء) ، فوضع رداءه ، وخلع نعليه فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً ، وفتح الباب فخرج ، ثم أجافه (أي أغلقه) ، وإنما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها ، فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل) رويداً ، قالت: فغرت عليه ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقتعت (تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو غيره) إزاري (والإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن) ، ثم انطلقت على إثره ، حتى جاء البقيع (والبقيع: مقبرة المسلمين بالمدينة) ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف ، فأنحرفت ، فأسرع ، فأسرعت فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت (والإحضار: العدو) فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل فقال: ما لك يا عائش حشياً رابية (أي مرتفعة النفس متواترته كما يحصل للمسرع في المشي)؟ فقلت: لا شيء ، قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير ، فقلت: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي. فأخبرته ، قال: فأنت السواد (أي الشخص) الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم. قال: يا عائشة أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ قال: أظننت أن يحيف (والحيف بمعنى الجور ، أي: بأن يدخل الرسول في نوبتك على غيرك ، وذكر الله لتعظيم الرسول ، والدلالة على أن الرسول لا يمكن أن يفعل بدون إذن من الله تعالى ، وفيه دلالة على أن القسم عليه واجب ، إذ لا يكون تركه جوراً إلا إذا كان واجباً) الله عليك ورسوله؟ فقلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ فقال: نعم! فلهدي (واللهدي: الدفع الشديد في الصدر ، وهذا كان تاديباً لها من سوء الظن. شرح سنن النسائي) رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدري لهدة أوجعتني ثم قال: أقد جاءك شيطانك؟ فقلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: "نعم" ، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ،

ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم). قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم}. قال ابن كثير: (يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة ، والتخوين للأهل ، والأقارب ، والناس ، في غير محله ؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضاً ، فليجتنب كثيراً منه احتياطاً. وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً. وقال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما إثم ، وهو أن تظن وتتكلم به ، والآخر ليس بإثم ، وهو أن تظن ولا تتكلم. قال الحافظ: المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به ، وكذا ما يقع في القلب من غير دليل). هـ. وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما يزال المسروق منه يتظنى حتى يصير أعظم من السارق. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورهما. وفي رواية: (ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حسدتم فلا تبغوا وإذا ظننتم فلا تحققوا". وعن صفية بنت خيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فأتيته أزوره ليلاً وعنده أزواجه ، فتحدثت عنده ساعة ، ثم قمت فانقلبت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم معي ليقبلني (أي ليوصلني إلى داري) ، وكان مسكني في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرع ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على رسلكما ، هذه زوجتي ، صفية بنت حيي ، فقالا: سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما ذلك. وفي رواية: (فقال: يا رسول الله ، من كنت أظن به فلم أكن أظن بك). (فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً. وعن سلمان رضي الله عنه قال: (إني لأعد العراق على خادمي مخافة الظن). وعن أبي العالية قال: (كنا نؤمر أن نختم على الخادم ، ونكيل ، ونعدها ، كراهية أن يتعودوا خلق سوء ، أو يظن أحدنا ظن سوء). فتخيلت الرجل الطاهر العفيف يرد على ذلك السفية المعتوه ويقول له: مت بغيظك!



يا فاقداً الحس والمعروف والقِيم	قل ما تشاء ، ولفق أقذر التهم
إذ أنت أحمق من يمشي على قدم	اشرق بغلك ، واذبح كل عارفة
في كل قارعة ، أو كل مُصطدم	وامهذ لنفسك درباً قد عُرفت به
لا يُكرم الناس إلا كل محترم	واعلم بأنك نذل لا احترام له
لا شيء يصلح للغباء كالرجم	وادفن غباءك في ديجور مقبرة
يا غارقاً في أتون الجهل والظلم	وعش بليداً بما أوتيت من سفه
وأنت - عن فهم ما تحويه - جد عمي	لا تخدع القوم بالآيات تقرأها

للانتقام ، ولا تعمد لسفك دم
بالجود والفضل والإحسان والكرم
وأذكر جمائله ، إذ فاض بالنعيم
أهل ، وزايل رماح الكيد والنقم
والناس تقدر قدر الطيب الحشم
حقاً أغار على جميلة الشيم
في الحسن فاقت جميع النسوة العضم!
والحال أوضح من نار على علم
ولم تحز من سنا الألقاب والسيم
كأنها البدر في استهلاله التتم
شتان بين وجود الشئ والعدم!
كيف ارتأيت حضيض الأرض كالششم؟
عظماً تجلبب - يا للشين بالأدم؟
يُذري بقدر تبادي غير منسجم؟
فكيف همت بها ، يا صاب عن رجم؟
مستعذباً نبرة مسجوعة النغم؟
من الأغاليط والزلات والتهتم
فوضت أمري لجبار ومُنْتقم!

لا تتخذ لغة التغيرر مقصلة
لا ترم بالنار من أولك نعمته
لا تطعن الشهم ، إن الغدر مخبثة
ولا تلقبه بالألقاب أنت لها
وكيف تطعن - بالبهتان - ذا خلق؟
تقول: ذا إربة في زوجتي ، وأنا
كأنها - في بنات الجيل - غانية
هون عليك ، فليس الحسن مختبناً
فما بها - من جمال الغيد - خردلة
وأنت - فوق جميع الخور - ترفعها
بريء الحسنة من شوهاة هازلة
واسأل ذكاءك عن يوم الزواج بها
فهل عشقت ضمور الجسم يجعلها
أما نظرت إلى القوام منحنيماً
دميمة تلك ، لا سيما تجملها
فيم ادعائك أن الشهم كلمها
أصدق مع الله ، واحقر ما جهرت به
أو (مُت بغیظك) ، والديان مطلع

تحية لمركز الحساوي لتحفيظ القرآن الكريم بالشارقة

(طلب مني سهيل سعيد مجرن من أبناء الشارقة بأن أصف شعوري تجاه مركز الحساوي لتحفيظ القرآن الكريم بالشارقة شعراً فكانت هذه القصيدة تلبية لطلبه! عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). (صحيح مسلم). عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). (صحيح الجامع). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله ، من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته). (صحيح الجامع). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول (ألم) حرف ولكن: ألف حرف ولامّ حرف ، وميمّ حرف). (صحيح الجامع). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط). (حديث حسن) (صحيح الجامع). وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). (صحيح البخاري). وقال طلحة بن مصرف: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: (أوصى بكتاب الله). (صحيح البخاري). قال الحافظ: قوله (كيف كتب على الناس الوصية) أو كيف (أمروا بالوصية) أي كيف يؤمر المسلمون بشيء ولا يفعله النبي صلى الله عليه وسلم. وعن جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. (صحيح البخاري). وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). (صحيح مسلم). قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول: يا رب خلّه ، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ارض عنه ، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة). (حسن) (صحيح الجامع). وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبراً ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة وقال: (رحمك الله إن كنت لأواهاً تلاءً للقرآن) وكبر عليه أربعاً. (قال الترمذي: حديث حسن). وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده ، وهو عليه شديد فله أجران). (البخاري ومسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن). (البخاري ومسلم). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عليّ إنها ستكون فتنة ، فقلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله عز وجل ، فيه نبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط

المستقيم وهو الذي لا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء ولا تنفسي عجائبه ، وهو الذي لم يتناه الجن إذ سمعته أن قالوا: {إنا سمعنا قرأناً عجبا} من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم. وعن عقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير إثم بالله ولا قطع (قطيعة) رحم؟) قالوا: كلنا يا رسول الله ، قال : (فلنن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن من الإبل). رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله) وفي رواية (يا ويلى) (أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار). (صحيح مسلم). وإن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما يجلسكم؟) فقالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا الإسلام ، ومنّ علينا به. فقال: (أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة). (صحيح مسلم). ويقول الله سبحانه وتعالى: (من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين! وفضل كلام الله سبحانه وتعالى عن سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه). رواه الترمذي. وإن رسول الله قال: (من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا). رواه أبو داود. ويوتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به. تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال. ما نسيتهن بعد. قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان. بينهما شرق. أو كأنهما حزقان من طير صواف. تحاجان عن صاحبهما. وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو يشتد عليه فله أجران. إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك ، فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل [تجارة] ، قال: فيعطى الملك بيمينه ، والخذل بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه خلتين ، لا يقوم لهما أهل الدنيا! فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: يأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في [درج] الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام (يقرأ)! أحيي مركز (الحساوي) بالشارقة شعراً فأقول:)

جزا الله (الحساوي) كل خير
 وضاعف كل مكرمةٍ وأجر
 وأبناءً له بذلوا العطايا
 فنالوا - بالمكارم - كل فخر
 وما ادخروا عن الإنفاق جهداً
 فحازوا كل عرفان وشكر
 لهم مني المودة والتحايا
 مسجلة بقافيةٍ وشعر
 متوجة بأطراف التهاني
 ونعلن نصحها بعد التحري

وتقوى الله حقاً خيراً نخر
وإن الشعر يمدحها ويطري
منافبهم سمّت عن أي شر
يناسب كل مقدرة وعمر
وفي صغر كنجت فوق صخر
إذا قرأوه في سر وجهر
ولم يستتكفوا عن أي أمر
كمثل الروح - في الأبدان - تسري
ويخفض من دعوا لأذى وخسر
ومن خفصوا ، فأهل هوى وجور
لكي يتزودوا من كل خير
ينير الدرب في حضر وبر
فإن الجود ينفع يوم حشر
لهم أمجاد منزلة وقدر؟
وعاشوا أهل مكرمة ويسر
لهم عملوا بإيمان وصبر
فمن عند المهيمن كل نصر
رأيت البخل يعقب كل وزر؟
ويمحق كل ضائقة وعسر
عن الدنيا ، وليس غنى كفقر!

ومركزهم يترجم مبتغاهم
بشارقة الثقافة والمعالي
وللقرآن - بين الناس - أهل
وللتحف يظ أسلوب ونهج
ففي كبر نقش فوق ماء
هو القرآن يعصم قارئيه
وبالأحكام قد عملوا وجدوا
وزادهم الكتاب هدى وتقوى
ويرفع ربنا - بالذكر - قوماً
ومن رفعا ، فهم أهل السجايا
ألا فلترسلوا الأبناء طوعاً
يمين الله مركزنا سراج
وجودوا يا كرام ببعض مال
ومن بالجود أولى من نشامي
عليهم هان درهمهم ، فجادوا
وربي لن يصنع جهد قوم
ومن ينشد - على الأعداء - نصراً
وهل نصر - بدون البذل - يأتي؟
وإن الجود يمحو كل ذنب
ويختصر الطريق إلى التسامي

عقيم تتحدى العقم

(امراة عقيم لم يشأ الله أن يرزقها الولد لحكمة منه عظيمة ولا شك ، المهم أنها تحدث العقم ، فهداها عقلها إلى حيلة تشبّع بها غريزة الأمومة عندها فأعلنت في المنطقة التي تسكنها أنها سوف ترعى الأطفال الرضع رعاية كاملة ، ريثما تعود الأمهات من العمل الرسمي وبدون أي مقابل. بل المطلوب من كل أم إحضار طفلها في الصباح واستلامه بعد الظهر. واستطاعت هذه المرأة أن تستأجر امرأتين للإرضاع الصناعي والغسيل والنظافة ، وراحت تلقن هؤلاء الأطفال القرآن ، وتملأ الفراغ في حياتها ، وتشبّع غريزة الأمومة المفقدة عندها ، وبهذا أصبحت تتحدى العقم بوسيلة طيبة وجميلة! يقول الدكتور ناصر سليمان العمر ما نصه: (قال الله تعالى: {وَأْتَمِرُوا بِمَا يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ} ؛ وأمر نبيه عليه السلام أن يأمر بالمعروف كما في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} ، وجعل أمره عليه السلام بالمعروف من العلامات التي يعرفه بها أهل الكتاب ، قال عز وجل: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ}. ثم أمر المسلمين بما أمر به نبيهم عليه السلام فقال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ، وجعل الأمر به أو الأمر بضده علامة فارقة بين المؤمنين والمنافقين ، فقال في حق المؤمنين: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ، وقال على الطرف الآخر في حق المنافقين: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} ، وأخيراً ، جعل الأمر بالمعروف من علامات خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم فقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}. وقال ابن منظور: (والمعروف اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ؛ وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ، وهو من الصفات الغالبة ، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه ، والمعروف النصفة وحسن الصُحبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه). إن المعروف بين الناس بابه واسع جداً ، فالكلمة الطيبة ، والتبسم ، وإغاثة الملهوف وإعانة ذا الحاجة ، وقرى الضيف ، وحمل المنقطع ، وما أشبه ذلك ، كل هذا من المعروف ، وهو لصاحبه صدقة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة". لقد كان الناس حتى زمن ليس بالبعيد يبذلون المعروف ويتسابقون إليه ويتنافسون فيه ويتواصلون به فيما بينهم ، وكان الإقبال عليه من أسباب المدح والتقدير ، بينما الإعراض عنه من أسباب الذم والقدح). هـ. وفي ظني أن المرأة الصالحة العقيم موضوع قصيدتنا استطاعت بفضل الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر من خلال تربيتها ورعايتها لأطفال غيرها! كما أنها استغلت الموقف لصالح الدعوة إلى الله فاعتادت أن تدعو الأمهات ، وتأمرهن بالمعروف والحق! فتخيلت نفسي أحكي على لسانها:

ذرفت دمعى - على الأطفال - مدارا حتى جرى الدمع فوق الأرض أنهارا

أريد طفلاً ، تسر القلب رؤيته وبالهناء والتحايا يملأ الدار

وزرتُ للطب أصقاعاً وأمصاراً
أقضي بعيني - من التحنان - أوطاراً
حتى أقرّ - بحمد الله - إقراراً!
ولم تعد قصتي - في الناس - أسراراً
أن يصرفَ الله وسواساً وأخطاراً!
وزادَه الناسُ - بالتدليس - أخباراً
ولم أعاندُ - بما أعلنتُ - أقداراً
لعل في العقم - بالتمحيص - إشعاراً
أخوتهن ، أسوقُ الجودَ إيثاراً
وبالصفا والهدايا أكرمُ الجاراً
والحب يدفع أهوالاً وأخطاراً
مما يُشوّهها ، لم تحو أقداراً
وأتقي بالعطاء الخسر والناراً
والبذل خيرٌ صوّى يُعلي ، وتذكّاراً
ليصبحوا في سماء الكون أقمّاراً
وينشروا دُرراً تهدي وأفكاراً
وحرُبُه كلفتُ مالا وأسفاراً
ذرعاً ، وخلفَ داءاتٍ وأضراراً
أعزي قلباً من الغدال منهاراً!

وكم بذلتُ كثيرَ المال راغبّة!
وكم نظرتُ - إلى الأولاد - ذاهلة!
وكم تأملتُ - في الدنيا - مُحالّة
وكم عمدتُ - إلى التصبير - قانعة!
وكم دعوتُ مليك الناس ضارعة
وذعتُ في القوم - من مرثيتي - خبراً
وبعدُ أذعنْتُ للمولى وحكمته
وقلتُ آخذُ مما نالني عبراً
ثم انطلقتُ - إلى الأمّات - في شغفٍ
أقول: مرحى بأطفال أداعبهم
أزجي الحنانَ لهم في كأس مكرمةٍ
أكونُ أمّاً لهم خلّت أمومتها
أقدمُ الخير ، لم أعدمُ جوازيه
لعل طفلاً - بهذا البذل - يذكّرني
أن يثمرَ الجهدُ - في الأطفال - أجمعهم
وينفعوا الناسَ في قفر وفي حضر
بهم تحديتُ عُقماً ، كان يقهرني
وما بخلتُ - على التطيب - ضيقتُ به
وعند ربي احتسبتُ الأجر ، أحسبني

سترك الله كما سترتني

(إن هذه القصة أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع ، ولولا أن راويتها لي ثقة ما صدقتها ، والحال أنني لم أقع عليها في الكتب ، كما أنني لم أطلعها أو أسمع بها من قبل قط. إنها إحدى قصص الفضل بن الربيع من القائم على أمواله حيث جاء رجل قد زور توقيع الفضل بن الربيع وذلك ليأخذ قيمة ألف دينار. وكان المزور شديد الدقة في تقليد توقيع الفضل بن الربيع ، وأخذ عامل الربيع يعدّ الألف دينار ، وفجأة جاء الفضل وسأل عامله: ماذا تفعل؟ فقال له عامله: إنني أعدّ الألف دينار التي هي دين عليك لهذا الرجل بمقتضى هذه الورقة. فنظر الربيع إلى الورقة وأدرك أن الدائن كاذب في دعواه مُدلس في ورقته. فتغاضى عن ذلك كله وأخذ يعدّ الألف دينار مع عامله ، وقال للدائن المزور: خذ مالك وأنت في أمن وأمان وسلم وسلام. فأدرك الرجل ما أدركه الربيع من كذبه وتدليسه. فقال للربيع سترك الله كما سترتني. وهكذا أصحاب النفوس الكبيرة لا تصدر عنهم إلا الأعمال والأفعال والأقوال العظيمة! وتصبح أفعالهم وأقوالهم أمثالاً تحتذى! فأشدت في ذلك من شعري على البسيط أقول:)

كفان: كفّ بقبح الزيف تاترُ
وتظنّ ظناً بأن الزيف يَسْتترُ
وكفّ جُودِ تكيّل المال سارقه
عساه - من كيلها - يخرى ويزدجر
شتان بينهما ، والفرق مُتضح!
وكل كفّ لها بين السورى أثر
كفّ العطا برئت من كفّ مُغتصب
والناسُ تعرفُ هذا خير معرفة
فالجودُ محترمٌ ، والغصبُ محتقر
أن انتهاب حقوق الناس مخبثة
والسارقُ - الدهر - مرهونٌ بما سرقته
تهوى الحرام ، وتحيا في غياهبه
وتستحلّ حرام الله دون حيا
وتستبيح الذي الأنام تملكه
تُغافلُ الناسَ كي تحظى بما نهبت
أما التي تبذل المعروف راضية
ترجو الثواب من الرحمن راجية
تحنو على الناس من ظلم يُعذبهم
وللضعيف من القوي تنتصر

لأنها - في مصير النفس - تفتكر
وكل كف بما تأتيه تشتهر
ليسرق الألف لا خوفاً ولا حذراً!
يكشف له حيلة عقل ولا بصر
وبش حتى يزول الشك والخطر
وقال في نفسه: عنها سأعذر
يدّ دعائها - إلى عصيانها - الضرر
والفقر - في أنفاس الأنام - يستعر
ممن يكذب أموالاً ، ويدخر
وقلبُه ألماً في التويعتصر
فأزه الهمة والإذلال والضجر
عن الوفاء بها وعضه الكدر
أو استبدت به الأوصاب والغير
عن الأداء ، ولم يشعر به البشر
برغم أني - على التشهير - مقتدر
فربما عصفت بالدائن العبر
كل الأمان ، فلان لا قتر
بالستر ، والدمع - من عينيه - ينحدر
وعبرة - من سناها - القلب يذكر!

وتعشق الجِل ، لا ترضى به بدلاً
كفان: كل لها - في الوصف - صبغتها
واعجب معي للذي جاء (الربيع) ضحى
احتال في رسم توقيع (الربيع) ، فلم
حتى إذا جاءه (الربيع) هشن له
وأدرك السارق المحتال فعلته
لكنما ستر (الربيع) ما كسبت
فربما ذبح الإملاق صاحبها
وربما طلب المسكين حاجته
فردّه دامع العينين مبتسماً
أو أثقل الدين - بين الناس - كاهله
أو عال عائلة طمّت مطالبها
أو استكان لأعباء تُسرّبه
فجاء يحتال لما قصرت يده
قال الربيع: وربّي سوف أستره
وجاد بالألف محبوراً ومحتسباً
وظمأن الدائن المحتال أن له
حتى دعا الدائن المليك في ثقة
وأصبحت قصة تحلو قراءتها!

زمان الحب

(إنها قصة الزوج المبتلى بالبائس الذي استزله الشيطان ببعض ما كسب ، وما زال به حتى هدم عليه بيته وحطم أسرته! ولندعه يروي قصته لنا بنفسه حيث يقول: عشنا معا حبيبين في أسمى صور الحب والمودة. ورزقني الله منها الأولاد والبنات. ثم نزع الشيطان بيني وبينها. ومازال يوسع هوة الخلاف حتى اتسع الخرق على الراقع. فطلقتها دون ذنب جنته. فلما لزمته دار قومها ، وتابعوها على ذلك. ولم تكن هناك أدنى محاولة للإصلاح. وإذا بأولادي بأمزجتهم ومراداتهم ، فأدركتُ أنني عاجز عن تلبية مطالبهم وتعويضهم عن الأم التي فارقت ، وأنني أخطأت إذ تسرعت في قرار يجلب الشقاء الأبدى لهذا البيت. فعدتُ إلى رشدي وانطلقتُ إلى دار قومها وراجعتها عازماً على أن لا أعود لمثل هذا العمل في حياتي! وتحت عنوان: (الخطأ وتصحيح المسار والتراجع في الرأي والقرار) يقول الأستاذ محمد بن محه الغويدي ما نصه: (إن الإنسان مهما علا شأنه وطال به زمانه ؛ لا بد وأن يقع منه الخطأ ؛ لأنها طبيعة البشر ؛ والإنسان العاقل هو الذي يستفيد من خطأه ولا يستمر في عناده ، إن العاقل الذي إذا وقع في خطأ سارع بالاسترجاع ، وحاول تصحيح الخطأ الذي وقع فيه سواءً كان ذلك الخطأ لفظياً أو كتابياً ، مع أنه - في الغالب - عزيز على النفس ، ويبقى الواحد منا في صراع نفسي بين التصحيح أو الاستمرار في الخطأ. إن الخطأ المحض قد بان ولا يمنعه من التراجع سوى العناد والكبرياء ، لهذا لا يقوم بالاعتذار والتصحيح سوى العاقل الذي وفقه الله لذلك. وكن كقاضي البصرة عبيد الله بن الحسن بن حصين التميمي العنبري حين أخطأ في مسألة جانب فيها الصواب وقال كلمته الشهيرة التي أصبحت حكمة تتناقلها الأجيال ولم يمنعه من قولها كونه قاضياً فانظر ماذا قال: (لأن أكون ذنباً في الحق ، أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل). ولما أصبح حماد بن أبي سليمان من المرجئة بعد أن كان من أهل السنة قال له معمر: كنت رأساً وكنت إماماً في أصحابك فخالفتهم فصرت تابعاً؟ قال حماد: إني أن أكون تابعاً في الحق خير من أن أكون رأساً في الباطل". سير الأعلام. ثم إنه ليس غريباً البتة أن يكون الواحد منا مناصراً لقضية ما ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة ، ثم ما يلبث إلا أن يتراجع عن ذلك بعد أن يتبين له ، واستوضحت له دلالات توضح له أنه كان على خطأ ، وهذا هو التعديل السليم الذي لا يفعله إلا من - سدده الله عز وجل لذلك - ثم ما الذي يمنعنا من تغيير مواقفنا أو آرائنا الخاطئة إن تبين لنا الخطأ؟ بل هو التغيير الإيجابي للأفضل).هـ. ومن هنا أنشدت على لسان ذلك الزوج المتهور الذي طلق زوجته ، ثم لما تبين له الحق أدرك خطأه وردّها أسفاً إلى بيتها!)

يا زمان الحب شاركني الهموم واسمع القصة من عبد ظلوم
مذ تزوجنا شددت أفرأخنا وتمتعنا بألوان النعيم
وتسامرنا بأطيفاف المنى واهتدينا للصرار المستقيم
وكان الحب لم يشهد سوى مستهامين هما (سعد وريم)
وعلى التقوى نما أولادنا وتغلبنا على كيد الخصوم

لكنِ الأحوالِ هذي لم تدم
 وسوسَ الشيطانُ ، فانزاحَ الهنا
 أوقدَ النارَ فشبتَ فتنة
 حيثَ طلقتُ التي كم أحسنتُ
 ودهى الأولادَ حزنٌ قاهرٌ
 لفتوني الدرَسَ وهَجَّ السنا
 قلتُ: يا أبناءِ إني مخطئٌ
 وعليّ اليومَ تصويبَ الخطا
 ثم مَنَّ اللهُ إذ راجعْتُها
 وتسابقنا - إلى البيت - معاً
 واحتفى الأولادُ في اللقيا بنا
 أيها اللوأمُ ما أحقركم!
 كلٌّ من يكرمُ دوماً أهله
 والذي دوماً يُذني أهله
 هكذا أوصى النبي المصطفى
 وأنا أعلنتُ توبي عازماً
 يا زمانَ الحبِ حذرْ من طغى
 أوصه بالحلمِ في أفعاله
 واختلافُ الناسِ حاتمٌ لازمٌ
 والطلاقَ اليومَ أدمى جيلنا
 رب أنقذنا ، وأصلحْ شأننا
 ليستِ الدنيا على حالِ تدوم!
 وتعيَسُ الحظُّ أغواهَ الرجيم
 فاصطلى البيتُ ببلوى في الصميم
 وأعانتني على الدربِ القويم!
 واعتراهم من لظى الكربِ الوجوم
 أن فضلَ الأم - في الدار - عظيم
 وأنا البادي على وجه العموم
 عودة الأم سستجتث الغموم
 جلّ شأنُ الخالقِ البر الرحيم
 وطرقنا البابَ ، فانجابتْ هموم
 وتعاهدنا على الوصلِ الحميم
 إن من يهوى التصافي لا يلوم
 فهو عند الله مفضلٌ كريم
 فهو مردولٌ ومبغوضٌ لنيم
 قانلاً: يا ناسُ رفقاً بالحريم
 أن أصونَ الأهلَ والبيتَ الحشيم
 وارتأى التظليقَ حلاً للكُوم
 إنما يفلحُ في الطيشِ الحليم
 ليس يسمو فوقه إلا الحكيم
 وإذا بالدارِ أمسيت كالصريم
 أنت بالسرِّ وبالنجوى عليم!

رسالة إلى مدمن

(ظلمت أنصحه بكل إخلاص ، وأحذره من خطورة المخدرات والمسكرات والمفترات ، ولكنه لم يستجب أبداً. وظل يتعاطى هذه السموم المهلكة حتى أصبح مدمناً. وعاونه على ذلك حمقه الشديد وشلة المفسدين الذين يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف. وبات ذلك المدمن في حال لا يحسد عليه! وأجهزت المخدرات والمسكرات على صحته ودمرت رنتيه وكبدته. وزرتة قدراً وهو مريض قد لزم الفراش فإذا به بعد تدهور صحته أشبه ما يكون بالشبح. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَلْزَامُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟. وأخرج الإمام مسلم والإمام أحمد وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام". قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَهُمْ قُلُوبَ الطَّيِّبَاتِ} ، وقال في سورة الأعراف في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: {يُحَلِّلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ}. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر ، ومعلوم أن المخدرات من المفترات ، ولما في المخدرات من الأضرار العظيمة البالغة قال - عليه الصلاة والسلام - : كما في سنن ابن ماجه في كتاب الأحكام ، ومسند أحمد بن حنبل: (لا ضرر ولا ضرار). وعن جابر - رضي الله عنه - : "أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ ، وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ فَسَأَلَ النَّبِيَّ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الدُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمُرْزُ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ". رواه مسلم. وأسهل شئ عند المدمنين - شأنهم في ذلك شأن كل العصاة والمذنبين - تبرير ما هو فيه وتهوين جريمته وعصيانه! وما أشدها كلمة تجري على السنة العصاة أجمعين: (الرقص ليس بحرام - الغناء ليس بحرام - التدخين ليس بحرام - الموسيقى ليست بحرام - التبرج ليس بحرام - أكل الربا ليس بحرام)! وكان الأحرى بهم أن يقولوا: (كل شئ حلال!) ولما كتب أحد العلماء كتاباً أسماه: (الحلال والحرام في الإسلام) واستدرك عليه آخرون بعض الأخطاء الواردة في الكتاب والتي كان سببها المباشر هو فرط الليونة والميل إلى التميع في الأحكام لاستمالة المدعويين من غير المسلمين! والأصل: (فقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر!) فقال للأستاذ مستنكراً: أرى أن تسمى كتابك: (الحلال والحلال في الإسلام) فقال له الأستاذ: إذن اكتب أنت كتاباً آخر عنوانه: (الحرام والحرام في الإسلام)!

أفنى شبابك يا جهول مُخَدَّرٌ وجنى عليك بمخض طوعك مُسْكِرٌ
ومضت - على الأيام - صِحَّةُ فارس كم عاش يطرب للحياة ويسمر!
كم كان يحظى باحترام عشيرة! والعبقري - بحب أهل - يظفر
كم كان يغطه الأنام لرشده! وبه جميع الناس - دوماً - تفخر
وإذا تكلم أنصتت لحديثه أسماغ قوم تحتفي ، وتقدر

حتى هزلت مع الذين ترهّلوا
شربوا الخمر مع المُخدّر جهرة
أدمنت شَمّ (الكوكايين) بلا حيا
وظفقت تلتمسُ التمتعَ والهنّا
وقد اكتويت بناره وجيمه
وأنا الذي لَمّا نصحتك لمتني
وزعمت نفسك واعياً مستبصراً
إن التعاطي - للمخدّر - مِحنة
تعسّ الألى سكرُوا ، وخاب فريقهم
ومخدّراتُ القوم تدحزُ دارنا
والله حرّمها ، وجرّم أهلها
يا صاحبَ الإدمان أقصرْ ، وارتدعْ
الصحة الزهراء تاجُ شامخ
حافظ عليها ، أنت مرهونٌ بها
ولسوف تُسأل يا مفرط ، فانتبه!
والمال مسؤولٌ ، فتبّ عن سفكه
وعسّاك تُنصبت للذي سطرته
رباه فاهدِ المُدمنين ، ورُدّهم
ضعفوا أمام المُعرضين ، فأدمنوا
أغراهم الشيطان ، فانصاعوا له
فاسترّ عليهم ، إنّ أنابوا حسبة

وعلى المعاصي والذنوب تسوتروا
أوما درّوا أن المخدّر منكّر؟
حتى غدوت إلى الحضيض تسير
فإذا السرابُ مُخيمٌ ومُسعر
وأراك تهذي باكياً ، وتثرثر
وسخّرت مني ، وانبريت تُنظر
والحق أنك لا تعي ، أو تبصر
تندُ العقول ، وكسرُها لا يُجبر
من كل سكرٍ بسُكرٍ يجهر!
إن الـديار بشؤمها تتأخر
وبدونها كل الدنا تتحضر
كيلا نراك مُخيّباً تتحسر
فوق الرؤوس مهيبة تتبخر
أم أنها ليست - ببالك - تخطر؟
يا من أراك - من المواعظ - تسخر
واحدُ مصائبِ صُحبةٍ بك تمكّر
شعراً ، وإنّي - بالبليّة - أشعر!
للحق ، أنت - بفعل ذلك - أجدر
فاغفرْ لهم ، وسواك من ذا يغفر؟
حتى غوّوا ، وقد استمرّ يُغرّر
وسواك من - فضلاً عليهم - يستر؟

تحية شعرية للنادي العربي بالشارقة

(استضافني النادي العربي بالشارقة يوم الخميس 23 من جمادى الثانية لعام 1435 هـ الموافق 23 من أبريل لسنة 2014م ، فأنشدت هذه التحية الشعرية للنادي وللقائمين عليه ولجمهوره وعلى البحر المتدارك ، من باب: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها. والحقيقة أنني لا أحب الأضواء ، وأرى أنها تقتل أصحابها! ومن هنا لم يكن لي توك ولا طاقة ولا ولع بالتطفل على النوادي ولا القنوات ولا البرامج الإذاعية! وإن كل شاعر أو أديب تصنعه الأضواء ويقدمه الإعلام سرعان ما ينطفئ نوره ولو بعد حين ، ويأفل نجمه بسرعة مذهلة!)

حمداً لله المظلم
حمداً يملأ سمع الدنيا
وصلاة وسلاماً دوماً
خص به (أحمد) تكريمة
فعليه صلاة وسلام
وعلى الصاحب ، ومن تابعهم!
وعلى من يستمتع إلينا
يا قوم ابتشروا ، واحتفلوا
واغتنموا الذكرى روجها
واليوم (خميس) شرافتنا
والأضواء أتوا يسبقهم
فبكل الحبيب أحبيهم
وأقلام أشعاري وجلاً
فالإلقاء له ساداته
لكنن ذاشرف محاولتي
يارب أجز من قد سمعوا

فوق الوصف ، وفوق الطلب
وتترجمه شتى القرب
مشفوعين بأسمى لقب
وأنت مدحتة في الكتب
وعلى العترة أهل الحساب
هم خير الناس ، وخير نبي
من مختار ، أو محتسب!
بشراكم بالنادي العربي
منتجع الفرحة والطرب
في أمسية مثل النذهب
شوقاً لملاقاة الأدب
وأرحب - معهم - بالنخب
حيث أسوقها كالخطب
يشدون بلا أدنى رهيب
ألقي أشعاري عن رغب
وأجرتني! هذا مطلبني!

تحية شعرية لمدير مدرسة محترم

(عملت مع الأستاذ عطية أحمد عبد العال ، مدير مدرسة أم القرى بأب القويين اثني عشر عاماً ، فألفيته مدرسة في الأخلاق والقيم ونبراساً في الإدارة. فلقد كان يعامل المعلمين والمربين معاملة الأصدقاء لا العبيد! وقد تعاملت مع أربع إدارات قبله وثلاثاً بعده! وأكاد أقطع أنني ما وجدت مثله في إزكاء روح الشورى والضمير والقيم في الإدارة مثلما وجدت عند الأستاذ عطية أحمد عبد العال من أهل نجير – دقهلية الأوفياء! وتحت عنوان: (الإدارة بالأخلاق) يقول الدكتور هلال محمد العسكر ما نصه: (الإدارة بالأخلاق فلسفة إدارية يتفق عليها ومعها الجميع ، لأنها تمثل أهم الركائز ومتطلبات العمل والتعامل الإنساني ، كالاستقامة والتسامح والوفاء والصدق والإخلاص والانتماء والنجاح والعدالة والرضى وغيرها من الأخلاق والقيم النبيلة والسامية ، التي قامت عليها الأخلاق الإنسانية الفاضلة ، وإن الاحتكام إلى هذه القيم يؤدي إلى الأداء والإنجاز والتميز. وعليه يجب على الجميع العمل بروح الفريق الواحد والبحث عن هذه القيم ، وهي موجودة في داخلنا وما علينا إلا إيقاظها وتفجيرها والعمل بها ، لأن الفرد الاجتماعي والثقافي والأخلاقي القيمي يستطيع أن يساهم في حل مشكلاته ومشكلات مجتمعه ، وأن يساهم في حركة الإصلاح الإداري وإعداد وتهئية أسس سلوكية ترصد أفعال الناس في حياتهم الخاصة وفي أماكن العمل ، بهدف الوصول والنجاح والاتصال والارتباط والمشاركة والاندماج ، وإعطاء الحياة قيمة وأهمية. إن الإدارة بالأخلاق والمثل مرساة للنجاح ، ونحن اليوم في أمس الحاجة لها أكثر من أي وقت مضى ، لأننا نعيش مرحلة تحديثية وتطويرية جديدة ، ونحن بأمس الحاجة إلى القيم وإلى الرؤية التطويرية ، وإن من يستلمون المواقع الأمامية في المجتمع يجب عليهم أن يشكلوا عامل القدوة في ممارستهم الإدارية ، فالقيم موضع احترام من قبل الجميع ، وهي التي يلتقي حولها الناس كجماعات وهي تدفعهم للعمل معاً بغية الوصول إلى أهداف مشتركة. والقيم بمثابة القوة الجاذبة ، وهي مغناطيس وهي منظومة التي تملك تأثيراً على الجماعات. إن رحلة الإدارة بالقيم تتطلب عودة إلى تربية الأخلاق ، وخاصة علاقة الأطفال مع ذويهم ومع المعلمين ، وعلاقة الموظف بمؤسساته وإعادة الثقة فيها ، ولا بد من بدء مرحلة الموظف الرقيب وعدم الكذب عليه وأخذ مصالحة بعين الاعتبار ، لأن القاعدة الرئيسية للإدارة تنطلق من خلال بوابة القيم والأخلاق أولاً وأخيراً. ونحن أمة لا تنقصها والله الحمد قيم ولا مبادئ ولا أخلاق. نحن نفاخر بما لدينا من قيم وأخلاق رانعة وعريقة ، والأروع كونها محل اتفاق وإجماع ، وأن هذه الأخلاق والقيم هي مضمون مشروعا التحديتي والتطويري). هـ. وإن كان المثل المصري يقول: (لا يعرف فضل أمه إلا من جرب المعيشة وكابدها مع زوج أبيه!) فإني لما قارنت الإدارات قبل وبعد الأستاذ عطية وجدته قد تميز بالكثير من الأخلاق السامية والآداب الرفيعة التي ما وجدت عشر معشارها فيمن سبقه ولا فيمن تلاه! وإن هو إلا الحق يفرض نفسه على شعري فبُحث به من باب ردّ الجميل للرجل المحترم والمدير المؤدب! وأعرف أن هذا الشعر سيكون أطول عمراً مني! فالأشعار تبقى بعد شعرائها كما يبقى العلم بعد رحيل أهله! والشعر علم من أرقى العلوم!)

شهمّ تمثّل ما في الناس من شيمٍ وفاق أترابه في النبيل والكرم
وعاش يشملنا بالعطف محتملاً بعض الحماقات ، لم يثأر ، ولم يلم

وأحزف أعجزت في الرّفق كل فم
على المساكين في البأساء والإزم
أمرَ البشير النذير المصطفى الهشم
أنعم بعبدٍ بشرع الله ملتزم!
منا ، ولكن عفا بنخوة الفهم
فما استبدّ ، ولم نعهذه ذا جرم
يوماً ليأخذه سواه عن رغم
أدنى دليل ، فهذا جدّ محترم
وسّمته - في التحري - غير منكم
كتاب خالقه المهيمن الحكّم
لا بالكلام ، ولا بالطرس والقلم
ومنصبّ يحتفي بالخلق والقيم
وصدقوني - على الإجحاف - لم تقم
بآخر بجميل الطبع متسم؟
شتان - ياناس - بين النور والظلم!
وأصبحت تكتوي بالشك والتهم؟
لهاجس - من سقيم الرأي - منهزم؟
أفويت كل قطاع طيب السيم
وخصّه الله بين الناس بالنعيم
وخط عنه كبير الإثم واللمم!

وكان يسأل عن غاب في شغف
وأنفق المال في سر وفي علن
وصام الاثنين والخميس ممتثلاً
وفي التواضع فاق الكل محتسباً
ولم يعاقب - على التقصير - شردمة
وظل يعقد للشورى مجالسها
وما استغل نفوذاً سوف يتركه
ولم يُبيّث لنا سوء النوايا بلا
وكان يلتمس الأعداء في ثقة
وكان يصلح بين الناس مصطحباً
ولم يكن أبداً للنفس منتصراً
هي الإدارة علم ثم فلسفة
وبذل نفس وأوقات ومنزلة
وهل تساوى مديرٌ يزدهي صافاً
وإن بينهما الفروق واضحة
وهل مديرٌ من اختلت سريرته
وهل مديرٌ من انقادت بصيرته
إن الإدارة إن صفت معالمها
حييت كل مدير مخلص لبق!
وزاده بسطة - في العيش - وارفة

صقور الأرض

(تابعت مع أبنائي منذ سنين عدداً الفيلم الكارتوني الذي يحمل ذات العنوان: (صقور الأرض). ذلك الفيلم الذي يحكي عن قصة صراع أهل الصين لاستعادة بلدهم ، من المحتل الذي غزاها بمباركة رخيصة من المنافقين والعملاء والخونة. ثم عاد الأمر إلى نصابه والقوس إلى باريتها بعد جهدٍ جهيد. تجري أحداث هذه القصة - كما تقول الويكبيديا - قبل حوالي 1800 عام في الصين ، حين بدأ يضعف حكم سلالة الهان ، واندلعت حربٌ أهلية طاحنة في ربوع البلاد ، ما أدى إلى انقسامها إلى ثلاث ممالك ، وبطل هذه القصة هو "عبد الرحمن" (ليو باي) ، وهو شابٌ قروي بسيط يحاول أن يرجع الحكم لإمبراطورية هان مع صديقيه "حمزة" (كوان يو) و"حكمت" (جانغ فاي) ، وكلاهما عاهداه على الأخوة الأبدية للعمل على توحيد البلاد وإعادة السلام إليها ، ولكن "عبد الرحمن" يواجه عقبات كثيرة ، وأولها عدم وجود الجيش القوي الذي يمكنه من تحقيق حلمه ، فيبدأ المتطوعون في الانضمام إليه حتى يشكل "عبد الرحمن" قوة لا يُستهان بها ، ومن أشد خصوم "عبد الرحمن" هو "تسو تسو" (تساوتساو) وهو رجل ذو طموح لا محدود ، فهو يريد السيطرة على كل البلاد بأي ثمن كان ، فيغتل ويغزو ويبطش دون أن يهتم برجاله وبحب الناس له ، ولكن أكبر همه السيطرة على جميع البلاد غير أن "تسو تسو" يقوم بالتحالف مع "عبد الرحمن" حتى يتمكنوا من القضاء على "لوبو" (لو بو) الذي أصبح خطراً يهدد البلاد. وبعد أن ينتهي "تسو تسو" و"عبد الرحمن" من القضاء على "لوبو" يعودان للقتال بينهما لكن "عبد الرحمن" يستعين في تلك المرحلة بالمخطط البارع "برهان" (جوكيه ليانغ) ليساعده للانتصار على "تسو تسو". ويمكن لأراضينا المحتلة أن تتحرر إذا كنا كصقور الأرض هؤلاء! وتحت عنوان: (تحرير الإنسان والأوطان من منظور إسلامي) يقول الدكتور محمد الأمين مقرابي الوغليسي - عضو الفريق العلمي ما نصه: (مع كثرة الصخب الإعلامي حول تحرير فلسطين المحتلة تتراكم في الذهن أسئلة كثيرة ، لعل من أهمها: لماذا تروج المنظومات الوضعية لاسترداد فلسطين وعاصمتها القدس ، وهي تمارس نفس سلوكات وسياسات الصهاينة؟ إن كل ما في الأمر استغلال المستبدين للقضية المركزية للمسلمين ، واتخاذها وسيلة لتخدير الشعوب المسلمة ، والتلاعب بوعياها؟ إن أغلب خطابات التحرير كانت موجهة للتغريب بالشعوب ، واستغنائها ، فقد ظلّ العلمانيون والبعثيون والشيوعيون والديمقراطيون والليبراليون والرأسماليون ، يلقون في الجماهير العربية خطاباً ملتهبة ، تتحدث عن الممانعة وإجلاء الصهاينة من الأرض المباركة ، ولم يتوقف الأمر عند هؤلاء ، بل وصل إلى متاجرة رافضة لبنان بالقضية الفلسطينية ، واستغلالها لنشر المذهب الرافضي في العالم السني ، حتى صدق الكثيرون عنتريات المقاومة ، إن كل عمل فاسد لا بد وأن تنكشف حقيقته). هـ. فأنشدتُ معجباً بإخلاص صقور الأرض لأوطانهم.)

صُقورُ الأرض تنفضُ انتفاضاً لتدحرَ مَنْ غَمَارَ الحربِ خاضاً
وتُرجِعُ دارها مِنْ كلِّ غاز تجبِرُ في المعامع ، واستفاضاً
وتُشهرُ بأسها صوبَ الأعداءِ لينقضُ الغطاريفُ انقضاضاً
وتعلنُ أنها تسعى لحق رفيع المستوى ، ليس افتراضاً

وما برحت تباع كل حُر
وقدمت الكثير ، ولم تؤخر
وسالت أدمع ، وجرت دماء
وبالترميل باءت غير فضلى
ويؤتم - في المعارك - غير طفل
وأظهرت البليّة كل وغد
وعاد الحق ، لكن بعد لأي
يمين الله ما استويا غلو
وخفض يشمت الأعداء فينا
فدا الأوطان يبذل كل غال
وللأحرار عزم لا يبارى
وغضببتهم تزمجر كالمنايا
يحبون الحياة بدون ذل
كمثل الأسد تطمخ للمعالي
وهل أسد تصارع لا تبالي
صقور الأرض بشراكم بنصر
أحييكم ، وأرتصد التحايا
فقد خلفتم أسمى كفاح

فما لقيت من النبلا اعتراضا
وردت من تكاسل ، أو تغاضى
وما اكتلث أشاوسهم غمضا
وأزجت - في المؤامرة - امتعاضا
وفي عينيه دمغ الكرب غاضا
تحالف ، أو تأمر ، أو تقاضى
وحررت المقاومة الجياضا
نتية به ، ونهجر الانخفاضا
ويورثنا الهوان والابتضاضا
لثصبح ذور ساكنها رياضا
وجمع يستمي إماتراضى
وسل عنها (المغيرة) أو (عياضا)
ولو كانت مذلتم مغاضا
أغلب قنفذ أسدا حراضا؟
كمثل الأسد تفترش الغياضا؟
حقيقي الصوى ليس اعتياضا
لترتاض التباشير ارتياضا
وإن لكل مولود مخاضا!

أطياف الذكريات

(إنها نفحات شعرية أهديها لولديّ العزيزين عبد الله وعبد الرحمن ، حيث سافرا للدراسة في مصر. وعانيت كما عانت الأسرة فراقهما. فأنشدتُ أطمئنهما على أن المحبة كما هي ، وعسى الله أن يجمعنا على خير. ولقد حرصت منذ رزقتي الله إياهما أن يكون مبدأ تربيتهما قائماً على الحب والتقدير والاحترام! والدكتور ميسرة طاهر في محاضراته الرائعة: (التربية بالحب) يشير إلى المعنى الذي أتناوله في هذه القصيدة فيقول ما نصه: (عندها نسمع كلاماً من قبيل: ألا تذكر ما فعلته لك؟ ألا تذكر أنني حرمت نفسي من كثير من المزايا في سبيل تأمين ما تريده؟ ألم أعطك من وقتي وعمري؟ يا حسرتي على عمري وتربيتي لك! لو أنني ربيتُ قطةً لكانت خيراً منك! ليس بحبٍ إلا ما عرفته ارتقاءً شخصياً تعلق فيه الروح بين سماوين من البشرية وتبوح منها ، كالمصباح بين مرأتين يكون واحداً فتري منه العين ثلاثة مصابيح ، فكان الحب هو تعدد الروح في نفسها وفي محبوبها. ولنقرأ هذه الحادثة التي سطرتهَا لنا كتب التاريخ. اشترى حكيم بن حزام زيد بن حارثة لعمته خديجة بنت خويلد فلما تزوج رسول الله بخديجة وهبته له فتبناه الرسول. فخرج أبو زيد وعمه لعدائه فلما وصلا مكة سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذهبا إليه وخاطباه بلغة راقية جداً ، قالوا: يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفكون الأسير وتطمعون الجائع ، وتغيثون المهوف ، وقد جنناك في ابن لنا عندك ، فامنن علينا بقدانه ، فإنا سندفع لك في الفداء ما تشاء. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن هو؟ فقالوا: زيد بن حارثة. فقال عليه الصلاة والسلام: فهلاً غير ذلك. قالوا: وما هو؟ قال: أدعوه فأخبره ، فإن اختاركم فهو لكم! وإن اختارني فما أنا بالذي أختار على من يختارني أحداً. فقالوا: قد زدتنا على النصف وأحسننت. فدعاه وقال له: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم. قال: من هذا؟ قال: هذا أبي! ومن هذا؟ قال: هذا عمي. فقال لزيد: فأنا من قد علمت فاخترتني أو اخترهما. "ولم يقدم كشف حساب طويل." هذا الكلام مهم لأنه يمثل مفتاح التربية بالحب. قال زيد: ما أنا بالذي يختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم. إن الحب الصحيح ليس له فوق ، ولا يشبه من هذه الناحية إلا الإرادة الصحيحة! فليس لها وراء ولا يمين ولا شمال ، وماهي إلا أمام أمام. إذا غضبنا على أولادنا هل ندعو عليهم أم لهم؟ وهذا معيار من معايير الحب. الحب يكون من الإنسان وهو في أحلك حالات الضعف تماماً كما يبدو والإنسان في أشد لحظات القوة. إن من حق الجميع على أولادهم أن يبرّوهم أي أن يردّوا جميلهم وصنيعهم وإحسانهم بإحسان. وإن لم يفعل ذلك الأبناء فقد خسروا خسراناً كبيراً. ولكن لا ينبغي التوقف عن الإحسان إليهم إذا أساءوا أو أخطأوا إن كنا نحبهم حباً حقيقياً). هـ. جزا الله خيراً الدكتور ميسرة طاهر على نصيحته التي أفادتني كثيراً!

صَدَقَاتِي إِنْ قَلْتُ: مَا خَاب ظَنِّي
فِيكَمَا قَطُ ، أَنْتَمَا نُورُ عَيْنِي!
أَنْتَمَا فِي الْفُؤَادِ ، مَهْمَا افْتَرَقْنَا
وَأَسْأَلَا أَطْيَافَ الْأَحَاسِيْسِ عَنِّي
لَمْ تَغِيْبَا عَن مُهْجَتِي لِحَظِّ عَيْنِ
وَالدَّعَاءُ تَغْرِيدَتِي وَالتَّمَنِّي
كَمْ تَخِيلَتْ الذِّكْرِيَاتُ الحَوَانِي
بَيْنَهَا أَحْقَابُ تَوَالَتِ ، وَبَيْنِي!

والأشقاء يلهجون اشتياقاً
والصحاب كل يذّر سلاماً
أين (عبد الله) الذي غاب عنا؟
قلت: كلّ في (مصر) يدرس طوعاً
لم يعد إلا ذكريات وشكوى
أيها الشبلان ، التصبر أولى
لكما سطرث القريض احتفاءً
كنتما صدقاً في (اغترابي) عوناً
كنتما الصحب إذ عدّنا الندامى
كنتما الأهل في اغتراب طويل
تابعنا الاتصال يُطفئ شوقاً
أتحفانا بالبشريات الغوالي
لا تقولوا: لقد نسينا وضعنا
إن تكن جبراً فرقتنا الليالي
هل على رب الناس هذا عسير؟!
والمليك لمّا يشاء قديرٌ

كل مُشتاق يحتفي ، ويفي
والتحايا من كل ذوق ولون
أين (عبد الرحمن)؟ هيا أجبني!
واستدار للأهل ظهر المجن
والتباكي على الذي ضاع مني
عاجز حقاً من يقول: (لو اني!)
والتحايا بالشعر من بعض دئني
في زمان ما خصنا أي عون!
تقهران من نائنا بالتجني
كم لقينا في العيش أظلم حين!
ويُسري - عن بيتنا - كل حزن
والتهاني من كل جرس وفن
وسط أهلينا بين خذل وطعن
فعسى اللقيا في مقامة (عدن)!
قلت: كلا ، وذاك من حُسن ظني!
والمقادير رغم إنس وجن!

ابتسم

(يعرف الكل قصيدة الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي ، التي عنون لها في ديوانه بذات العنوان: (ابتسم) داعياً صديقه المتشائم إلى التفاؤل ، ولعل له حقاً في ذلك من زاويتين: الأولى أنه يجب على الإنسان أن يتفاعل دائماً ، والثانية أنه يجب عليه أن يحسن الظن بالله. وأنا لا أخالف عن إحسان الظن بالله. وإن كان لا يوجد ما يبعث على التفاؤل من حولنا! يقول الأستاذ أسامة الشبانة ما نصه: (إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري الذي أسماه بعض النقاد بشاعر التفاؤل ، نلتقي معه هنا في دراسة لقصيدته التي تبعث التفاؤل والسعادة ، وتبرز شيئا من جمال الدنيا المشرق. فهي قد خاطبت النفس البشرية بشكل فيه من النقاء والصفاء. نجد هذه القصيدة تحمل كما هائلاً من الروح العالية عند الشاعر ، فهو قد جعل المتلقي يعيش في بحر السعادة بشكل مقنع ورائع. إن الخطاب الشعري بشكل عام لا بد أن يحوي على مقصد ما ، فنجد إيليا أبو ماضي في هذه القصيدة قد وضع مقصده وبان ، وذلك بجعل اليأس متفانلاً ، والحزين سعيداً ، بجمل متراكبة وحوار شعري بارع. نجد الشاعر في هذه القصيدة قد جعل الخطاب لفرد واحد فكان كل قارئ لهذه القصيدة يتصور أن الخطاب له شخصياً ، وهذا من أبلغ وأجمل المعاني التي تحملها القصيدة. أضف إلى ذلك أنه لم يغفل عن ضمير الغيبة ، فقد أتى به لينوع في الخطاب ، لنلا تفقد القصيدة نشاطها وحيويتها. فإن التنوع في الخطاب يجعل القارئ لا يفتر عن متابعة قراءة القصيدة ، وبيان ما فيها من معان. أيضاً نجد الشاعر استخدم أسلوب الاستفهام بشكل واضح وبين ، والإجابة الدقيقة على أي شخص في الخطاب العادي بأسلوب الاستفهام ، يجعل الآخر يستلهم مراد المجيب ويقتنع به ، وهذا ما وجدناه في هذه القصيدة ، فالشاعر يجيب بأسلوب الاستفهام مع شيء من الحكمة. نجد إيليا أبو ماضي في قصيدته قد أجاد في سبك هذا الحوار الرائع ، فإن ما يشد القارئ في هذه القصيدة الحوار الجميل المشتمل على بعض الحكمة وكثير الإقناع. وقد سخر لبنائها عدة سمات أسلوبية أضفت على القصيدة صبغة جمالية ، وهذه السمات تجمع بين بلاغة الشعر وبلاغة التمثيل الخطابي ، لأن غاية الشعر منها الحمل على الإقناع والجمال ، وقد حقق الشاعر هنا هذين الهدفين). هـ. ومعارضتي الشعرية هذي لقصيدة (ابتسم) للشاعر إيلياء أبو ماضي أتمثل فيها صديق الشاعر المتشائم دائماً يرد عليه دعوته متسانلاً: ما الذي يدعو للابتسام يا أبا ماضي؟ النفوس مقهورة والأراضي مسلوية والأقوات منهوبة ووسد الأمر إلى غير أهله منذ زمن بعيد! وتكاليف المروعة والنجاسة والكرامة باهظة جداً! وزاد حبات الطين بلة الأواصر المتقطعة بين الأهل والأقربين ، وافتقاد كثير من الناس إلى معاني الإنسانية من حب وعطف وحنان وتعاطف وتراحم وتواد! والإقبال الشديد على أمر الدنيا ، والإهمال والتغافل التامان عن أمر الآخرة! وتطلب مني أن أبتسم؟! وتحملني على التفاؤل والتفاعل مع الحياة على علاتها؟ إنه المستحيل!)

قلت: ابتسم ، وعجزت أن أبتسما
وبكيت أحلاماً ، وآمالاً خبت
وظفقت أجرع - في البلاء - تصبيري
ورثيت نفسي ، إذ تمرق بأسرها
وغبطت روحاً - في الشقاء - تجندلت
وفجعت في نفسي وصحبي والجمي
وغدت دموع العين - في البلوى - دما
ورفعت كفي ضارحاً نحو السما
وعذرت قلباً - في المصاب - تلثما
وشكوت ليلاً مُدلهماً خلُكماً

وشرعتُ أحقِرُ جعظرياً مُجرماً
ويرى تعنته قضاءً مُبرماً
سِيقْتُ إليه ، فنال منها مَغْماً
وانقضَّ يحسبُه المغفلُ ضيغماً
إذ بات يخبط في متاهات العمى
والوعدُ - مِن شفّتيه - أصبح علقماً
من (مازن) أو (خزرج) أو (أسلماً)؟
أو من (بني ذبيان) أو من (جُرهما)؟
وسلومها في كل صُقع والدماء
كيدٌ يُجاوز - في المَرار - الشبرماً
والعلمُ يبرأ راضياً ، أو مُرغماً
ونسأوهم أصبَحن عندك كالإمأ؟
من أين يا (إيلياء) والكربُ استمى؟
والبعضُ يبكي منصباً أو درهما
ويرى التجمل للذغول بلسماً
وإذا استعادت مجدها لن تُكَلِّمأ
أمسى الأنينُ على القصيدِ مُخيمأ!
أنى لما ألقاه لن أتبسماً
ويُفِيقُ قومأ في الكريهة نوما!
والقِنُ الأعداءِ درساً مؤلماً
أمرٌ فوادي عنه فعلاً أحجماً!

ونعيتُ - بين الأزدلين - كرامتي
أمسى يُعاملنا كـبعض عبيده
واعتدَ - خلف غروره - بوظيفةٍ
واختال كالطاووس ، ماسَ بريشه
وأذاقنا كأسَ الجهالةِ مُرّة
وطغى علينا مُمسكاً بوعيده
مِن أي قوم أنت يا متعجرفاً
أو من (قريش) أو (خزاعة)؟ فلتقل
لفظتُك أعرافُ العروبة كلها
والدينُ يبرأ مِن فعالك شابها
وأبوك آدمُ منك يبرأ حسبة
أجعلت أحرار البسيطة أعبداً
هذا (أبو ماضي) يذرّ تفأولاً
ونعيشُ نذرُ العذاب ، ونشكتي
والبعضُ يجتِرُ المصيبة راضياً
والبعضُ ينعي أمة مكلومة
عفواً (أبا ماضي) استمع مرثيتي
أنا يا أخوا الأشعار قلتُ مُصرحاً
فلعل هذا الحزم يختصر المدى
ولعنني بالجدِّ أبلغ غايتي
أن ابتسام المرء إن طفح الجوى

تعريب قصيدة لوري بيركنر - بذرة واحدة

(كانت هذه القصيدة بناء على طلب بعض الفاضلات أعجبهن اللحن ، وقصدتني لمحاكاته شعراً عربياً أصيلاً. وكم كان اختباراً صعباً ، اعتذرتُ عنه في البداية ، ثم من الله عليّ وأنجزتُ العمل بعد محاولات متعددة.)

أنصتوا ، واعقلوا

وعلموا ، واقبلوا

واشكروا ربكم

وابذلوا ، واعملوا

وانظروا حولكم

فما زلت يتأمل

وإدرسوا ما قد حوى ، كي تعلموا

إنما الدنيا كتاب ، فأقرأوا

وبها البيئة - صدقاً - أجمل

هذه الأشجار من بذر نمت

بذرة

أصل

دوحة

يأتى

من ذا الذي

صاغها

لورى

رحمة؟

إنه الرب القديز
ولله الحمد الكثير

وادرسوا ما قد حوى ، كي تعلموا
هل من الشهد طعام أفضل؟

إنه الله العظيم
فله الشكر الجزيل

إنما الدنيا كتاب ، فاقرأوا
أرقبوا النحل يُحلي عيشنا

نحاة
غمرت
أفواهنا
بالعسل
فأسألوا
من ذا العذي
سخرها
نعم؟

إنه الرب القديز
ولله الحمد الكثير

فلنسبح ، ولنعظم من خلق

إنه الله العظيم
فله الشكر الجزيل
خلق الدنيا ، وسوى خلقها

نحن أولى بالهدى من غيرنا

إنما الدنيا كتابٌ ، فاقروا

هذه الأمطارُ من سُحبِ هوث

قطر

من بعدها

غيث همى

فانتشلت

من فورها

أرض جفت

من سقى

أرجاءها؟

إنه الله العظيم

فأله الشكر الجزيل

إنما الدنيا كتابٌ ، فاقروا

هذه البيئة كم تحلوننا

بيئة

نظيفة

لننال الأجر من رب الفلق

وادرسوا ما قد حوى كي تعلموا

وبه بيئاتنا تتجمل

إنه الرب القدير

ولله الحمد الكثير

وادرسوا ما قد حوى كي تعلموا

وبنا من كل سوءٍ تسلم

تحتفـي

دومـا بنـا

فلنصـن

إبـداعها

ولـنعش

فـفي ظلـها

ولـنعش

سـادة

أحـلى حـياة

أحـلى حـياة

فـفي ظلـها

أعـزة

أحـلى حـياة

أحـلى حـياة

رسالة إلى ساقطة

(شاعرة عربية ، والغروبية منها براء ، ومسلمة والإسلام منها براء ، براءة الذنب من دم يوسف بن يعقوب عليه وعلى أبيه وعلى نبينا وجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وتسليماته. كانت قد دُعيت لإلقاء باقة شعرية من قصائدها الساقطة الخلية. وإذا بالسفول والسقوط والانحطاط يتساقط على الناس كالرزيا التي حلت على غير ميعاد! حيث إنها أخذت تروي ممارساتها المنحطة ومغامراتها السافلة. وتروي الكثير عن ليالي الهوى. وراحت تدعي الإصلاح وتبني التيار الإصلاحي! وراحت تسوق الآية تلو الآية عبر التقديم لكل قصيدة! وكأنها تتاجر بالدين! والحقيقة أنها شاعرة متمكنة مُجيدة ، ولكنها في الوقت ذاته مُنحطة حقيرة. والجمهور – للأسف – راح يبارك هذا التردّي من القلوب ، وانغمس في الهزل ، وانهمك في إزجاء التحايا تلو التحايا والتصفيق تلو التصفيق! وتحت عنوان: (الكلام الفاحش وتبرير استخدامه) قال الأستاذ هاني ضوّه ما نصه: (يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه". وقد نهى الله عن البذاءة والمجاهرة بالألفاظ القبيحة في قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا}. وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن البذاءة طريق إلى النار فقال: "الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة ، والبذاءة من الجفاء والجفاء في النار" ، وقال كذلك: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء". وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْفَحْشَ وَالتَّفَحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّهُ هُوَ الظُّلْمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ ، فَإِنَّهُ دَعَا مِنْ قَبْلِكُمْ ، فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَدَعَا مِنْ قَبْلِكُمْ فَفَقَطُوا أَرْحَامَهُمْ ، وَدَعَا مِنْ قَبْلِكُمْ فَاسْتَحَلُّوا حُرْمَاتِهِمْ" ، وقد عد العلماء الكرام الفحش والبذاءة من آفات اللسان ومن الخبث ، يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إِنَّ السَّبَّ وَالْفَحْشَ وَبِذَاءَةَ اللِّسَانِ مَذْمُومَةٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهَا وَمَصْدَرُهَا الْخَبْثُ وَاللَّوْمُ ، وَالْبَاعَثُ عَلَيْهَا إِمَّا قَصْدُ الْإِيذَاءِ وَإِمَّا الْإِعْتِيَادُ الْحَاصِلُ مِنْ مَخَالَطَةِ الْفَسَاقِ وَأَهْلِ الْخَبْثِ وَاللَّوْمِ لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِمُ السَّبَّ".هـ. وبينما راحت الشاعرة الساقطة السافلة تتحدى أن يوجد شاعر عربي من المحيط إلى الخليج يستطيع أن يكتب على المتقارب وقافية الحاء المشفوعة بالهاء الساكنة ولو مقطوعة من سبعة أبيات! فرحت أنتصر للتحدي وأكتب أربعة وعشرين بيتاً على ذات بحرهما وقافيتها لأفحمها.)

جهرت بغيّك ، ما أقبحه! ونفسك - عن دُعرها - مُفصحة!
وسُقت الأباطيل دون حيا على الناس مُمسية مُصبحة
وأغريت جمهورك المكتوي بنار انحطاطك ، ما أوقهه!
وأزهقت - بالعُهر - ألبابنا بلهجة خداعة مُسفحة
هداديك ، لا تنكني جُرْحنا دعي السب واللعن (الشرشحة)!
تقولين: أصلح أهل الهوى! فأين - بأشعارك - المصلحة؟

لياليك تبعث مُرّ الخنا
 قصائدك الناشثرات الأذى
 وألفاظ شِعركِ ممجوجة
 أراكِ فجرتِ ، ولا عودة
 وتاجرتِ بالدينِ في خسةٍ
 وراجتِ بضاعة مَنْ دافعتِ
 وأزّ التخرصُ أسـمـاعنا
 وسـكـيـنُ غـدرِكِ تحثـو الدما
 ضحاياك: فوجّ طواه الصدى!
 ولمّا سمعتكِ لُكـتِ العنا
 شعوري تفجّر في خاطري
 فقلتُ: أهـاجـمُ مَنْ أفسـدتُ
 وأدحضُ - في الناس - أفكارها
 وزوراً أثارته مفتونة
 وحالاً تـدنى بأمسيةٍ
 وسافلة مات - فيها - الحيا
 فأدليت دليوي ، ولم أدخر
 وأجري على الله رب الورى

وفحوى قصيدك مُستقبحة
 طرخن الأحاسيس كالمطرحاة
 وصدّعك بالفسق ما أقبحه!
 وفجرك ساق لنا مطمحه!
 فهل فزتِ بالصفقة المربحة؟
 عن الهُزء والهزء بالدردحة
 وجمعك رجّ الهوى مسرحة
 وتعلنُ مُفتحة المذبحة
 وفوجّ أحالوه للمشرحة!
 وصُغت - من الشعر - مُستملحه
 وما اسطعت - بالصبر - أن أكبحه
 وتوهمنّا أنها مُصلحة
 ورجساً تكلفتُ أن ألمحه
 ورأياً تعهدتُ أن أشرحه
 تدنت ، فأليتُ أن أصلحه
 وباتت - إلى هزلها - مُلمحة
 نصيحة مَنْ يبتغي مـربحـه
 ومَنْ يقصد الله ما أنصحه!

ليته كان ولدي!

(يوم مات والد ذلك الصبي ، صمم أحد الجيران وكان صديقاً حميماً لوالده ، أن يأخذ ذلك اليتيم من أهله ليضمن له طعامه وشرابه وكساءه وغطاءه ودواءه ابتغاء مرضاة الله تعالى. ووافقت الأم. وكانت البداية وبعد دفن الأب ، أن قدم الجار لابن صاحبه طبقاً من الحلوى التي جمعت إلى حلاوة المذاق طيب الرائحة! وراح اليتيم يأكل ويتذوق رغم ما هو فيه من الحال. واستمر الحال ، وأكمل ذلك اليتيم ذو السنوات العشر عقداً ونصفاً في بيت ذلك الجار الطيب المحترم الذي كان ينشد من تربية اليتيم وكفالته ردّ جميل أبيه المتقدّم ومرافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة. فرباه وعلمه وأحسن إليه مثل أبنائه ويزيد. ولما أشرف على سن الزواج زوجه على نفقته الخاصة. وجاء ذلك اليتيم الذي شبّ عن الطوق ولم يعد يصح في بدهة العقل والمنطق فضلاً عن الفقه والشرع أن يُطلق عليه يتيم ، جاءه القدر المحتوم والموعود المكتوب لردّ جميل الجار الأشيب عليه. حيث أصيب الرجل بشلل رباعي لم يستطع معه تحريك يدٍ أو رجل. وجيء بالكرسي ذي العجلات ، وكانت الحاجة ماسة في المستشفى إلى من يرافق ويدفع الكرسي ويخدم ويحسن ويستر ويبدل. الأمر الذي لم يقم به أبناؤه مجتمعين! حيث إنهم اعتادوا على زيارة أبيهم كالأغرب الذين لا تربطهم به أدنى علاقة. فإذا بذلك اليتيم يقوم بدور الأبناء جميعاً ويداري عوارهم ويغسل عقوقهم ويمحو تقصيرهم ويزيل تخاذلهم في حق أبيهم. فكان يسهر الليل على خدمة الرجل المقعد المعوق. واعتاد أن يذهب معه إلى المستشفى ، ويدخل معه بيت الراحة ، ويباشر التغسيل بيده. وذات يوم أشفق عليه الأشيب متحرجاً منه فقال له: إن شئت تركتني وحدي في بيت الراحة يا بني! فقال اليتيم المؤدب: لو علمت أنك تستطيع أن تباشر الأمر بنفسك لفعلت ، ليس ضيقاً بما أنت فيه ، ولكن خوفاً على شعورك! ولكنك لا تستطيع يا سيدي! فعقب الأشيب: إنني أطيق هذه الرائحة بالكاد فكيف بك؟! فقال: يا عمه ، إن رائحة الحلوى التي أطعمتنيها في دارك يوم مات أبي - رحمه الله - لا تزال في أنفي إلى اليوم تزاحم أي رائحة أخرى طيبة كانت أم كريهة ، وإن طعم هذه الحلوى لا يزال في فمي إلى اليوم يزاحم أي مطعم مهما كانت حلاوته! فلا تذكر هذا بعد اليوم. وأعدك أنه يوم تغلب أي رائحة رائحة الحلوى ، ويوم يغلب أي طعم طعامها سأخبرك. واستمر اليتيم على إحسانه ابتغاء وجه الله. كما أنه قد أحسن إليه من قبل ابتغاء مرضاة الله. وذات يوم قالت الممرضات للأشيب وقد مكث في المستشفى شهوراً إذ ساءت حالته: إن ولدك هذا يحبك جداً ويخلص إليك ويتفانى في برك والإحسان إليك ، لدرجة أنه يقوم بجزء كبير من عملنا! فقال لها: ليته كان ولدي! وتحت عنوان: (هل سيجد الناس لك معروفاً؟) يقول الأستاذ حسان أحمد العماري ما نصه: (إن المسلم لا يعيش لنفسه وحسب بل لا بد أن يتعدى نفعه وخيره للآخرين ، ورتب الله على ذلك الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة ، وجعل أسعد الناس وأحبهم إليه أكثرهم نفعاً لمن حوله ، قال تعالى: - {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}. وقال: - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. وقال: - {وَلِكُلِّ وُجْهًا هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. وقال: - {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}. وقال صلى الله عليه وسلم: (كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين اثنين صدقة ،

تعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة (متفق عليه). إن الناس معادن كل واحد منهم يحمل بين جوانحه قيم وأخلاق تعبر عن شخصيته ، وإن منهم مفاتيح للخير ومغاليق للشر! عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه). حسنه الألباني السلسلة الصحيحة. إن مشاغل الحياة ومشاكلها وظروفها وأحوالها تقتضي أن يتعاون الناس مع بعضهم البعض ، وأن ينفع بعضهم بعضاً ، وأن يبذل المعروف من يقدر عليه دون أن يطلب أحد منه ذلك ، ولا ينتظر من الآخرين أن يكافئوه أو يشكروه ، فالإنسان العظيم لا ينتظر جزاءه ممن حوله ، بل غايته أسمى وهدفه أكبر من ذلك ، ويكفيه ثواب الله ورضاه. هذا موسى عليه السلام في أرض لا يعرف فيها أحد وهو خائف ومطارد من فرعون وجنوده ، ومع ذلك لم يتأنى وهو يرى امرأتين ضعيفتين لا تسقيان بسبب الزحام وكثرة الرجال ، فبادر إلى بذل المعروف و تقديم النفع فسقى لهما قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}. سقى لهما ثم تولى إلى الظل ليشكر الله على ما حباه من النعم وهيئ له الأسباب لنفع الآخرين. وكم دعا صلى الله عليه وسلم هذه الأمة إلى بذل المعروف وتقديم النفع للآخرين ، وكم حثهم على ذلك ورغبهم في هذا العمل ، بل وتمثل هذا الخلق وهذا السلوك واقعاً عملياً في الحياة فنفع الله به الصغير والكبير والرجل والمرأة والمسلم والكافر والطير والحيوان ، وكان مما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب). رواه الطبراني في معجمه الكبير ، وقال الهيثمي: إسناده حسن. بل جعل سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف من العلامات التي يعرف أهل الكتاب بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ}. ثم أمر المسلمين بما أمر به نبيهم عليه الصلاة والسلام فقال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. إن منع الآخرين من الانتفاع بما تقدر عليه وتستطيعه ولا تحتاج إليه له عاقبة وخيمة فبالى جانب سخط الناس وبغضهم ، فإن الله سبحانه يجازي العباد على أفعالهم جزاءً وفاقاً! عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم....) فذكر منهم (ورجل منع فضل ماء). فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك). البخاري. إن سيد القوم خادمهم ، وهكذا قالت العرب قديماً ، ولذلك لما سأل أعرابي أناساً من أهل البصرة: من سيد القوم في بلدكم؟ فقالوا الحسن أي البصري. فقال بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه فنفعهم واستغنى هو عن دنياهم. والله تعالى يقول: (فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ). وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق). رواه مسلم. فلماذا لا يقوم كل واحد منا بواجبه تجاه الآخرين من حوله حتى يكون من أهل المعروف الذين تفتح لهم أبواب السماء ويتجاوز عنهم الرب جل جلاله في يوم لا ينفع فيه إلا أعمالاً تبيض

الوجوه وترفع الدرجات عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكر ، قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر ، قال: قال الله: عز وجل تجوزوا عنه). وفي رواية عند مسلم (فقال الله أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عدي). مسلم. إن سعادتك وراحتك تكمن في أن تدخل السرور على قلوب الآخرين ، وترسم البسمة على وجوههم ، وتشعر بالارتياح عند تقديم العون لهم وتستمتع باللذة عند الإحسان إليهم. قال عبدان بن عثمان الأزدي: "ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي ، فإن تم وإلا قمت له بمالي ، فإن تم وإلا استعنت بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنت بالسلطان". إن لبذل المعروف وتقديم النفع ثمرات في الدنيا والآخرة تعود على من يقوم بهذا الخلق وعلى المجتمع من حوله فمن ذلك :- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة). ابن ماجه. ولما عرض جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني) ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي! فقالت خديجة: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب). البخاري ومسلم. رواه الطبراني في معجمه الكبير ، وقال الهيثمي: إسناده حسن. ومن ذلك دخول الجنة وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وإن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف). رواه الطبراني في الكبير. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس). مسلم. ومن ذلك مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر). مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخذه ، فشكر الله له فغفر له). البخاري. إن بذل المعروف وتقديم النفع عبادة أحاطها النبي صلى الله عليه وسلم بأداب تضبطها وتحافظ عليها ، وهين العمل عند الرب الكريم كبير «فاتقوا النار ولو بشق تمرة». البخاري ومسلم. إن باب المعروف كبير وواسع وأعماله لا تكاد تحصر وطرقه كثيرة جداً. فالكلمة الطيبة معروف ، وتقديم النفع معروف ، والنصيحة معروف ، وتطبيب خاطر وإدخال السرور معروف ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة معروف ، وكف الأذى ومساعدة الآخرين والعفو والتسامح ولين الجانب معروف ، والتبسم وبشاشة النفس تجاه الآخرين معروف ، وقضاء الحاجة وسداد الدين وإطعام الطعام معروف. فلنحرص على بذل المعروف وتقديم النفع ، فأبواب الخير في هذا الجانب كثيرة! والموفق من وفقه الله إلى كل خير ، وكم ستجني هذه الأمة ويجني الفرد والمجتمع من هذا الخلق ، وكم من قضايا ومشاكل تعصف بالناس عصفاً سيجد الناس لها حلاً ، وكم ستقوى الروابط والأواصر بين أفراد المجتمع وينتشر الحب والتراحم وتطيب نفوسهم وتسعد أيامهم ،

وكم من حقوق سترد لأصحابها ، وكم من مظلوم ستظهر براءته ويُزال الظلم عنه ، وكم من ضعيف سيجد القوة في هذا المعروف عدلاً ورحمة. فهل سيجد الناس لك معروفاً تجد حلاوته وبرّه وثمرته عند الله ، ويكون له أثر إيجابي في إدخال السرور والسعادة على من حولك).هـ. وتحت عنوان: (الإسلام وحفظ الجميل) يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه) ما نصه: (لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في حفظ الجميل وردّه ، وفي الوفاء لمن أحسن. فها هو صلى الله عليه وسلم يرد الجميل لعمه أبي طالب الذي تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب ، فلا ينسى له ذلك ، فحينما يتزوج السيدة خديجة رضي الله عنه يأخذ ابن عمه علياً في كنفه ورعايته رداً لجميل عمه ومساعدة له. كما ضرب النموذج الأعلى في الوفاء للزوجة التي واسته ووقفت بجواره ، فلم يتنكر لها ، ولم ينس جميلها ، فعن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن عليها الثناء ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً ، فقد أبدلك الله عز وجل خيراً منها ، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال: «لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقني وكذبني الناس ، وواستني من مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل الأولاد منها ، إذ حرمني أولاد النساء». قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: بيني وبين نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً". مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير. وحسن إسناده الهيثمي في المجمع. وروت عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي عليه السلام وهو عندي ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أنت؟) ، قالت: أنا جثامة المزنية ، قال: (بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف كنتم بعدها؟). قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت ، قلت: يا رسول الله ، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال قال: (إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان). أخرجه الحاكم ، وقال: صحيح على شرط الشيخين).هـ. ونعود للأشيب الذي سألته الممرضة ، فجعلت جوابه (ليته كان ولدي) عنواناً لهذه القصيدة ، وأنشدت على لسان المقعد الأشيب أقول:

الْيُتَمُّ مَدْرَسَةٌ بِالْعَزْمِ تَخْتَضِبُ	وَمَنْ تَأْمَلْ فِيهَا هَزَهُ الْعَجَبُ
فِيهَا الْعِصَامِيَّةُ الزَّهْرَاءُ يَانَعَةٌ	فِيهَا الْعَطَا وَالْوَفَا وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ
فِيهَا التَّرْفَعُ عَنِ هَزْلِ وَعَنِ سَفْهِ	وَالدَّارِسُونَ بِهَا رِنْبَالَةٌ نُجَبُ
فِيهَا الْمَنَاقِبُ أَعِيَتْ مَنْ يُحِيطُ بِهَا	وَصَفَاءً ، وَإِنْ كَانَ فِي تَطْبِيقِهَا التَّعَبُ!
فِيهَا الْعَذَابَاتُ تَحْلُو رَغْمَ شِدَّتِهَا	فِيهَا الْبَلَاءَاتُ - عِنْدَ اللَّهِ - تُحْتَسَبُ
فِيهَا مِنَ الْمِحْنِ الدَّهْيَاءُ أَشْرُسُهَا	وَهَوْلُهَا - بِدَمِ الْإِيْتَامِ - يَخْتَضِبُ
لَكِنَّمَا الْيُتَمُّ يُعْطِيهَا حَلَاوَتَهَا	فَلَا تُعْكَرُ صَفْوَةَ الْعَيْشَةِ الْكُورَبُ
وَكُلُّ كَافِلٍ أَيْتَامٍ جَوَائِزُهُ	عِنْدَ الْمَهْيِمِينَ يَوْمَ الْبِعْثِ تُطَلَّبُ

والجارُ (أحمدُ) نعم القُرْب والقُرْب!
وعند ربك لا تُضَيِّع الحِسَاب
ذخراً ليوم الجزاء ، والنفسُ ترتقب
حتى غدا - لللقى والخير - ينتسب
فكان للبر والفضائل الغلب
لراحل جاد ، إمّا حلت النوب
وكان لي ولداً في قلبه حدب
والله بارك من قد كنت أصطحب
الرأسُ هذا ، وأبنائي هم الذنّب!
إلى العقوق ، ونحو الباطل انجذبوا
والقلب - من ذكرهم - يبكي ويكتب
وذكره السعد والإيناس والطرب
أو غالني - من ضنا أبنائي - الذهب
برغم أن لم يكن قُرْب ولا نسب!
كان الصدوق ، إذا جُل الورى كذبوا
والنذل - مهما سما - يُزوى ويُجتنب
وحاجتي قضيت ، وقطع السبب
ومن يلوم على ما اليوم ارتكب؟
فهل يُلام - على التقصير - مغترب؟
والحل فيما أرى الخذلان والهرب
وبيتها - لغياب البعل - يضطرب
وفاتني اللهو - كالأطفال - واللعب

في جنة الله ، إذ حُق الدخول له
أنا بذلت - الذي بذلت - محتسباً
كفلتُ هذا اليتيم البرّ أجعله
علمته القيم المثلى ، فأشربها
تصارعتُ فيه أخلاقُ مشتتة
عاملته مثل أبنائي مجاملة
فكنتُ والدّه من بعد والدّه
واعتدتُ صُحبته في كل معتركٍ
به افتخرتُ - على الأبناء - قاطبة
كان العزاء لمن أبناؤه جنحوا
أنذرتهم فطغوا ، حتى كرهتهم
أما اليتيم ، فبالإحسان عوّضني
كان النسيم ، إذا ما القيظ أحرقتني
كان الصديق ، إذا ما الأصدقاء جفوا
كان الكريم ، إذا ما عترتي بخلت
لما يكن قطن ذلاً في معاملتي
لما يقل: ما أربي من الوصي خبا
لما يقل: أشيب معوق خرفاً
لما يقل: عقه الأبناء دون حيا
لما يقل: مُقعداً أعبأه ثقلت
لما يقل: زوجتي أولي بسيدّها
لما يقل: هدني يتمي وجنداني

والعيشُ سرِبله الإعياء والنصب
ومِت يوم طوت جثمائه الكُثب
يجودُ جُودَ الذي ما زاره سَغْب
لا يألَفُ اليأسُ رؤياهُ ، ولا الرهب
مِن العطاء كبحر شقه العُعب
لَمَّا غزا العظمَ والمفاصل العطب
هو الشريفُ ، ومَن هم دونه خُشب
حتى نأى عن حياتي الحزنُ والوصب
فَعشْتُ بالشوق للحياة أعتصب
وردَ لي أملاً ، ما انفك يُغتصب
شمسٌ ، وما حملتُ غيوثها السُحب
لأنه قام مختاراً بما يجب
مِن العُقوق ، به الإحسانُ يُستلب
في جنة الخلد ، حيث الفرح والغُرب

لَمَّا يقلُّ: وندتُ طفولتي وغدي
لَمَّا يقلُّ: قهرتُ نفسي بموت أبي
بل كان شهماً أصيلاً دائماً أبداً
وعاش مستبشراً بالخير مُلتحفاً
ردّ الجميل قناطرأً مُقتطرة
لم يألُ جهداً ، ولم يبرحُ مُلازمتي
ألفيته رجلاً في كل نازلةٍ
أجلى عن الشيب آلاماً تُعكِّره
أعاد لي همة الشباب ناضرة
وردَ لي كل ما شيخوختي نهبتُ
تقبل الله منه السعي ما طلعتُ
وبارك الله - في الأعمال - ييذلها
وقاه ربي الذي أبنائي اقترفوا
والله أسألُ أن تكون رفقتنا

وسقطت ورقة التوت!

(ظل ذلك المستشعر يخدع نفسه والآخرين من حوله ، ويتجمل في الأقوال والأفعال والتصرفات. وما فتئ يرقص على كل طبلة ، ويأكل على كل مائدة ، ويغير جلده حسب الأحوال والظروف. وما انفك يدهن أقواله ويصبغ أفعاله ويظلي تصرفاته بكل جميل الألوان ، ظاناً أنه يستطيع خداع الناس كل الوقت! وراح ينسج ثوباً من الأوهام يلبسه كيفما اتفق. ولقد أوصى حكيم أحد جلسائه فقال: (كذب اللسان من فضول كذب القلب ، فلا تأمن الكاذب على ود ، ولا تثق منه بعهد ، واهرب من وجهه الهرب كله ، وأخوف ما أخاف عليك من أخلائك وأصدقائك إن كانوا كاذبين!) ولقد عرف الحكماء الكذب بأنه مخالفة الكلام للواقع. ولعلمهم رأوا في هذا التعريف الحقيقة العرفية ولو شاؤوا لأضافوا إلى كذب الأقوال كذب الأفعال. إذ لا فرق بين كذب الأقوال وكذب الأفعال في تضليل العقول. والعبث بالعقول خذلان للحق واستعلاء للباطل عليه. وعازي أي عار أن يكذب الرجل بلا مبرر ولا مسوغ له في الكذب! ويستطيع كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرة قبل أن يخدعك كاذب الأقوال مرة واحدة! لأنه لا يكتفي بقول الزور بلسانه حتى يقيم على قضيته بينة كاذبة من جميع حركاته وسكناته! والحقيقة المرة أن الكذب خطير أمره! إذ ليس الكذب شيئاً يستهان به فهو أس الشرور ورذيلة الرذائل! فكأنه أصل ، والرذائل فرع له! بل هو الرذائل نفسها! وإنما يأتي في أشكال مختلفة! ويتمثل في صور متنوعة! منها النفاق والتكبر والفسق والنميمة! والمنافق كاذب لأن لسانه ينطق بغير ما في قلبه! والمتكبر كاذب لأنه يدعي لنفسه منزلة غير منزلته! والفاسق كاذب لأنه كذب في دعوى الإيمان ونقض ما عاهد الله عليه! والنام كاذب لأنه لم يتق الله في فتنته فيتحرى الصدق في نميمته! والمتملق كاذب لأن ظاهره ينفعك وباطنه يضرك! لقد هان على الناس أمر الكذب حتى أنك لتجد الرجل الصادق فتعرض على الناس أمره وتطرفهم بحديثه كأنك تعرض عجائب المخلوقات وتحدث بخوارق العادات! فويل للصادق من حياة نكدة لا يجد فيها حقيقة مستقيمة! وويل له من صديق يخون العهد ورفيق يكذب الود ومستشار غير أمين وجاهل يفشي السر وعالم يحرف الكلم عن مواضعه وشيخ يدعي الولاية كذباً وتاجر يغش في سلعته ويحنت في إيمانه وصحفي يتجر بعقول الأحرار كما يتجر النخاس بالعبيد والإماء ويكذب على نفسه وعلى الله وعلى الناس في كل صباح ومساء! وكذبه واضح ظاهر لا خفاء فيه! وصدق إبراهيم لنكون عندما قال: (تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت ، أو بعض الناس كل الوقت! ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت!) وصدق شيشرون حيث يقول: (الكاذب لا يصدق حتى ولو قال الصدق!) وصدق أرسطو حيث قال: (الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب!) نعم: الموت هنا يكون أفضل. وصدق فيكتور هوجو عندما قال: (يكره الناس من يضطرونهم إلى الكذب عليهم!) وصدق برنارد شو إذ قال: (ليست عقوبة الكذاب أن الناس لا يصدقونه ، بل إنه هو لا يستطيع إن يصدق الناس!) وصدق أندريه روسان إذ قال: (إن هناك لحظة فارقة في الحياة ، نكره فيها الكذب أشد الكره! إنها اللحظة التي يكذب فيها علينا أحدهم!) وصدقت أنجيلا ميركل إذ قالت: (إذا لم يستطع الإنسان أن يخترع كذبة مقنعة ، فأولى به أن يتمسك بالصدق.) والحقيقة أن الخداع لا يستمر طويلاً! فلقد انكشف الكذاب المخادع المراوغ! وما لبثت ورقة التوت - التي يضعها على عورته يسترها بها - أن بليت وسقطت! وبات مكشوفاً للقاصي والداني! فلا يمكنه أن يستر شيئاً ولا أن يستمر في الخداع والتجمل. ذلك الإنسان الذي كان

ينبغي أن يعيش بروح الشاعر. فلقد عمد إلي ذات يوم وطلب مني أن أعلمه الشعر ، واستمرت
علاقتنا عقداً من الدراسة والمناقشات والمساجلات. ولما اكتشفتُ في النهاية حقيقته المرة
أسفت على تضييع الجهد والوقت على رجل كنت أظنه شاعراً! أنشدتُ فيه هذه القصيدة!

هداديك ، هذا الحال مهزلة عظمى
خدعت جميع الناس تحسبهم غثا
نسجت - من الزيف المقيت - عيباءة
تجملت حتى قيل: هذا ممثّل
وأغريتنا - باللين والرفق - باذلاً
وحجّلت - في الإكرام والبذل - واسعاً
وأبديت للناس التفضل والفِدا
وكنت أباً يُعطي وينصح دائماً
وأسديت معروفأ تعاضم شأنه
وأشهرت - في لعن الطواغيت - حربة
وشاركنتي بغض الفراعين كلهم
ويُدلي بدلو لا يُشقق غبارها
وعاش لهذا الدين يُجلى مناره
ويبذل جهداً في النهوض بشانه
فكم فنّد التشكيك قلباً وقالباً!
وكم سخر الأشعار في الخير حسبة
وفاجأنا بالخذل تلفح نارُه
تنكّر للمعروف ، لم يعترف به
وجابه بالجحد الرذيل جمائلي
وكارثة دهيّا تجرّعنا الهما
وبارزت بالغش الأكابر والذهما
وأوسعت صدق القول بين الوري ذما
ولما تكن يوماً بما جنته شهما!
جمائل فيها الجود والعرف والنعمى
وأعزتنا كيفاً ، وأغرقتنا كماً
وسُقت لهم خيراً - بلا منة - جمأ
وكنت لمن يرجو الصفا والوفا أمأ
ولم تنتظر مدحاً ، ولم ترتقب غنماً!
تنوّد بها عن شرعة حقة عظمى
فقلت: أخو صدق أتى يُبعد الأزما
تبراً من (ليلى) ، وأعرض عن (سلمى)!
ويحفظه نصاً ، وينشره علماً
وإن له - في بذله للهدى - عزمأ
وكم غربل الإرجاف والغش والزعمأ!
يروم انتصار الحق ، ما أجمل الرؤمأ!
فياليت شعري ، ليته التزم السِلما
وأحرى به أن يلزم الصمت والبجما
وأشمت أعدائي ، وكان لي الشتما

وأبدلني من طيب القول سوءه
وأترع كأس الخذل ، لم يحفظ الإخا
وعادى ، فكان الخصم والسيف والوغى
ولم يحترم عهداً ، ولم يلتزم هدىً
وخلفني وحدي ألوك فجميعتي
وأنعي اختياري للمراوغ صاحباً
وعلمته الشعر الأصيل تقرباً
وعانيت في تثقيفه دون منة
وضاعفت جهدي كي أراه منظراً
هو الشعر بحر ليس يدرك عمقه
وهذا الذي صاحبت ليس بشاعر
فكان لزاماً أن أكون مصابراً
ودرسته عقداً ، فأثقل كاهلي
ودارت رحي التدريس شرقاً ، وغربت
فأودى بقرطاسي ، وأحرق عشريني
سلام على الدنيا إذا الخل خانني

ومن عزتي ذلاً ، ومن رفعتي ضيماً
وخاصم لم يخجل ، وناولني السماً
وصرت أنا - بعد الوداد - له خصماً
وخمّش أوجاعي ، وساق لي الوهما
وأستهجن الخذلان والغش والظلما
وعشت له شهماً ، وكان لي (الجهما)
إلى أن غدا - في نظم أبياته - نجماً
ولم أستطع للعلم في نشره كتماً
وأهديته الإقدام والجذ والخزماً
سوى من يجيد الغطس والصبر والعوما
وإن أتقن التقطيع والوزن والنظماً
ومن يبتلى بالخب قد يفقد الحلماً!
فحاز تراثاً صافياً جامعاً ضخماً
ونال بما أسديت - في قومه - إسماً
وأودعني الإيلام والضنك والغما
وباع قناعاتي ، ولم يكن الأسمى

الآن طاب الموت!

(قال الدكتور راغب السرجاني - حفظه الله - يصف السلطان سليمان القانوني - رحمه الله تعالى - ما نصه: (سليمان القانوني ابن سليم ، ويُعرف في الغرب بسليمان العظيم ، وهو أحد أشهر السلاطين العثمانيين ، حكم مدة 48 عامًا ؛ منذ عام 926هـ ، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حُكم بين السلاطين العثمانيين. قضى السلطان سليمان القانوني ستة وأربعين عامًا على قِمّة السلطة في دولة الخلافة العثمانية ، وبلغت في أثنائها الدولة قِمّة درجات القوّة والسلطان ؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحوٍ لم تشهد من قبل ، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث ، وامتدّت هيبتها فشملت العالم كلّهُ ، وصارت سيدة العالم ؛ تخطبُ ودّها الدول والممالك ، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تُسيّر الحياة في دقّة ونظام ، دون أن تُخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم ، وارتقت فيها الفنون والآداب ، وازدهرت العمارة والبناء. فأما والده فالسلطان سليم الأول ، ووالدته حفصة سلطان ابنة منكولي كراني خان القرم ، وُلد سليمان القانوني في مدينة طرابزون عام (900هـ - 1495م). وقد كان والده آنذاك واليًا عليها ، واهتمّ به والده اهتمامًا عظيمًا ؛ فنشأ محبًا للعلم والأدب والعلماء والأدباء والفقهاء ، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار. تولّى السلطان سليمان القانوني الخلافة بعد موت والده السلطان سليم الأول في (9 من شوال 926هـ - 22 من سبتمبر 1520م) ، وبدأ في مباشرة أمور الدولة ، وتوجيه سياستها ، وكان يستهلّ خطباته بالآية الكريمة: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ، وقد كانت الأعمال التي أنجزها السلطان في فترة حكمه كثيرة وذات شأن في حياة الدولة. ففي الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة ، والضرب على أيدي الخارجين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال ، معتقدين أن صغر سنّ السلطان - الذي كان في السادسة والعشرين من عمره - فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم ، لكن فاجأتهم عزيمة السلطان القويّة التي لا تلين ، ففضى على تمردّ جان بردي الغزالي في الشام ، وأحمد باشا في مصر ، وقلندر جلبي في منطقتي قونية ومرعش ؛ الذي كان شيعيًا ، وقد جمع حوله نحو ثلاثين ألفًا من الأتباع للثورة على الدولة. ولقد تعدّدت ميادين القتال التي تحرّكت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان ؛ فشملت أوروبا وآسيا وإفريقيا ؛ فاستولى على بلجراد سنة (927هـ - 1521م) ، وحاصر فيينا سنة (935هـ - 1529م) ؛ لكنه لم يُفلح في فتحها ، وأعاد الكرة مرّة أخرى ، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى ، وضمّ إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست ، وجعلها ولاية عثمانية. وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية ؛ ابتدأت من سنة (941هـ - 1534م) ، وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضمّ العراق إلى سيطرة الدولة العثمانية ، وفي الحملة الثانية سنة (955هـ - 1548م) أُضيف إلى أملاك الدولة تبريز ، وقلعتا: وان وأريوان ، وأمّا الحملة الثالثة فقد كانت سنة (962هـ - 1555م) وأجبرت الشاه طهماسب على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول. كما واجه العثمانيون في عهده نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي ، فاستولى القائد أويس باشا والي اليمن على قلعة تعز سنة (953هـ - 1546م) ، ودخلت في عهده عُمان والأحساء وقطر ضمن نفوذ الخلافة العثمانية ، وأدت هذه السياسية إلى الحدّ من نفوذ البرتغاليين في مياه الشرق الأوسط. وفي إفريقيا دخلت ليبيا ،

والقسم الأعظم من تونس ، وإريتريا ، وجيبوتي ، والصومال ضمن نفوذ الخلافة العثمانية. وكانت البحرية العثمانية قد نمت نموًا كبيرًا منذ أيام السلطان بايزيد الثاني ، وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة ، وفي عهد سليمان ازدادت قوّة البحرية على نحو لم تشهده من قبل! وذلك بانضمام «خير الدين بربروس» ، وكان يقود أسطولاً قوياً يُهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط ، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب «قبودان». وقد قام خير الدين بفضل المساعدات التي كان يتلقاها من السلطان سليمان القانوني بضرب السواحل الإسبانية ، وإنقاذ آلاف من المسلمين في إسبانيا ؛ فقام في سنة (935هـ - 1529م) بسبع رحلات إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية. وقد أوكل السلطان إلى خير الدين بربروس قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط ، وحاولت إسبانيا أن تقضي على أسطوله ؛ لكنها كانت تُخفق في كل مرّة وتتكبّد خسائر فادحة ، ولعلّ أفسى هزائمها كانت معركة بروزة سنة (945هـ - 1538م). وقد انضمّ أسطول خير الدين إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسبورج ، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس (950هـ - 1543م) ؛ وهذا ما أدّى إلى تنازل فرنسا عن ميناء طولون الفرنسي برضاها للإدارة العثمانية ، وتحوّل الميناء الحربي لفرنسا إلى قاعدة حربية إسلامية للدولة العثمانية في غرب البحر المتوسط. واتّسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمّل البحر الأحمر ؛ حيث استولى العثمانيون على سواكن ومصوع ، وأخرجوا البرتغاليين من مياه البحر الأحمر ، واستولوا على سواحل الحبشة ؛ وهو ما أدّى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية. وكان السلطان سليمان القانوني شاعرًا له ذوق فني رفيع وخطاطًا يُجيد الكتابة ، وملمًا بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية ، وكان له بصير بالأحجار الكريمة ، مغرمًا بالبناء والتعمير والتشييد فظهر أثر ذلك في دولته ، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى ؛ فشيّد المعامل والحصون في رودس وبلجراد وبودا ، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتّى أنحاء الدولة ، وبخاصة في دمشق ومكّة وبغداد! بالإضافة إلى ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة. ويؤكد الباحث جمال الدين فالح الكيلاني - باحث عراقي متخصص في الدراسات التاريخية - أن عصر السلطان سليمان القانوني يُعتبر العصر الذهبي للدولة العثمانية ؛ حيث كانت الدولة الأقوى في العالم والمسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي ؛ كالمهندس سنان باشا ؛ الذي اشترك في الحملات العثمانية ، واطّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص. ويُعدّ مسجد سليمان القانوني أو جامع السلمانية في إسطنبول - الذي بناه للسلطان سليمان في سنة (964هـ - 1557م) من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي. وفي عهده وصل فنّ المنمنمات (أي الرسوم) العثمانية إلى أوج ازدهارها ، وقد قدّم «عارفي» وثائق الحوادث السياسية والاجتماعية التي جرت في عصر سليمان القانوني في منمنمات زاهية ، ولمع في هذا العصر عدد من الخطّاطين العظام ؛ يأتي في مقدّمتهم حسن أفندي جلبي القره حصاري ؛ الذي كتب خطوط جامع السلمانية ، وأستاذه أحمد بن قره حصاري ، وله مصحف بخطّه ، وهو يُعدّ من روائع الخطّ العربي والفنّ الرفيع ، وهو محفوظ بمتحف «طوبي قابي». وظهر في عهد السلطان سليمان عدد من العلماء في مقدّمتهم: أبو السعود أفندي ؛ صاحب التفسير المعروف باسم: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». القانون والإدارة الذي اشتهر به السلطان سليمان القانوني واقترن باسمه هو وضعه

للقوانين التي تُنظَّم الحياة في دولته الكبيرة ؛ هذه القوانين وضعها مع شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته ، وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية ، وقد ظلت هذه القوانين - التي عُرفت باسم «قانون نامه سلطان سليمان» ؛ أي دستور السلطان سليمان - تُطبَّق حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي. ولم يُطلق الشعبُ على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين ؛ وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة ؛ ولهذا يعدُّ العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوربيون على سليمان في عصره - مثل: الكبير ، والعظيم - قليلة الأهمية والأثر إذا ما قُورنت بلقب «القانوني» ، الذي يُمثِّل العدالة. ولم يكن عهد سليمان القانوني العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع ، وإنما هو العهد الذي تمتَّت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري. ولم يترك السلطان سليمان القانوني الجهاد قط ، وفي أواخر أيامه أصابه مرض النَّقْرَس ، فكان لا يستطيع ركوب الخيل ؛ ولكنه كان يتحامل - رحمه الله - إظهاراً للقوَّة أمام أعدائه ، وقد بلغ السلطان سليمان القانوني من العمر 74 عامًا ، ومع ذلك عندما علم بأن ملك الهابسبرج أغار على ثغر من ثغور المسلمين ؛ قام السلطان سليمان القانوني للجهاد من فورهِ! ومع أنه كان يتألَّم من شدَّة المرض ، فإنَّهُ قاد الجيش بنفسه ، وخرج على رأس جيش عرمرم في (9 من شوال 973هـ - 29 من أبريل 1566م) ، ووصل إلى مدينة سيكتوار المجرية ، وكانت من أعظم ما شيَّده المسيحيون من القلاع ، وكانت مشحونة بالبارود والمدافع ، وكان قبل خروجه للجهاد نصحه الطبيب الخاص بعدم الخروج لعلَّة النَّقْرَس التي به. فكان جواب السلطان سليمان الذي خلده له التاريخ: «أحب أن أموت غازياً في سبيل الله». سبحان الله! هذا السلطان كان قد بلغ من الكبر عتياً ، وكان يملك تحت قبضته نصف الدنيا ، وملوك الأرض طوع بنانه ، وكان بإمكانه التمتع بحياة القصور ، والتنقُّل بين الغرف والاستمتاع بالملذَّات ، ومع ذلك أبى إلا أن يخرج غازياً في سبيل الله. وخرج بالفعل على رأس جيشه ، وما كان يستطيع أن يمتطي جواده ؛ لازدياد علَّة النَّقْرَس عليه ، فكان يُحمَل في عربة ؛ حتى وصل إلى أسوار مدينة سيكتوار ، وابتدأ في حصارها ، وفي أقلِّ من أسبوعين احتلَّ معاقلها الأمامية ، وبدأ القتال واشتدَّ النزال ، وكان أصعب قتال واجهه المسلمون ؛ لمتانة الأسوار ، وضراوة المسيحيين في الدفاع عن حصنهم. واستمرَّ القتال والحصار قرابة خمسة شهور كاملة ، وما ازداد أمر الفتح إلا صعوبة ، وازداد همُّ المسلمين لصعوبة الفتح ، وهنا اشتدَّ مرض السلطان ، وشعر بدنوَّ الأجل ، فأخذ يتضرَّع إلى الله تعالى ، وكان من جملة ما قاله: «يا رب العالمين ؛ افتح على عبادك المسلمين ، وانصرهم ، وأضرم النار على الكفار». فاستجاب الله دعاء السلطان سليمان ، فأصاب أحد مدافع المسلمين خزانة البارود في الحصن ، فكان انفجاراً مهولاً ، فأخذت جانباً كبيراً من القلعة فرفعت إلى عنان السماء ، وهجم المسلمون على القلعة ، وفتحت القلعة ، ورُفعت الراية السليمانية على أعلى مكان من القلعة. وعند وصول خبر الفتح للسلطان فرح ، وحمد الله على هذه النعمة العظيمة ، وقال: «الآن طاب الموت ، فهنيئاً لهذا السعيد بهذه السعادة الأبدية ، وطوبى لهذه النفس الراضية المرضية ، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه». وتخرج روحه الطاهرة إلى بارئها ، إلى جنة الخلد - إن شاء الله - في (20 من صفر 974هـ - 5 من سبتمبر 1566م). وأخفى الوزير محمد باشا نبأ وفاة السلطان! حتى أرسل لولي عهده السلطان سليم الثاني ، فجاء وتسلَّم مقاليد السلطنة في سيكتوار ، ثم دخل إسطنبول ومعه جثمان أبيه الشهيد ، وكان يوماً مشهوداً لم يُرى مثله ، إلا في وفاة

السلطان محمد الفاتح ، وعلم المسلمون خبر وفاة السلطان سليمان القانوني ، فحزنوا أشدَّ الحزن ؛ أمَّا على الجانب الأوربي ؛ فما فرح المسيحيون بموت أحدٍ بعد بايزيد الأول ومحمد الفاتح كفرحهم بموت السلطان سليمان القانوني المجاهد الغازي في سبيل الله ، وجعلوا يوم وفاته عيدًا من أعيادهم ، ودقَّت أجراس الكنائس فرحًا بموت مُجدِّد جهاد الأمة في القرن العاشر - رحمه الله - الخليفة سليمان الأول أو سليمان القانوني (926-974هـ) بلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت ، واشتهر بسليمان القانوني ، لأنه وضع نظامًا داخلية في كافة فروع الحكومة ، فأدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه محمد الفاتح ، وجعل أكبر الوظائف العليا وظيفه المفتي ، وأدخل التنظيمات الدقيقة على جيش الإنكشارية ، وكانت كلها في ضوء الشريعة الإسلامية ، ولم تكن مستمدة من القوانين الوضعية كما قد يتبادر إلى الأذهان. ومن جهة أخرى تورد حكام الشام: فما إن وصل خبر موت السلطان سليم الأول إلى جانبرد الغزالي إلا وأعلن تمرده ، وعرض على حاكم مصر أن يحدو حذوه فخدعه حاكم مصر بإبداء الموافقة ، وفي نفس الوقت كان يطلع الخليفة سليمان على كل ما يرمى إليه حاكم الشام ، وبدأ حاكم الشام في تنفيذ تمرده بمحاصرة حلب ، ولكن بمجرد وصول الجيوش العثمانية إلى حلب ، ولَّى حاكم الشام الأدبار ثم تحصن بدمشق وواجه الجيوش العثمانية فهزم ، وحاول أن يفر متنكرًا فسلمه أحد أعوانه للعثمانيين فقتلوه. في بلاد فارس (الدولة الصفوية): في عام 941هـ دخل العثمانيون تبريز للمرة الثانية ، ومنها اتجهوا إلى بغداد فضمت إلى أملاك الدولة العثمانية ، وفي عام 954هـ طلب أخو الشاه الصفوي مساعدة السلطان ضد أخيه ، فدخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة. في بلاد العرب: احتدم الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي على المسلمين ، فبعدهما استولوا على آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس ، وعاهدوا المسلمين على أن يكفلوا لهم الحرية الدينية وممارسة الشعائر ، لكنهم سرعان ما أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق ، فأخذت محاولات التنصير الضارية تنهمر على المسلمين في الأندلس ، مستعملين في ذلك كل الوسائل من إبادة وتشريد وهتك للأعراض واستعباد ، وغيرها من الوسائل التي يعجز القلم عن وصفها ، فهم المسلمون في الأندلس على وجوههم ، منهم من لحقته الإبادة ، ومنهم من ذاب في المجتمع النصراني ، ومنهم من استطاع أن يفر بدينه ليهاجر للأمصار الإسلامية. ولم يكتف الأسيبان والبرتغاليون بالأندلس ، فبعد أن استتب لهم الأمر فيها اتجه الأسيبان نحو الأمصار الإسلامية الأخرى ليعيدوا المأساة فيها ، واحتلوا بعض المراكز في شمال إفريقيا مثل طرابلس والجزائر وبنزرت ووهران وغيرها. فأرادت الدولة العثمانية تحرير شمال إفريقيا من الأسيبان ، ثم الاتجاه للأندلس ولم شمل المسلمين. وماذا عن خير البحارة خير الدين وأخوه عروج: في عهد السلطان سليم الأول ظهر أحد البحارة الذين لهم صفحات لامعة في التاريخ الإسلامي ، وهو البحار خير الدين الذي كان قرصانًا نصرانيًا في جزر بحر إيجة ثم اعتنق الإسلام هو وأخوه عروج ، ونذرا نفسيهما لخدمة الإسلام ، وكانا ينتقمان من القرصنة النصارى الذين كانوا يعترضون السفن المسلمة ويسترقون ركابها وينهبون خيراتها ، فكانا بالمثل يعترضان سفن النصارى ويبيعان ركابها عبيدًا ، ثم في عهد السلطان سليم الأول أرسل إليه إحدى السفن التي أسروها ، فقبلها منهما فأعلنا طاعتها وخدمتهما للعثمانيين. وانطلقا يطهران شواطئ إفريقيا من الصليبيين ، فحرر عروج مدينة الجزائر ومدينة تلمسان ، وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول ، فعين خير الدين واليًا على الجزائر ، وبالتالي ضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية.

وأرسل السكان المسلمون إلى الخليفة يستغيثونه بعد احتلال الأسبان لطرابلس ، فأرسل إليهم قوة بحرية صغيرة عام 926هـ بقيادة مراد أغا ولكنه فشل في تحريرها ، فأرسل الخليفة الأسطول العثماني بقيادة طورغول بك فحرر المدينة من الأسبان وطردهم شر طردة ، وواصل تحرير المدن الإسلامية من وطأتهم فحرر بنزرت ووهران ، وغزا ميورقة (إحدى جزر البليار جنوب شرقي أسبانيا) وكورسيكا ، وبذلك غدت طرابلس الغرب (ليبيا) ولاية عثمانية. ودعا الخليفة سليمان البحار خير الدين وأمره بالاستعداد لغزو تونس وتحريرها من ملكها الحفصي ، الذي اشتهر بميله إلى شارلكان الملك النصراني شديد العداوة للإسلام ، فأعد خير الدين العدة وبنى أسطولاً كبيراً لهذا الغرض ، وسار من مضيق الدردنيل قاصداً تونس ، وفي طريقه أغار على مالطة وجنوبي إيطاليا للتمويه ، ولكيلا يعرف مقصده الأساسي ثم وصل تونس ، وبمنتهى السهولة سيطر عليها وعزل السلطان حسن الحفصي ووضع مكانه أخاه ، فاشتاق شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد أوربا ، وصمم على استعادة نفوذه في تونس وإعادة ملكها العميل المخلص له ، فقاد شارلكان الجيوش بنفسه ، وتمكن من دخول تونس وترك الحرية لجنوده في النهب والقتل وهتك الأعراس وهدم المساجد والسبي والاستعباد ، وأعاد السلطان حسن الحفصي للحكم بعد أن أجبره على التنازل له عن مدن بنزرت وعنابة وغيرها ، واضطر خير الدين إلى الانسحاب من تونس. وكما ذكرنا من قبل الخطر الذي بدأ يظهر من قبل البرتغاليين واحتلالهم لبعض المواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومواصلة الزحف لنشب قبر الرسول ، هذا بالإضافة إلى خطرهم على بلاد الهند التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطان المغول المسلمين. أمر الخليفة سليمان بتجهيز أسطول للسيطرة على الجزيرة العربية وتطهيرها من البرتغاليين ، فتمكن العثمانيون من ضم اليمن وعدن ومسقط ومحاصرة جزيرة هرمز ، وبالتالي أغلقوا الأبواب في وجه البرتغاليين وأهدافهم الدنيئة ، وفي نفس الوقت استنجد المغول المسلمون بالسلطان سليمان من البرتغاليين الذين احتلوا بعض سواحل الهند ، فأرسل إليهم أسطولاً تمكن من تحرير بعض القلاع من البرتغاليين ، ولكن الأسطول العثماني هزم في معركة ديو البحرية ، فاضطر إلى الانسحاب وخاصة بعدما حاول الأعداء إثارة الفتن وإشاعة أن العثمانيين يريدون ضم الهند. وعندما سمع البحار خير الدين وأخوه عروج بما حدث للمسلمين قاما لنجدة إخوانهم في الأندلس ، وكانت سفنهم تتجه إلى شواطئ الأندلس لتحمل المسلمين الفارين بدينهم من محاولات الإبادة والتنصير الإسبانية إلى الأمصار الإسلامية ، وفي نفس الوقت أراد أن ينتقم لمسلمي الأندلس من نصارى أوربا بصفة عامة ونصارى إسبانيا بصفة خاصة ، والذين اشتركوا جميعاً وباركوا إبادة المسلمين في الأندلس. فأغار على الكثير من شواطئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وزج في سفنه بالكثير من أهالي هذه البلاد تمهيداً لبيعهم عبيداً في الأمصار الإسلامية ، ليعلمهم أن المسلمين بقدر سماحتهم وعفوهم ، فهم قادرون على الانتقام لإخوانهم ، وكان قد صب تركيزه على إسبانيا بعد أن عقدت معاهدة بين العثمانيين وفرنسا. وانتصر خير الدين بعد انسحابه من تونس على أسطول شارلكان في عام 944هـ ، وحاول فتح جزيرة كريت ولكنه فشل في فتحها. واستغل الخليفة انشغال أوربا بالحروب كحروب شارلكان ملك النمسا مع ملك فرنسا فرانسوا وأيضاً الخلاف المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت واتجه لفتح جزيرة رودس ، وتمكن بالفعل من فتحها عام 929هـ ، وفر فرسان القديس يوحنا من رودس إلى جزيرة مالطة ، التي أهداها لهم شارلكان ملك النمسا. تحويل القرم إلى ولاية عثمانية: وقع الخلاف بين التتر المسلمين الذين يحكمون

القرم ، والتي تعترف بسيادة الدولة العثمانية ، فتدخلت الدولة العثمانية وجعلتها ولاية عثمانية عام 939هـ. وقرر السلطان سليمان أن يجعل ولاية الأفلاق ولاية عثمانية ، فدخلها عام 931هـ. ودخل عاصمتها بخارست ، ولكن الأعيان فيها ثاروا بمساعدة أمير ترانسلفانيا ، وعينوا أميراً جديداً فوافق الخليفة في مقابل زيادة الجزية. تحالف العثمانيين مع فرنسا: اشتد خطر شارلكان ملك النمسا على فرنسا ، وخاصة بعدما أحاط بها من جميع الجهات ، فقد ضم إليه إسبانيا وأجزاء كبيرة من إيطاليا وهولندا وألمانيا ، فاقترح ملك فرنسا على الخليفة سليمان القانوني أن يهاجم شرق مملكة شارلكان ، في حين يهاجم ملك فرنسا من الغرب ، فاقترح الخليفة بالفكرة. وأرسل الخليفة إلى ملك المجر يأمره بدفع الجزية ، فقتل الملك رسول الخليفة. فجهز الخليفة جيشاً قاده بنفسه وسار ففتح بلغراد عام 927هـ بعد أن كانت أكبر مانع للعثمانيين لدخول بلاد المجر. وسار الخليفة بنفسه ومعه جيش قوامه 100.000 جندي و300 مدفع و800 سفينة في نهر الدانوب جنوب بلاد المجر ، جاعلاً بلغراد قاعدته الحربية ففتح عدة قلاع في أثناء مسيرته ، واستطاع أن يفتح عاصمتها بودا في عام 932هـ بعد أن هزم ملك المجر وفرسانه والتقى بأعيان البلاد ، اتفق معهم على تعيين جان زابولي ملك ترانسلفانيا ملكاً على المجر. وادعى أخو الملك شارلكان فرديناند سلطته على المجر واستطاع أن يحتل عاصمتها بودا ، فاستنجد ملكها جان زابولي بالخليفة ، فانقضت الجيوش العثمانية على بودا التي فر منها فرديناند فتبعته الجيوش المظفرة وحاصرت عاصمة النمسا ويانه (فيينا) ، وأحدثت ثغراً في أسوارها إلا أن الذخيرة نفذت منهم وأقبل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى بلاده. وفي عام 938هـ حاول ملك النمسا احتلال بودا ولكنه لم يستطع ، فسار إليه الخليفة في العام الثاني ، ولكنه رجع عندما علم باستعدادات شارلكان. فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين ثار الرأي العام في أوروبا على تحالف فرنسا النصرانية مع الدولة العثمانية المسلمة ضد شارلكان ومملكته النصرانية ، فما كان من فرانسوا ملك فرنسا إلا أن عقد هدنة مع ملك النمسا ونقض التحالف مع العثمانيين ، فاستغلت النمسا الفرصة وأعدت الكرة في الحروب مع العثمانيين ولكنها انهزمت عام 943هـ. تحريض أمير البغدان على العثمانيين قام أخوا الملك شارلكان بتحريض أمير البغدان على الدولة العثمانية ، فأعلن تمرده فتمكن منه العثمانيون وعينوا أخاه أصطفان أميراً للبغدان ، وعززوا الحماية العثمانية فيها. مواصلة الحروب مع النمسا اقتنع زابولي ملك المجر بفكرة فرديناند في اقتسام المجر ، وإلغاء الحماية العثمانية عليها ، وأرسل فرديناند صورة من الاتفاق السري بينهما للخليفة ليعلمه بعدم ولاء زابولي له ، وقبل أن يعاقب الخليفة الملك زابولي كان الموت أسرع إلى زابولي عام 946هـ ، فاستغل فرديناند الفرصة ليحتل المجر فاحتل مدينة بست (على الضفة الأخرى لنهر الدانوب والمواجهة لمدينة بودا واللتان اندمجتا معاً لتكونا العاصمة الحالية للمجر بواديست) ، فانقض عليهم الجيش العثماني عام 947هـ ففر النمساويون. وبهذا أصبحت المجر ولاية عثمانية ، ورضيت أرملة زابولي بذلك حتى يكبر ابنها الذي ما زال طفلاً ، وأخيراً عقدت معاهدة بين العثمانيين والنمسا لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية مقابل ما بقي تحت يديها من المجر. واستمر الأوروبيون النصارى في نقض العهود فتنازلت إيزابيلا أرملة زابولي عن ترانسلفانيا لفرديناند ، وبذلك نقض العهد بين العثمانيين والنمسا ، فأسرعت الدولة العثمانية بالسيطرة على ترانسلفانيا عام 957هـ. وأرادت الدولة العثمانية استمالة أحد الأطراف الصليبية إليها حتى تفرق وحدتهم ضدها ، فعقدت مع فرنسا اتفاقية في عام 942هـ ، ولكنها شملت

الكثير من الامتيازات لفرنسا التي سببت مشاكل كثيرة للعثمانيين حتى سقطت الخلافة ، خاصة وأن الكثير ممن خلفوا الخليفة سليمان قد تبعوه في منح الامتيازات التي جعلت للأجانب دولة داخل الدولة العثمانية ، وجعلت القنصل يحكم بقوانين بلاده في الدولة العثمانية في كل ما يتعلق بالرعايا الفرنسيين ، ومن أمثالها: ألا تسمع الدعاوى المدنية للسكان المسلمين ضد تجار ورعايا فرنسا ، ولا يحق لجباة الخراج إقامة دعاوى عليهم ، وأن يكون مكان دعواهم عند الصدر الأعظم لا عند أي محكمة كباقي الشعب ، وإذا خرج فرنسي من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يسأله أحد عنها ، وتكون في طي النسيان ، وغيرها من الامتيازات التي جعلت لهم نفوذاً كبيراً في أنحاء الدولة ، وبمرور الزمن أصبحوا يعيشون في أرض يباح لهم فيها فعل كل ما يريدون من استحلال للمنكرات والفجور ، ولا يستطيع أحد أن يكلمهم ، بل قيل إن سجونهم التي كانت تدار بواسطة بلادهم في الدولة العثمانية كانت عبارة عن قصور ، بها ما لذ وطاب من الجوارى والخمر وغيرها. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذت كل دولة أجنبية تطالب بامتيازات لها في الدولة العثمانية كلما قوي أمرها ، ليزداد الخناق على الدولة العثمانية من الداخل ، إضافةً إلى الخناق المفروض عليها من الخارج والمتمثل في الحروب. ولقد أسر التتر المسلمون في القرم - في إحدى غاراتهم على الروس - فتاة بالغة الجمال تدعى روكسلان ، فأهدوها إلى الخليفة الذي اتخذها زوجة له ، وقيل إنها كانت يهودية روسية ، فعكفت على التدخل في شئون الحكم ، فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس مع المسلمين بالاستيطان في أرجاء الدولة العثمانية ، والذين يطلق عليهم يهود الدونمة ، والذين لم يحفظوا الجميل للعثمانيين بعد أن رفضهم العالم وضافت بهم الأرض بما رحبت ، فلم يجدوا إلا الدولة العثمانية تفتح لهم أحضانها ، وتظلم بظلمها ، والذين سيكون لهم دور رئيسي فيما بعد في سقوط الخلافة العثمانية ، وتوسطت أيضاً لدى الخليفة ليمنع التتر في القرم من محاربة الروس ، برغم أن الروس في ذلك الوقت كانوا قد سيطروا على أكثر بلاد التتر ، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم التي تدل على حربهم الصريحة للإسلام. ولم تكتف روكسلان بذلك ، بل اجتهدت لتولي ابنها من السلطان سليمان - والذي سمّي بسليم - الخلافة بعد أبيه برغم وجود أخيه الأكبر مصطفى القائد العظيم الذي حظي بحب الجيش والشعب له ، فقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعِين) بواسطتها وهو في نفس الوقت (زوج ابنتها من السلطان)! فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه ، وكتب إليه يحذره أن ابنه مصطفى يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطنة فخرج إليه الخليفة ، وكان مصطفى يحارب الدولة الصفوية فاستدعاه أبوه إلى خيمته ، فما إن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فخنقوه ، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع. ثم توفي الخليفة سليمان عام 974هـ ، وتولى بعده: الخليفة سليم الثاني).هـ. وأما عن سليمان القانوني المفترى عليه ، فقد كتب عنه وعن فضله ومناقبه الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لقد كان السلطان سليمان القانوني رجلاً عظيماً وقائداً مغواراً: فمنذ 1538 أمر السلطان سليمان بمحاربة البرتغاليين أينما كانوا ، وكان يرسل سفنه في كل مكان للدفاع عن أي مستغيث به حتى قام بتأمين كثير من المدن الإسلامية. وبانضمام القائد خيرالدين باربروسا إلى البحرية العثمانية استطاع السلطان أن يؤسس أقوى الأساطيل البحرية ، التي استطاعت أن تقلل من هجمات شارل الخامس وأمنت شمال إفريقيا تونس والجزائر وبعضاً من المغرب ، واستطاع إنقاذ آلاف المسلمين من قبضة الأسبان قيل بلغ عددهم 70 ألفاً. ولقد بقي السلطان سنة كاملة لم يرجع إلى قصره حتى حرر بغداد من

الصفويين ، وإني أنصح باقتناء كتاب "سلطان الشرق العظيم سليمان القانوني" ، وهو من تأليف هارلود لامب وقد ترجم إلى العربية ، وهو كتاب ممتع ومفيد).هـ. وأما روكسلان زوجة سليمان القانوني المفترى عليها ، فقد كتب عنها وعن فضلها ومناقبها الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لم يكن في ظنّ ميرال أوكاي ، التي ولدت في أنقرة سنة 1959م ، وهي كاتبة سيناريو مسلسل القرن العظيم أو ما ترجم عند العرب "بحريم السلطان" ، والذي أثار ضجة كبيرة في تركيا حتى أوصلت بعض المتحمسين الأتراك إلى التظاهر أمام القناة التركية المنتجة. وكتبت الصحف عنه كثيراً من المقالات خاصة حول شخصية أم السلطان سليم الثاني "روكسلان" ، التي ظهرت في المسلسل بشكل غير لائق بها ولا يمت إلى تاريخها ولا حقيقتها بصلة ، ولكن السيناريست "أوكاي" أخذت ما كتبه الأعداء عنها ولم يكتبه أحد من مؤرخي الدولة العثمانية فنسجت من خيالها هذا الدور الفظيع. والكاتبة أيضاً ليست مؤرخة ولا علاقة لها بتاريخ بني عثمان ، ولكنها كانت تنفذ ما يطلبه منها المنتج والمخرج لهدف الإثارة والترويج ولو على حساب الحقيقة التاريخية. وهي ليست بدعا من الكتاب ، بل أغلب مؤلفي القصص التاريخية يفعلون مثل فعلها عندما يكون نصب أعينهم حاجة المنتجين للربح وترويج أعمالهم التاريخية وإلا ستكون خسارتهم فادحة ، ولا ألومهم على ذلك وإنما ألوم من يصدق هذا التاريخ ويعتقد أنه حقيقة! وأما "روكسلان" أو "روكسانة" الجارية الأوكرانية ، التي عرفت بخرم سلطان أصبحت والدّة لرجل يعدّ من أعظم السلاطين العثمانيين وهو سليم الثاني ، ولها أفضل كثيرة وأوقاف وأعمال خيرية ، منها إكمال عيون زبيدة التي بدأتها زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، حيث وصل إلى علمها أنّ المياه صارت شحيحة لأهل مكة ، فأمرت بإكمال العيون حتى تصل إلى مكة المكرمة ، وقد قامت أيضاً ببناء مستشفيات ومبرات وأعمال خيرية ومساجد في تركيا وفلسطين ومكة وغيرها من بلاد المسلمين ، ولا يزال هناك مخطوطات ومصاحف تحمل اسمها أوقافاً لطلبة العلم والمساجد ، فهل يصح أن تسمى هذه المرأة الصالحة بالأفعى اليهودية كما ينعتها بعض من لا علم لديه؟ وهل نصدق ما يظهره هذا المسلسل عنها؟ الجواب: لا! ولن نقبل بتشويه هذا التاريخ العظيم لمجرد هوى كاتبة لا تعرفه ، هذا وقد توفيت هذه المرأة الجليلة في 18 إبريل من عام 1558م رحمها الله تعالى. ولا أدري ما سر إصرار بعض المؤرخين الغربيين على تشويه صورة والدّة سليم الثاني ، وقد يكون هناك أسباب خفية منها أن سليم الثاني قام بأعمال عظيمة في إيقاف التوغّل الأوروبي ، حتى ضربت جيوشه البرتغاليين في الشرق الأقصى وقام بتأمين كثير من البلدان الإسلامية الخاضعة لسلطانه ، مفوتاً فرصة كبيرة على الطامعين الأوروبيين وغيرهم ، أم هي الادعاءات البغيضة على سلاطين الإسلام حتى تبقى صورة المسلمين مشوهة أمام العالم المتقدم! وبهذا يستطيعون التشكيك في الإسلام نفسه!).هـ. وتحت عنوان: (القصة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان القانوني - مرارة الواقع ودراما كاذبة - وليس كما حرفها الكفار وجعلوا مسلسل حريم السلطان هي الرواية ، فقد كتب الأستاذ صلاح أبو دية ما نصه: (إنها قصة من تاريخنا المشرف العظيم ، وللأسف كثير منا لا يعرف هذا التاريخ ، والأغرب أن قصتنا اليوم عن ملك هو من أعظم ملوك الإسلام وأعظم سلاطين الأرض على مر العصور ، يكفي أن أقول بأن دولته ومملكته هي الأكبر والأقوى والأعظم في تاريخ البشرية باستثناء ملك سليمان! تخيل أن 99 بالمئة من المسلمين لا يعلمون شيء عن هذا السلطان ولا حتى يعلمون اسمه! إنه السلطان سليمان القانوني من خلفاء الدولة العثمانية وهو من أعظم سلاطين الإسلام وأعدلهم وأكثرهم

جهاداً! وللأسف الشديد شُوهِت صورة الدولة العثمانية من الغربيين والمناهج التعليمية لصرف أمة الإسلام عن عظيم تاريخها! أما السلطان سليمان القانوني فهو أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا - فلقد وصلت جيوش المسلمين في عهده إلى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين! فهو بذلك مجدد جهاد الأمة في القرن العاشر! أقام السنّة وأحيا الملة وقمع البدعة والروافض! صاحب انتصار المسلمين في معركة موهاكس التي كانت من أيام الله الخالدة ، وتُعد غرة المعارك الإسلامية في شرق أوروبا بعد معركة وبوليس وفتح القسطنطينية - وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبّة ورهبة في قلوب النصارى وأشدّهم خطراً عليهم ، وكان من خيار ملوك الأرض! حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة ، وامتدت دولة الخلافة الإسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع ، وتمتلك أعلى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات! يقول المؤرخ الألماني هالمير: "كان هذا السلطان أشد خطراً علينا من صلاح الدين نفسه". ويقول المؤرخ الإنجليزي هارولد: "إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى". فمن كان السلطان سليمان الأول "القانوني"؟ إنه عاشر سلاطين الدولة العثمانية وثاني خليفة للمسلمين في الدولة العثمانية - وُلد السلطان سليمان خان الأول بن السلطان سليم الأول عام 900هـ - كان طويل القامة حسن الوجه - وكان أبوه هو السلطان سليم الأول الذي ضم مصر والشام للدولة العثمانية - والذي تنازل له آخر خليفة عباسي في القاهرة عن الخلافة وأرسل له مفاتيح الحرمين - وأصبح أول خليفة من الدولة العثمانية ولُقب بخادم الحرمين الشريفين. وكان ميلاد السلطان سليمان الأول - رحمه الله - خير وبركة على الأمة الإسلامية واستبشر به المسلمون خيراً - وظل السلطان سليمان الأول - رحمه الله - في كنف أبيه السلطان سليم يربيّه ويرعاه ويدربه على أمور السياسة والحكم - فكان أميراً على بعض الولايات في الأناضول أثناء خلافة أبيه ، وظل على ذلك الأمر حتى توفي أبوه السلطان سليم الأول عام 926هـ ، وتولى الخلافة سليمان الأول ودخلت الدولة الإسلامية في عهد جديد ، عهد السلطان الفاتح الغازي المجاهد سليمان الأول! تولى السلطان سليمان الأول الخلافة وهو ابن 26 سنة! - وكان أول شيء فعله السلطان سليمان - رحمه الله - أنه أقام السنّة وأعلى منارها وقمع البدعة وأهلها وقضى على الروافض وأحيا الملة ونشر العدل في ربوع الدولة الإسلامية فاستبشر الناس خيراً بعهده وكان السلطان سليمان يستفتح رسائله بقول الله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) تيمناً بنبي الله سليمان - حتى قال عنه المؤرخون إنه "سليمان زمانه"! لكثرة جنده ولعظيم هيئته ولنفاذ أمره في ملوك الأرض ، ولإقامته للسنّة ولجهاده ضد النصارى ، وأجمع المؤرخون من المسلمين وغيرهم أن ذروة مجد الدولة العثمانية وأعظم أيامها كان في أيام السلطان سليمان القانوني - وأنه كان آخر سعد الدولة العثمانية - وكان رحمه الله رؤوفاً برعيته ، وترأف بحال الناس فأطلق سراح 600 مسجون من مأسوري مصر. وردع الظالمين عن المظالم ، وردع أهل الشرور والمفاسد ، وأمن الناس في أيامه وانتشر العدل في سائر الأركان ، واندثر الظلم ، واجتهد رحمه الله في أول جلوسه في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين! وعمل السلطان سليمان تعديلات إدارية في إدارة الدولة الإسلامية وشؤون أفرادها من مختلف الديانات والجنسيات والأعراق والأقليات ، فجلب السلطان سليمان العلماء الربانيين ، وجلس معهم ووضع قوانين إدارية مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وبالفعل كان من أهم أعمال السلطان سليمان الإدارية أنه وضع قانون الدولة العثمانية المسمى "قانون سليمان

نامته" أي "قانون السلطان سليمان"! وكان الذي شاركه في وضع تلك القوانين من القرآن والسنة هو العالم الجليل أبو السعود أفندي المفسر الكبير وصاحب التفسير العظيم "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المشهور بـ "تفسير أبي السعود". فانظروا كيف كان حكام المسلمين يستعينون بالعلماء ولا يستغنون عن مشورتهم ، وجعل السلطان سليمان منصب الفتوى أعلى المناصب قاطبةً بعد منصب الخلافة! وبعد وضع تلك القوانين الإدارية التي تحكم الدولة الإسلامية ، شرع السلطان سليمان في تطبيقها بكل عدل ومساواة وبكل حزم - فكما قيل: الحزم سياج العدل! ومن هنا جاءت تسمية السلطان سليمان الأول بـ"القانوني" ، ليس لأنه من وضع القوانين - بل لتطبيقه تلك القوانين بكل صرامة لا يفرق بين كبير أو صغير ولا بين عامة وخاصة! ومنذ تولي السلطان سليمان القانوني الخلافة - لم يركن إلى الدعة والراحة - بل لبس لامة الحرب من أول يوم ، وظل مجاهداً إلى آخر يوم في عمره ، وما ترك الجهاد قط - وما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جواداً آخر ليمضي مجاهداً في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله! ولا عجب من أن معظم الحديث عن السلطان سليمان القانوني كان عن جهاده - لأنه لا يوجد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان مثل جهاده ضد المشركين في أوروبا وفتوحاته المجيدة! ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني أن يوسع رقعة الدولة الإسلامية في ثلاث قارات ، حتى أصبحت دولة مترامية الأطراف - وكان سبيله في تحقيق هذا الهدف هو سيفه ودرعه! والحقيقة أن المؤرخين ذكروا أن عدد ما افتتحه السلطان سليمان القانوني في حياته من الحصون والقلاع والمدن ما يناهز 360 حصناً! وما علمنا أن من قادة المسلمين قديماً وحديثاً من افتتح مثل هذا العدد! فلقد فتح بلجراد (25 رمضان 926هـ - 31 أغسطس 1521م). وعندما جلس السلطان سليمان القانوني على كرسي الخلافة ، كان أول ما فعله هو إرسال رسالة إلى ملوك أوروبا يعلمهم بتولييه الخلافة ، ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول. فما كان من ملك المجر إلا أن قتل رسول السلطان سليمان! فاستشاط السلطان سليمان غضباً وانفعل قائلاً: أَيْقُتِل سفير دولة الإسلام؟! أيهددني ملك المجر؟! فما أصبح الصباح إلا وقد أعدَّ السلطان سليمان جيشاً جرار مدعوماً بالسفن الحربية وكان السلطان سليمان بنفسه على رأس هذا الجيش ، وكان قاصداً مدينة بلجراد المنيعة والتي تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كانوا يطلقون عليها! ولكم أن تعلموا أن محمد الفاتح رحمه الله حاول أن يفتح بلجراد ولكنه فشل - بل وأصيب إصابات خطيرة أثناء حصارها. ولما انصرف عنها قال: عسى أن يخرج الله من أحفادي من يفتح الله تلك المدينة على يديه! وبلجراد كانت لها مكانة عظيمة في قلوب النصارى وخصوصاً بعد سقوط القسطنطينية وسموها (حصن المسيحية)! ويذكر المؤرخون أن السلطان سليمان عندما كان ولياً للعهد كان يمني نفسه بفتح بلجراد التي عجز أجداده (مراد الثاني - محمد الفاتح - بايزيد الثاني) عن فتحها! توجه السلطان سليمان القانوني على رأس جيش عرمرم مكون من كتائب الإنكشارية الذين ما أن يسمع النصارى في أوروبا باسمهم فيأخذ الرعب منهم كل مأخذ وترتعد فرانسهم - ومزود بأعتى المدافع والأسلحة يمدهم 3 آلاف جمل محمل بالأسلحة و30 ألف جمل محمل بالمهمات وسفن تحمل الخيول و50 سفينة حربية ومئات من المدافع العملاقة الفتاكة التي كانت فخر الجيوش الإسلامية. وبالفعل يبدأ السلطان سليمان في حصار قلعة بلجراد ، وبعد شهرين ونصف من الحصار تسقط قلعة بلجراد في 2 رمضان 927هـ - ثم دخل السلطان سليمان القانوني المدينة نفسها فاتحاً يوم 26 رمضان 927هـ! وكان

يوماً مشهوداً ، وأمر السلطان سليمان أن يرفع الأذان من القلعة ، ويذكر صاحب كتاب "تاريخ بلجراد الإسلامية" نقلاً عن صاحب يوميات السلطان سليمان إلى بلجراد "بعون الله تعالى تم اليوم فتح قلعة بلجراد. وارتفع صوت المؤذن من القلعة. ونزل خبر سقوط بلجراد على النصرارى والبابا فى روما كالصاعقة وارتعدت فرائصهم من الرعب! وعلموا وقتها أنهم أمام سلطان من طراز فريد ، وعلموا أنه سيعيد لهم سيرة بايزيد الأول ومحمد الفاتح - فوَقعت هيبته فى قلوب ملوك أوروبا قاطبةً ، وبعث إليه ملك روسيا والبندقية وسائر ملوك أوروبا يهنئونه بالفتح ويعطونه الجزية عن يد وهم صاغرون! ومن يومها سمى المسلمون بلجراد (دار الجهاد) وكان منها القاعدة الحربية لانطلاق جيوش المسلمين لغزو باقى أوروبا ، واهتم المسلمون بالأوجه الحضارية فى بلجراد ، حتى سماها المؤرخون (أندلس البلقان) وكانت تنعم بأوجه الحضارة ، بينما كانت سائر بلاد أوروبا لا تعرف شيئاً عن أوجه الحضارة ولا عن تخطيط الشوارع ورصفها وإنارتها ليلاً! من من المسلمين الآن يعرف شيئاً عن بلجراد الإسلامية؟! فقد ضاعت كما ضاعت الأندلس ، فصدق من سماها (أندلس البلقان)! فهي شبيهة الأندلس فى حدث إقامتها وحدث نهايتها! وظل السلطان سليمان القانوني فى بلجراد حتى عيد الفطر وأقام صلاة العيد فى أكبر كنائسها بعد تحويله إلى مسجد ولم ينزل السلطان سليمان من جواده حتى امتطى جواداً آخر مجاهداً فى سبيل الله رافعاً كلمة الله خفاقة. وأما فتح جزيرة رودس فكان فى (13 صفر 929هـ - 1 يناير 1523م) ، فلقد كانت جزيرة رودس هي الشوكة المنيعة التي فى حلق الدولة العثمانية ، والتي تمتاز بمناعة وتحصين نادر جدا ورهيب ، حتى أن سلاطين المسلمين فى صدر الدولة العثمانية ما استطاعوا فتحها أبداً كمحمد الفاتح! وكان يسكن جزيرة رودس نصارى الروم الصليبيون المسمون (فرسان القديس يوحنا) الذين طردوا من بلاد الشام بعد الحملات الصليبية ، وكانوا تحت سلطة البابا فى روما ، وكانوا على عصبية شديدة جداً ضد المسلمين ، فكان طوال مكثهم يغيرون على سفن المسلمين المتجهة للحجاز يقتلون رجالهم ويأسرون أطفالهم ويهتكوا عرض نسائهم وينهبوا أموالهم ويقتلون الحجيج ويحرقون سفن المسلمين وكانوا يبغضون المسلمين جداً ، ويستغلون حصونهم فى الجزيرة المنيعة ، فكانوا على اطمئنان بأن المسلمين لن يستطيعوا أن يصلوا إليهم. ولقد نهب الصليبيون فى رودس أحد السفن الإسلامية التي ثقل الحجيج والتجار المسلمين فقتلوهم وحرقوا سفنهم ، وعلم السلطان سليمان القانوني بهذا الخبر ، فاستشاط غضباً لله وأقسم أنه لن يركن للراحة حتى يفتح جزيرة رودس ويطرده الكفار الملاعين منها! وبالفعل أخذ السلطان سليمان استعدادة لفتح جزيرة رودس براً وبحراً ، واستغل انشغال ملوك أوروبا بالحروب بينهم وانشغال بابا الفاتيكان بالتصدي لدعوة مارتن لوثر وقيام المذهب البروستانتى ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة مصطفى باشا قوامها 200 ألف جندي مزودين بأعتى المدافع ومعهم 700 سفينة حربية وبدأ الهجوم على أسوار رودس إلا أنهم لم يصيبوا منها شيئاً لمناعتها. فغضب السلطان وسافر بنفسه ومعه كتائب من المجاهدين وتولى القيادة بنفسه أمام أسوار جزيرة رودس وحاصرها السلطان 6 أشهر كاملة وضيق عليها الخناق وكان طوال تلك المدة يواصل إطلاق المدافع ، حتى بلغ عدد ما أطلقوه من المدافع 220 ألف مدفع! والمصادر التاريخية تذكر لنا حالة الطقس أثناء حصار المسلمين لرودس أنها كانت سيئة للغاية ، فالأمطار تتساقط على المجاهدين ، والسماء تيرق والرعد يصم صوته الأذان ، ومع ذلك لم يفت ذلك فى عضدهم. فاستسلم فرسان القديس يوحنا ، وأمهلهم السلطان مدة 12 يوماً يخرجون من الجزيرة ،

وأعطاهم أماناً على كنانسهم ودينهم كان هذا ديدن السلطان في فتح بلاد النصارى بأوروبا. ودخل السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس فاتحاً يوم 13 صفر عام 929هـ الموافق 1 يناير 1523م ، وهنا اهتز عرش النصرانية في روما والعالم النصراني كله. وخرج فرسان القديس يوحنا منكسين رؤوسهم من الذل والهوان متجهين إلى جزيرة مالطا ، فسكنوها وسموا أنفسهم فرسان مالطا. ويحكي لنا المؤرخ عبد الرحيم العباسي الذي شارك في هذه الحملة أن المسلمون وجدوا في الجزيرة أكثر من 3 آلاف أسير في حالة يرثى لها من التعذيب والقهر والذل ، ويقول بأن المجاهدين العثمانيين بكوا عندما رأوا حال الأسرى! وعندما دخل السلطان سليمان المدينة أمر جنوده بتجهيز الكنيسة لصلاة الجمعة ، فأزيلت الصور والتماثيل وصنع منبر خشبي بسيط لهذه الغاية ، وبالفعل أقيمت صلاة الجمعة وخطب للسلطان وغص المسجد بالمصلين ولله الحمد والمنة. وهذا عبد الرحيم العباسي عند دخول المسلمين رودس بعد الحصار ، وكان شاهداً هذا الفتح:- يقول - رحمه الله - في كتابه (منح رب البرية في فتح رودس الأبية):- (ثم برز الأمر الشريف بإرسال السنجق "لواء الفتح عند العثمانيين" المنصور ، واللواء الذي هو لطى الكفار منشور ، ليوضع على سور القلعة ، بشامخ العزة والرفعة ، فذهبوا به على نهاية التعظيم وغاية الإجلال والتكريم ، والعساكر الإسلامية به محدقة ، وعيون المسلمين إليه مُحَدَّقة ، وعيون المشركين مطرقة - وأصوات الطبول والبوقات قد ملأت النواحي والجهات - والأصوات المرتفعة بالتهليل والتكبير - والصلوات والتسليم على سيدنا ومولانا محمد البشير النذير - والسراج المنير - وقلوب أعداء الله من ذلك في أحر من نار السعير - ولم يزالوا به ساترين - وقد أصبحوا على أعداء الله ظاهرين - إلى أن وضعوه من الحصن بأعلى مكان - وأعلن المؤذنون للظهر بالأذان - وأجابهم من المسلمين الثقلان - أعنى الجن والبشر حتى الشجر والحجر والمدر - وكانت ساعة مشهودة - وفي مواسم الأيام معدودة - وليس الخبر كالعيان - ولا يقدر على تأدية وصف ذلك بديع بيان - ولما أدخل السنجق الشريف دخل معه كثير من العساكر - وجم غفير من القبائل والعشائر - واتخذوه من أحب المواطن - واقتسموا منه المساكن - وذهب ما كان يضمه المشركون - فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - وبرز الأمر الشريف بأخذ أسلحة الكفار - وإلباسهم شعار الذلة والصغار - فسلبوها بأسرها - وقُلَّها وكثُرَها - حتى أخذت منهم السكاكين - وصاروا بعد العز المكين - إلى ذل الخايف المستكين - وانتقل بعد بكاء العيون منهم إلى ضحك الأفواه - وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله - ولم يسع طاغيتهم من ذلك إلا إظهار الطاعة).أ.هـ. ومن عجيب المصادفات أن خلال هذه الأيام كان البابا أندريانوس الثاني يجري مراسم أعياد الميلاد في كنيسة سان بيترو في روما ، فتدحرجت حجارة سقطت من حافة سقف الكنيسة نحو قدميه ، فتشأم البابا ، وقال: (سقطت رودس)! وأما معركة موهاكس الخالدة في (21 من ذي القعدة 932هـ - 29 من أغسطس 1526م) ، فإن في تاريخ المسلمين معارك كانت من أيام الله الخالدة كاليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وملاد كرد والزلاقة وشانت يعقوب.....إلخ ، وكانت من تلك الأيام التي أنزل الله فيها النصر على جند الإيمان ، وقذف الرعب في قلوب جند حزب الشيطان ، يوم معركة (موهاكس) والتي هي من أشرس معارك المسلمين ، وأشد قهراً وذلاً في قلوب المشركين إلى يوم الناس هذا! وإنه ليوجد مثل شعبي في المجر ، يتناوله أهلها إذا حدث أمر سييء فيقولون: أسوأ من هزيمتنا بموهاكس! وبعض الكتاب سَمَى هذه المعركة بأنها المعركة التي أدخلت الرعب على أوروبا! يا لله! إلى هذا الحد!

فما تفاصيل تلك المعركة الخالدة؟ لقد ظهرت في هذه الفترة قوة مملكة إسبانيا بصورة رهيبة جداً ، يقودها رجل مشهور وذائع الصيت في أوروبا ، وهو شارل الخامس أو شارلكان ، وكان هذا الخبيث النجس حفيد إيزابيلا وفرديناندو الذين دخلا غرناطة عام 1492م ، وأسقطا الحكم الإسلامي في الأندلس إلى الأبد ، وقادا حملات محاكم التفتيش ضد المسلمين. وأما شارلكان أو شارل الخامس ، فاستطاع أن يبسط نفوذه على إسبانيا والبرتغال وألمانيا والنمسا وهولندا ، وأسس إمبراطورية ضخمة وقوية جدا ، وكان يحاول أن يفرض سيطرته على المجر لتكون حاجزا له ضد الدولة العثمانية والمسلمين! فانتبه لذلك السلطان سليمان ، وعلم خطورة سيطرته على المجر ، وما يترتب عليها من أوضاع خطيرة للمسلمين في أوروبا الوسطى! وهنا ظهر جانب آخر وخيانة خلدها التاريخ لأحفاد بن سبأ الملاعين ، قادة الدولة الصفوية الرافضية الخبيثة! فلقد اتفقت الدولة الصفوية مع المجر ضد الدولة العثمانية ، وعندما علم السلطان سليمان بهذا الأمر استشاط غضباً ، وبدأ في التحرك لغزو المجر وضمها للدولة العثمانية الإسلامية ، وأراد أن تكون تلك المعركة شرسة وعنيفة ليلقن الأوروبيين درساً ، وخصوصاً شارلكان حتى يصرف أبصاره عن المسلمين! وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني من عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا إسلامبول "إسطنبول" في 11 رجب عام 932هـ - 23 إبريل 1526م ، على رأس جيش عرمرم من المجاهدين قوامه 100.000 مقاتل مزودين بـ 300 مدفع عثماني عملاق ، ومعهم 800 سفينة بحرية لتسهيل تحرك المسلمين بين الأنهار! ووصل السلطان إلى بلغراد المسلمة ومكث هناك يستقبل التهاني بعيد الفطر ، ثم تحرك رحمه الله حتى وصل إلى نهر طونة "الدانوب" وأمر بتشييد جسر يعبر عليه المسلمون ، وبالفعل تم تشييد الجسر في مدة زمنية قليلة ، وظل عبور الجيش الإسلامي عليه لمدة 4 أيام ، وهنا أمر السلطان سليمان أمراً عجيباً! وقد أمر السلطان سليمان رحمه الله بهدم الجسر! يقول صاحب كتاب (أخبار الدول وآثار الأول) معلقاً على هذا الأمر: "ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع ، فبقي المسلمون في بلاد الكفار ، وذلك لشهامته وقوة عزمته ، وقطع أطماع العسكر من الفرار إلى بلادهم" أ.هـ. وفي أثناء مسير السلطان سليمان رحمه الله افتتح عدة قلاع تقع على نهر الدانوب ، ولها أهمية حربية كبيرة ، ثم يواصل السلطان سليمان القانوني تقدمه حتى وصل إلى وادي موهاكس في 20 ذي القعدة عام 932هـ - 28 أغسطس عام 1526م ، وبات السلطان والجنود ليلتهم في الدعاء والتهليل والتكبير ، وتضرع السلطان سليمان إلى الله سبحانه وتعالى وسأله النصر - وكان يمر بين صفوف الجند فيخطب فيهم عن الجهاد وعن فضل الشهادة ، وفي اليوم الثاني ، وبعدما صلى السلطان صلاة الفجر ، دخل بين الجنود وحمسهم ، وكان مما قال لهم: وكأني برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليكم الآن! فلم يتمالك أحد من الجند دموعه ، وبكى السلطان ، وأبكى كل من حضر. أما على الجانب الآخر ، عندما علم ملك المجر لايوش "لويس" الثاني بقدم المسلمين إليه فأعد جيشاً جراراً ، واستعان بملوك أوروبا ، فأمدته ألمانيا بـ 38000 من خيرة الفرسان لديها ، فوصل عدد جيوش الكفار إلى 200.000 ألف مقاتل. وبات الكفار ليلتهم في سهل موهاكس ، ومعهم القساوسة والرهبان ، يحثونهم على قتال المسلمين ، وأتوا بالصلبان يرفعونها أمام الجند. وعند الصباح صُفَّت الصفوف وبرز الشجعان ، وكان السلطان سليمان قد وضع خطة مع أركان الجيش وهي: أن يصطف جيش المسلمين في ثلاثة صفوف ، وأن يكون السلطان ومن معه من الإنكشارية في الصف الثالث ، ومن ورائهم مدافع المسلمين ، حتى إذا بدأ القتال يتقهقر الصفوف الأولى من المسلمين ،

ويتراجعوا خلف السلطان ومن معه من الإنكشارية ، وبالتالي سيفسح المجال للمدافع أن تحصد الكافرين حصداً! وبالفعل التزم المسلمون بالخطة ، وظل المسلمون واقفين في أرض المعركة على الهيئة التي أمرهم بها السلطان وقادة الجيش ، وطال انتظار الفريقين ، حتى بدأ الملك لويس الثاني في الانقضااض على المسلمين وقت العصر. وبدأ القتال ، والله كان القتال في شدته وضرارته يشبه معاركنا الحديثة في شدتها وضرارته مع اختلاف نوع السلاح المستخدم! والتزم المسلمون بالخطة وتراجعوا إلى الوراء ، فسارع الكفار خلفهم وظنوا أن النصر سيكون حليفهم ، وتقدم الكفار حتى وصلوا إلى المكان الذي يقف فيه السلطان ، وحاولوا قتل السلطان وبالفعل أصابوه في صدره بسهم ، إلا أن السهم لم ينفذ إلى صدره والله الحمد ، والتحم الفريقان ، وذهب ثلاثة من شجعان المجر إلى السلطان سليمان ، إلا أنه قتلهم والله الحمد ، وكان مشهوراً بالشجاعة رحمه الله. وهنا أعطى السلطان الأمر بإطلاق المدافع! وإلى الآن يروي المؤرخون الأوروبيون هذه المعركة بشيء من الذهول ، وعندما يصلون إلى هذه النقطة يصيبهم الدهشة والعجب! يروى أن مدافع المسلمين أطلقت بسرعة ومهارة فائقة للغاية ، وكأن المسلمين استعانوا بالجن في هذا الأمر ، ولا عجب أن يكون هذا حال من استعان بالله واستمد قوته من الله! فكان إطلاق المدافع بصورة سريعة جداً وبدقة كبيرة ، مما أصاب الجيش المجري بحالة من الذهول والهلع والرعب ، فولوا أذبارهم ، والمسلمون وراءهم يركبون أذناهم ويعملون سيوفهم فيهم كما أرادوا. وفرّ المجريون المعروفون ببسالتهم وضرارتهم أمام طلقات المسلمين وسيوفهم ، وفرّ ملكهم لويس الثاني ، بل إنه غرق أثناء فراره ومات! وانتصر المسلمون انتصاراً لم يُسمع بمثله في أقطار الدنيا ، وكان نصراً مؤزراً والله الحمد والمنة. والعجيب أن مدة المعركة كانت ساعة ونصف فقط! وكان عدد قتلى المسلمين لم يتجاوز 150 شهيد ، نحسبهم كذلك عند الله. وعدد ما أسر المسلمون من الكفار 25000 ، والباقي 175000 من الجنود ما بين قتيل وجريح! وبعد هذه المعركة أصبح الجيش المجري في ذمة التاريخ ، وسقطت إمبراطورية المجر التي دامت قرابة 6 قرون (سنة 637) ، وانتفضت النصرانية من أقصاها إلى أقصاها. وكانت هذه المعركة هي أسوأ هزيمة للنصارى في أوروبا قاطبةً بعد سقوط القسطنطينية وهزيمتهم في وبوليس أيام بايزيد الأول. وصلى السلطان صلاة المغرب مع الجنود في أرض المعركة ، ثم واصل مسيره إلى عاصمة المجر وهي مدينة "بودا" فدخلها بدون أي مقاومة تذكر في 3 من ذي الحجة 932هـ - 10 من سبتمبر 1526م ، ومكث فيها 13 يوماً ، واستقبل التهاني بعيد الأضحى المبارك في سراي الملك هناك ، فكان العيد عيدين ، عيد فتح المجر وعيد الأضحى ، فله الحمد والمنة. وبعد هذه المعركة تبدلت حسابات أوروبا ، وتغيرت خريطة المنطقة ، وما اجترأ أحد من نصارى أوروبا أن يقوم بأي عمل ضد المسلمين بعد هذه المعركة الفاصلة في تاريخ أوروبا. ولقد جاهد السلطان سليمان ضد الروافض والدولة الصفوية ، وقاد ثلاث حملات حربية ضخمة ضدهم. أولئك المجرمون الذين ارتكبوا المجازر في أهل السنة في فارس والعراق! ويوجد مثل دارج في أوروبا أيامها: (لولا الشاه لوصل العثمانيون إلى الراين. بمعنى لولا تعاون الروافض في الدولة الصفوية مع الصليبيين النصارى بأوروبا ، لاستطاع المسلمون العثمانيون أن يصلوا إلى نهر الراين في ألمانيا ، ولأستطاع المسلمون اجتياح أوروبا الغربية كلها ، ولربما أعادوا الأندلس مرة أخرى! وقد أفتى علماء الدولة العثمانية بضرورة قتال الروافض ، وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني على رأس حملة عسكرية من المجاهدين لقتال الروافض من الدولة

الصفوية. وكان أول الحملات عام 941هـ ، واستطاع ان يدخل العراق فاتحاً ، ودخل بغداد وطرده منها الروافض ، وأسقط مذهب الخبيث ، ونفى علماءهم وظهر بغداد من آثارهم ، واتجه إلى قبر الإمام أبي حنيفة ، فغضب علي ما رآه هناك من النجاسات ، فأمر بتطهير التربة وبنى فوقها قبة! ثم كانت حملته الثانية عام 955هـ ، والتي استطاع أن يهزم الروافض ، ودخل عاصمة ملكهم "تبريز" ، وفرّ شاه طاهم سب من أمامه وتوغل في بلاد أذربيجان ، فلم يستطع السلطان سليمان أن يتعبه لوعورة الطريق ولتساقط الثلج واكتفى بدخول عاصمة الدولة الصفوية. وكانت الحملة الثالثة والأخيرة عام 962هـ ، واستطاع أن يخلص أذربيجان وإقليم القفقاس "القوقاز" وشرق الأناضول من الروافض نهائياً ، وبهذه الحملات استطاع أن يدرأ عن المسلمين خطورة النفوذ الشيعي تحت زعامة الدولة الصفوية الرافضية النجسة. ولقد دخل المسلمون إقليم أذربيجان وخلصوه من الروافض. إنه لولا أن منّ الله علينا نحن المسلمين بهذا السلطان الجليل لتغلغل المد الشيعي في الدولة العثمانية بأكملها ، ولدخل الروافض مصر والشام مرة أخرى. وكذلك معركة "بروزة" البحرية الخالدة في (4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538م) فاتحة خير على المسلمين! ونحن قليلا ما نسمع عن المعارك البحرية الإسلامية ، ولا نتذكر إلا معركة ذات الصواري أو معارك المسلمين في العصور الأولى! ولقد أولى المسلمين عناية فائقة بصناعة السفن وبناء أسطول إسلامي قوي لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط ، ولصد هجمات الفايكنج أو المجوس كما كان يسميهم المسلمون في الأندلس. وكانت الدولة العثمانية تهتم جدا ببناء قوة بحرية عسكرية ضخمة لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط. فاهتم السلطان سليمان القانوني بالبحرية الإسلامية ، وأولى قيادتها لرجل من المجاهدين ، فهو بذلك أفضل من جاهد في البحر من المسلمين في التاريخ الإسلامي! ترى هل يعلم المسلمون عنه شيئا؟! هل سمع المسلمون عن المجاهد البطل المسلم (خير الدين بربروس)؟! نعم هو خير الدين بربروس ، وأطلق عليه الأوروبيون لقب (باربروسا) أي "ذو اللحية الحمراء" ، وكان هذا البطل وبالا على النصارى في العالم كله قاطبةً ، حتى إن سكان السواحل الأوروبية في إيطاليا أو إسبانيا عندما يريدون إسكات أطفالهم يقولون: اسكت وإلا جننا لك ببربروسا خير الدين! كان ذعرا للنصارى على السواحل المطلة على البحر المتوسط . ويصفه الأوروبيون بالقرصان! وُلد خير الدين بربروس رحمه الله في جزيرة لسبوس باليونان المسلمة عام 857هـ ، ونشأ خير الدين على البحرية وشارك مع أخيه في قيادة سفن المجاهدين المتطوعين لصد هجمات الأسبان عن الجزائر والمغرب وإنقاذ مسلمي الأندلس من الهلاك. وذاع صيت "عُرّوج" أخو خير الدين وكان مصدر قلق للنصارى في البحر المتوسط ولنصارى جزيرة رودس - وفي أحد المعارك قُتل "عُرّوج" في أحد معاركه ضد الأسبان الصليبيين عام 924هـ ، عن عمر يناهز الخمسين سنة! واحتل الأسبان مدينة تلمسان بالجزائر ، وتولى خير الدين رحمه الله قيادة أسطول المجاهدين واستبشر المسلمون به خيراً. وقاد حملات حربية رائعة ضد النصارى على السواحل الأسبانية والإيطالية ، وحرر مدينة تونس وتلمسان وغيرها من مدن السواحل الإسلامية التي احتلها النصارى! وفي عام 925هـ استطاع خير الدين بربروس أن ينتقم لأخيه من الأسبان انتقاماً بالغاً دمر فيه سفن النصارى ، وأسر منهم عدداً أمام سواحل الجزائر ، وفي عام 935هـ استطاع خير الدين بربروس أن يدمر معقل الصخرة بالجزائر وحاميته الأسبانية ، وفي عام 936هـ انتصر خير الدين على الأسبان أمام جزر البليثار ، وفي عام 937هـ استطاع أن يهزم النصارى بقيادة

قائدهم المغوار أندريا دوريا هزيمة ساحقة في شرشال. وكان خير الدين رحمه الله كلما خرج من معركة دخل معركة أخرى مع النصارى ، وفي إحدى معاركه لصد هجمات الأسبان على الجزائر قال: (إن من كان يؤمن بالله ورسوله ، ويريد الجنة في الآخرة ، فعليه أن ينضم إلى جيشه بكل سرعة ، وذلك لمهاجمة وهران والمرسى الكبير). وأصبح خير الدين بربروس مصدر رعب وهلع للنصارى على السواحل ، حتى إن خير الدين رحمه الله أخذ 36 سفينة فقط ، واتجه بها إلى الساحل الغربي للأندلس ، ولم تستطع الأساطيل الأسبانية أو أي أسطول نصراني آخر أن يتدخل خوفاً من خير الدين رحمه الله. واستطاع خير الدين بربروس أن ينقذ 70.000 من مسلمي الأندلس الذين نزل عليهم جام غضب شارلكان بعد خسائره أمام خير الدين بربروس وسليمان القانوني في موهاكس! وكان خير الدين يكمن في السواحل الغربية للسفن القادمة من الأمريكتين محملة بالذهب والأموال ، فكان يتصدى لها ويأخذ كل ما فيها من ذهب وأموال ويعطيها للمسلمين حتى تقوى بها شوكتهم ضد الأسبان. وهنا جنّ جنون النصارى ، وحتى البابا بولس الثالث في روما! وسموا أعمال خير الدين بربروس بالقرصنة. وللأسف الشديد مازالت الكتابات عن خير الدين بربروس تصفه بالقرصان خير الدين ، حتى المؤلفين من العرب والمسلمين مازالوا يسمون خير الدين بالقرصان ولا حول ولا قوة الا بالله. وهنا انتهز السلطان سليمان الفرصة وكتب لخير الدين يستدعيه بصفته خليفة المسلمين. فأتجهت أنظار الدولة العثمانية إلى جهاد هذا البطل ، وأرادت أن تكافئه وأن تعينه رسمياً ضمن أسطولها البحري ، ليصعب جهاده ضد النصارى صبغة رسمية وشرعية ، وحتى يعلم الجميع أن الدولة العثمانية هي حامية الدول الإسلامية في أي مكان ، حتى ولو لم تكن تتبع السيادة العثمانية. وأكبر دليل على هذا ما فعله السلطان سليمان من إرسال أسطول بحري بقيادة سليمان باشا إلى الهند لصد هجمات البرتغاليين ، وأرسل كذلك أسطوله إلى البحر الأحمر وعدن لصد هجمات البرتغاليين الذين زاد خطرهم جداً. وفي عام 939هـ - 1533م عين السلطان سليمان القانوني المجاهد البطل خير الدين بربروس أميراً للبحر أو قيودان البحر بمعنى أنه أصبح منذ الآن قائد عام الأسطول الإسلامي. واستقبل السلطان سليمان القانوني في إسطنبول خير الدين بربروس استقبال الملوك وكان فرحاً جداً بقدمه. نزل هذا الخبر على النصارى في أوروبا كالصاعقة وذهل أمراء أوروبا وجن جنونهم ولو رأيتهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى! وهنا قام خير الدين بربروس بأعباء المنصب الجديد كوزير البحرية وقائد عام الأسطول الإسلامي العثماني ، فظلّ في جهاده في البحر المتوسط حتى فرض سيطرة المسلمين تماماً من أول إسبانيا إلى البلقان ، ولم يكن في البحر المتوسط كله أي قوة بحرية تضاهي قوة المسلمين ، إلا قوة هذا القائد النصراني الصليبي الخبيث الشهير جدا في أوروبا ألا وهو (أندريا دوريا) الذي ذاق طعم الذل على يدي خير الدين رحمه الله. وهنا انتفض البابا بولس الثالث في روما وعلم خطورة هذا البطل المجاهد. وأصبح خطراً يهدد النصارى في البحر كما أن السلطان سليمان صار خطراً يهدد النصارى على البر. فاجتمع البابا بولس الثالث مع ملوك وأمراء أوروبا ، وأعلن حرباً صليبية جديدة. ولكن هذه المرة الحرب الصليبية لن تكون على البر ضد السلطان سليمان ، لأنهم بعد خسارتهم في موهاكس ما تجرؤوا أن يعلنوا الحرب على المسلمين لحين من الدهر. إنما الحرب الصليبية ضد قوة المسلمين البحرية: ضد خير الدين بربروس ، ورفّع الصليب واجتمع الأمراء ووافقوا على الحرب. ففي عام 945هـ اجتمع على المسلمين في البحر أكثر من 600 سفينة حربية للنصارى من كافة دول أوروبا ومدنها

(أسبانيا - النمسا - البندقية - جنوة - فرسان القديس يوحنا) عليها 60.000 صليبي ، ويقود الأسطول القائد النجس الصليبي الملعون أندريا دوريا. وكان عدد أسطول المسلمين 122 سفينة فقط عليها 20.000 ألف مسلم! يقودهم خير الدين بربروس رحمه الله ، وفي يوم 4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538، وأمام سواحل مدينة "بروزة" أو "بريفيزا" غربي اليونان - دارت أعنف معارك المسلمين البحرية. هذه المعركة إلى الآن يتذكرها النصارى في أوروبا بالألم والحسرة والضيق. والتقى الفريقان ، ووضع خير الدين بربروس خطة حربية رائعة كالعادة ، وبدأت المعركة وحمي الوطيس واحترقت السفن وارتفع دخان المدافع إلى عنان السماء. ووضع خير الدين بربروس أسطوله على شكل هلال ، وعيّن على رأس جناحه الأيمن القائد المجاهد صالح رئيس. وعلى رأس جناحه الأيسر سيدي علي رئيس. وقاد خير الدين الجناح الأيسر بنفسه ، وأمر القائد الفذ المجاهد طورغود بأن يقود احتياطي الأسطول ويبقى في الخلف. واستعمل خير الدين بربروس عنصر المباغته ، ولم يكن أسطول الصليبيين مستعدًا ؛ مما أدى إلى اختلال نظامه ؛ فما لبث أن تفرق ، وهرب قائده أندريا دوريا نجا بحياته. ولم تستمر المعركة أكثر من خمس ساعات تمكّن في نهايتها "خير الدين" من حسم المعركة لصالحه ، وصارت العزة والسيادة للعثمانيين في البحر المتوسط. وانتهت المعركة: معركة بروزة "بريفيزا" البحرية بالانتصار الساحق للمسلمين وهزيمة مخزية للمشاركين فله الحمد والمنة. واستولى المسلمون على أكثر من 36 سفينة وأسروا حوالي 3000 أسير ، وغرق واحترق للكفار 123 سفينة! نزل خبر انتصار المسلمين على النصارى في روما وأوروبا كالصاعقة على مسامعهم ، فأخرسوا من هول الخبر! وبهذا الانتصار فرضت الدولة العثمانية قوتها وسيطرتها على كل البحر المتوسط ، ولم ينازعها أحد والله الحمد والمنة. ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني في خلال 48 سنة أن يبسط نفوذ المسلمين من بغداد شرقاً إلى فيينا غرباً ، ومن موسكو شمالاً إلى بلاد إفريقيا جنوباً ، وكانت ملوك أوروبا وأمرأؤها تدفع الجزية عن يد وهم صاغرون. وواصل السلطان سليمان رحمه الله جهاده ضد النصارى ، حتى وصلت جيوش المسلمين إلى أسوار فيينا مرتين ، ولم يقدر الله الفتح ، إما لتساقط الثلوج وطوال مدة الحصار ، وإما لتعاون الرافضة واستغلال توغل المسلمين في غرب أوروبا فيعبثون في مناطق الأناضول والقوقاز ويحاولون نشر المذهب الرافضي الخبيث. ولكن هيهات هيهات فقد كان السلطان سليمان رحمه الله سداً منيعاً ضد أطماع الروافض في الشام ومصر والأناضول وضد أطماع الصليبيين في القسطنطينية وشرق أوروبا. ووصلت الدولة في عهده أقصى اتساع ، لها ولم تصل حركة الفتوحات الإسلامية أقصى من ذلك ، ووصلت من هيبة السلطان سليمان أن بعث إليه ملك فرنسا يستجديه ويرجوه أن يساعده ضد هجمات شاركان على موانئ فرنسا ، فأجابه السلطان سليمان وبعث إليه خير الدين بربروس في سفن حربية حتى استعاد له الميناء المحتل! وكان السلطان سليمان مشهوراً ببناء المدارس ، وكذلك رمم السلطان سليمان رحمه الله سور القدس القديم الموجود إلى الآن ، وهو صاحب العين الموجودة بعرفة لخدمة الحجيج ، وكانت له نفقات على أهل الحرمين وكانت مادة حياة أهل الحرمين من تلك الأموال فجزاه الله خيراً ، وبنى بمكة أربع مدارس لتعليم علوم الدين ، وكذلك بنى في دمشق المدرسة والتكية السليمانية وما زالت موجودة تعرف باسم (التكية السليمانية). وأمر بتشديد القلاع في طريق الحج لحماية المسلمين. واهتمامه بالعمران والجمال كان السبب الذي جعل إسطنبول أو الأستانة عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا ولم يكن لها في الدنيا نظير.

وأنقل وصف إسطنبول في عهد السلطان سليمان من وصف عبد الرحيم العباسي الذي شاهد السلطان سليمان وعاش في إسطنبول - يقول رحمه الله: (ذات المحل الأرفع والمقام الأسمى - مدينة العلم وقرارة الحلم - ومحط الرجال - ومنتهى الترحال - وكعبة الكرم - وقبله النعم - ومعدن الفخار - وموطن السنن والآثار - ومنبع الإقبال - ومربع الآمال - ومنتهى المطالب - ومشتهى القاصد والطالب - مظهر شمس السيادة - ومقر السعادة - آيات محاسنها لم تنزل بألسن السُّمَّار مملوءة - وعرائس بدائعها لم تبرح على أعين النظر مجلوة - أجل ما فُتِح من البلاد - وأعظم ما استخلصته يد الصلاح من الفساد - كم خَطَبها عظيم من ملوك الزمان وأمهرها مواضي المشرفية وعوالي المُرَّان - وهي أشد ما يكون إباء - وأوفى ما يتصور منعة واستعصاء - إلى أن قصدها من أدخر له ذلك الفتح - في خبر طويل الشرح - وهو المرحوم السعيد الشهيد السلطان محمد خان بن مراد خان بن عثمان - بوأه الله عُرف الجنان - بمزيد من العفو والغفران - فذلت له صعابها - وخضعت لعزته رقابها - ولان جماعها - وتسنى انفتاحها - وأعلن فيها بالتهليل والتكبير - وصُرح بالصلاة على البشير النذير - واعتدلت بعد انحنائها قامات المناير - وارتفعت بعد خفضها درجات المنابر - وأخرست النواقيس - ونُطق بالتأذين على رغم أنف إبليس - وخُطت المساجد والمدارس - ومَعرت بأوقات الخيرات بعد ما كانت دوارس - ونُطقت خطباء الإسلام - فسكتت القساوسة اللثام - ونُصّب الدين المحمدي بها خيامه - ورفع الشرع الأحمدي على قُللها أعلامه - وبُذلت من الإنجيل بالقرآن - وعُوّضت من الرهبان بعلماء الإيمان - فأصبحت شمس الدين بأفاقها مشرقة - وسحب اليقين بروضاتها مغدقة. ولعمري إنها لمدينة العمران - والمشار إليها دون سائر البلدان - إذ هي تحت الملك الأعظم - ومقر المجد المعظم وموفد الوفود - ومنبع الكرم والجود - وبها العمارات العظيمة - ذوات الصدقات الجسيمة - والمبرّات العميمة - والقصور المنيفة - والمنتزهات اللطيفة - والرياض النضرة - والمروج الخضرة - فهي نزهة النفوس - ومسرة العيوس - وبهجة الخواطر - وفرة النواظر - وبها من الآثار العجيبة - والأبينة الغريبة - ما تذهل له الألباب - ويستولي عليها منه العجب العجاب - وبها من الأئمة الأعلام - وقضاة الإسلام - ما يتحمل به الزمان - ويفتخر بمجده العصر والأوان - إذ كلّ منهم علامة العصر - وفرد الدهر - وعالم الوقت - والمبرّ من الشين والمقت - وبحر العلوم - ومالك أزمة المنطوق والمفهوم - ونُعمان (أبو حنيفة) زمانه - وأبو يوسف (أبو يوسف القاضي) أوانه - وكنز الطالبين - وهداية الراغبين - ومختار الحق - واختيار الغرب والشرق - ومجمع الفضائل - ونُقاية الأمائل - وصدر الشريعة - ذو الفنون البديعة - دام فخرهم - وسما قدرهم - ولا يرح نير سُدْهم مشرقاً في الأكوان - والانتفاع ببركتهم - وبركة علومهم دائماً مدى الأزمان - فكل فرد منهم نير قطرها الأعظم - ورئيس مجدها المكرم - تفتخر به على سائر الأمصار - وتسمو به عصره على غابر الأعصار - فهي الآن مصر الدنيا - والمنفردة بالمرتبة العليا - جعلها الله دار الإسلام والإيمان - ومحل الأمانة والأمان - ومقر الدولة والسلطان) أ.هـ. وفي يوم من الأيام ظهر فن الرقص في فرنسا في زمن السلطان سليمان القانوني - وكانت فرنسا حليفة للدولة العثمانية وكان المسلمون يطلقون عليها (ولاية فرنسا) وكأنها تابعة للمسلمين. انزعج السلطان سليمان القانوني جداً من ظهور هذا المجون والفسق - فتدخل السلطان سليمان في شؤون فرنسا الداخلية كما يُقال - وأوقف هذا المجون خشية أن ينتشر في بلاد المسلمين! والآن أسرد ما قاله رئيس اللجنة الأوروبية عام 1923م عند سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا - وتكريم أول مسلمة في مسابقة ملكة جمال

العالم والذي روج لها العلمانيون في تركيا - وكانت الفتاة المتقدمة للمسابقة هي "كريمان خالص". يقول رئيس اللجنة الأوربية فرحاً بهذه المناسبة - وانظروا إلى الحقد الدفين: "أيها السادة ، أعضاء اللجنة ، إن أوروبا كلها تحتفل اليوم بانتصار النصرانية ، لقد انتهى الإسلام الذي ظل يسيطر على العالم منذ 1400م ، إن "كريمان خالص" ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة. ها هي "كريمان خالص" حفيدة المرأة المسلمة المحافظة تخرج الآن أمامنا "بالمايوه" ، ولا بد لنا من الاعتراف بأن هذه الفتاة هي تاج انتصارنا. ذات يوم من أيام التاريخ انزعج السلطان العثماني "سليمان القانوني" من فن الرقص الذي ظهر في فرنسا ، عندما جاورت الدولة العثمانية حدود فرنسا ، فدخل لإيقافه خشية أن يسري في بلاده ، ها هي حفيدة السلطان المسلم ، تقف بيننا ، ولا ترتدي غير "المايوه" ، وتطلب منا أن نَعْجب بها ، ونحن نعلن لها بالتالي: إننا أعجبنا بها مع كل تمنياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات المسلمات يسير حسب ما نريد! فلترفع الأقداح تكريماً لانتصار أوربا". أهـ. ونقلنا عن مقال لأميمة بنت أحمد الجلاهمي في موقع إسلام واي ، وهذا مختصر رسالة السلطان سليمان القانوني إلى قاضي بروصة بعد انتصار المسلمين في رودس: "منذ بداية تسلطنا للسلطة ونحن سائرون على إعلاء ونصرة هذا الدين بتوفيق من الله تعالى - وجعل همنا واهتمامنا رفع أعلام هذا الدين لقلع وقمع آثار الكفر والظالمين - وسيرا على هذه العادة الحسنة - والسنة المرضية - صدرت أوامرنا بضرورة استخلاص قلعة رودس من أيدي الكفرة - وقد أعدنا أسباب القتال - والرجال الأبطال - والسفن والمراكب - وقد أرسلنا وزيرنا مصطفى باشا لإنجاز هذه الغاية - كما شاركنا شخصيا في هذه الحملة من القسطنطينية المحروسة إلى إسكودار. وكان أهالي رودس يقطعون طريق المسافرين بالبحر - ويسفكون دماء التجار - وذلك منذ أن سكنوا الجزيرة وحتى هذا الوقت - ورودس جزيرة في غاية المتانة - وأسوارها طويلة وعريضة - وخذقها عميق. وفي اليوم الثالث من ذي القعدة سنة 928هـ تم إطلاق قذائف كالمطر وهجمت العساكر المنصورة على الأسوار. ولم يتصور أن يستسلم أحد من الكفار - ولكن بتوفيق من الله تعالى زادت عساكرنا من تخريب قلاعهم يوماً بعد يوم. ثم قامت عساكر الإسلام المظفرة بتطهير قلعة رودس المنيفة من دنس أهل الكفر ، وتحولت معابد الأصنام والأوثان إلى مساجد لأهل الإيمان - وأضحت معابر بيت الله الحرم آمنة من عبث الكفرة الفجرة - وبالإضافة إلى القلعة المزبورة فقد فتحت أيضا كل من إستانكوي - وتخته لو - وبوردوم - وغيرها من القلاع التي بلغ مجموعها 11 قلعة - وشملت كذلك كافة الجزر والأراضي وتوابعها - وأضيفت إلى الممالك المحروسة - والحمد لله الذي يسر لي ما لم يبسر لغيري". أهـ. وإن كنت أنسى فلسئت أنسى كلمة السلطان سليمان القانوني - رحمه الله تعالى - عندما منّ الله تعالى عليه بفتح الأسوار الأوربية ، فقال: الآن طاب الموت! تلك الكلمة التي أجعلها عنواناً لهذه القصيدة في تأبين السلطان ، وردّ شئ من جميله علينا! وهو الذي أوصى بأن يوضع معه في قبره صندوق صغير. فأخذ العلماء يسألون: ماذا بداخل الصندوق؟ فإذا به القوانين التي استفتى فيها كبار العلماء والفقهاء وكلها مستنقاة من الشريعة الإسلامية. فعندئذ بكى مفتي الدولة العثمانية آنذاك أبو السعود الأفندي رحمه الله وقال: لقد أعذرت إلى ربك أيها السلطان وبقيت التبعة والمسؤولية علينا! ولقد أوصى السلطان بأن يخرجوا يده من النعش ليراها الناس ، حتى يوقتوا ويدركوا أن الإنسان لا يأخذ من هذه الدنيا شيئاً لآخرته ، سوى عمله الصالح وتقواه لرب العالمين! أيها السلطان المحترم ، لقد أنشدت هذه القصيدة بعد تتبعي أثارك وسيرتك! وبعد

أن استيقنت أنك برئ من كل الدعاوى الباطلة ها أنذا أبين لك حقيقة الموت والدنيا معا! وأعلم أنك إلى دار الحق سبقتنا ، ونحن إن شاء الله بك لاحقون! وكما كنت أتمنى أن أعيش في زمانك أيها السلطان العظيم! إذن لو وجدت منك ما تقر به عيني ، ولو وجدت مني ما تقر به عينك! وأشهد الله أننا على الخير الذي كنت عليه سائرون ، نرجو رحمة ربنا ونخشى عذابه! يقول الله في كتابه: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ). ويقول: (أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا تُرْجَعُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ). هذا ، ويقول الأستاذ عبد الملك القاسم في كتابه: (الدنيا ظل زائل) ما نصه: (إن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة: دار الثواب والعقاب ، والدنيا: دار التحمل والاضطراب والتشمر والاكْتساب ، وليس التشمر في الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها. قال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له بها ، والدنيا قد كفيتهما وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعقل شأنك).هـ. نقول ذلك عن السلطان وقومه العثمانيين إبراءً للذمة وانتصاراً للحق وأهله ، في زمان ضاعت فيه معالم الحق! وفي فترة من فترات التاريخ عصبية ، قل خيرها وكثر بلاؤها وشرها! في عهد يخون فيه الأمين ويؤتمن الخائن ، ويصدق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق! نقول ذلك لأن كثيراً من الناس وعلى رأسهم المغرضون من المستشرقين الخبثاء والمؤرخين الجهلاء ، لا يكادون يذكرون للباشا العثماني وللسلطان العثماني إلا الضرائب التي فرضها على الشعب والظلم الذي باشره على بعض الناس! أما المعارك التي انتصرت لمجد الإسلام ، وأما المحافظة على خلافة الإسلام على ما كان يعثورها من طوام ، أما الهيبة والعزة التي اتصفت بها ديار الإسلام في عهد العثمانيين الأبطال الأشاوس ، أما المواقف النبيلة في الداخل والخارج تلك التي وقفها سلاطين آل عثمان! فلا يكاد الكثير من المؤرخين ولا المستشرقين يعترف بشي منه ويدونه في كتاباته أو محاضراته! والحمد لله أن كفانا الله بالدكتور المؤرخ (علي الصلابي) وغيره ممن دافعوا عن العثمانيين في عصرنا الحديث! وقصيدتي هذه في الدفاع عنهم أسطرها الله أولاً وآخرأ ، ثم للتاريخ في الانتصار للسلطان العظيم سليمان القانوني ، ولا أزكيه على الله! ولو كانت في زمان المملكات وكانت معلقة! ولو كانت في زمان شوقي وحافظ لتبوأت مكانها بين أشعار العرب في العصر الحديث! ولكن هذا قدرتي وهذا نصيبي! لقد كان شوقي يكتب القصيدة ولم يجف عنها حبرها ولم يُعد قراءتها على حد تعبير الدكتور أحمد الحوفي ، حتى يلقيها شوقي على الجماهير الغفيرة ، في قرطاج أو دمشق أو بغداد أو في بيروت أو في طرابلس! إذ تحمله طائرة خاصة إلى هناك! في زمان يعلم الله هل كان عدد الطائرات الخاصة يتجاوز أصابع اليدين أم لا! وذلك من فضل الله على شوقي ولا شك! ونشهد أن الرجل شاعر متمكن عبقرى وفي بعض أشعاره جودة وحمية وغيره على الإسلام وخاصة العثمانيين وكأن الرجل ابن من أبناء أحد السلاطين العثمانيين! إن كل شاعر له ظروف تصنعه بقدر من الله وله أدوات وأسباب توجه شعره نحو

وجهة هو موليتها! وأعتذر عن طول المقدمة! ولنطالع الملحمة السلিমانية القانونية العثمانية
في تأبين السلطان سلیمان القانوني - رحمه الله رحمة واسعة وتجاوز عن سيئاته وذنوبه -!

يسمو القريضُ مقاماتٍ وتبانا
ويستأذ برتباتٍ وذننبةٍ
وللقوافي أغاريذٌ تُزخرُفها
ورقعة النص تسبي روح قارئها
فكم يطيبُ له ذكرُ الذين سموا
حازوا من المجد بين الناسِ زروتةً
وأحرزوا النصر في ساحاتِ خندمةٍ
وألزموا الظلم حِداً لا يُجاوزهُ
هذا (سُلیمان) من في الخير ضارعةً
مجاهدٌ لم تكن تعيا عزيمةً
وللمدافع - في خميسه - حصصٌ
والجنذُكم فتحوا بالحرب من دولٍ!
وأصبح الناس أحراراً يُسامرهم
أو البقاء على ما دان أغلبهم
وزال قيذٌ وسجَانٌ وملهبية
إذ ليس يُكره هذا الدين من أحدٍ
والقائد الفذ قد طابت قيادته
ليث هصورٌ، له في الحرب صولته
وعاش ينصح في سر وفي علن
وما استبد برأي في ولايته

ويسـتنيفُ إذا أطرى (سُلیمانا)
بها يُرَجِّعُ أنغاماً وألحانا
حتى يكون نسيجُ الشعر مُزدانا
حتى يببب - بما يتلوهُ - هيماننا
في كل مكرمةٍ من (أل عثماننا)!
وسَظروا - في مراقي - العز ديواننا
وأشعلوا - في ديار الكفر - نيراننا
فلم ير الخلق - من أهليه - غدواننا
من جيله الفذ إفاق أقراننا؟
وكان - في حرب أهل الشرك - دُهقاننا
من القذائف لا ، لم تُببق بُلداننا
وكم أزالوا - عن الشعوب - طغياننا!
طيبفُ اختيار مليك الناس دياننا
حتى وجدنا بدار السلم أدياننا
وإن - في الفتح للأنام - فرقاننا
على اتباع هدىً - بالطوع - ما كاننا!
والجنذُباتوا - على التحقيق - عُقباننا
ويُمعن - الدهر - في التخطيط إمعاننا
ما أعذب النصح إسراراً وإعلاننا!
بل استشار غطاريفاً وإخواننا

آثار مَن رحلوا ، حباً وإيماناً
ولم يكن مستريب القلب خواناً
مردداً: إن هذا من (سليمانا!)
بل كان ينصب للأحكام ميزاناً
بل أثنى الهمج الباغين إثناناً
إلا وقد أذعننت قواهُ إذعاناً
فكم أقام بدار السلم بنياناً!
وزاد مُقفرها عِزاً وعِمراناً
وكم مبان غزت دُوراً ويُلداناً!
حتى تميّز - بالإسلام - أوطاناً
وأوسع الفذ تدشيناً وشُكراناً
فأصبحوا في (بيوت الوقف) سُكاناً
ومَن أعدّ خِلاف البئر بستاناً؟
ومَن أقام لها سداً وشُطاناً؟
تلك التي بقيت في الأرض أزماناً
بات الجمال بها في الدار مُزداناً
حاكى امرؤ القيس والأعشى وحساناً!
والشعرُ يسمو إذا ماضم قرآناً
شم القوافي ، سمت معنى وأوزاناً
ولم يبشّر لَمّا قالوه عصياناً
يخرُج على فقهِهم هوىً وبُهتاناً
من البيان سباً رؤىً وأذاناً

وقاد دولته بالشرع مقتفياً
وساس بالرشد والتقوى رعيتاً
وكان يبدأ باسم الله خطبته
وما تعنت في الأحكام يُصدرها
وما استكان لأعداءٍ لقوتهم
ولقن الكفر درساً لا يُبارحه
هذا (سليمان) ، والبناء يعرفه
وعمر الأرض أعلاها وأوسطها
فكم مدارس في الأصقاع شيدها!
وكم مساجد في الديار أنشأها!
بنى الحضارات ، والتاريخ مجده
وكم بيوت لقوم مُعدمين بنى!
سل الصهاريج مَن أعلى قوائمها؟
سل القناطر مَن بالماء أترعها؟
(سنان باشا) له في الصنع هندسة
منمنمات لها سبكٌ يُزخرُفها
هذا (سليمان) صاغ الشعر مُرتجلاً
وضمّن الشعر آياتٍ يرتلها
مَن عاصروه رؤوا أحلى قصائده
وجالس العلماء الناصحين له
وخالط الفقهاء المُخلصين ، ولم
وسامر الأدبا شوقاً لَمّا حذقوا

إذ سنه ، واجتبيى للسَّن أعوانا
أراد بالسَّن توفيقاً وإحسانا
لذمةٍ ترتجي عفواً وغفرانا
والدينُ يحفظ للدولتِ أركاننا
إذ خطها يبتغي للحق تبياننا
حتى يكون لأهل العلم برهاننا
إذ أصبحت في دنا التشكيك سُلوانا
إذ أوقدت في قلوب البغي أضغانا
وَجِبْرُ ريشته مِن دم قتلانا
وبعضها قاده في (أذربيجانا)
بغى الروافض ، تُخلى منه أكوانا
تُصلي الألى رفعوا - بالرغم - صُلبانا
بالنار حتى محاً كِبِراً وسُلطانا؟
وزال من لبسوا في الناس تيجانا
ومن لها اتبعوا صُماً وُعْميانا
لمن أتى حرم الإسلام جوعانا
يروى به الشعب إما كان ظمانا
وإن فيها من الخدام عُبدانا
وكل ذلك قد أسداه مجاننا
من ارتدى ثوبه ، أو كان عُريانا
كمن يُراقبُ حين البذل رحماننا

هذا (سليمان) ، والقانونُ يعرفه
مُوافقاً لنصوص الشرع في وضح
ثم استشار (أبا السعود) تبرئة
وخط درياً يُقوي رُكن دولته!
وإن (هارولد) أغنانا بمدحتِه
خط الكتاب ، وغالى في أدلته
وللعبارات في الكتاب رونقها
هذا (سليمان) ما خبث معاركه
ملاحمَ رسَم التاريخ قصتها
وإن فوق ربا (القوقاز) أشرسها!
وفي (الأناضول) كم دكت مدافعة
وسل (بروزة) عبر البحر ، جذوتها
وسل معي من رمى الفايكنج أجمعهم
ومن أذل مجوس الأرض ، فاندحروا
وفي جميع الدنا جلى عقاندهم
هذا (سليمان) في الحرَمين طعمته
وماء زمزم للأمصار حوله
وفي التكيّة من آثار نعمته
يُهدي الحجيج ، ويسقيهم ، ويُطعمهم
وكان يكسو الألى حَجّوا أو اعتمروا
يرجو الثواب من الإله محتسباً

دار الخلافة ، زان الحسنُ بلقانا
ويستشيرُ أولي ذُكر وِخَلاتا
مثل العروس ارتدت في العُرس فستانا
وانظرُ نخيلاً وأعابياً ورُمانا
تفوخ مسكاً وكافوراً وريحاناً
كالروض إما ازدهى للعين ، وازدانا
وكل صرح غدا حصناً وإيوانا
زلازلاً خبرتُ تترى ، وبركاتنا
سيفاً ورُمحاً وساحاتٍ وميدانا
بالنصر ، إذ غدتِ الأرواحُ قربانا
آناً ، وفوق ربا (أوربة) آناً!
و(بلجراد) و(طولون) و(جيانا)!
معاركٍ أرخصتُ في الفتح أثمانا
حتى تُحررَ إقليماً وإنسانا
قد خضبتُ بدماء الجند صفوانا
شرّ الضحايا قطيغ زاد كفرانا!
وجمغنا بات يوم النحر جزلانا
إذ جرّعتُ جُل أهل الصلب خسراناً
فما استطاعوا لها - والله - نسيانا
فقد أذلتُ ظروف الفتح فرسانا
إذ الهوان - على أصحابه - هانا
فالعيرُ ما حسبوا للحرب حُسانا

هذا (سليمان) في (أستانة) جعلتُ
ما انفك يبني بلايأس ولا ملل
حتى غدتُ في ديار الترك حاضرة
سل الفواكه في أرحابها ينعثُ
في كل ضقع بها الأشجارُ باسقة
فيها البناياتُ ما برحتُ تزخرُها
مرّت قرونٌ على ما قد بناه بها
قوارغ الدهر ما نالت عمارتها!
هذا (سليمان) والجهادُ يعرفهُ
في نصف قرن فتوحاتٍ مكاللة
في (آسيا) بعد (أفريقية) اندلعتُ
في (بودابست) و(تبريز) و(مَرسية)
في (سيكتوار) و(إيطاليا) وما حوتا
وفي (سواكن) آياتُ الجهاد زكتُ
واسألُ ثرى (وبوليس) ، ذي حجارها
إذ أعلنتُ يوم أضحانا نهايتها
لذا فرحنا زهاء الفرحتين معاً
وإن (مُهاكس) لم تبرحُ خواطرنا
ولقتهم دروساً ، عز شارحها
وفتح (رودس) حيّ في ضمائرهم
رغم الحصون تحدى الغيثُ عزمهم
فاستسلموا دون أن يُبدوا مقاومة

من المعاصي على قلوبهم رانا
وأيّد الله يوم الفتح هلكانا
واختار زوجته العصماء (رُوكسانا)
وبادلت زوجها عطفاً وتحناناً
والأهل كانوا مغاويراً وأعياناً
في الجود فاقت رجالاً ونسواناً
بل أحصنت فرجها - والربّ - إحصاناً
وناولته رضاً عنه ورضواناً
دأء الملوك عن الجهاد أحياناً
شيخ الأطباء: رعاك الله مولانا
والرخصة اشترعت عفواً وسلواناً
دعني أمّت في سبيل الله رياناً
دعني أرغم أهواءً وشيطاناً
ومن رآه رأى في التور رباتنا
لما غزا وسط (أفريقية) غانا!
في يوم جمعتة ، والفتح قد حانا
والجنّد صاروا على الأعداء عُقباتنا
وأصبحوا عنده في الأرض جُعلتنا!
على الخضوع له قوماً وبلداناً!
لم يُبق منهم بسيف الحق قرصانا
والشيب قد سبقوا للحرب شبانا

وران ما كسبوا في جُل عيشتهم
فكان نصراً جَرّت سَيْلاً غنائمه
هذا (سليمان) زوج لا نظير له
كانت حصاناً رزاناً في قبيلتها
ويعجز الوصف عن فحوى مناقبها
سليّة المجد في أصل وفي نسب
ولم تُسافح ، ولم تخنُ تعفّفها
أغنته عن كل ما يرجوه في امرأةٍ
حتى إذا بلغ السبعين أقعده
ويوم معركة (الهابسورج) ناصحة
بالنقرس الله قد أعطاك معذرة
فقال: إنني للاستشهاد مُنتظرٌ
يأتي الشفاء إذا جاهدت من كفروا
ويركبُ البحر مُستتلاً مُهنده
أو (بايزيد) ، وتخدوه مآثره
ولست أنساه إذ وافى بخطبته
وبعدُ صلى بهم يرجو مثوبته
أعطى ملوك العدا للفذ جزيتهم
وعاش يُوسِعهم ذلاً ليقهرهم
هذا (سليمان) سل عنه قراصنة
والبحرُ يشهدُ إذ كان النزالُ به

على كتائبه ، فاهتاج غضبانا
من كل مرتزقٍ يختال سكرانا!
وألبس المجرمين العير أكفانا
إذ أرسلوا من شكاوى الحال أطنانا
ويخذل الله غداراً وخواننا
فيها المطاعم أشكالاً وألوانا
بموت مُرعبهم نوماً ويقظانا!
أعاد ذكرى (أبي ذر) و(سلمانا)!
وما علمنا له في العزم أقرانا
أوصى الصناديد أصحاباً وندمانا
كأنما دوحه تمد أغصانا!
أنا الذي عشت في دنياي سلطانا!
تكون شاهد عبدي بات حيرانا
وهم أجازوا ، وما أرغمت إنسانا
طوعاً لرب الورى ، حباً وإيماننا
ولم تخافوا غداة الروع علانا
يارب فارحم ، وسامخ (آل عثماننا)!

والكاثوليك أغاروا دون مرحمة
وخلفهم بروتستانت وكوكبة
فاجتث باطلهم في كل مصطدم
وأنقذ الشهم آلاف اليهود بها
لكنهم غدروا ، والغدر شيمتهم
ويوم مات أقام الكفر مأدبة
من موته اتخذوا عيداً ليحتفلوا
فيا (ظرابزون) بابن شادك افتخري
وجدد الدين في الأقطار قاطبة
وقبل أن تُدرك السلطان ميتته
يا قوم فلنخرجوا كفي من كفي
كي يدرك الناس أني ما أخذت شيئاً
كذلك دسوا معي في القبر أسئلتي
حتى تقول: أنا استفثت من فقها
يا آل عثمان أحسنتم قيادتكم
ولم تخافوا فلاناً رغم سطوته
يا (آل عثمان) أديتم أمانتكم

بين نارين!

(يعجبُ المرء من قوم يحرقون جثة ميتهم ، وعندما تتفحم الجثة يدفنونها! أي دين؟ وأي عقل؟ وأي منطق؟ وعلى هذا يكون ميتهم بين نارين: نار الدنيا ، ونار الآخرة والعياذ بالله. فرُحْتُ أناشد هؤلاء الحمقى من عبيد إبليس أنهم وصاحبهم إن لقوا الله - على هذا الكفر وتلك العقيدة الفاسدة - فمصيرهم النار وبنس المصير! وتحت عنوان: (صور خطوات الهندوس لحرق موتاهم) تقول الأستاذة ماري مراد ما نصه: (تُقَدَّس طائفة الهندوس دولة الهند ، ويعتبرونها أكثر الأماكن المقدسة على الأرض. ويقوم أتباع الهندوسية بحرق موتاهم بعد إتمام مراسم الجنازة لاعتقادهم بأن ذلك ضروري حتى ترتفع الروح إلى السماء. كما يعتقد الهندوس أن حرارة النار هي المطهر النهائي للروح بعد الماء ، فالماء هو المطهر الأول ، وحرارة النار هي المطهر الثاني. وعندما يموت الإنسان تبقى روحه بالقرب من رفاة حسب المعتقدات الهندوسية ، فيقوم بإجراء طقوسهم حتى 13 يوماً كي ترقد الروح بسلام. والروح عند الهندوس تتكون من الماء والتراب والنار والهواء والسماء! والحرق يعيد الروح إلى حالتها الأصلية حسب اعتقادهم ، وبالتالي تبدأ الرحلة الجديدة لروح الميت. واستطاع مصور أن يلتقط صوراً للساعات الأخيرة لجثة هندوسى متوفى قبل إتمام عملية الحرق في مانكاريكنا جاتس ، أكبر موقع للحرق في فارانسي ، حسبما أفادت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية. فهم يعدون الحطب إضافة إلى مجموعة من الحيوانات والأشخاص في انتظار الجثة التي سيتم حرقها. وهناك مجموعة من الأشخاص حاملين الجثة في طريقهم إلى نهر الغانج ، لغسلها للتطهير استعداداً للحرق. ويجلس مئات الأشخاص من كبار السن والمرضى بجوار نهر الغانج في انتظار قدوم ساعة النهاية. وبخلاف الأعراف كافة ، لا تغلب على الجنازات مظاهر الحزن ، إنما يجلس الأشخاص يضحكون ويلعبون بعد أن أعدوا مراسم الجنازة ، وذلك بسبب أن الهندوس لا يرون أن الموت خسارة ، لكن الشخص الذي يموت كالثوب البالي ، الذي لزم التخلص منه. عملية الجنازة أمر حيوي في تحقيق السكينة لروح الميت ، ومراحل الطقوس العديدة يجب أن تؤدي بشكل صحيح ، وإلا لن تجد الروح طريقها في الحياة الآخرة. وأخيراً تصل جثة المتوفى إلى النهر ، ملفوفة في كفن برتقالي ، ولا بد من أن يتم حرقها في غضون 24 ساعة من وقت الوفاة. والرجل الذي يرتدى الأبيض هو أحد أقارب المتوفى والمكلف بتنفيذ الطقوس الجنائزية ، ولا يسمح للنساء بحضور الجنازات خوفاً من أن تبكي إحداهن فتفسد الجو العام. بعد ذلك تترك جثث المتوفين على الدرج لمدة ساعتين تقريباً لتجف قبل الحرق. بعد ذلك يتم نقل الجثث إلى مكان الحرق، حيث يوجد أكوام من الخشب ، يتم اختيارها بعناية وفقاً لمستوى الأسرة المادى. ويعتقد الهندوس أن الموت معدى ، لذا فلا يسمح لأحد بلمس الجثة سوى مجموعة يطلق عليها "doms" ، ما جعلهم يحققون ثروة ضخمة. وفي عالم الهندوس لا يوجد توابيت ، لكنهم يقومون بدفن مجموعة مختارة منهم بدلاً من حرقها ، مثل رجال الدين والأطفال الذين يموتون دون سنتين ، لأن روحهم طاهرة ، أما اللصوص والمنتحرين فيتم حرقهم ، لكنهم يعتقدوا أن الحرق لن يستطيع تطهير أرواحهم لكثرة ذنوبهم. ويتم وضع القدمين في اتجاه الجنوب تجاه إله الموت ، ورأسه نحو الشمال نحو إله الثروة. وبعد أن تم حرق الجثة! وإن لم يكن لدى الأسرة الأموال الكافية لجلب مزيد من الأخشاب ، تطفئ النيران بمياه النهر ثم يلقى الرماد في مياه النهر ، ويسمح للسباح بمشاهدة طقوس الجنازة لكن لا يسمح بالتصوير).هـ. وفي جريدة (رأي اليوم) وتحت عنوان: الفاتيكان: يمكن للكاثوليك حرق

جثث الموتى دون نثر الرماد. جاء ما نصه: (وفي مدينة الفاتيكان أكد الفاتيكان مجدداً في توجيهات اليوم الثلاثاء أنه ينبغي ألا ينثر الكاثوليك الرماد المتبقي من حرق جثث الموتى أو يحتفظون به في المنازل ، مع الإشارة إلى أنه رغم أن حرق الجثث غير محظور إلى أن الدفن التقليدي أفضل).هـ. وورد في (شبكة الأخبار العربية) وتحت عنوان: (ثقافة حرق الموتى) يوم السبت 15 يولييه 2017م ما نصه: (الموت واحد لدى كل الشعوب! أما ما بعد الموت فهو سؤال تنوعت النظرة إليه فبات لكل شعب فكرته الخاصة عن الموت والموتى. وحرق الموتى هو عادة قديمة لا زالت قائمة في بعض الدول كالصين واليابان والهند ، حيث يتم حرق جثة الميت باستخدام درجات الحرارة المرتفعة للحرق والتبخر والأكسدة ، وقد تكون تلك العملية في محرقة الجثث أو في الهواء الطلق كما في الهند ونيبال. بينما "ساتي" هي عادة هندية يتم بموجبها إرسال زوجة الميت إلى المحرقة حيث يتم تقييدها وإجبارها على ذلك في الكثير من الأحيان. وتعتبر "ساتي" شكل من أشكال التضحية بالنفس التي مارستها أغلب الحضارات القديمة ففي مدينة أور السومرية تم اكتشاف عشرات الهياكل العظمية البشرية في المقابر الملكية وهو يرتدون كافة ملابسهم الرسمية وآلات موسيقية وهو ما يدل على أن أولئك قد يكونوا جوارى وموسيقيين دفنوا بعد أن تم قتلهم بالسم ثم تم رصهم إلى جانب الملك. وقد كان الفايكنج في القرن العاشر الميلادي يدفنون الجوارى ليرافقن أسيادهن في رحلة ما بعد الموت. ويقال أن الإسكندر المقدوني قد شاهد تلك العادة ، وحاول منعها عند احتلاله للهند في القرن الرابع الميلادي. ثم حاول نفس المحاولة أباطرة المغول في القرن السادس عشر ، وعندما دخل الانجليز للهند حاولوا ممارسة تلك العادة. واليوم فالساتس ممنوعة في كل أرجاء الهند ويعاقب أي شخص يحاول إجبار الأرملة أو يساعدها على إحراق نفسها مع زوجها. إلا أنه لا زالت بعض الزوجات تحاول فعل ذلك وبعض الهنود يشجعون تلك الأفعال باعتبارها رمزاً للإخلاص والتضحية بالنفس ، إلا أن الحكومة الهندية تواجه ذلك كله بالمزيد من الإجراءات المشددة. ففي عام 2006 م قامت عجوز هندية بالقفز إلى النار أثناء جنازة زوجها واحترقت حتى الموت ، وقبلها بشهور رمت أرملة شابة بنفسها إلى داخل المحرقة عمداً ، إلا أن أسرتها وأقاربها نجحوا في إنقاذها قبل أن تحترق أو تموت ، وينتشر أسلوب إحراق جثث الموتى في بلدان كثيرة ، خصوصاً عند الهندوس والبوذيين وعامة الوثنيين من الهنود وغيرهم. ومن المعروف أن أسلوب إحراق الجثث كان يمارس في جميع العصور. لكن لم يستخدمه الصينيون القدماء أو المصريون ، بل مارسه الإغريق والرومان القدماء. وكانوا يعتقدون أن إحراق الجثة يُطهر الروح ، ويُحررها من شكلها الأرضي. ويعتبر حرق الجثث طقس من الطقوس التي تتبعها الديانة الهندوسية - أكبر ديانات الهند - ويعلل الهنود حرقهم للجثث بأن روحه بذلك ترتفع إلى السماء ؛ لأن حرارة النار التي تحرق الجثث تساعد على تطهير النفس من الذنوب ، وحسب اعتقادهم أن الحرق يُعيد الروح إلى أصلها ، ويسمى ذلك في عقيدتهم: "عقيدة الفناء" أو "السوتي" ، أو "قربنة الذات" ، هذا الأمر الذي رفضته جميع الديانات والنحل).هـ. من أجل ذلك كانت هذه القصيدة التي تصف حال الكفار إذ يفعلون ما لا يقره عقل ولا منطق!)

أمها—وهُ يا عابدي الشيطانِ فالمصير حتماً إلى النيرانِ
لم يزل - في الكفران - سَمتاً وهدياً مستسـيغاً شـعائرَ الكفرانِ

مسـتـطـيـباً عـبـادـة الأوثـان
تـابـعـاً للأحـبـار والكهـان
مـعـرـضـاً عـن حـقـيـقـة الإيـمان
والضـلـالات جـوهر الإحـسان
فـارتـأى حـقـاً نـحـلـة الشـيـطان
هـل ذكـاء يـأتـي مـن الثـيران؟
مـو غـلاً فـي التـضـليل والعـصـيان
فـي التـدني والبـغـي والطـغيان
صـاغ نـصـاً ما كان فـي الخـسـبان
بـات ذكـرى فـي عـالم النـسيان
كـي يُصـلـى فـي باحـة الأفران!
أو كـلـحـم يُطـهـى عـلى القـضـبان
فـي امـتـهـان كـرامـة الجـثـمان
بـعـدما صـاغوا باقـة الأديان
أخـرجـوه مـن لفة الأكفـان
أخـرجـوا الفـحم لـأن باظمنـان
واعـتـلاه - فـي التـو - بـعضُ دخـان
واحدأً يـا حـثـالـة العـبدان
عـند ربـي - للـكـافر - الخـوان!

راتعاً - فـي الشـرك - اختيالاً وزهواً
مسـتـجيباً - للترهات - رضياً
سـادـنو الأصـنام اسـتخفوا جهولاً
أوهمـوه أن الأبـاطـيل حـق
فـاسـتـبدوا بعقله والطوايـا
عـاش مـثل الأنعام ، بل كان أدنى
عـاش يهـذي دون اعتبار ، ويخزي
وانقضى العمر في المتاهة طابت
ثم حـلّ الموت الزؤام سريعاً
ثم بات العبد الكفور فقيداً
والرفاق قد قـدمـوه شـواءً
صار مـثل الأسماك تُشوى وتُقلى
أحرقوا الجثمان المسجى ، وجـدوا
كشـفوا الكـفـين اتبـاعاً لفتـيـا
ثم بـعد الكـفـين كُشِّفَ وجـة
ثم بـعد الإحراق بالنار ، ها هم
وشـواظ النيران أنضج جسماً
ناركم هـذي تعدل اليوم جزءاً
من حـوالي سـبعين جزءاً أعدت

النادلة والعجري!

(هناك في روما ، وفي حي من أحيائها الشعبية القديمة ، تقمص صاحب المطعم شخصية إنسان عجري شريد متخلف ، فعقص شعره جدائل ، ولبس ثياباً رثة ، وارتدى نعلين مشقوقين قديمين ، وغير من طريقة كلامه وألفاظه ، وأخفى معالمه نسبياً بحيث لا يُعرَف ، ودخل مطعمه الشهير على أنه شخص آخر على الوصف الذي أسلفنا! وعندما دخل المطعم ليأكل ، عاملته النادلة معاملة طيبة لطيفة ، ولم تسخر منه كما سخر عملاء المطعم الآخرون! وبعد أن عرضت عليه قائمة الطعام وطلب الوجبة التي يشتهي ، وجاءت بها النادلة مشفوعة بالمشروب وفاتورة الدفع! فأكل وشرب وقال لها في الختام: بُنيتي أنا رجلٌ فقير لا أملك من خُطام الدنيا شيئاً ، فهل لي أن أطمع في كرم ضيافتكم؟ فقالت له: أما إن هذا ليس في مطعمنا يا سيدي! ولكنني سوف أدفع لك من راتبي! فلما قام ترك لها مطروفاً بداخله مائة دولار ورقية وورقة صغيرة كتب عليها: أنا مستر فلان صاحب المطعم ، وبلغتني عنك شائعات أنك لا تشتغلين بجد وتعاملين الزبائن بكبر وغطرسة ، الأمر الذي حدا بي إلى أن أرى كل شيء على الطبيعة! فخذني المائة دولار على سبيل الهدية ، وسامحيني في هذا السلوك ، واغفري لي هذا التصرف! فليتعلم من صاحب المطعم هذا مدرء ومسؤولون وكبراء كثيرون حولنا ممن يُصدقون الشائعات! ولا تكاد تجد عند الواحد منهم أدنى وسيلة للتثبت والتحقق من الشائعات! وتحت عنوان: (الإشاعة: خطرها وعلاجها) يقول الأستاذ محمد الجابري ما نصه: (هذه الإشاعات التي لها خطر عظيم وشر كبير. فكم دمرت من مجتمعات وهدمت من أسر ، وفرقت بين أحبة. كم أهدرت من أموال ، وضيعت من أوقات. كم أأزنت من قلوب ، وأحرقت من أفئدة ، وأورثت من حسرة. وإذا أردت أن تعلم عظيم شرها ، فانظر في حادثة الإفك: كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث شهراً كاملاً وهو مهموم محزون ، لا وحي ينزل يبين له حقيقة الأمر، ولا يعرف عن أهل بيته إلا الطهر والعفاف. ولقد فتن كثير من المسلمين بنشر هذه الإشاعات وترديدها دون نظر في النتائج ، ودون نظر في الشرور الناتجة عنها. لقد عالج الإسلام قضية الإشاعة عن طريق ثلاث نقاط: (أ- النقطة الأولى: التثبت. ب- النقطة الثانية: الناقل للإشاعة من الفاسقين. ت- النقطة الثالثة: التفكير في عواقب الإشاعة). يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) وفي قراءة أخرى (فتثبتوا). فأمر الله بالتبين والتثبت ، لأنه لا يحل للمسلم أن يبيث خيراً دون أن يكون متأكداً من صحته. وأما عن التفكير في محتوى الإشاعة: فإن كثيراً من المسلمين لا يفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة ، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها وكأنها من المُسلمات. ولو أعطينا أنفسنا ولو للحظات في التفكير في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبداً. لقد بين الله حال المؤمنين الذين تكلموا في حادثة الإفك فقال: (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم.) هـ.)

سَأَلْتُ عِرْضَكَ مِمَّا شَاعَ وَاخْتَلَطَا
وَكُنْتُ أَجْهَلُ مَا شَاعُوهُ مِنْ كَذِبٍ
لَمْ أَلْ جَهْدًا ، وَلَمْ أَقْبَلْ مَطَاعَنَهُمْ
عَارِضَتُهُمْ ، فَاسْتَمَاتُوا فِي مَجَادَلَتِي
وَكَانَ أَمْرِي - قَبْلَ الْمَلْتَقَى - فَرْطًا
وَبَات - كُلِّ الَّذِي قَالَ الْغَا - شَطَطًا
لَمَّا وَجَدْتُ الصُّوَى - بِالْإِفْكَ - مُرْتَبَطًا
وَكَوَلِ مَجْتَرِي حُسَامَهُ اخْتَرَطَا

وتعشقين الأذى والغش والغمطاً
حتى إذا نزلوا في المطعم اضطربا
كلامهم ، عندما لم يدرسوا النمطا
وردهم قد غدا التنفير والسخطا
كأنهم أصبحوا - في مطعمي - سُططا
فلا تفاؤل منه الزائر اغتبطا
وقسوة بأسها بكبرك اختلطتا
كأحمق قوله المُقزز اغتبطتا
وتكثرين - على من زارنا - الغلطا
وأستعيرُ سِماتِ السوقِ البُسَطا
وباليمين أنحي - عن صواك - غطا
عني ، فحكتُ بنود الفخ والخططا!
فقد وضعت - على حروفي - النقطا!
ولم يعدُ أمرُكَ المعتلُّ مُستوطا
فقلتُ: لستُ الذي - في حكمه - قسطا
إن الفؤاد - بما أحدثته - انبسطا
وسوف أقمغُ رأسَ القوم والرھطا
فقد غدوتُ لَمَّا تقضينه نشِطا
فهذه مائة آلتُ إليك عطا
قولي: رضيثُ ، وقلبي زایل السخطا

كلّ رآك - إلى الإهمال - مانلة
ولا تباليين بالضئوف إن حضروا
وتسخرين من الزبائن ارتجلوا
وتشتمين بلا حياء ولا أدب
وتعمدين إلى تحقيق أغلبهم
وتعسسين ، كأن البسمة انتحرت
وتقبلين على الجمهور في بطر
وتبذلين - من الألفاظ - أسوأها
وتلبسين مُسُوح الشم إن أمروا
فقلتُ: أنزل - بين الناس - مختبراً
حتى أرى غادتي على حقيقتها
لأكشف الستر عما كان مختفياً
حتى رأيتك - للمعروف - صانعة
وبات شكّي سراباً لا دوام له
عانيتُ جودك والإخلاص عن كذب
بل أستميحك عُذراً في معاملي
أنا المُسيئُ ، ومولاتي مُبرّاة
تبختري ، واطلبي ما شئت من عوض
عربون توبي - عن الظنون - جدتُ به
وذاك شكري لَمَّا أسديت من كرم

وجبت لك المسألة!

(سافرت هدى هذه المرأة الثلاثينية خارج بلدها مخلفة زوجاً مريضاً وأبناء لها لم يتجاوز أكبرهم الخامسة عشرة من عمره على حد قولها! وذلك لتعمل في دولة أخرى خادمة عند قوم لا خلاق لهم. وراحت تفاضل بين البيوت والناس والخدمة بحثاً عن الأفضل في غربة فرضتها أحوالها المادية السيئة ، وزاد حبات الطين بلة أن الزوج لا يعمل ولا يقوى على العمل! ورأيتها مبتدلة مهانة من أناس قد نزعت الرحمة من قلوبهم نزعاً فغرت عليها. ولما قصت علي قصتها عندما دخلت بيتاً لأدرس أبناءه ظننتها أهمهم! فقلت لها عودي من حيث أتيت فليس هذا مكانك ، وإن الله واجدٌ لك مخرجاً ، وإن كانت الأمور كما تقولين فلقد وجبت لك المسألة ، ولن تعدي أصحاب القلوب الرحيمة والأرواح الطيبة والضمان الحية! يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعَرِضُهُ وَمَالُهُ) رواه مسلم. وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ!). رواه أبو داود. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرِضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه الترمذي ، وقال: (حديث حسن). وعن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَاِ الْإِسْتِطَالَةَ فِي عَرِضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ». رواه أبو داود. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرِضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ). رواه البخاري. يقول الشيخ المنجد في إحدى خطبه عن وجوب حماية العرض ما نصه: (قال لي أحد الإخوة: مررت بمجمع تجاري في الساعة الواحدة ليلاً ، فرأيت منظرًا عجيبياً! ثلاثة أولاد يقفون في الشارع ، بنت عمرها سنتين ونصف تقريباً ، وولد عمره أربع سنوات ، وولد آخر عمره سبع سنين ، فأكلت طريقي ، ثم عدت من نفس الشارع في قرابة الساعة الثالثة إلا ربع قبل الفجر ، فوجدت المنظر ذاته ، البنت الصغيرة جالسة على الرصيف ، وهكذا حال الأولاد ، فاستغربت ، وتعجبت لهذا المنظر ، وهؤلاء الأولاد في هذه الساعة المتأخرة من الليل قبل الفجر ، فأوقفت سيارتي ، ونزلت إليهم ، فقلت: ما لكم تقفون في هذه الساعة؟ وما سبب حضوركم في هذا المكان؟ ورأيت البنت الصغيرة في عينيها عبرة ودمعة ، وكذلك في عيون إخوانها ، فأجابني الولد الكبير بعد السؤال والنقاش: إن أماناً قد خرجت بنا في ليموزين إلى هذا السوق الذي فيه مكان للألعاب ، ووضعنا فيه ، وقالت: سأعود إليكم الساعة الواحدة ، ثم مضت مع شخص يقول هو خالي ، ولكنني لم أره من قبل ، لكنه كان يقول: إنه خالي ، ثم تحدث الطفل عن مأساته ، وعن مأساة إخوانه ، والدمعة تترقرق ، والعيبرة تختنق ، والصوت يتهدج! وانتهت القضية بأن أوصلتهم إلى بيتهم ، ولكن هذه الأم المجرمة التي تلقى بفلذات كبدها إذا كان لها كبد في هذا الوقت إلى الساعة المتأخرة في الليل لتذهب مع رجل أجنبي تعرفت عليه في استقبال المستشفى! أين الزوج؟ أين العائلة؟ أين الأسرة؟ أين الحماية؟ لماذا ضياع الأولاد! انتشار الفواحش! شيوع الأمراض! جلب نقمة الرب على المجتمع! أين العقول؟! أين الغيرة؟! لماذا هكذا انفلت الأسرة؟ لماذا يذهب الزوج بعيداً عن زوجته؟ لقد تفلتت

الأمر بشأن المرأة ، فاستساغتِ الخروج كيف تشاء ، والليموزينات تعمل في نقل البغايا!
عجباً عجباً لنا ، كيف وصلنا إلى هذه الحال؟! هل من توبة؟! هـ. ومن هنا نصحت الخادمة!

عودي فما - في الذي أتيتِه - لببُ
واستنشقي أرجِ الطاعات في سفر
ما عيشة أنتِ فيها يا (هُدي) أمة
وما حياة بها الإباءُ ممتهنُ
فمِيم التعلق بالحياة آسنة
فمِيم اغترابك عن أهل وعن وطن؟
عودي ، ولا تنشري الإغواء في ملاء
ألا تغارين؟ أم أصابحت باردة
ألا تحسّين بالعيون هانمة
ألا يُريبُك ما تسعى الذنابُ له
ألا يروغُك فوضى في الديار سرث
ألا تخافين مما تلمسين هنا
عودي ، وربك لن ينسى وليته
مُفرّجِ الكرب ربّ الناس ، لا تهني
فلا أراك هنا كالسلعة ابتذلت
عودي ، وإن وجبتِ يا أخت مسألة
وفي انتظاركِ زوج ، ثم عائلة
والعودُ أحمدُ صدقاً لا بديل له
ناصرحتك اليوم ، خوف النار موقدة
أريد بالنصح غفران الذنوب غداً

والله ناصرُ - مَنْ لديه - يحتسبُ
وإن يكن بعده الإملاق والودب
جبراً تلبين ما أصحابها طلبوا؟
بالقهر والضنك والإذلال يُختضب؟
فيها الكرامة - رغم الأنف - تَغْتَصَب؟
هل وحدها ربة الأخلاق تغترب؟
لولاك لَمَّا يَكُنُ للغَيّ ينجذب
لا تعبئين بخُسن بات ينتهب؟
تهفو إليك ، لها في الملتقى أرب؟
والأكلبُ الهُوجُ والضَّبَّاعُ والدَّيب؟
يُباع فيها الهدى والعلمُ والأدب؟
من التحلل منه الحال يضطرب؟
إما اعتراها الأذى والضر والنوب
بالالتجاء له يفرّجِ الكرب
أمام مَنْ يشتهي جهرأ ، ويرتغب
لرأب صدعك ، قد يُعطيك محتسب!
وبينهم يا (هُدي) أبنائكِ النُجَب
وكل حل سواه اللهو واللعب
وفي جهنم يزكو الوقود والهب
وبالنصيحة عفوُ الله يُكتسب

وترجون من الله ما لا يرجون

(يكاد المرء يُذهل عن صوابه وهو يرى غير المسلمين يجذون في الحياة ويأخذون بأسبابها فيصلون إلى القمة في عمارة الأرض! على حين يجد المسلمين - وكانوا أولى بهذا - لا يجذون في الحياة ولا يأخذون بأسبابها فلا يبرحون الحضيض ولا الذيل! فأصبحوا في ذيل الأمم والشعوب والحضارات! فهل هو قدرٌ محتوم؟ أم هو التقاعس والتكاسل والتواكل؟! وكان من قدري أن أرى في بناية أسكنها عجب العُجاب ، فهؤلاء أمهاتٌ هندوسيات لا يدنّ دين الحق ، ومع ذلك يستيقظن مبكرات ويوقظن أطفالهن ويصطحبنهم إلى حافلات مدارسهم في الصباح الباكر حتى يركبوا وينطلقوا إلى مدارسهم! وحتى انتظار الحافلات يُراجعن معهم بعض الدروس فيما تبقى من الوقت! أقول: إذا كان هذا هو الظاهر البادي للعيان فما بالنا بالحال داخل البيوت من الاهتمام وبذل الجهد؟ على حين أننا نجد أغلب المسلمات لا يفعلن عُشر معشار هذا الجد والكفاح. وعارٌ أي عار أن يكون الأمر هكذا! إن المسلمات أولى بهذا بالطبع ، والنصوص في ذلك كثيرة. يقول الله تعالى: "وَلَا تَهْنُؤا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ، إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا". يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: (القول في تأويل قوله: وَلَا تَهْنُؤا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ: قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "ولا تهنؤا" ، ولا تضعفوا. من قولهم: "وهنّ فلان في هذا الأمر يهنّ وهنًا ووهونًا". وقوله: "في ابتغاء القوم" ، يعني: في التماس القوم وطلبهم ، و"القوم" هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك بالله. "إن تكونوا تألمون" ، يقول: إن تكونوا أيها المؤمنون ، تيجعون مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا ، فإنهم يألمون كما تألمون" ، يقول: فإن المشركين ييجعون مما ينالهم منكم من الجراح والأذى مثلما تيجعون أنتم من جراحهم وأذاهم فيها "وترجون" ، أنتم أيها المؤمنون. "من الله" من الثواب على ما ينالكم منهم. "ما لا يرجون" هم على ما ينالهم منكم. يقول: فأنتم - إذ كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم ، بما هم به مكذبون - أولى وأحرى أن تصبروا على حربهم وقتالهم ، منهم على قتالكم وحربكم ، وأن تجذوا من طلبهم وابتغائهم ، لقتالهم على ما يهنون فيه ولا يجذون ، فكيف على ما جذوا فيه ولم يهنوا؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: فعن قتادة: "ولا تهنؤا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون" ، يقول: لا تضعفوا في طلب القوم ، فإنكم إن تكونوا تيجعون ، فإنهم ييجعون كما تيجعون ، وترجون من الله من الأجر والثواب ما لا يرجون. وعن السدي: "ولا تهنؤا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون" ، قال: لا تضعفوا في طلب القوم ، فإن تكونوا تيجعون الجراحات ، فإنهم ييجعون كما تيجعون). هـ. إن الهندوسيات خلقن من طين لا من حديد! وأجسامهن مركبة من لحم وعظم ودم لا من فولاذ! وهن يعانين في كل ما يفعلن ولا شك. فأرجو أن يأتي اليوم الذي نرى فيه المتقاعسات من المسلمات يبذلن ويجتهدن كما تجتهد هؤلاء المشركات! وما ذلك على الله بعزيز! أكتب في الثناء على الاجتهاد على الرمل فأقول:)

إن بَذَلَ العُرف أسْمى مَكْرُمةً وانتفاغ الغير بالمرء سِمة
هل كمثّل الأم ينبوغ عطا؟ وعطاها - باحتساب - تكرممة
في ظلام الليل (روكسا) استيقظت واستفاقت في دجى ما أظلمه!

بعباراتٍ كمثّل الهينمة
قم ، وشارك في غمار الملحمة
واجتهادي فيه نِعَمَ المَكْرَمَة!
لم يُعذّ وقتٌ ، فخل الهذرمَة!
عنه تلقى اليوم عُتْبَى مُؤَلْمَة
تفهم الألغاز تلك المُبْهَمَة
من علوم - عنك - كانت مُعْجَمَة
فكرة فيها أمورٌ موهمة
من دنا أخرى غزتها العولمة؟!
لا ، ولا صاغت رؤانا توأمة
قد نأى عنها الهدى والحضرمَة
جدّ أعرابيةٍ أو مسلمة
أخلصتُ بذلاً ، وكانت مُنْعمَة
إذ بغتُ من كل خير مَغْمَة
زادها ربي بهاً ، ما أعظمه!
واكتفتُ - في ردها - بالبرطمة
بعد أن أرتته إذ سدّت فمه!
والضميرُ الميُتُّ يقاتُ العمه
وابن هذي علمه كالسمسمَة!
وابنُ هذي في سراديب الكمه!
عيشنا يحتاج نورَ الأسلمَة

وأفاقت طفلها من نومه
قم صغيري ، يومك الزاهي بدا
قم أيا مجداً ، أنا أحياله
غرّد (الباصُ) ، فأنصتُ ، واستمع
وافتكّر ماذا نسينا يا فتى
وانتبه للدرس ، وانشط ، واستقم
وافتكّر في كل ما استودعته
واسأل الأستاذ إمّا استشككت
ليت شعري هذه الأمّات هل
ما التقينا في اعتقادٍ أو قرئ
لم تكن أختي ، ولا من عترتي
لم تكن هذي ولا أسلافها
لكن الإنصافُ يقضي أنها
والتي أولى بهذا أختنا
من مليك الناس ترجو جنّة
لكن الفضلُ يميناً قصّرت
والذي نكرها ضاقت به
أسلمت - للنوم - أجفاناً غفت
ابنُ هاتيك جبالٌ علمه
وابنُ هاتيك له مستقبل
أختنا جدي ، ولا تسهتري

رسالة يسطرها الحب!

(سَطَرَ هذا الصاحبُ أولَ رسالةٍ لخطيبته بعد اغترابه. ولما شرحت (الشيماء) ما خطه لها (أحمد) أعجبني الأسلوب فرحتُ أصوغ هذه الرسالة شعراً! وما أدراك ما رسائل المحبين المؤمنين الصادقين التي تنبض بالصدق والإخلاص! ذلك أنها تكتب على هدىً من الله وكتاب منير! وهذا أيضاً يعطيها صفة الديمومة ، وإن لم يكن زواج ولا زوجية!)

مني إليك تحية زهراء
يشدو بها حبّ تسامى بيننا
في خير يوم أشرفت أنواره
حتى يحين لقائنا يا غادتي
حيّاك ربك يا خليّة (أحمد)
وسلمت من بدع تحيق بقومنا
أحببت فيك رزانة ونجابهة
دين وأخلاق وعزة مختد
ومحبة للحق يصعب وصفها
وإذا نطقت فقول مؤمنة سمّت
وإذا أخذت أخذت دون تذل
وإذا وعدت الآخريين صدقتهم
وإذا أوتمنت فلا تمسّ أمانة
وإذا اختلفت ، فلخالف أصوله
وإذا كرهت ، فلأمور لها صوئ
من أجل ذا أحببتها ، وأردتها
والله أسأل أن يبارك حبها

يا عفة الأخلاق يا (شيماء)
وتشرفت بسموه العلياء
وترنمت بجماله الجوزاء
في مصر إن شاء الإله لقاء
ما استقبلت شمس الدنا الغبراء
يأسى - لها ولهولها - الصلحاء
بهما تدل الغادة العصماء
وتعفف وعراقة وإباء
تزري بما قد صاغه البلغاء
واللفظ يدرك سره الفهماء
وإذا منحت شدا بك الكرماء
ونهاية الوعد الصدوق وفاء
حتى اقتدى - بفعالك - الأمناء
والود محفوظ ، فلا شحناء
لما تسبب كرهك الأهواء
زوجاً بها عيشي الدجي يضاء
إن الزواج بمثلها نعماء

بغداد بين الازدهار والانهار

(ليس هذا العنوان من عندي ، بل عثرت عليه عندما كنتُ أتصفح بعض الوريقات عن تاريخ بغداد ، فإذا بي أعثر عليه من الأستاذ الدكتور راجب السرجاني! فرحنتُ أقتبسه كما هو. وإذا ذكرنا بغداد فلنذكر معها بانيتها ومؤسساتها ومشيد نهضتها الخليفة المنصور! وهنا أتوقف لأقتبس من كتب التاريخ ما أجمع عليه المؤرخون من (كتاب تاريخ بغداد لابن عساكر) إلى المراجع والأبحاث التاريخية المعاصرة على اختلافها!) فمن أهم أعمال الخليفة أبو جعفر المنصور في الدولة العباسية: (القضاء على الثورات والاضطرابات الداخلية ونشر الأمن والاستقرار في إرجاء الخلافة. - بناء بغداد المدينة المدورة وجعلها عاصمة للخلافة العباسية. - تشجيعه لمجالس العلم والأدب وتقريبه للعلماء والأدباء. - الاهتمام بالأمور المالية والإدارية للدولة وجعل الإدارة مركزية. - الاهتمام بالجيش وتسليحه تسليحاً جيداً). وكان في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عددٌ من القادة الأبطال أبرزهم معن بن زائدة الشيباني ، وهو القائد العربي المسلم الذي قضى على أعداء الدولة العربية الإسلامية العباسية. وبنى الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة بغداد على شكل دائرة ، وأطلق عليها اسم مدينة السلام أو دار السلام ، وتم بناء المدينة في أربع سنوات من (149- 145) على شكل دائرة يحيط بها سور يسمى السور الأعظم وأربع بوابات: البوابة الأولى تسمى باب الشام التي تقود إلى بلاد الشام! والبوابة الثانية تسمى باب الكوفة التي تقود إلى محافظة الكوفة! والبوابة الثالثة تسمى باب البصرة التي تقود إلى محافظة البصرة! والبوابة الرابعة باب خراسان الذي يقود إلى الفارسيين أو دولة إيران! وداخل المدينة كان هناك جامع المنصور الذي كان مربع الشكل ودواوين الحكومة ومساكن الناس والجيش. ونشطت الحركة العلمية حيث وصلت الحضارة العباسية إلى أوج عظمتها ، فكان هناك عددٌ من العلماء منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي اشتهر بعلم النحو وعلوم العروض (لمعرفة نظام الشعر وأوزانه) والقاضي أبو يوسف في علم الفقه والمسعودي في الجغرافية واليعقوبي ويبرز جابر بن حيان في الكيمياء! وابتكروا الإسطراب لرصد حركة النجوم والكواكب وحنين بن إسحاق ومعظم من أفراد أسرته في اللغة والأدب وكان حنين يشرف على أهم مكتبة في عهد المأمون وهي مكتبة بيت الحكمة ، فأصبحت بغداد أكبر مركز علمي وثقافي آنذاك يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم للدراسة في مدارسها وجامعاتها مثل المدرسة المستنصرية. ولم يدم الحال هكذا طويلاً فلقد واجه المنصور القلاقل والثورات والاضطرابات! ولما قتل المنصور أبا مسلم الخراساني غضب لمقتله رجل مجوسى اسمه "سُنباد" ، فثار والتف حوله الكثيرون من أهل "خراسان" ، فهجموا على ديار المسلمين في نيسابور و"قومس" و"الري" ، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، ثم تبجحوا ، فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة ، فأرسل إليهم المنصور جيشاً بقيادة جمهور بن مرار العجلي ، فهزموهم واستردوا الأموال والسبايا ، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سُنباد" سنة 137هـ / 756 م ، حتى واجه ثانياً ينادى بخلع المنصور ، إنه "جمهور بن مرار العجلي" قائد جيوش المنصور التي هزمت "سُنباد". ولما هزم "جمهور" سُنباد ، واسترد الأموال ، كانت خزائن أبي مسلم الخراساني من بينها ، فطمع "جمهور" ، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور ، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور ، فماذا كان؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم ، فهزم "جمهوراً" الذي فر هارباً إلى "أذربيجان" ، وكانت الموقعة في سنة 137هـ / 756 م. وكانت هناك ثورات متتالية تهدد

الحياة وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم العباسيين. منها ثورات للخوارج الذين أصبحوا مصدر إزعاج للدولة العباسية. لقد خرج آنذاك "مُلبّد بن حرملة الشيباني" في ألف من أتباعه بالجزيرة من العراق ، وانضم إليه الكثيرون ، فغلب بلادًا كثيرة ، إلى أن تمكنت جيوش المنصور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة 138هـ / 757 م. وتحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة 148هـ بالموصل تحت قيادة "حسا بن مجالد الهمداني" ، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل. وواجه الخليفة المنصور العباسي ثورات منحرفة لطوائف أخرى ، ففي سنة 141هـ / 759 م. واجه المنصور ثورة أخرى لطائفة من الخوارج يقال لها "الراوندية" ينتسبون إلى قرية "راوند" القريبة من أصفهان. إنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى واحد يسمى "عثمان بن نهيك" وأن جبريل هو الهيثم بن معاوية - رجل من بينهم - ، بل لقد خرجوا عن الإسلام زاعمين أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو "أبو جعفر المنصور" ، فراحوا يطوفون بقصره قائلين: هذا قصر ربنا. ولم يكن ينفذ هؤلاء إلا القتال ، فقاتلهم المنصور حتى قضى عليهم جميعًا بالكوفة. وتعتبر ثورة محمد النفس الزكية من أخطر الثورات التي واجهت المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، من سويقة المدينة (سويقة الثائرة) وكان من أشرف بني هاشم علمًا ومكانة ، وكان يلقب بـ "النفس الزكية" فاجتمع العلويون والعباسيون معًا وبايعوه وأخروا الدولة الأموية ، وكان من المبايعين "المنصور" نفسه ، فلما تولى الخلافة لم يكن له هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل ، وهنا خرج "محمد" النفس الزكية بالمدينة سنة 145هـ / 763 م ، وبويع له في كثير من الأمصار. وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة ، واجتمع معه كثير من الفقهاء ، وغلب أتباعه على "فارس" و"واسط" و"الكوفة" وشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف. بعث المنصور إلى "محمد النفس الزكية" يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال ، ويرد "محمد" بأن على المنصور أن يحكم بدين الله ولا يمكن شراء المؤمن بالمال. وكانت المواجهة العسكرية هي الحل بعد فشل المكاتبات ، واستطاعت جيوش أبي جعفر أن تهزم "النفس الزكية" بالمدينة وتقتله ، وتم القضاء على أتباع إبراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتلهم. وأيضًا ثورة كافر خراسان في سنة 150هـ ، فلقد خرج أحد الكفرة ببلاد خراسان واستولى على أكثرها ، وانضم له أكثر من ثلاثمائة ألف ، وقتلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين ، وهزموا الجيوش في تلك البلاد ، ونشروا الفساد هنا وهناك ، فبعث أبو جعفر المنصور بجيش قوامه أربعون ألفًا بقيادة "خازم بن خزيمة" ، الذي قضى على هؤلاء الخارجين ، ونشر الأمن والاستقرار في ربوع خراسان. وبعد ذلك رغب الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء عاصمة جديدة لدولته بعيدة عن المدن التي يكثر فيها الخروج على الخلافة كالكوفة والبصرة ، وتتمتع باعتدال المناخ وحسن الموقع ، فاختر "بغداد" على شاطئ دجلة ، ووضع بيده أول حجر في بنائها سنة (145هـ - 762 م) واستخدم عددًا من كبار المهندسين للإشراف على بنائها ، وجلب إليها أعدادًا هائلة من البنائين والصناع ، فعملوا بجد وهمة حتى فرغوا منها في عام (149هـ - 766 م) وانتقل إليها الخليفة وحاشيته ومعه دواوين الدولة ، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة العباسية ، وأطلق عليها مدينة السلام ؛ تيمنا بدار السلام وهو اسم من أسماء الجنة ، أو نسبة إلى نهر دجلة الذي يسمى نهر السلام. ولم يكتف المنصور بتأسيس المدينة على الضفة الغربية لنهر دجلة ، بل عمل على توسيعها جدا سنة (151هـ - 768 م) وذلك بإقامة مدينة

أخرى على الجانب الشرقي سماها الرصافة ، جعلها مقراً لابنه وولي عهده "المهدي" وشيد لها سوراً وخندقاً ومسجداً وقصراً ، ثم لم تلبث أن عمرت الرصافة واتسعت وزاد إقبال الناس على سكنائها. مع اهتمام المنصور بالزراعة والصناعة وتشجيعه لأصحاب المهن والصناعات ، وتأمينه خطوط التجارة والملاحة في الخليج العربي حتى الصين من خطر القراصنة الذين كانوا يقطعون طرق التجارة ، ويقتلون التجار ، ويستولون على الأموال ، وراح قواده يؤدبون هؤلاء اللصوص. وكثيراً ما يعود قواده من الغزو في البحر بالغنائم والأسرى حتى انقطعت القرصنة بعد عام 153هـ ، 770 م ، ولقد تم في عهده إعادة فتح مدينة طبرستان عام 141 هـ ، 759 م في بلاد ما وراء النهر. وأعطى المنصور اهتماماً بالغاً بجهة الشمال ؛ فأمر بإقامة التحصينات والرباطات على حدود بلاد الروم. وكانت الغزوات المتتالية سبباً في أن ملك الروم راح يطلب الصلح ، ويقدم الجزية صاغراً سنة 155 هـ ، 772 م. وقام المنصور بحملة تأديبية على جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط ، أثر قيام أهلها بمساعدة جيش الروم ، ونقضهم العهد الذي أخذوه على أنفسهم يوم أن فتح الله على المسلمين جزيرة قبرص. وذهب الخليفة المنصور للحج عام 158هـ ، 775 م ، وكان ابنه محمد "المهدي" قد خرج ليشيعة في حجة ، فأوصاه بإعطاء الجند والناس حقهم وأرزاقهم ومرتباتهم ، وأن يحسن إلى الناس ، ويحفظ الثغور ، ويسدد ديناً كان عليه مقداره ثلاثمائة ألف درهم ، كما أوصاه برعاية إخوته الصغار ، وقال: إنني تركت خزانة بيت مال المسلمين عامرة ، فيها ما يكفي عطاء الجند ونفقات الناس لمدة عشر سنوات. مرض المنصور في الطريق ، ونزل قرية قد أفرغها سيدها من أهلها. وأمر حاجبه الربيع بن يونس أن يدخل ويقرأ فدخل ولم يجد شيئا ودخل خلفه المنصور فلم يجد شيئا فأحس في نفسه بوفاته وكتب لابنه المهدي بعض الوصايا. وقبل أن يدخل مكة توفي على أبوابها. ومن الأعمال الجليلة التي تُذكر للمنصور عنايته بنشر العلوم المختلفة ، ورعايته للعلماء من المسلمين وغيرهم ، وقيامه بإنشاء "بيت الحكمة" في قصر الخلافة ببغداد ، وإشرافه عليه بنفسه ، ليكون مركزاً للترجمة إلى اللغة العربية. ولكن المؤسس الحقيقي لبيت الحكمة كمكتبة عالمية هو الخليفة العالم المأمون وفعل مثل ما فعل أبو جعفر المنصور وأبوه هارون الرشيد وقد أرسل أبو جعفر إلى إمبراطور الروم يطلب منه بعض كتب اليونان فبعث إليه بكتب في الطب والهندسة والحساب والفلك ، فقام نفر من المترجمين بنقلها إلى العربية).هـ. واستمرت تلك الديار تحكم بالإسلام (على حد تعبير أستاذنا محمد المنجد في محاضراته عن هولوكو) ، فحفظ المسلمون البصرة وأنشئوا الكوفة وبنوا بغداد وكانت حاضرة العالم ومدينة السلام تم بنائها في عام أربعين ومائة ، ولم تزل فيها خلافة بني العباس تزداد وتتألق فيها وبنيت دار الخلافة. قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: هل رأيت بغداد؟ قلت: لا. قال: ما رأيت الدنيا. وقال الشافعي – رحمه الله -: ما دخلت بلداً قط إلا عدتته سفيراً إلا بغداد فإني حين دخلتها عدتتها وطناً. وقال ابن عُليّه: ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ولا أحسن دعة منهم. وقال ابن مجاهد: رأيت أبا عمر بن العلاء في النوم ، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: دعني من هذا من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة. وقال أبو بكر بن عياش: الإسلام ببغداد وإنها لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا. وقال أبو معاوية: بغداد دار الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد وصلاة التراويح بمكة ويوم العيد بطرسوس. وقال آخر: أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قانلاً يقول لي في المنام أتنتقل من بلد فيه عشرة آلاف وليّ الله – عز وجل -. وهكذا كان

الأئمة فيها وعلى رأسهم الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - وأبو داود وعبد الوهاب بن علي المالكي وابن جنّي النحوي وأبو زكريا الكوفي ، كان فيها أمراء المؤمنين في الحديث والنحو والتفسير وغير ذلك. قال الشافعي - رحمه الله - : خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل. ودخل البخاري بغداد ثمان مرات وفي ثمان مرات وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد - رحمه الله - فيحثه أحمد على الإقامة فيها وهكذا مضت مواكب العلماء. من أجل ذلك كله وجدنتني أنعي بغداد وأرثي لحالها وأبكي بدموع الشعر على ما أصابها! وأذكرها المجد التليد والمنصور والمهدي والهادي والرشيد! عسى الله أن يقبل عثرتها وعثرات الممالك العربية التي كانت يوماً جزءاً من دار الإسلام تهيمن عليها الخلافة وتطبق فيها أحكام الكتاب والسنة وكان المسلمون آمنين يظهرن شعائرهم وشرائعهم بكل شجاعة!

ويح الدغول تترى دون إيذان
وتس تطيل ، ولا شئ يُعرقها
وتستبد بمقهور يُناوئها
وكم تجيش غبداً تؤيدها!
وللبلاءات - في الأكباد - صدمتها
وللمصائب - في القلوب - ملهبة
وللعذابات - في الأرواح - حصتها
ويح الممالك غاصت في تأخرها
حواضرُ الشرق ماذا في مرابعها
بالأمس كان لها عز وتكرمة
وفي الذوابة (بغداد) العراق شدت
وغرد المجذ في أرجائها جزلاً
وسطرت كتب التاريخ نهضتها
وكم قصائد صيغت في تصدّرها!
والشعرُ يشرف ، إذ يطري تفوقها
(بغداد) حاضرة الإسلام في زمن

وتفجّع الدار في سر وإعلان
وتستخفّ بالباب وأذهان
وتستبيح الورى في كل أوطاني
وكم تضحّي بأجنادٍ وغبداً!
ولا تزاخمها أطياف سُلولان
مثل الشواظ أتى من جوف نيران
وما لنا - في البلياء - بعض أعوان
عن الحضارة عمّت جُل أوطان!
من الضياع يُناوي كل عمران؟
وكل صقع حوى كبير برهان
بما تعايُن في أصقاع بلدان
إذ رسخت للمعالي خير أركان
بكل صدق وإنصافٍ ورُجحان
كل المدائن ، فاقت كل إيوان
كان أغنيّة دفنت بديوان
فاق الذي بعده من خير أزمان

دعائم مجدّها رأته عينان!
إن كان - للناس - أسمع بأذان
يُلي الأعداي بإهلاك وإخنان؟
حتى يُريح الوري من شر طغيان
لنشر دعوة إسلام وإيمان
يرجو الجنان ، فوفى خيرَ قربان
أنعم بهارون من رأس وسُلطان!
لم نستطع دفع ثاراتِ وُعدوان
والدمع ضاق بأحداق وأجفان
بكاء من تكاثرت لفقْد وُلدان
وهل يُعيدُ البكا عظيمَ أعيان؟
والناس فاؤوا على ذل وإمهان
فلم يعد لمعين الحق من شان
هوى ، كأنهم عبّاد أوثان
وأمعنوا - في التردّي - شر إمعان
بزور ما اختلقوا ومحض بُهتان
وشكّوا في أحاديثٍ وقرآن
وقاومي الباغِي المستعمر الجاني
وحرري عِزك المستأسر العاني
سبحانه من جليل الشأن ديان!

أرست دعائم علم لا تُضار عها
كلا ، ولا سمعت - عن عزها - أدن
أين (الرشيد) له - في البأس - صولته
يحج عاماً ، وعاماً ليس يُمهلم
مازال يقتحم الخبار منتصراً
لم يأل جهداً ، ولم يبخل بتضحية
والجنذ يُلون - بالطاعات - قائدهم
حتى إذا ارتحلت عنا خلافته
من بعده وجمت (بغداد) باكية
والمسلمون - على المجد السليب - بگوا
بكي الجميغ ، وما جفت مدامغهم
مضى الروافض بالأمجاد ، مُذ فجروا
ووظدوا لخلافاتٍ بها ارتكسوا
واستعذبوا الرجس يسري في ضمائرهم
وروجوا للضلال المحض في مالأ
وشوقوا الناس تشويقاً لباطلهم
سب الصحابة والأعلام ديدنهم
(بغداد) ثوري على الضلال ، وانتفضي
حتى تُعيدي - لنا - الأمجاد باسقة
والله ناصرٌ من بالطوع ينصره

موزة وحفصة

(إنهما ابنتان لرجل واحد ، كان قد ذهب إلى صلاة الظهر في المسجد تاركاً السيارة في حوش البيت. وما هو إلا أن غادر البيت حتى ذهبت موزة تتبعها حفصة - الطفلتان الصغيرتان اللتان لم تتجاوزا الخامسة - إلى سيارة الموت ، حيث تعبتنا فيها الأمر الذي أدى إلى إغلاق أبوابها عليهما! فغرقتا بعد حين في سيل من العرق وفرغ الأوكسجين بالطبع ، فانتهى الأمر بهما إلى الاختناق! وعندما عاد الوالد من الصلاة لقيهما داخل السيارة جثتين هامدتين قد فارقتا الحياة! عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). (قوله: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير). ثم فصل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الأمر فقال: (إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال لكان كريماً). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس باد الجسد ، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له). وقال: (الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو. وقال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه ، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر ، إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ: (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ). (وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه ، واغتماماً بذلك ، فقال: (أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال: فلبساتك؟ قال: لا. قال: فبعتلك؟ قال: لا... في خلال. وذكره نعم الله عليه! ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة؟! (وعن إبراهيم التيمي قال: (ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى ، وصبراً على البلاء ، وصبراً على المصائب ، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيته أحد ، بعد الإيمان بالله). وعن الشعبي ، قال شريح: (إني لأصاب بالمصيبة ، فأحمد الله عليها أربع مرات ، أحمد إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني). المؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له ، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله ، وانتظر الفرج من الله ، واحتسب الأجر على الله فكان خيراً له ، فإل بهذا أجر الصابرين. وإن أصابته سرء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح ، ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله ، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل. المهم أن الناس راحوا يلقون باللانمة على الأهل! ونسوا مقام التصبير! فتخيلت الأب يرد عليهم! فكانت هذه القصيدة من مخلع البسيط الذي نادرا ما أصوغ عليه!)

جـادثٌ - بفرطِ الجوى - البلياً
والحزناً غشى قلوب أهل
والمهم أن الناس راحوا يلقون باللانمة على الأهل! ونسوا مقام التصبير! فتخيلت الأب يرد عليهم! فكانت هذه القصيدة من مخلع البسيط الذي نادرا ما أصوغ عليه!

واسـتـقـرئـوا أـغـرـبـ الحـكـايـا
واسـتـتـصـحـبـوا الـدـمـعـ والتـبـسـاكي
إذ جـودـه أـعـذـبُ العـطـايـا
رـبـاه رـحـمـاك بـالـولـايـا
كـيـلـا نـرى الظـلـمـ للـصـبـايـا
والشـرـر يـسـتـجـلـبُ المـنـايـا
فـي قـصـةٍ تـحـتـوي الخـفـايـا
واسـتـأثـر الحـزـنُ بـالـبـقـايـا
ونـحـن ذـبـنـا مـن الشـكـايـا
وقـاسـمـونا لظـي الخـطـايـا
ولـم يـرـاعـوا أذى البـلـايـا
إذ يـعـصـف الـرـزـءُ بـالـحـنـايـا
والحـزـن لا يـرـحـم الطـوايـا
ويـعـلـم الله بـالـخـبـايـا
والرـفـق مـن أطيـب المـزايـا
كـي تُـدـرـكـوا حـبـكـة الرـوايـا
والخـذل مـن أخبـث الـدـنـايـا
مـا بـالنـا نـحـرـج البـرايـا؟!
إي والنـسـا - للـقـضـا - سـبـايـا
رـب الـسـورى يـعـلـم النـوايـا

لا تـجـعـلـوا - للـقـطـوـط - حـظـا
واسـتـصـحـبـوا الـدـمـعـ والتـبـسـاكي
واسـتـرـحـمـوا الله كـل حـيـن
فـلـيـرـحـم الله طـفـلتـيـنـا
ولـيـنـتـبـهـة كـل ذى عـيـال
فـي غـفـلة الأهـل كـل شـر
ولـيـعـتـبـر كـل مـن رآنا
تـعـجـب العـجـبُ مـن صـداها
واسـتـعـذـب الـسـوم كـل حـي
واسـتـعـذـبوا العـتـبـ والتـجـنـي
واسـتـمـرأوا الزـجـرَ والتـلـاحـي
فـلـيـرـفـقـوا بـالـألى أصـبـيـوا
أما كـفى البـؤس يـحـتـويـنا؟!
أما كـفى الـهـم قـد تـداعى
تـرـفـقـوا إنـنـا فـجـعـنـا
واسـتـقـرئـوا سـيـرة الحـزـانـي
إهـمـالنـا قـد قـضى عـلـينـا
لـكـن قـضـاء المـلـيـك وافي
كـل الـسـورى - للـقـضـا - أسـارى
سـبـحـان مـن يـبـتـلـي ويـجـزى!

مشروع جراحة

(أكتب هذه القصيدة المأساوية عن مسألة تغييب الأطفال القسري! فإذا بالأهالي يجدونهم جثثاً ملقاة عند بنايات مهجورة أو على شواطئ الترع أو على قوارع الطرق أو عند مقالب القمامة! يجدونهم جثثاً قد تفرغت من كل أعضائها! تفرغت من: (العيون - الكلى - القلوب - الرئات - الكبد). وكأني بكل جسم طفل كان مشروع جراحة للتدريب! وعلمنا بعد ذلك أن هذا الجريمة يقوم بها المجرمون بهدف بيع الأعضاء لمن يشتريها! وكأني بالإنسان تباع له قطع غيار كالسيارات والآلات! وكيف يتصور أن يُقبل إنسان له صفات الإنسان على مثل هذه الجريمة الوحشية البشعة؟! وأسأل: هل الخاطفون جراحون مهرة لهذا الحد؟ أم أن الجريمة قد اشترك فيها أطباء جراحون؟ والأصل أن الخاطفين هؤلاء لا عهد لأحدهم ولا ذمة ولا خلق ولا دين نحاكمه إليه! ولكن الأطباء الجراحين لهم دين وثقافة وعهد وذمة ويمين! نعم لهم يمين تم أدأوه في نقابة الأطباء أو في الكليات التي تخرجوا منها! أكتب على المديد أقول:)

أي عهدٍ نحن نشهد هذه؟ هـالني إذ غاب سؤودذة!
أي قوم فني مرابغنا؟ ساعني ما لسنت أعهدده!
أي أخلاق تجملنا؟ كيف دينن الله نزهده؟
تخطف الأطفال في بلدي! أين عُرف؟ أين مسجده؟
يُذبح الطفل البرئ هنا مثل جذي حان موعده!
كفي يُشقى دون مرحمةٍ أين أهـل؟ أين والده؟
تفصل الأعضاء عن جسدي تلك عين خلفها يده!
يشترها ممن يثمنها عند رب الناس مقصده
بأذلاً فيها دراها به إنما الدينار سـيده
عاقب الجبار من ذبحوا! كل نذل من يؤيده؟
أحزن الدهقان عائلة هـذا ما الظلم يؤجده
جثة الطفل التي انتشلت بيتت جـوراً يهـده
إنه مشروع من جرحوا حيث كان الوحش يرصده
أفسدوا عيشاً يسامره يوم موت الشبل مولده!

لقد أكل الغرور قلبك يا هذا!

(اعتاد ذلك الشاب على أن يخطب الجمع والأعياد والمناسبات بتزكية من أستاذه عند الناس! وطور من نفسه ، فاطلع أكثر وكتب الله له قبولاً ، وفتح عليه باباً من أبواب العلم القاصر ، وصار خطيباً مصلحاً مفوهاً! وذات يوم تأخر عن خطبة الجمعة ، الأمر الذي دفع أستاذه لأن يصعد المنبر رغم مرضه وعلى غير استعداد إنقاذاً للموقف. وبعد قليل جاء الشاب ودخل المسجد ، فلما رآه الأستاذ نزل وأمره أن يصعد ويؤدي الخطبة! فأخذ الغرور ، ذلك المرض الخبيث العُضال! يقول الأستاذ جابر عبد الله تحت عنوان: (الغرور وعواقبه) ما نصه: (الغرور نهج شيطاني يبعد المرء عن إنسانيته وعن فطرته ، ويجعله أقرب إلى أن يكون شيطان إنس ، فالغرور فعل الشيطان واسم الشيطان وحياة الشيطان ، فهو يرى نفسه أفضل من آدم وأبناء آدم. فهل تحب أيها الإنسان أن تكون من أبناء الشيطان وتتبع عمله الذي لن يفوتك إلا إلى الهلاك؟ ففكر في كل قول وفعل ، ولا تكن من الذين غرتهم الحياة الدنيا. قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ). وفي الحديث: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شَحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ). وقال - عليه الصلاة والسلام -: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ). وما ذلك إلا لأن الكبر والعظمة صفة الرحمن وحده. وهذا "مُسكويته" يُقرر أن الغرور جهل من الإنسان بعيوبه وجهل بحقيقة هامة هي أن الفضل مقسوم بين البشر لا يكمل الواحد منهم إلا بفضائل غيره ، والماوردي يذكر أن الغرور المبني على الكبر والإعجاب يضر بصاحبه قبل غيره ؛ لأن غروره يمنعه من أن يستفيد من علم غيره لغروره ، ولا يألفه أحد لتكبره ، فهو معزول عن مجتمعه ممقوت فيه ، أما الراغب الأصفهاني فيظهر نقص المغرور ؛ لأنه يغتر بما ليس يملك من علم أو عمل أو مال ونحو ذلك ؛ لأن هذا عطية من الله ، والعاقل يشكر ولا يغتر ، فكيف به إذا استطل أو اغتر؟ وأما ابن حزم فيدعو الإنسان المغرور المعجب بما عنده أن يفكر ملياً في حاله كيف هو وفي النعم التي عنده؟ ذلك أن الغرور في اللغة هو كل ما غرَّ الإنسان من مال عيني أو نقدي أو جاه أو منصب أو شهوة أو شيطان أو إنسان استعز به وابتغى عنده العلو والسمو. ومعناه اصطلاحاً: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع ، وجاءت مادة الغرور بصيغ مختلفة في القرآن لتدل على معان أهمها الانخداع والتعالي المؤدي إلى البطر وغمط الناس وظلمهم ، ونكران نعم الله على الإنسان ، الأمر الذي يحاسب عليه بقوله: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}. فأنشدتُ أحكي على لسان الخطيب الشاب متخيلاً إياه يوبخ نفسه التي جرفها العُجب ولعب بها الغرور وداعبها الوهم وضحك عليها الزهو والخيلاء! فماذا قال؟)

الزُّمُّ حُدُودُكَ ، لا يذهب بك الوهم	يا من ثباتك - في التمحيص - متهم!
تظن نفسك - في التنظير - (عنترة)	وأن قولك - بالإفصاح - يتسم!
تظن قولك - في الأسماع - معتبراً	ومنه يأتي - لأذان الورى - الصمم!
تظن ما قلت يختال البيان به	وإنه - لعلى العقول - يعجم
تظن ما قلت مقطوعاً بصحته	وجله يعتريه الضعف والسقم

فيسـتجيبون - للتطبيق - إن فهموا
لقد وهمت ، وقد زلت بك القدم
من بعد ما غرك التخييل والوهم
عن الحقيقة - بالتغريـر - تعتصم
في قلبك الغيرة العمياء والأضم
يغرك الشكل ، لا المضمون والقيم
وتدعي المجد لما خارت الهمم
ليست حقيقة ما تأتيه تنبهم
إذ ليس يخفي التدني مظهر سنم
أبصارها ، وهل المستبصرون عموا؟
فلا أراك - عن التدجيل - تختصم
لما يشبها هوى عمي ولا تهم
ولست أهلاً لما الأستاذ يعتزم
وكم يؤاخذ أقوام بما زعموا!
وليس يصرفها دين ولا شيم
مجاهراً مثلما يعتاد مجترم
وليس يغتر من بالسلم يلتزم
زهواً ، ومنطقه - في الحق - منحسم
وجرح أخذته لا ليس يلتئم
برفعة - رغم أنف الكل - تحترم
وبالنصيحة والإعذار أختتم!

تظن ما قلت يُشجي القوم إن سمعوا
تظن ما اخترت من نص يناسبهم
منحت ذاتك سماً لا يليق بها
وعشت - في بوحه الأحلام - ملتهياً
وعشت تنسج آمالاً تُخرقها
وعشت تلبس زي الغير مغتبطاً
وعشت تسرق مجد الآخرين ضحياً
فحكّم العقل ، كن - بالرشد - مُوتزراً
واعرف لنفسك قذراً لا تجاوزه
هي الحقيقة - بين الناس - شاخصة
والكل يعرف ما أخفيت تخدعهم
زكّاك أستاذك الذي مقاصده
زكّاك يُحسن ظناً فيك ليس سوى
زكّاك يزعم أن العلم فيك سما
زكّاك لا يعلم الأهواء تركبها
زكّاك لا يُدرك السواى تقارفها
حتى اعتراك غرور لا نظير له
بت الخطيب الذي تختال خطبته
هوّن عليك! فإن العجب منقصة
ومن تواضع - للرحمن - أكرمه
إنني نصحت ، ولم أبخل بموعظتي

رسالة زوجة إلى زوجها الأسير

(أسره الظالمون بغير ذنب ولا جريرة إلا أنه يقول لا إله إلا الله. وطالت مدة الأسر! وأرسلت زوجته أول رسالة له في سجنه تطمئنه على عياله ونفسها! وأخذت تصبره ، وتحمله على الاحتساب! وراحت تبين له أنها بخير وأولادها بخير ، وكل شئ على ما يحب وأحلى مما يحب! وطلبت منه أن يكون في نفسه ، وليلق بهم الأولاد على الله ثم عليها على حد قولها! فحققت بذلك ثبات وتوازن شخصيتها! قال مصطفى صادق الرافعي عن ثبات الأخلاق ما نصه: (لو أنني سئلت أن أجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في لفظين ، لقلت: إنها ثبات الأخلاق ، ولو سئلت أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كله في حرفين ، لما زاد على القول: إنه ثبات الأخلاق ، ولو اجتمع كل علماء أوربا ليدرسوا المدنية الأوربية ويحصروا ما يعجزها في كلمتين لقالوا: ثبات الأخلاق. فليس ينتظر العالم أنبياء ولا فلاسفة ولا مصلحين ولا علماء يبدعون له بدعاً جديداً ، وإنما هو يترقب من يستطيع أن يفسر له الإسلام هذا التفسير ، ويثبت للدنيا أن كل العبادات الإسلامية هي وسائل عملية تمنع الأخلاق الإنسانية أن تتبدل في الحي ، فيخلع ، منها ويلبس ، إذا تبدلت أحوال الحياة فصعدت بإنسانها أو نزلت ، وأن الإسلام يأبى على كل مسلم أن يكون إنسان حالته التي هو فيها من الثروة أو العلوم ، ومن الارتفاع أو الضعة ، ومن خمول المنزلة أو نباهتها ، ويوجب على كل مسلم أن يكون إنسان الدرجة التي انتهى إليها الكون في سموه وكماله ، وفي تقلبه على منازل بعد أن صفي في شريعة بعد شريعة ، وتجربة بعد تجربة ، وعلم بعد علم. انتهت المدنية إلى تبدل الأخلاق بتبدل أحوال الحياة ، فمن كان تقياً على الفقر والإملاق وحرمه الإعسار فنون اللذة ، ثم أيسر من بعد جاز له أن يكون فاجراً على الغنى وأن يتسمخ لفجوره على مد ما يتطوخ به المال ، وإن أصبح في كل دينار من ماله شقاء نفس ، إنسانية ، أو فسادها. ومن ولد في بطن كوخ ، أو على ظهر الطريق وجب أن يبقى أرضاً إنسانية ، كأن الله سبحانه لم يبن من عظامه ولحمه وأعصابه إلا خربة آدمية من غير هندسة ولا نظام ولا فن ، ثم يقابله من ولد في القصر أو شبه القصر فله حكم آخر ، كأن الله سبحانه قد ركب من عظمه ودمه وتكوينه آية هندسية ، وأعجوبة فن ، وطرفة تدبير ، وشيئاً مع شيء ، وطبقة على طبقة. ولكن الإسلام يقرر ثبات الخلق ، ويوجب ، ويشئ النفس عليه ، ويجعله في حياة المجتمع وحرسته ؛ لأن هنالك حدوداً في الإنسانية تتميز بحدود في الحياة ، ولا بد من الضبط في هذه وتلك ، حتى لا يكون وضع أبداً إلا وراءه تقدير ، ولا تقدير إلا معه حكمة ، ولا حكمة إلا فيها مصلحة ، وحتى لا تغلق الحياة ولا تنزل إلا بمثل ما ترى من كفتي ميزان شدتنا في علاقة تجمعهما وتحركهما معاً ؛ فهي بذاتها هي التي تنزل بالمنازل لتدل عليه ، وتشيل بالعالى لتبين عنه ؛ فالإسلام من المدنية هو مدنية هذه المدنية). هـ. فرحت أصوغ كلام المرأة لزوجها الأسير في أول رسالة له ، على مixel البسيط!)

طال اشـتياقي إلى منايـا
يا نورَ قلبي لك التحايا
ما غبت عن خاطري وبالي
يا عاطرَ الذكر والسجايا
مذضمتك السجن لم تفارق
مازلت في القلب والحنايا
في الليل أنت الشعاع يسري
مستهدفاً رفعة البرايا

أودِعَتْ - فِي عَرْضِهِ - وصايا
ما بالها تسكن الطوايا
لا تكثرن - للورى - الشكايا
فالصبر من أعظم المزايا
إما علت نبيرة الرزايا
واصربر على القهر والبلايا
جنبتهم وطأة المنايا
ولم أدع بآقي الخفايا
وربنا يعلم النوايا
أبيت أن يصوبحوا ضحايا
أن المضما يعقر الخطايا
تلق الهنا منه والعطايا
ما الحرق؟ ما الصعق؟ ما الشظايا؟
ما كيد من لفق القضايا؟
ما مكر من طبعه الدنيايا؟
ما الظلم إن كان في الهزيا؟
واعترز ، لم يظهر الخبايا
مستعطفاً خالق البرايا
واصرف - عن الطيب - البلايا

لم أنس مما ذكرت شيئاً
أطيافك العذبة احتسوثني
اصبر على ما ابتليت ، واصمد
من يصطبز - في البلاء - يسعد
عهدك الجلد لا تبالي
فقاوم الشوق للتلاقي
لا تفتكر في العيال ، إنني
أعلم أنهم أننا بخير
فاسقبلوا العيش بالتحدي
حياتهم في ذري التسامي
كن في الذي أنت فيه ، واعلم
واجاز لرب الأنام ، واضرع
ما السجن؟ ما القيذ؟ يا عزيزي!
ما الضرب؟ ما الشتم؟ ما التعدي؟
ما السب؟ ما القذف؟ ما التجني؟
ما السحل؟ ما القمع؟ ما التماهي؟
إن واجه الكل من تسامي
وانقاد لله في خشوع
رباه ثبت حبيب قلبي

في مسرح العرائس

(إن العرائس في هذا المسرح تتحرك على هوى من يُمسكون بالخيوط ، ويمدون هذه العرائس بالحياة الشكلية من الحركات الإيهامية. وإذا كانت الحياة مسرحاً كبيراً ، فإن هناك من العرائس الآدمية مرتزقة يقومون بذات الدور الذي تقوم به العرائس ، ويودون نفس الحركات الناجمة عن تحريك من يمسكون بالخيوط! فيقولون ما يريد أسيادهم ومن يدفعون لهم. وتغدو الحياة كلها تمثيلاً وغطاً وتديساً. وتصطبغ بصبغة الغش والخداع والنفاق. وبدلاً من أن يتوجه الناس إلى الحق فيتبعونه ويعملون بمقتضاه ، تضللهم العرائس فلا يحققون ما هم عليه من عقائد وأداب وأحكام. وتسود حصص القراءة الفاشلة وتحل محل الخطب والمحاضرات! ويكون دور العرائس هو التضليل والتحريف والتطويق الكامل لنصوص الكتاب والسنة لتتطابق مع ما يراد من العرائس والدمى! وفي مقال عنوانه: (مسرح الدمى والعرائس) ، يقول كاتبه الأستاذ جميل حمداوي ما نصه بتصريف يسير: (يعد مسرح الدمى والعرائس من أهم التقنيات الدرامية التي يمكن اللجوء إليها للاستعانة بها في إخراج العروض المسرحية الموجهة إلى الأطفال الصغار ، وتحبيك مشاهداها الدرامية ، وتأزيم أحداثها بطريقة حركية ديناميكية. وهذا المسرح قريب جداً من اهتمامات الأطفال من الناحية الذهنية والوجدانية والحسية الحركية ، مادام هذا المسرح يستخدم الحيوانات المقزّمة في صيغ دراماتورية مختلفة تتأرجح بين التراجيدي والكوميدي ، وترد في أوضاع درامية متنوعة تجمع بين الجمال والقبح ، والجد والهزل. كما يشغل هذا المسرح الطفولي الكائنات البشرية الصغيرة التي تهتز جسدياً وموسيقياً وكورغرافياً بطريقة لافتة للانتباه ، فتثير الضحك ، ثم تمتع الأطفال تسلياً وترفيهاً وفائدة. إذن ، ما هو مسرح الدمى والعرائس؟ وما أنواعه؟ وما تاريخه؟ وماهي وظائفه الفنية والجمالية؟ وكيف نشغله في مسرح الطفل؟ تلکم هي الأسئلة التي سوف نحاول الإجابة عنها في موضوعنا هذا. من المعروف أن مسرح العرائس له عدة مصطلحات ومفاهيم مترادفة أو شبه مترادفة ، منها: مسرح الدمى ، ومسرح الماريونيت ، ومسرح الكراكيز ، ومسرح الأراجوز ، ومسرح قره قوز ومسرح قرقوش. فإذا كانت الدمى والعرائس والماريونيت كائنات جامدة مصنوعة بأدوات ومواد مختلفة يُحرّكها اللاعب أو الممثل فوق الخشبة الركحية لأداء مجموعة من الأدوار التشخيصية الدرامية ، فإن كلمة الكراكيز أو قره قوز تركية الأصل "مؤلفة من لفظتين: قره ، ومعناها أسود ، وقوز ومعناها عين ، فالمعنى الكامل(العين السوداء) ، وسمي بذلك أن العجر السود العيون هم الذين يؤدونه ، أو لأنه ينظر إلى الحياة بعين سوداء أو من خلال منظار أسود لأن القره قوز يقوم على الشكوى من الحياة ومحنها ومفاجأتها وتقلب أحوالها ونقدها. وزعم المستشرق (ليتمان) أن لفظة قره قوز تحريف لاسم (قرقوش) الذي كان وزيراً في عصر الأيوبيين وقد اشتهر بالظلم إن حقا وإن باطلاً. وعليه ، فمسرح العرائس والدمى هو مسرح يعتمد على تشغيل الدمى أو الكراكيز والماريونيت بطريقة دراماتورية فنية للتثقيف تارة ولترفيه تارة أخرى. وهو أيضاً مسرح مكشوف يعرض قصصه في الهواء الطلق ، وله ستارة تنزل على الدمى أو ترتفع عنها. أما الممثلون فُشخص واحد أو أكثر وقد يصلون إلى خمسة ، وهم على شكل دمى محرّكة بواسطة أيدي اللاعبين من تحت المنصة أو بواسطة الخيوط. من هنا ، نستنتج بأن مسرح العرائس هو مسرح الدمى والكراكيز والعرائس المتحركة. ومن المعلوم ، أن لهذا المسرح تأثيراً كبيراً على الأطفال الصغار ، حيث يبهرهم ويدهشهم بقصصه الهادفة التي تسعى إلى إيصال القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة لغرسها في نفوس هؤلاء الأبرياء

الصغار. وعلى العموم ، فهذا المسرح يعتمد على الدمى باعتبارها شخصيات فاعلة فوق الركح! تحركها أيد بشرية من الخلف أو من فوق أو من تحت. ويمكن أن تكون هذه الدمى كائنات بشرية أو حيوانات أو كائنات نباتية أو أشياء جامدة. ويتحكم فيها المخرج أو الممثل أو اللاعب بكل مرونة وطواعية ، فتؤدي كل ما يريد المخرج أن يوصله إلى الطفل من أفكار ومشاعر وأحاسيس ورؤى. ومن حيث الفضاء الدرامي الذي تشغله هذه الدمى والعرائس ، فإن اللاعبين يقدمون عروضهم داخل علب مغلقة ، يفتح وسطها على الجمهور في شكل شاشة سينمائية. وفي هذا الوسط الركي ، تتراقص الدمى والعرائس من قبل لاعبين مختلفين خلف العلبة. وهناك من يقدم عروضه المسرحية بواسطة الدمى والعرائس فوق خشبة المسرح ، ويُحرّكها بشكل مباشر أمام الجمهور. ولكنه لا يرى من قبل المشاهدين ؛ لكونه يلبس زيا أسود فتعكس عليه إضاءة خاصة ، لا تظهره جيدا أمام المتفرجين الراصدين. ومسرح العرائس والدمى أنواع متنوعة. فعلى مستوى التحريك ، هناك أنواع عدة: نوع يحرك أمام الجمهور مباشرة بواسطة خيوط ، ونوع يحرك بأيدي اللاعبين أنفسهم ، ونوع آخر يدخل في داخله الممثلون وأصد هنا الدمى الكبيرة والضخمة التي تتجاوز المتر والمترين وثلاثة أمتار. ويمكن اعتماد تصنيف آخر: الدمى المحركة بعضا ، حيث تثبت الدمى والعرائس على عصا ، فتحرك بواسطة قضبان حديدية أو خشبية. والدمى القفازية التي تحرك بواسطة اليد عن طريق إدخال اليد والأصابع داخل الدمية. ودمى الخيوط التي تحرك بواسطة خيوط مشدودة إلى أطراف الدمية ، يحركها اللاعبون من أعلى الخشبة. لكن اليوم تحرك الدمى والعرائس عن بعد بواسطة وسائل إلكترونية متطورة جدا. ومن حيث الشكل ، فهناك دمي ضخمة ودمى صغيرة ونصف دمي ، وهناك أيضا دمي محشوة وغير محشوة. ومن حيث الصورة ، يمكن الحديث عن دمي بشرية ، ودمى نباتية ، ودمى حيوانية ، ودمى الجماد ، ودمى الخارق التي تتشكل من الجن والعفاريت وغيرها من الكائنات الميتافيزيقية والمخلوقات الفانطاستيكية. ومن حيث المادة التي تصنع بها العرائس ، فهناك أيضا أنواع: العرائس الخيطية ، والعرائس الخشبية ، والعرائس الورقية ، والعرائس الكرتونية ، والعرائس البلاستيكية ، والعرائس البوليستييرية ، والعرائس القطنية ، والعرائس الكتانية (عرائس القماش). ولقد ظهر مسرح العرائس قديما جدا عند المصريين القدماء (الفراعنة) ، والصينيين ، واليابانيين(مسرح بونراكو) ، وبلاد ما بين النهرين وتركيا. بيد أن اليابانيين تفننوا فيه حتى أصبح مسرح العرائس إحدى أدوات التعليم والتلقين ، فهم من الأوائل الذين أتقنوا هذا النوع من المسرح ، حيث يتهافت عليه الصغار والكبار بدون استثناء. وهناك من يعتبر أن مسرح الدمى كان بمثابة تماثيل وأوثان وأصنام ، تحمل ألقا دينية وروحية وصوفية ، فتحيل على الديانة البوذية والطقوس الآسيوية. ومن ثم فإن هذه الدمى: "تنحدر من عائلة تماثيل الفيلة المقدسة التي كانوا يصنعونها "تشبها بالإله" في ظنهم ؛ وأنها كان لها قبل قرون عديدة حركات منتظمة موسيقية ، لا حركات متقلصة ، ولم يكن بها حاجة إلى الحبال التي تسندها ، ولم تكن تتكلم من خلال أنف العامل المستخفي الذي يحركها. أما في الغرب ، فلم يعرف الناس مسرح الطفل ، إلا بعد أن تعرفوا مسرح العرائس والماريونيت. فكان اللاعبون ينتقلون باللعبة ويتجولون بها من مكان إلى آخر ، ومن منطقة إلى أخرى ، وكانوا يرتادون المدن والقرى النائية لإسعاد الصغار والكبار على حد سواء. ومازال الاهتمام بالماريونيت في الغرب سارياً إلى يومنا هذا. أما إذا انتقلنا إلى العالم العربي والإسلامي في العصور الوسطى ، فلم يظهر مسرح الدمى والعرائس والكراكيز إلا في القرن

الرابع عشر الميلادي في تركيا والعراق. وانتقل بعد ذلك إلى الشام ومصر وبأقي الدول العربية والإسلامية. ويبدو أن مسرح العرائس المعروف حالياً في كثير من دول العالم - يقول الباحث العراقي عمر محمد الطالب - هو امتداد للقره قوز لوجود تشابه كبير بين عرائسهما ، مع الاختلاف الموجود بينهما من حيث التوجيه والإحساس بالشكل الشعبي. ونوع النصوص المستخدمة فيهما. والقره قوز على أنواع: قره قوز يسافر ، وقره قوز اللصوص ، وقره قوز القاضي ، وقره قوز التاجر ، وقره قوز المريض ، وقره قوز الضارب لزوجته. ومن خلال كل قصة تظهر أحداث مضحكة وتقليدية مثيرة للضحك ، ولم تحتو مشاهد القصيرة على أي وعظ أخلاقي. فالشخصية الرئيسية لا تكف عن الكذب والسرقة والاحتيال وتتجو مع ذلك من كل عقاب. فالقره قوز لا يمكن أن يمثل في نظر الناس الضعيف الذي يلعب على الأكثر قوة أو على الأذى ، وإنما المحتال الذي يستطيع بمهارته الزائدة أن ينجو من العقاب. فالقره قوز مسرحية من نوع (الفارس) ثقيلة وممتدة تتوالى فيها الصفات والشتائم والمواقف المربكة. وقد يرتفع القره قوز عن مستوى الإضحاك الفج وتصوير بعض ما يجري في الحياة اليومية من علاقات بين الناس تصويراً يرتفع أحياناً إلى مستوى النقد كالعلاقة بين الزوج والزوجة ، أو ينقد الصفيق الذي يستغل كرم المحسن إليه بثقل الطلبات عليه حتى يضيق الصدر وترتفع اليد بالعصا أو المدلس الذي يظن أن بوسعه أن يخدع القره قوز ويسلبه بعضاً من ماله ، أو الغبي الذي يحاول القره قوز أن يلغته شيئاً المرة بعد الأخرى ولكن ذكاه المحدود يعجزه عن الفهم فيكون الضرب جزاء وفاقاً له. كما قدم القره قوز بعضاً من القصص الشعبي إلى جوار إشارات إلى بطولات شعبية يطبعها بطابع الفكاهة والمرح. وامتد هذا المسرح في العالم العربي والإسلامي ، إلى أن تحقق لشعبه الاستقلال والسيادة الوطنية بعد عهد الحجر والاستعمار ، فتم تنظيم هذا المسرح بطريقة رسمية وغير رسمية ، فأصبحت له مهرجانات وملتقيات وندوات للتعريف بمسرح الدمى والعرائس ، بعد أن استفاد هذا المسرح من تجارب الغرب والشرق في هذا الميدان نظرياً وتطبيقياً. بيد أن مسرح العرائس بصفة خاصة ومسرح الطفل بصفة عامة في العالم العربي تراجع كثيراً ، وغيب إعلامياً وتربوياً وفنياً. هذا ما جعل الباحث المغربي حسن المنيعي يقول: "إن ظهور حركة مسرح العرائس قد حظيت بتقدير الآباء ؛ لأنها ملأت فراغاً هائلاً يتمثل في غياب مسرح للأطفال كان موجوداً من قبل في كثير من دول أوربا. وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه يجب الاعتراف بأن أزمة المسرح في مجموع الدول العربية لها علاقة بانعدام فرجات خاصة بالأطفال ؛ لأن هذه المخلوقات الصغيرة - في حالة إبعادها عن المشاركة في سن معين من طرف خبراء التربية - لا تهتم أبداً بالمسرحيات التي تقدم لها يوم تكبر ، مما يفسر عندها وجود رغبة تكوين تام قابل لمساعدتها على إدراك مفهوم الدراما ، واكتشاف الجلال والسحر فيها." تلکم - إذا- نظرة مقتضبة وموجزة حول مسرح الدمى والعرائس في تطوره التاريخي ، والذي ينبنا بأن هذا المسرح لقي ترحيباً كبيراً في الغرب والشرق على حد سواء. في حين ، عرف تعثراً مستمراً واستهجاناً كبيراً في عالمنا العربي والإسلامي ؛ زد على ذلك ، عدم تربية أطفالنا منذ الصغر وتعويدهم على الفنون الجميلة. إن لمسرح العرائس والدمى وظائف عديدة تتمثل في الوظائف التربوية والديداكتيكية والاجتماعية والنفسية والتثقيفية علاوة على وظائف التسلية والترفيه والإمتاع. كما يعد قناة أخلاقية تنقل مجموعة من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة إلى الطفل من أجل تغيير سلوكه بما هو أفضل وأحسن. ويمكن " للأطفال - حسب الباحث المغربي سالم كويندي- ممارسة اللعب التمثيلي

بالعرائس ، وهذا راجع لحبهم للدمى ، كما أن مسرح الدمى يعتبر من أقدم الأنواع المسرحية والتي كانت تستهوي الكبار والصغار على السواء ، إلا أن التوجه الحالي لها يكاد يجعلها مقتصرة على الأطفال ، وذلك لتعلق الأطفال بها لما تقدمه لهم من متعة وتسلية وكذا تربية وتعليمية. كما أن فكرة التمثيل بالعرائس من شأنها أن تعوض العمل باللوحه الوبرية المتبعة في السنوات التعليمية الأولى كوسيلة تعليمية. " ومن هنا ، فإن مسرح العرائس يلبي رغبات الطفل الشعورية واللا شعورية ، ويحقق له توازناً نفسياً من خلال تخليصه من مكبوتاته الدفينة والمترسبة في عالمه الجواني وجدانياً وعضوياً. كما يحرره من قيود الذات المنكمشة ، ومن ضغوطات الأسرة والشارع والمدرسة والمجتمع على حد سواء عبر ممارسة اللعب والمشاركة في الفرجة الدرامية التي تقدم له بطريقة كوميدية فنية وجمالية تقوم على الإضحاك والتسلية والترفيه. ويتبين لنا بأن مسرح الدمى والعرائس من التقنيات الدرامية المهمة لتحضير عرض دراماتورجي مسرحي موجه إلى أطفال الحضانه أو أطفال التعليم الأولي ، بل يمكن توجيهه أيضاً إلى جمهور الفتيان والشباب والكبار تثقيفاً وتسليةً وترفيهاً. بيد أن مسرح الدمى والعرائس له بعض السلبيات ، فشخصياته كائنات بسيطة وجامدة ، لا يمكن أن تدخل في علاقات تفاعلية مباشرة مع الجمهور. وبالتالي، لا يمكن أن نتصورها خارج الإطار المحدد لها ركحياً. فلا يمكن أن تحقق التواصل الحميمي بينها وبين الجمهور لصعوبة تفسير الجدار الرابع بشكل جيد. كما أن هذه الشخصيات الجامدة لا يمكن أن تعبر عن أفكارها ومشاعرها الروحية وأحاسيسها الوجدانية بطريقة عميقة ، تنكشف بجلاء على ملامحها الخارجية وقسماتها الفزيولوجية. وتظهر المفارقة الصارخة في هذا المسرح حينما نختار كائنات جامدة ساذجة لا حياة فيها للتعبير عن الحياة النابضة بالحركة والصراع والتوتر الدرامي ، بما في هذه الحياة من فتن وإحن ومشاكل ، يصعب حلها بالحلول البسيطة ، والنقد الاجتماعي الكروتيسكي القائم على التشويه والتقييح ، عبر كوميديا هزلية ساخرة تتسم بفظاظة التهجين والباروديا ، والبساطة المباشرة. وعلى الرغم من هذه الانتقادات الوجيهة ، فإن مسرح الدمى والعرائس هو مسرح قريب من عالم الأطفال ، مادام يشغل الحيوانات والكائنات البشرية الصغيرة التي يكبرها الطفل الحقيقي قامة وشكلاً وقداً. وبالتالي ، لا يخاف منها مهما كانت شريرة وقبيحة).هـ. وعلى هذا فلقد انتقل مسرح العرائس والدمى الذي خصص للأطفال للضحك على عقولهم وإلهائهم ، استخدم للكبار! وكانت العرائس حفنة من المنافقين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله غير معترفين بمدى النكاية والجرم اللذين يحدثونهما بهذه الممارسة المقيتة! قال محمد المنجد في وصفه لأساليب المنافقين هؤلاء: (لا يمكن للمنافق أن يقول أنا أريد التخريب ، لا يمكن للمنافق أن يقول أنا أريد الإفساد ، لا يمكن لتيار النفاق أن يعترف على نفسه بأنه يريد إجهاض الشريعة وإسقاط راية الإسلام ، واللعب بعواطف الجماهير المغيية المضللة المضحك عليها ، والقضاء على حكم الدين ، لا يمكن كيف يقول هذا ، فلا بد أن يقول نحن على الحق بل ربما يستشهد بآيات وأحاديث ، ويأتي ببعض الأقوال ، قد يأتي بقول أحد المتساهلين أو أحد المميعين الذين يناصرونه ويتقاطعون معه في بعض الآراء ، لا بد أن يأتي بشيء من هنا أو من هنا لكن سيحلف أنه يريد الإحسان والتوفيق ، قال الله تعالى: {يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}. يعني تطويراً وتحسيناً ، يعني تقدماً وحرية ، يعني ويعني ويعني من الألفاظ المزوقة والعبارات المبهجة التي يخادعون بها الناس ، {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} الله أكبر! كلمة الإحسان كلمة جميلة ، وكلمة التوفيق أيضاً تبهج النفس ، قال

الله عنهم في كتابه: {ثُمَّ جَاءُوكَ} هؤلاء المنافقين {يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}. وأحسن أحوالهم أن بعضهم يظن لجهله بالشرع أن مناقضة الشرع جمال وطيب وأمر حسن! مفتون مثلاً بالغرب ، حيث يظن أن ما عليه الغرب شيء صحيح ، فإذا على أحسن الأحوال إنما يكون جاهلاً ، أو مفتوناً بأعداء الله ، يظن أن هذا هو الإصلاح والإحسان والتوفيق ، وأما أسوء الأحوال فهو إنسان مرتد يبطن الكفر ويظهر الإسلام فيريد القضاء على الدين بهذه الطرق المتنوعة). هـ. وحياتنا اليوم أشبه بمسرح عرائس يمسك الجبارون العتاة بخيوطها!

يا شر من سكن الديار عبدا	رزقتم الخذل أشكالا وألوانا
وذقتم الكيد من قوم لكم دفعوا	وزادكم ربنا ذلاً وخسرانا
أضللتم الناس بالأدوار قد حُبكت	حتى حشوتهم - بزيف القول - أذهاتا
واستعذب البعض ما تلقون من شبيه	وأيقن البعض ما تحكون إيقانا
واستهجن البعض ما حوت حناجركم	من النفاق غدا بالسبك مُزدانا
سحرتم الناس بالألفاظ مائعة	كي تنصروا سفهاً يعلو وطغيانا
والجاهلية أغراكم تحايلها	على نصوص الهدى زوراً وبهتاننا
أعمى العطاء عن التقوى بصائركم	فصار أغلبكم - للظلم - أعوانا
من أين جنتم؟ ومن للكيد جندكم؟	ومن يؤولكم بغياً وعدوانا؟
ألا تحسون - بالأجبال - تحقيركم	ولا تعير لَمَّا تلقون آذاننا؟
ألا ترون خطاياكم تلاحقكم؟	وإن فيها - على العصيان - برهاننا!
ألا تفيقون من سُكْرٍ ومن عمه؟	والعيش يلفظ مخموراً وسكرانا
إلى المليك ألا ينيب جمعكم	فتجعلوا التوب للرحمن قربانا؟
ألا تلبى ندا المولى ضمائركم	أن أخلصوا دينكم حياً وإيماننا؟
أما اتعظتم بما قد كان من نذر؟	أم العقول قلت رُشداً ورُجحانا؟
أما اعتبرتم بما قد حل من محن	آثارها بقيت - في الأرض - أزمانا؟
أما أتاكم - من الأنبياء - أصدقها؟	أم صرتم - لبريق الزيف - عبداًنا؟
إنني أرى مسرحاً غيضت ستائرهُ	وللعرائس رقصٌ بدوهُ حانا!

تشدد حيناً ، وترخي بعدُ أحياناً
منها ترى العينُ أشكالاً وألواناً
كي يسمع الناس أنغاماً وألحاناً
من المبادئ لا تلقى لها شاناً
وردد الناسُ ذا صُماً وغمياناً
واسـتظهروه زرافاتٍ ووحدانا
وأذعنوا - لدعاة الزور - إذعاناً
كأنما اتبعوا هوىً وشيطاناً
تُعوي الجماهيرَ إسراراً وإعلاناً
حتى تُرسخ للتبرير أركاناً
وأن - للكلمات الهُوج - أثماناً
تريد خيراً وتوفيقاً وإحساناً
من الخِداع سَرى ، إذ كان فتاناً
مهما تجمل بالتلميع ، وازداناً
والتقنيات ارتدت - في البحث - تيجاناً
شيئاً يُقيم - لدى التنظير - ميزاناً
لصحوّة رُزقت - في الفهم - فرقاناً
أن لا يشدّوا - لصرف الناس - أرساناً
وإن تأخر - يا أوغاد - أزماناً
وسوف تلعنُ أنصاراً وأعواناً
ويخذلُ الله أهل السوء خذلاناً!

وللخيوط أيادٍ خلفها أدرات
وللعرائس ترجيعٌ وتصديّة
وللتـرانيم فحواها ورونقها
فيؤخذون بما تُلقى عرائسهم
لاكت ضلال الألى صاغوا عبارتها
واستوعب القومُ هزلاً ساد عالمهم
وصدّقوا كل مانالوه من كذب
واستهجن الناسُ حقاً كان يرفعهم
إذ العرائسُ بالتغيير ما فتنت
تُحقق اليوم للطاغوت مأربه
وتوهمُ الناس أن الصمت مصلحة
فما أرادت لهم إلا الخيـور بدت
يا ذى العرائسُ ملّ الناس ما ألقوا
وأمرك اليوم مكشوفٌ لناظره
والعصرُ عصرُ علوم عمّ أصدقها
فزايلى مسرحاً لم تُغن حيلته
وخلّ عنك خداع الناس ، وانتبهي
مُري الذين خيوط المكر قد مسكوا
والدور آتٍ على من يدعمونهم
تفنى العرائسُ مهما غررت وبعثت
ويبرأ الناسُ ممن شاد مسرّحها

لماذا الجدل؟!

(أكتب على البحر المجتث هذه الحكاية الشعرية عن رجل جادلته في قضية في غاية الوضوح. ولكنه عمد إلى الجدل بغير حق. فُرحْتُ أقول له: لماذا تجادل؟! لقد سقت لك الأدلة التي سبقني إليها علماء أجلاء ، واليوم لا تقبلها مني اليوم وقد عرضها من هم خير مني وقبلها من هم خير منك بالأمس؟! إن هذا لشئ عَجاب! ولم أشأ أن أتخلى عن الموضوع وأتركه وشأنه لترك المراء والجدال الذي لا طائل منه ولا فائدة ترجى من استمراره حيث فقد أعظم الشروط وهو أن يكون بالتي هي أحسن كما أنه قد بناه المجادل على مبدأ حقير هو الطعن في دليل الخصم بلا وجه حق له في ذلك! والأصل أن الجدل بالمعروف في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر يفترض في كل داع إلى الله ، وأنه يجب أن يتحلى بالصبر على الخصم ريثما يفهم الحجة ويبصر بالمحجة! يقول أبو فيصل البدراني في مسألة الجدل الحسن عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما نصه: (والناس تجاه الجدل عن المنكر خمسة: - من لا يأتيه وينهى عنه وهذا أعلى الأقسام. - من لا يأتيه ولا ينهى عنه. - من يأتيه وينهى عنه. - من يأتيه ولا ينهى عنه. - من يأتيه ويأمر به وهذا أسوأها). وإنكار المنكر بالقلب واجب دائماً ، ولا يسقط بحال من الأحوال وهو فرض عين ، وليس الشأن في ذلك ، إنما الشأن في معرفة أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيما هو زائد عن القلب. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث العموم واجب ، ومن حيث الأفراد فقد يكون واجباً أو مستحباً ، وقد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوب ومشروع ، إذا كانت مصلحته راجحة على مفسدته وإلا فلا. ويكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين عند أحد هذه الأربعة بشرط عدم وجود مانع ورجحان المصلحة: (التعيين من قبل الوالي المسلم المقيم للإسلام. - التفرد بالعلم بموجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. - انحصار القدرة في أشخاص محددين كأن يكون أحدهم في موضع لا يعلم به إلا هو ، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو. - عند الحاجة ككثرة الجهل وفشو المنكرات مع رجاء النفع). ويكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً بشروط ستة مجتمعة: (- إذا كان المأمور به واجباً أو المنهي عنه محرماً ، أو يكون المأمور به مستحباً ولكن أطبق الناس على تركه أو فعل المكروه عامة وانتشر. - رجاء النفع أي بمعنى أن تكون مصلحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعظم من مفسدته. - ألا تخشى الضرر على نفسك أو على غيرك ، وليس كل ضرر يكون معتبراً في إسقاط الوجوب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاللوم اليسير لك ، والوقوع في عرضك بالغيبة ، ولمزك أمام أحد من الناس ، وتجهيلك أو تحميقك ونحو ذلك ، لا ينبغي أن يصرفك شيء من هذا عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. - أن يكون المنكر مُجاهراً به ظاهراً للمحتسب بغير تجسس ، أو يكون المنكر خافياً مُستتر به لكن ضرره متعدي. - القدرة على الاحتساب أي أن يكون الأمر والناهي قادراً على الاحتساب بالعلم ونحوه. - ألا يكون قد قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من يكفي فإنه في هذه الحال يكون واجباً). هـ. جزى الله خيراً أستاذنا أبا فيصل البدراني على هذه الدرر ، التي يجب أن يراعيها كل من دعا إلى الله يريد بيان الحق وتبصير الناس بدينهم ابتغاء وجه الله تعالى! وإلا يكن ذلك كذلك فما قيمة الجدل؟ وما ثمرته؟ وهل نستمر فيه أم نتركه؟! أقول في ذلك من المجتث!)

جـادان ، وبيقة دليلى يـبـدي صـريخ المـيـرول

واكظم هياج التحدي
كم ثمرت دون انتصار!
وقلت: يخزي ويأسي
والقلوب بقلوب
أراؤهم كنجوم
جادوا بعزم غزير
وبالغوا في اجتهاد
وبصّروا كل حيا
لهم يركنوا للظواغي
بكل نواوأ كل طباغ
واستبسببوا دون خوف
هل بعد أن قلت قولي
يبقى الجدل جدالاً
إن كان ليس يراعني
فاذهب بعيداً ، ودعني
قلا فؤادي التلاحني
ولا أمي لبتاتاً
يُزري التجني بشأني

واكبج جماح الجهول
وكم أثمرت فضولي!
أن لم يكن بالنبي
أهل الحجج والدليل
تودي بدجو مهول
والعلم أسمي جميل
يرجون أجر الجليل
بهول يوم الرحيل
شان الفریق العميل
عين الأعادي رذيل!
بكل عزم أصيل
يُزري برأيي المقول؟
يُفضي لئداء وبيل
ففي السباح بعض الأصول
وحدي ليشفي غليلي
ففي المطلب المسحيل
لطن قلب خليلي
والهزل طبع الكليل

طَبِّتْ حَيًّا وَمَيِّتًا يَا أَبَتَاهُ!

(حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِيهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ لَا تَدْرِكُ وَلَا تَعِي شَيْئًا! وَاسْتَمَرَّتِ الْحَيْلُولَةُ هَذِي سِنَوَاتٍ إِلَى أَنْ حُكِمَ عَلَى أَبِيهَا بِالسَّجْنِ مَدَى الْحَيَاةِ! لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ: (رَبِّيَ اللَّهُ) وَيَدْعُو إِلَى ذَلِكَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ! وَتُوفَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي سَجْنِهِ ، فَعَادَ جُثْمَانًا مَسْجِيًّا فِي كَفْنِهِ. فَأَطَالَتْ النَّظْرَ إِلَى الْجُثْمَانِ ، وَرَاحَتْ تَقُولُ فِي ثِقَّةِ الْمُؤْمِنَةِ وَإِيمَانِ الْوَائِقَةِ: (طَبِّتْ حَيًّا وَمَيِّتًا يَا أَبَتَاهُ!) وَنَعَتْ أَبَاهَا وَبَكَتَهُ ، وَغَسَلَتْ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ بِدُمُوعِهَا! ذَلِكَ الْعَالَمُ الدَّاعِيَةُ الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَجُوبَ دِيَارَهُ بِشِيرًا وَنَذِيرًا فِي أَحْلَاكِ الظُّرُوفِ! فَلَمْ يَزِدْ دَاعِيَةً يَفْرِي فَرِيَهُ أَوْ يَصْنَعُ صَنْيَعَهُ أَوْ يُبْلِي بِلَاءَهُ. حَيْثُ كَانَ قَدْ أَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ دَعْوَةَ النَّاسِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْمُحَنِ وَالشَّدَادَةَ ، فَكَانَ بِذَلِكَ أَنْمُودَجًا حَيًّا لِمُؤْمِنِ آلِ فَرْعُونَ وَمُؤْمِنِ آلِ يَسْنَ! فَكَتَبْتُ أَحْكِي عَلَى لِسَانِ الْبُنْيَةِ تَلْعِي أَبَاهَا!)

أبِي حَيَاتِكَ طَابَتْ ، وَالرَّدَى هَانَا
ذَكَرَاكَ فِي الْقَلْبِ تَشَجِينِي وَتَوْنُسُنِي
أَصْدَاءُ صَوْتِكَ فِي الْأَرْجَاءِ صَادِحَةٌ
تَرْتَلُ الْآيَ تَلْوِ الْآيَ مُحْتَسِبًا
وَكَمْ أَمَرْتِ بِمَعْرُوفٍ وَمَنْقَبَةٍ
وَكَمْ نَهَيْتِ الْوَرَى عَنِ مَنَكْرٍ فَعَلُوا
وَجُبْتِ (مَصْرَ) بِلَا كُلِّ وَلَا مَلَلٍ
لَمْ تَخْشِ فِي اللَّهِ جِبَارًا لِسَطْوَتِهِ
بِكَ اسْتَبَاتِ أُمُورٌ طَالَمَا خَفِيَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَالِ الظُّلْمِ مُنْتَقِمًا
وَعَشْتُ أَسْأَلُ حَوْلِي النَّاسَ: أَيُّنَ أَبِي
فَلَا يُجِيبُونَ - مَهْمَا صِحْتُ - أَسْأَلْتِي
فَغَبْتِ عَنِّي ، وَطَالَتْ غَرْبَةً جُثْمَتِ
كَيْفَ احْتَمَلْتِ بِلَاءَاتِ إِذَا ذَكَرْتِ
وَمَا نَزَلْتِ عَلَى مَطْلُوبٍ مَنَ ظَلَمُوا
وَمَا تَنَازَلْتِ عَنِ حَقِّ تَدِينٍ بِهِ
وَالكَيْدُ غَالِي ، وَلَمْ تَسْكُنْ دَعَايَتِهِ

وَطَبِّتِ رَمَزَا سَمَا ، وَطَبِّتِ جُثْمَانَا!
جَدًّا ، وَتَغْمَرُنِي شَوْقًا لِلْقِيَانَا
إِمَا تَلَوْتِ - عَلَى الْأَسْمَاعِ - قِرَانَا
وَتُشْبِعِ السَّمَاعَ الْمُحَظَّوظَ أَحَانَا
بَيْنَ الْخَلَائِقِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا!
تَرِيدُهُمْ لِمَلِيكَ النَّاسِ عُبْدَانَا!
تَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِعْظَامًا وَإِحْسَانَا
وَلَمْ تَخْفِ بِأَسْ أَجْنَادٍ وَطَغْيَانَا
أَرِيْتَهَا مُسْمِعًا صَمًّا وَعُمْيَانَا
وَأَمْتَدْتِ النِّقْمَةَ الْدَهْيَاءَ أَزْمَانَا
وَقَدْ تَحَدَّرَ دَمْعُ الْعَيْنِ هَتَانَا؟
إِلَّا بِصَمْتٍ يَزِيدُ الْقَلْبَ أَشْجَانَا
عَلَى الْفُؤَادِ جَوِيَّ يَكْوِي وَأَحْزَانَا
أَسَى لِمَا نَلْتَهُ ظَلْمًا وَعُدْوَانَا
بَلْ كَانَ صَبْرُكَ فِي التَّمْحِيصِ قِرْبَانَا
كَيْلًا تُشْمِتُ أَجْنَادًا وَدُهْقَانَا
تَلْكَ الَّتِي سَاقَهَا زُورًا وَبُهْتَانَا

مستصحباً جِيباً تُزري وأعوانا
والكذبُ أمسى على التغيرير بُرهانا
وأمعن السير في التلفيق إمعانا
حتى أضلّ بحبك الصدّ أذهانا
وعاقب الله أفاكاً وفتاننا
تحوي من الحقد أصنافاً وألوانا
كأنما أدركت - في القاع - طوفانا
رواج شئ خبا وصفاً وأثماننا!
يُضَيِّعون بها أهلاً وأوطاننا!
من يعبدون على التحقيق شيطاننا!
فصيرتهم لَمَّا حاكوه قرباننا!
سمتاً وهدياً ، وإسلاماً وإيماننا
تعمّ بالنور آفاقاً وأكواننا
من بعد أن عبدوا صخرأً وأوثاننا
وأَسسوا للهوى نصاً وبُنياننا
تهدي وتنصحُ تفصيلاً وتبياننا
وكان منطقتهم سِجناً وسجّانا
دين تدينُ به الرحمن مولانا
إن احتساب الأذى يُحذيك سُلوانا
إننا لنوقنُ بالجنات إيقاننا

ولفّق التهم القعساء تشفوية
واستمرأ الزيف والتضليل في وضح
كالأكاذيب في سر وفي علن
فشوّة السمعة العصماء تصدّية
وفي الجرائد كانت فتنة عظمت
وفي المجالات تحقيقاتهم رُصدت
ويح التقارير غاصت في تمحّكها!
ويح الأكاذيب راجت في قطيع غشا
ويح الأباطيل أملاها جلاوذة
ويح الحماقات زكّاهها وأضرّما
ويح السخافات سيقّت للذين غووا
أبي رأيك أسمى من تخرّصهم
هم في الحضيض وأنت الشمس ساطعة
هم الطواغيت عن رب السما عدلوا
هم العباييد في أهوانهم سقطوا
كنت البشير أبي لهم ومنذرهم
لكنهم جعلوا الجزا مُعاقبة
فما جزعت ، ولم تعطِ الدنيا في
وحسبك الله ، إن الله منقّم
إلى لقاء جنات المليك غداً

القرصان التائب

(عمل قرصاناً مع مجموعة من القراصنة عقداً من السنين ، فاعتاد أن يسرق وينهب ويرتكب المحرمات. ومن هنا أُلّف ضرب الأبرياء وسحلهم وقمعهم وتعذيبهم. ولربما أفضى التعذيب إلى القتا! ولربما قتلهم عمداً مع سبق الإصرار والترصد! ولربما حرقهم بالنار! ولربما أخفاهم قسرياً وأنكر لذويهم أنه يعرف مكانهم! ولربما ذهب إليهم في عُقر دارهم وحطم ما يشتهي من ممتلكاتهم وأحرق الدار أو هدمها على رؤوس ساكنيها! ولربما أخذ من الأهالي الرهائن لتدل على المطلوب الذي لم يجده! وشعاره في ذلك هو شعار باقي القراصنة الذين يعمل معهم: (من أشد منا قوة)! حتى أن أحدهم قال للناس يوماً علانية: (لا أحد سيقدر علينا ، ونحن أسياد هذه الأرض ، ومن هم دوننا عبيد عندنا)! وكانت هذه العصابة المتفرعة المجرمة من القراصنة قد اتخذت سجناً - قريبا من شاطئ البحر - تضع فيه ضحاياهم: تقتل بعضهم وتتكلم بالبعض الآخر! ولم يكن ذلك القرصان ينكر عليهم ، بل يكره بقلبه لخميرة إيمانية فيه! ولكنه كان يأتي ما يأتون ويقول كما يقولون ويفعل ما يفعلون. وذات يوم سمع أحد ضحاياه من المأسورين المغلوبين المستضعفين يناجي ربه في صلاة له في جوف الليل فيقول: (ربي لقد غرهم عجزى عن الرد عليهم والانتصار لنفسى وضعفى عن مواجعتهم ، اللهم فانتصر لي كما انتصرت لعبد ونبيك نوح - عليه منك الصلاة والسلام - إذ دعاك فقال: إني مغلوب فانتصر! ربي عبيدك سواي كثير وليس لي رب سواك فخذ لي بحقي من القراصنة فقد جعلتك بيني وبينهم! وأنا اليوم أولى من عبدك ونبيك نوح بما دعاك به! اللهم يا من لا إله غيرك يعبد ولا رب سواك يقصد ، عجل لي بالنصر على هؤلاء فقد غرهم حلمك عليهم وإمهالك لهم)! ففكر القرصان وقدر ، ثم فكر وقدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ولكنه هذه المرة لم يدبر ولم يستكبر! بل دخلت التوبة إلى قلبه ، وداعبت الإنابة عواطفه ، وتسرب الندم إلى جوارحه! وذهب إلى ذلك الأسير السجين وقال له: بم كنت تدعو؟ فقال السجين: ما دعوت ولا تليت ، بل كنت أهذي وأهزم بالكلام فقط! طبعاً قال ذلك خوفاً وفرقا من بطش الطاغوت وفتك القرصان! ولم يكن المسكين يدري أن القرصان قد تاب وأتاب! وعذره القرصان التائب لأنه كان يقدو الظرف ويعلم يقيناً أن الرجل لا يمكن أن يصدق معه! وحسنت توبة القرصان ، فاعتزل القراصنة وأخذ على نفسه عهداً أن يفضحهم ويكشف للناس خططهم حتى يحذروا على سفنهم وممتلكاتهم وأهليهم! وراح يجد في ذلك بلا هوادة وبدون أدنى خوفٍ أو ريبية. والحقيقة التي يجب أن يدركها القراصنة المجرمون أن الحياة قصيرة ، وأن الناس مربون لله تعالى لا لسواه ، فالخلق عيال الله (أي عالة عليه)! وعليهم أن يدركوا جيداً أن ظلمهم له حد وبطشهم وتنكيلهم له نهاية! وأن الأمر ليس إليهم ، بل لله تعالى الأمر من قبل ومن بعد ، وأنهم آتيهم عذاب من الله غير مردود ولا مصروف. إن الظلم إذا استشرى في الأرض فإنه ينبغي على الأحرار - من ذوي العقائد السليمة والقلوب الواعية والهمم العالية والضمانر الحية - أن يردوا ذلك الظلم ويدفعوه عن الناس ابتغاء وجه الله عز وجل! فإن هم عجزوا لضعف فيهم أو تقاعسوا لخذلان الناس لهم أو تنازلوا لغلبة حب الحياة وكراهية الموت فإن الله تعالى يدحر ذلك الظلم ويهزم القانمين عليه من الطواغيت والمجرمين والقراصنة الخبثاء! ينزل الله بهم ذلك كله وأشد منه لا حياً في المتقاعسين عن نصرته الحق وقد أقدرهم على ذلك ولكن لأن الظلم قد حارب الله في الأرض زاعماً أنه يمكن أن يقول بلسان الحال أو المقال: (أنا ربكم الأعلى أو ما علمت لكم من إله غيري كما قال فرعون)! إن غيرة الله على ألوهيته وربوبيته وسلطانه لا تضارغها غيرة

أبدأ! وإن أخذ الله للظالمين لأخذ عزيز مقتدر مصحوب بالعذاب البئيس المهين الشديد الأليم! فلئن كان الناس لا يستحقون نصر الله ، فإن نعمة الله من الظالمين غيرة على الربوبية والألوهية وإيقافاً للظلم والطاغوتية عند حدهما أمر مستقراً في تاريخ الإنسانية! ولنرجع لفرعون وانتقام الله منه ، وهنا نسأل هل كانت رعية فرعون تستحق أن يغرق الله فرعون وملاه؟ بالطبع لا! ذلك أنه يوم قال: (أنا ربكم الأعلى - ما علمت لكم من إله غيري - ما أرى إلا ما أرى - ذروني أقتل موسى) ، ما وجد طليعة توقفه عند حد ، بل بالعكس وجد جماهير مسبحة بحمده ، راضية بما يصنع ، قانعة بما يقول كأنه ما قال إلا الحق! وإذن فلم أعرقه الله وانتقم منه؟ والجواب: لأن الله يُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته! فأنشدت من شعري هذه المعلقة التي جاوزت الثمانين متخيلاً القرصان يحكي لنا قصته شعراً ، فكانت القصيدة ترجمة لهذا!)

يا سامعين لآهاتي ألا اعتبروا	كم أصلحت أمماً في غيرها العبر!
والاعتبار يزيد النفس تبصرة	تفوق ما تدرك العيون والبصر
وإنما يُدرك الذكرى المريد لها	من ليس في قلبه لؤم ولا دبر
والاعتناظ حري أن يُغيرنا	فلا يجندلنا كيد ولا مكر
وكل نفس لها - في الذكر - منطقتها	وكل موعظة فضلى لها أثر
وكل قلب له ساعات تذكرو	تشجيه إذ يرعوي لها ، ويزدجر
وكل عاطفة لها تأرجحها	بين الزواجر منها المرغ يذكر
وكم تريد قوياً - بالعبد - تشافية!	فإذ به - في الوغى - يقوى وينتصر
وكم تريد شقاء العبد شردمة!	فإذ به يدرك الحسنى ، ويبتشر
وكم يريد فتوى إدراك مأمليه!	وسعيه - بين كل الناس - معتبر
لكنه لم ينل - بالسعي - خردلة	من الأمانى فيها غرد الوطر
وكنث عبداً من العبيد غايتيه	إذلال قوم لهم - في عيشنا - نظر
وسخل قوم بلا جزم يجرمهم	وضرب قوم على قرآنهم سهروا
وصعق ناس بأسلاك مكهربة	بنهمية لم تكن تبقى ولا تذر
وقذف صييد كرام دون مرحمة	وقاذف الصيد - بين الناس - يحتقر
وسب قوم بألوان السباب ، نبا	عنها الشريف به في الخلق يُفتخر

مَن كان يلعنهم ، والأمرُ مشتهر
كأني بـردا فرعونَ أتزر!
أنّي أحقق مجداً كله ظفر
وما تأثرتُ لما جاءتِ النذر
كأن قلبي - من إلف البلا - حجر!
وإن أكنُ عشتُ أمراً فيه مُزجر
وما استمعتُ لأقوال الألى قهروا
وما تفكّرتُ في رأي الألى ذكروا
يُزجي التضرعَ لما مسّه الضرر
تفريج همّ عليه الرب مقتدر
بدمع عين - على الخدين - ينهمر
وإن قلبي - من الآلام - يعتصر
وغيرهم أنهم عليّ قد قدروا
ذرعاً ، ونفسي من التضيق تستعر
كأنهم بعدو مجرم ظفروا
وهزني صوته ، ورجّني الحذر
وأطلبُ الصفحَ مُلتاعاً ، وأعتذر
كيلا يذوق أذىً ، إذ الدعا خطر
لعل كسرك - يا مسكين - ينجبر
لعل نفسي بما تقول تنزجر
وسوف أبدي الذي قد كان يستتر
وحوال دون الذي إليه أفتقر

ولعنُ أهل التقى لعناً يبوء به
وركّل قوم طووث إباءهم قدي
وذرتُ في فلّك التعذيب معتقداً
ولم أناقشُ ، ولم أنصتُ لموعظةٍ
وما اتعظتُ بما عاينتُ من عبر
ولم أراجع ضميراً مات واعظه
وما انتصتُ لآهاتِ الألى غلبوا
وما انتصحتُ بأفكارِ الألى نصحو
حتى أخذتُ بما ادّعاه مبتئسٌ
وبات يدعو مليك الناس يسأله
وكم ألحّ على الجبار مبتهلاً
يقول: رب انتصر ، فقد غلبتُ هنا
عجزتُ إذ أحكموا عليّ قبضتهم
وأوثقوني بأصفاذٍ أضيقُ بها
واستضعفوني ، وصابوا سوطِ نِقمتهم
فقلتُ: هذا البرئ الشهم سربلني
فجنته أسفاً أبكي على جُرّمي
فخاف من جيئتي ، والصمت ساوره
فقلتُ: أبشر ، وأخبر دون حشرجةٍ
زدني من الشعر بيتاً أستنيرُ به
عهداً أعيدُ حقوقاً كنتُ غاصبها
فلم يُعزني انتباهاً في مجادلتي

لله ببال ، ولا أراه يفتكر
إن الأسارى سيشكون الألى أسروا
وسوف يندم من جاروا ومن فجروا
ولا معاذير يُزجيهما الألى غدروا
واليوم تبث ، فلا ظلم ولا بطر!
وسوف أفضح من ضلوا ومن كفروا
حتى قضى بعضهم ، والبعض ينتظر
وسوف أكشف من غابوا ومن حضروا
بين الخلائق منه الناس تنبهر
تغالتنا زمر ، وتفترى آخر!
في ساح مؤتمر يتلوه مؤتمر
يزينها الوشئى - نصب العين - والجبر
ومن كبيرهم - في الأرض - يتجر
في السجن - عن رجم - وبعد يُحتقر
وعن كذوب تُرى هل يُنقل الخبر؟
فلا المغول تُباريهم ولا التتر!
هل مثل ذلك - عند الله - يُغتفر؟
وكل جمع له - في سلبه - صور
فالنهي نهيم ، والأمير ما أمروا
يكاد بركانها - في الكل - ينفجر
والأبرياء - على مر البلا - صبروا

هنا التمسث له الأعذار ما خطرث
ولم تخني تجاربي ولا نظري
والأمر أكبر من سجن ومحكمة
هي الموازين ، والديان واضعها
أملاني الله حتى خفت أخذته
أعلنت توبي وتبينني بلا فرق
من عذبوا خيرة العباد في شبه
من لفقوا ثهماً يندى الجبين لها
من أخرجوا الدار عن عز يُتوجها
من أشمتوا زمر العادين في زمن
من سلموا للعدا الأصقاع هينة
من أشبعونا شعاعات منمقة
من هددونا ، وجدوا في نكايتهم
من يسرقون ، ويرمى من يحاسبهم
من يكذبون ، وغر من يصدقهم؟
من ينهبون خيور الشعب دون حيا
من يقتلون كرام الناس تشفية
من يسلبون حقوق الخلق قاطبة
من يعملون لأعداء بهم فتنوا
من يأخذون الرعايا نحو هاوية
من يحبسون - بأمر الطغمة - العلما

كالوحش حاز مناه الناب والظفر
يُخادعون! ألا خابوا! ألا خسرُوا!
والمكرُ أدنسُ شئىِ جاءه البشر
تغالبه النائبات الهُوجُ والغِير
وسوفُ أكشف أسراراً همُ سترُوا
أمام عيني فتىً - بالحق - يأتُر
ومِن بياني الذي أنويه لا وزر!
وعند رب الورى الأثمان والأجر
واستعبدوا الناس ، ثم الثروة احتكروا؟
لها القصورُ ، وللرعية الحفر؟
والحكمُ فاز به الجهالُ والعجر؟
وكيف صدق هذا الكاذبُ الأشير؟
طغى عليه الهوى والجبنُ والخور
كأنه للأنام الشمسُ والقمر!
فصدق الغر ما قال الألى هذروا!
والإفكُ صاحبه الترجيعُ والسمر!
وجاء تسبقه الرايات والبشر
وقبل ذلك يدعو ثم يعتمر
ولن يورقني في حربكم ضجر
وبعد الغيث يغشاكم وينهمر
ومِن سواك - على الأعداء - مقتدر؟

مَن يشربون دماء الصيد تحسبهم
مَن يدعون التقى في كل ما زعموا
مَن يمكرون بنا ، فالمكرُ طابعهم
مَن يغرسون بذور الشرف في وطن
أقسمتُ أني هنا لفضح باطلهم
وسوفُ أجعلُ منهم عبرةً مثلث
وسوفُ أذكر ما شادوه مِن كذب!
أمانة تلك - في الأعناق - نبذها
ما قيمة العيش إما الفاسدون علواً
ما قيمة العيش إما عربدتُ فنة
ما العيشُ إن سادتِ الفوضى مدائننا
ما العيش إن حبس الطاغوث صفوتنا؟
رمز العمالة والتدجيل في مالأ
يُضفي عليه مهاباتٍ مزيفة
وكمال من زبدِ الأمداح أعذبها
وزخرفوا الوصف بَهتاناً وتصدية
فالبعضُ قال: نبياً حان موعده
والبعضُ قال: يحج البيت عن رغب
يا قوم تبثُ ، وعهداً لن أهادنكم
وكل غيثٍ له قطر بأوليه
للهم هبني - في الهيجا - مجالدة

فأين تذهبون مستقبلاً؟!

(كانت هذه القصيدة على البحر المديد ترجمة لتخلي لي لأحد الآباء كان قد نظر حوله فرأى الجو مكفهرًا والأحوال سيئة والأوضاع مقلوبة رأساً على عقب. وساءه ما يلمس من نظرتة الحالية. فأخذ يسأل عن مستقبل أبنائه في مثل هذا الحال السيئ. فتخيلت نفسي ذلك الوالد! وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من موجبات الابتلاء الشامل والنقمة العامة فيما يرويه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: (يا معشر المهاجرين ، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركون: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فأخذوا ما في أيديهم ، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم). رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني. وفي محاضرة الصبر على الابتلاء يُسأل الدكتور الحوالي عن معنى دعائه - صلى الله عليه وسلم - : (وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) فأجاب بكل تحليل ما نصه: (غلبة الدين وقهر الرجال هذان هما اللذان استعاذ منهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ونستعيز بالله منها جميعاً ، هذا أشد ما يمكن أن يصاب به الإنسان الهم والحزن: {أعوذ بك من الهم والحزن ، وغلبة الدين وقهر الرجال} أما الهم فهو لما يستقبله الإنسان من أمره ، ولا يدري كيف سيواجهه ، والحزن لما فات من أمر ، فهو حزين على شيء قد وقع ، كخير فات ، أو شر نزل أو غير ذلك ، وغلبة الدين ليس هناك أشد منه ، ويقال: إن لقمان الحكيم قال في وصاياه: "وحملت الأثقال كلها فما وجدت شيئاً أثقل من الدين". فلا أشد من الدين ، ولا أسوأ على قلوب الرجال الشرفاء ؛ أهل النبالة والكرامة من أن يأتيه صاحب الدين وهو بين الناس أو وحده ثم يقول: متى تعطيني؟ وليس أي دين ، ولكن غلبة الدين ، وإذا كان الإنسان من أهل الكرم والخير والفضل فإنه يورط أكثر ، لا يقدر أن يترك بيته ، ولا يقدر أن يترك التزاماته ، فنسأل الله أن يعيذنا وإياكم من ذلك. وقهر الرجال: لأن الظلم مر ، من أمر الأشياء الظلم والقهر ، كأن يواجهك شخص ويقهرك ويظلمك بشيء واضح لك كالعيان ، ولكنك مقهور لا تستطيع أن تتصرف تجاهه ، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من ذلك). هـ. وإذن فلا سبيل للتغلب على عقبات المستقبل الغامض هذا وعقباته الكؤود إلا بالصبر والتصبر! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يُرد الله به خيراً يُصِبْ مِنْهُ). رواه البخاري. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ). رواه الترمذي. وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صِلبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتَلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان والبيهقي. وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله يقول (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى). رواه أحمد وأبو داود وأبو

يعلى والطبراني. وأحاديث الصبر والتصبر سلوى الفؤاد المسلم وعزاؤه عند فساد الزمان
والناس والحال! ونسأل الله أن يعيننا على ما قدر علينا! أكتب في هذا على المديد أقول:

إن هذا الوضع فوق احتمالي!
والبلايا تسـتخف بعزمي
أيها الأولاد ، فلتعـذروني
والأمور في تدن وفوضى
لم نعش - من قبل - ظرفاً كهذا
كيف غشى السوء أصقاع قومي
قـيم الإسلام عنا تولت
وارتضينا الشر نهجاً وسـمتاً
أمة التلمود جارت علينا
بل رضخنا للأعادي اختياراً
لم نجاهد من غزونا جهاراً
إن هذا الوضع أزرى بقومي
أيها الأبناء أخشى عليكم
إنه مسـتقبل لا يسـتلي
فيه من ظلم الطواغيت قسط
يسرق الطاغوت قوت الرعايا
يقبلون الضميمة عيشاً ، وإلا
ليت شعري إن هذا كثير
رب سلم من مصير بنيس
رب أنت المسـتعان ، أغثنا

والظنون الهوج ثـزري بحالي
وي كأي والردى في اقتتال!
رب حال صغته في مقالي!
جد لم تخطر على أي بال
كيف أمسى الخير صعب المنال؟
فاستساغ القوم سوء الفعال؟
فاقترفنا سـينات الخصال
واتبعنا من دعا للضلال
لم نقاوم ظلمها بالنضال
لم نطـع رباً شديداً المحال
ثم ساروا بيننا باحتيال
واعتراهم منه كل الوبال
أخذة السـوآى وذل السـؤال
فيه فوضى ضـبطها كالخيال
والبرايا في لظى الاقتتال
ليس يُحري واحد من مقال
كابدوا في العيش وهج القتال
كيف يحيا مـخبطاً ذو العيال؟
وارحم الأولاد يا ذا الجلال
وانتشلنا من قبـيح الضلال!

سموم وهموم وغموم

(لقد تناولت الدخان والمدخنين في قصيدة سبقت ، وعنوانها: (القاتل البطئ)! ونظرا لأهمية الموضوع أكتب اليوم هذ القصيدة متناولاً السموم والهوم والغموم التي يسببها التدخين لمن ابتلوا به! وإنني لأعجب جدا من إنسان يقرأ: (التدخين سبب رئيس في سرطان الرئة & التدخين يسبب أمراضا كثيرة منها تصلب الشرايين كما يسبب الوفاة المبكرة) ، تلك العبارات التي قد كتبتُ على كل علبة سجائر تباع ، ثم يدخن هذا الإنسان السجانر وغيرها من السموم غير عابئ بما كتب! إن التدخين يسبب أكثر من خمسة وعشرين مرضا لجسم الإنسان! وذلك ليس كلامي بل تقارير منظمة الصحة العالمية! وكأني بالتدخين لا يترك جزءا من أجزاء الجسم إلا ويصيبه بالمرض! ومع هذا كله يُصر أهل التدخين على الاستمرار فيه وعدم البراءة منه أو التخلي عنه! واليوم أسطر هذه القصيدة لمن ابتلي بالتدخين من أهل الإيمان ، حيث استهوته الشياطين وأغوته وزينت له السجائر والدخان بأنواعه فرآها حسنة وهي في الأصل خبيثة. وأنا جد مشفق على المدخنين وأعتقد أنهم مرضى ، ومن هنا رحمت أعظمهم وأنصحهم وأوبخهم. كتبت الأستاذة فاطمة إمام عن جواب لسؤال من أحد المدخنين نقلا عن الدكتور وائل صفوت استشاري أمراض الباطنية والجهاز الهضمي والكبد قوله: (التدخين يؤثر بشكل كبير على كل أنسجة الجسم حيث يعمل على تقليل نسبة الأكسجين في الجسم مما يؤثر على نمو الخلايا التي تتغذى على الأكسجين والدم ، مشيرا إلى أن السجارة تحتوي على 4 آلاف مادة سامة من أخطرهم أول أكسيد الكربون والنيكوتين كما تحتوي على 37 مادة مسببة للسرطان. ويضيف: "أظهرت الدراسات أن التدخين من أحد عوامل هشاشة العظام حيث يُضعف العظام ويُعرضها للكسر! ويحدث هذا كنتيجة لزيادة نسب النيكوتين في الدم مما يؤدي إلى انقباض الأوعية الدموية ، ويؤثر التدخين بالتأكيد على الجهاز التنفسي حيث يتسبب في حدوث سرطان الفم وهو أول عضو في عملية التنفس ، كما يتسبب أيضا في حدوث سرطان الحلق وسرطان الرئة والتي تعد أهم جزء في الجهاز التنفسي". ويضيف د. صفوت: "إن الأبحاث أظهرت أن التدخين يؤدي إلى حدوث التهاب الشعب الهوائية المزمن مما يجعل التنفس أمرا صعبا على الإنسان". وحول تأثير التدخين على القلب يؤكد دكتور صفوت أنه يؤثر على شرايين القلب ويؤدي إلى حدوث أمراض القلب التاجية بالإضافة إلى حدوث السكتات الدماغية ، كما يؤثر التدخين على الجلد بشكل كبير حيث يؤدي إلى ظهور التجاعيد والعجز المبكر له وضمور خلايا الجلد ، كما يسبب التدخين الإصابة بأمراض اللثة وقد يفقد المريض أسنانه نتيجة لتسوسه الشديد من جراء التدخين وغالبا ما يفقد المدخن قدرته على الابتسام نتيجة لوجود طبقات صفراء تصل إلى السواد على أسنان المدخن بفعل دخان السجائر. وحول تأثر الجهاز الهضمي بالتدخين يشير د. صفوت إلى أن التدخين يتسبب بفعل المواد المتسرطنة التي بداخلة في الإصابة بسرطان القولون العصبي ويفقد الشهية ويؤدي إلى حدوث تقرحات المعدة ، ولا ينتهي تأثير التدخين على جسم الإنسان حيث يؤثر على الكبد الذي يعد مركز تنقية السموم في الجسم حيث يؤدي إلى حدوث أمراض الكبد والتليف الكبدي والتهاب الكبد الوبائي).هـ. ولقد اطلعتُ على أبحاث كثيرة تصف التدخين بالأمر الكارثي ، وألخص كل الذي طالعتُه: (التدخين مضر جداً بصحة الإنسان ، وهو يحتوي على العديد من المكونات مثل النيكوتين ، والتبغ ، وهذه المكونات تشكل خطراً على الصحة وتؤثر عليها سلباً ، حيث تحتوي السجارة الواحدة على ستمائة مكونٍ مختلف ، وعند احتراق هذه المكونات يحدث تفاعل ينتج أكثر من 7000 مادة

كيميائية بشكل عام منها 69 مادة مسرطنة ، ولا تختلف السجائر عن الشيشة ، فكلاهما لديه مستويات عالية من مسببات السرطان والسموم. ومن أضرار التدخين على أجهزة جسم الانسان: الجهاز العصبي المركزي: أحد مكونات التبغ هو النيكوتين ، وهو يصل إلى الدماغ في ثوانٍ معدودة من استنشاقه ويؤثر عليه بحيث يجعله نشطاً ويعمل بشكل أكبر ، والنيكوتين مادة تتلاعب بالمزاج وتؤثر عليه ، كما أن التدخين بشكل عام يزيد من ضمور عصب العين مما يؤثر على الرؤية ويسبب ضعف البصر ، وأيضاً يؤثر على حاسة الشم والتذوق ، مما يفقد الشهية أحياناً. الجهاز التنفسي: عند استنشاق الدخان ، يدخل الجسم العديد من المواد الضارة بالرئتين ، مما يفقد رنتيك القدرة على تصفية المواد الكيميائية الضارة ، والسعال عرض للتخلص من السموم ولكنه لا يستطيع مسح السموم بما فيه الكفاية ، فتصبح السموم محصورة في الرئة ، والمدخنون هم أكثر عرضة للالتهابات الجهاز التنفسي ونزلات البرد ، والإنفلونزا ، والتدخين يتسبب في حالة تسمى انتفاخ الرئة ، كما ويدمر الحويصلات الهوائية في الرئتين ، ويتسبب في التهاب الشعب الهوائية المزمن ، والمدخنون لفترة طويلة من الزمن معرضون لخطر الإصابة بسرطان الرئة. * نظام القلب والأوعية الدموية: التدخين يزيد من نسب الكوليسترول السيء في الدم ويخفض من نسبة الجيد منه ، وهذا الأمر يؤدي إلى تراكم المواد الدهنية وتصلب الشرايين ، ويزيد من خطر تجلط الدم ، وأمراض القلب التاجية المتكررة ، والنوبات القلبية. * الجهاز الهضمي: التدخين يخفض شهيتك ، مما يجعلك غير قادر على الحصول على كافة المواد الغذائية التي تحتاجها ، كما أن تعاطي التبغ يسبب التهاب اللثة كما يؤدي إلى زيادة خطر الإصابة بسرطان الفم ، والمريء ، والبنكرياس ، والكلى ، ويؤثر التدخين أيضاً على الإنسولين ، فهو يقاومه مما يجعلك أكثر عرضة للإصابة بمرض السكري من النوع. والتدخين يؤثر على الشعور والنفسية فهو يسبب القلق ، والغضب ، والاكتئاب ، وقد يسبب الصداع ومشاكل النوم. التدخين يؤثر على الأشخاص الموجودين في المكان نفسه ، بسبب ظاهرة التدخين السلبي. جلطات الدم الناتجة عن التدخين يمكن أن تسبب السكتة الدماغية. التدخين من الممكن أن يكون له أعراض سلبية على الجلد ، فهو قادر على التسبب بتلون الجلد والتجاعيد والشيخوخة المبكرة. والتدخين يسبب الغثيان والتقيؤ في بعض الأحيان والعصبية ، وزيادة الوزن. والحقيقة المرة أن التدخين بكافة أشكاله كالسجائر ، والأرجيلة من الممارسات الضارة بالصحة ، والبيئة ؛ فهو يسبب العديد من الأمراض للمُدخن وللمُحيطين به! كما يسبب تلوث البيئة ، كما يضر بميزانية الفرد ، ويرفع تكاليف الرعاية الصحية ، ويعيق التنمية الاقتصادية. تشير دراسات منظمة الصحة العالمية إلى أن التدخين يسبب حوالي (66) ملايين حالة وفاة سنوياً ، أكثر من (833%) منها تنتج عن التدخين المباشر ، في حين أن أكثر من 16% من حالات الوفاة تنتج عن التدخين السلبي. هذا وتشير الدراسات إلى أن القليل من الناس يدركون المخاطر الصحية الناتجة عن استخدام التبغ ، فقد أظهرت دراسة أجريت عام (2009) في الصين أن (38%) فقط من المدخنين يدركون أن التدخين يسبب الإصابة بأمراض القلب التاجية ، و(27%) فقط يعرفون أنه يتسبب بالإصابة بالسكتة الدماغية ، ومن ناحية أخرى فإن ما يمثل (15%) فقط من سكان العالم يحظون بخدمات شاملة للإقلاع عن التدخين مع تكاليف التغطية الكاملة أو الجزئية. ويمكن استنتاج مدى الأضرار التي يسببها التدخين من خلال معرفة عدد حالات الوفاة التي تنتج عن التدخين سنوياً ، كما أنه يسبب العديد من الأمراض ، وتأثيراته على الجسم كثيرة ، نذكر منها: يؤدي إلى اضطراب في توزيع الدم

الغني بالأكسجين إلى أجزاء الجسم ، ويزيد من خطر الإصابة بمرض الأوعية الدموية المحيطية. والتدخين أثناء الحمل يزيد من خطر حدوث الإجهاض ، والولادة المبكرة ، وصغر حجم المواليد ، والتشوهات الخلقية ، كما يزيد من احتمال وفاة المواليد أثناء الولادة ، بالإضافة إلى زيادة خطر إصابة الوليد بارتفاع ضغط الدم ، والسُّكري. ويزيد من خطر الإصابة بالعقم. ويزيد من خطر الإصابة بهشاشة العظام لدى النساء ، وذلك لأن التدخين يجعل النساء أكثر عرضة لانقطاع الطمث المبكر ، والنحافة ، وكلاهما من عوامل الخطر للإصابة بهشاشة العظام. يُسبب رائحة الفم الكريهة ، وتلوث الأسنان ، واصفرار الأظافر ، وتجعد الجلد. يزيد من خطر الإصابة بمرض إعتام عدسة العين ، ومرض الضمور البقعي ، وكلاهما من الأسباب الرئيسية لفقدان البصر عند كبار السن. يزيد من خطر الإصابة بقرحة المعدة. يُسبب حدوث طفرات جينية (تغيرات جينية) في أعضاء مختلفة في الجسم ؛ فحسب دراسة نُشرت في المجلة العلمية "Science" فإن تدخين علبة من السجائر يومياً يُسبب حدوث طفرات في كل خلية من الكبد، و(18) طفرة في كل خلية من المثانة ، و(23) طفرة في كل خلية من الفم ، و(39) طفرة في كل خلية من البلعوم ، و(97) طفرة في كل خلية في الحنجرة كل عام ، الأمر الذي يُفسر ارتفاع خطر إصابة المدخنين بـ (17) نوعاً مختلف من السرطان ، من بينها سرطان الرئة ، والفم ، والمريء والحنجرة ، والكلية ، والمثانة. يُسبب تكسر ألياف الكولاجين في جلد الوجه ، مما يؤدي إلى فقد الجلد لصلابته ، وزيادة تجاعيد الوجه ، وشيخوخته المبكرة ، كما أن التدخين يُعيق تدفق الدم إلى خلايا الجلد فيبدو بمظهرٍ شاحب ، وقد ورد في تقرير صادر عن وزارة الصحة البريطانية أن بشرة وجه المدخن قد تكون أكبر سناً بعشرة إلى عشرين عاماً بالمقارنة مع جلد الشخص الذي لا يدخن في العمر نفسه. التواجد في أماكن التدخين والتعرض لمخلفات دخان (التدخين السلبي) يُسبب ضرراً في الحمض النووي ، والدهون ، والبروتينات في الجسم مما يُسبب ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم والمقاومة للإنسولين ، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة خطر الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني ، وذلك حسب دراسة نشرت في المجلة العلمية "PLOS One". يزيد من كمية المخاط التي ينتجها الجسم ، مما يوفر بيئة مناسبة لنمو البكتيريا والفيروسات ، ويزيد من خطر الإصابة بالتهاب الشعب الهوائية. ويزيد نبضات القلب بمقدار (10-25) نبضة في الدقيقة الواحدة ، وبالتالي زيادة خطر الإصابة بنوبات القلب المميته ، والسكتات الدماغية بنسبة (15%). يسبب ضعف التركيز ، ونقص النشاط. يسبب العديد من الأمراض لأعضاء الجهاز الهضمي ، مثل: القرحة الهضمية ، وحصى المرارة ، وحرقة المعدة ، ومرض كرون (أحد أمراض الأمعاء الالتهابية) ، وأخيراً سرطان المعدة. يزيد من ترقق الشعر وتعرضه للتقصف ، والشيب المبكر. وهناك أيضا عدد من الحقائق الصادمة الحقيقية نذكرها هنا لإقامة الحجة أكثر: (إن المدخن المنتظم يفقد خمس دقائق من عمره مقابل كل سيجاره يدخنها . إن دراسة حالة 34440 مدخنا لمدة 20 سنة بينت أن 10072 مدخنا توفوا خلال هذه المدة. إن معدل وفيات المدخنين ضعف معدل وفيات غير المدخنين. إن حجم ضحايا التدخين بلغ 5,3 مليون إنسان حسب آخر إحصاءات منظمة الصحة العالمية. إن حجم تجارة التبغ يبلغ 266 مليار دولار في العام. إن ميزانية الدعاية للتدخين تبلغ 6,2 مليار دولار في العام. إن 85% من حالات سرطان الرئة تحدث بين المدخنين). هـ. ونأتي للحكم الشرعي حيث إن الأمر إذا كان كما ذكرنا ، وتلك حقائق صرحت بها منظمة الصحة العالمية في تقاريرها ، فيكون الحكم الشرعي هو التحريم وليس الكراهة كما يقول بعض

المبتلين بالتدخين! ولما كنتُ من غير المتخصصين في الشريعة ها أنذا أحمل لغيري ما قاله السادة العلماء: (أفتى سماحة الدكتور نوح علي سلمان - مفتي المملكة الأردنية سابقاً - رحمه الله بتحريم الدخان والأرجيلة ، وقد ساق عدة أدلة تُذكر منها: قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) ، وقد أشار رحمه الله أَنَّ الدخان يُصنَّف من الخبائث لا من الطيبات ، من حيث الرائحة والطعم وأثاره على الجسم. الحديث النبوي الذي روته أم سلمة رضي الله عنها: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍ). ونسأل: من أين جاءنا هذا البلاء؟ يعود أصل التبغ أو التوباجو (بالإنجليزية: Tobacco) إلى أمريكا الوسطى ، ومنها جاءت كلمة توباجو ، وهي اسم الأداة التي كان الهنود يستخدمونها للتدخين ، وفي القرن الخامس عشر نقل بحارة كولمبوس التبغ إلى أوروبا! وفي القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ساد الاعتقاد أَنَّ التدخين يُمكن أن يكون مُفيداً في خفض الوزن ، وفي عام (1945م) مع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح حوالي نصف السكان البالغين في العالم مُدخّنين. ولم تتم الإشارة إلى أضرار التدخين إلا في عام (1958م) ؛ حيث حذرت وزارة الصحة الأمريكية من التدخين ، واعتبرته ضاراً بالصحة ، ومنذ ذلك الوقت توالى الدراسات التي تُحذّر من الأضرار الجسيمة له ، وبدأت حملات توعية الناس بمخاطره. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أَنَّ التبغ يحتوي على ما يزيد عن (4000) مادة كيميائية ، منها (1000) مادة مصنفة عالمياً كسموم ، و(63) مادة مسرطنة ، ومن هذه المواد: النيكوتين ، وأول أكسيد الكربون ، والزرنيخ ، والسيانيد ، وبروميد الأمونيوم الذي يدخل في تركيب منظفات المراحيض ، والفورمالديهايد الذي يُستخدم لتحنيط الجثث). هذا ويجب أحد الأطباء العظام عن سؤالين خاصين ببيان الفارق بين السجائر والنارجيلة فيقول: (* أهي مقولة صحيحة بأن تدخين الشيشة أخف من تدخين السجائر؟ إن تدخين الشيشة يشكل خطراً كبيراً على الصحة الخاصة بك تماماً كما تفعل السجائر ؛ فإن تصفية الدخان من خلال الماء لا يجعلها أكثر صحية ، حيث أثبتت الدراسات الحديثة بأن تدخين الشيشة الواحدة يعادل ما لا يقل عن 40 سيجارة ، جميع أنواع التدخين ، سواء كان ذلك تدخين السيجار أو السجائر أو المدواخ أو الشيشة كلها مضرّة بالصحة. * ما هي أضرار الدوخة أو المدواخ؟ الدوخة (معناها الدوار) وهي عبارة عن مزيج من التبغ الذي يدخن في أنبوب يسمى "المدواخ" ، وتعد ظاهرة منتشرة بين بعض الشباب في الآونة الأخيرة غير معروفة المصدر ، والاعتقاد السائد بأنها أقل ضرراً من السجائر يعد خطأ فادحاً وفاضحاً ، حيث أثبتت الأبحاث الصادرة مؤخراً أن تدخين المدواخ يحتوي على نسبة نيكوتين عالية تصل إلى خمسة أضعاف ما تحتوية السجائر العادية).هـ. وكان أحد الأطباء المحترمين قد تناول الأمراض التي يسببها التدخين بالتفصيل فقال: (يسبب التدخين أضراراً شرعية وأخرى صحية منها: - أنه معصية الله تعالى يعاقب فاعلها. - أن الله يبغضه ويبغض متعاطيه. - أن متعاطيه يؤدي الملائكة والكرام الكاتبين. - أنه يؤدي المؤمنين غير المدخنين. - أنه يفسد الهواء النقي. - أنه تبذير ، والله تعالى يقول: (ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين). فهل يحب الله إخوان الشياطين؟ - أنه إسراف ، والله تعالى يقول: (ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين). - أنه من باب المجاهرة بالمعصية ، ومعلوم أن المجاهر بالمعصية أشد إثمًا من المسرب بها ، قال صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي معافي الا المجاهرين). - سرطان الرئة وتظهر بنسبة 70% لدى المدخنين أكثر من

غيرهم. - سرطان الحنجرة ويظهر بنسبة 10 % لدى المدخنين أكثر من غيرهم. - الأمراض القلبية بجميع أنواعها. - ارتفاع الضغط الدموي وأيضا تسارع في نبضات القلب أكثر من المعتاد. - الزيادة في نسبة الكوليسترول في الدم. - الرائحة الكريهة المنبعثة من الفم وتسوس الأسنان. - التهاب اللثة. - سرطان الشفة. - سرطان اللسان. - فقدان الشهية للطعام. - الأرق والتعب. - التهاب القرحة المعدية. - تأثير خطير على الأعصاب حيث يعتبر التدخين سم الأعصاب. - تأثيره على الحواس الخمس. - يضعف القدرة الجنسية لدى الجنسين. - على الجهاز العصبي مما يضعف الذاكرة. - الصداع المتكررة المزمنة. - تأثيره البالغ على الجنين والمرأة الحامل. ه. - يوجد في دخان السجائر حوالي (16) مادة لها القدرة على إحداث السرطان ، وأهم هذه المواد هي الهيدروكربونات متعددة الحلقات مثل مادة (4.3) بنزوبيرين وقد يعزى السبب في حدوث السرطان إلى وجود العناصر الإشعاعية في الدخان مثل (مادة البولونيوم -210). - دلت الإحصائيات على أن الأشخاص الذين يدخنون أكثر من (40) سيجارة يوميا معرضون للإصابة بسرطان الرئة (20) ضعفاً مقارنة بغير المدخنين ، كذلك فإنه يمكن تفادي حوالي (40%) من حالات سرطان الرئة وذلك بالتوقف عن التدخين. - (95%) من مرضى سرطان الرئة من المدخنين او ممن كانوا يدخنون في الماضي. - تزداد احتمالات الإصابة بسرطان الرئة بنسبة تصل ما بين (10-50%) بين أفراد العائلات التي يدخن فيها كلا الأبوين عنها في العائلات الغير مدخنة. كما أكدت الدراسات العلمية على أن التدخين هو المسؤول عن 30% من الوفيات مرضى السرطان. - كمية القطران الموجودة في السيجارة الواحدة تصل إلى حوالي 15-30 ملليجرام ، وهذه المادة تؤدي إلى سرطان الرئة ، كما أنه في مقدورها عند وضعها على الجلد ان تؤدي إلى سرطان الجلد. وللتدخين آثار كارثية على الحمل والرضاعة: - فلقد أثبتت الدراسات أن الجنين في فترة الحمل يستنشق ما بين 30-60% من نواتج تدخين السيجارة إذا كانت الأم مدخنة. - وأشارت بعض البحوث إلى أن التدخين يحدث الإجهاض في النساء بنسبة 22.5% من المدخنات الحوامل ، وهذه النسبة تقابل نسبة إجهاض قدرها 7.4% من النساء الحوامل من غير المدخنات. وهناك كذلك التدخين السلبي: - فلقد وجد ان غير المدخن يستنشق حوالي (20%) من دخان السجائر في الأماكن المغلقة. - في استطلاع للرأي أجري في الولايات المتحدة الأمريكية ، أعرب 1.7 مليون مواطن عن ضيقهم إذا تواجدوا في مكان ما مع شخص مدخن. - الأطفال الذين يدخن أحد والديهم معرضون أكثر من غيرهم للإصابة بالنزلات الشعبية بمقدار 44 مرة أكثر من الأطفال الذين لا يدخن أبواهم أو أمهاتهم. - وجد الباحثون أنه في حالة عدم تدخين الأباء والأمهات ، فإن 30% فقط من الأطفال الرضع يُعانون من أعراض المغص ، أما إذا كان أحد الوالدين مدخن فإن نسبة الإصابة بالمغص ترتفع لتصل إلى حوالي 90%. كانت هذه حقائق أودتها كما طالعتها في التقارير العلمية والأبحاث! فجزا الله خيراً كاتبها ومحققها! اللهم إني قد بلغت أهل التدخين ، اللهم فاشهد على بلاغي ، أنا الذي لقيت لقاء بلاغي وتذكيري الصدود والنكران والسخرية! وأسأل الله أن يتوب على كل مدخن مسلم مؤمن موحد!

منكم لقيت جزء النصح نكرانا وكان نصحي - على الإخاء - برهانا

ما كنت أرجو - على وعظي - مكافأة منكم ، ولم أنتظر للنصح أثمانا

وذاق كيد العدا ظمماً وعدوانا
وليس ثبقي لكم - بين الورى - شاننا
فأيقنوا - بالذي أقول - إيقاننا
من الحوادث تُصلي القلب نيراننا؟
من الحقائق - فيها - الصدق قد باننا؟
بفتنةٍ تجعل الحليم حيراننا؟
وسرذها زادهما كماً وتباننا؟
وتحملون لواء التبرير عنواننا
فقد أبحتم (مداويخاً) ودخاننا
يُزجي البلاءات أشكلاً وألواننا
إذ أشعلوا تبغهم صمماً وغمياننا
ولم نجد لهوات التبغ إدماننا
ولم نعان بمن تُرديه أجزاننا
ولم تُفجر بضخ الدم شرياننا
يانِ ، وقد أثنيت بلواه إثناننا
ويمعن البؤس - في دنياه - إمعاننا
إذ الشباب - على أصحابه - هاننا
ويصلح النصح إسراراً وإعلاننا!
وكم قصدت بما أرشدت رحماننا!

خابت سجانركم ، واعتل صانعها
هذي السموم سثرديكم وتقناتكم
وسوف تجعل منكم عبرة شخصت
أما اتعظتم بما أملاه واقعكم
أما اعتبرتم بما الأرقام تحمله
أما ارتدعتم من الأخبار مؤذنة
أما أتاكم - من الأنبياء - أخطرها
تدافعون بلا علم ولا حجج
حتى افتريتم - على رب السما - كذباً
وأصبح الموت تينياً يُطاردكم
واسأل عن السرطان الميتين به
لولا الدخان لما استشرت دغاوله
ولم تسُد أزمات تسبب بنا
ولم تزد ضربات القلب في جسد
ولم نجد أحداً يشكو تصلب شر
ولم نجد أحداً تزداد علته
ولم نجد بطلاً تُزوى شبيبته
ناصرحت يا قوم في سر وفي علن
والله يشهد لم أكنتم مناصحتي

اتسع الخرقُ على الراقع!

(الشاعر المؤمن يشقى في هذا الزمان إن هو أراد أن يعالج جراح الواقع. ذلك أن هذه الجراح أصبحت أكثر من أن تعد أو تحصى. ويكاد يصدق فيها مجتمعة قول الشاعر الحكيم:-

ولو أنه سهم واحدٌ لاتقوتهُ ولكنّه سهمٌ وثلاثان وثلاثون!

ومن هنا صدقتِ المقولة: (اتسع الخرق على الراقع) ، فلم يعد الراقع للثوب يستطيع ترقيعه لاتساع الخرق! ولربما استطاع الشعراء في الماضي أن يشيروا إلى واقعةٍ في زمانهم لأنها كانت الواحدة. ولكن عندما تزداد الطوام والمحن ، وتحتاج كل واحدة منها قصيدة فأين هو الوقت؟ وأين هو الجهد؟ وأين هي المشاعر؟ وأين هي الأحاسيس؟ وأين هي العواطف التي القاسم المشترك بينها واحد وهو الحزن والأسى لما نحن فيه ولما آلت إليه أحوال أمتنا؟! وإذن فالشاعر المؤمن الصادق جندي في هذه المعركة التي يدلي كل من الناس فيها بدلوه! ولكنه متصور منه أن يبين الحق ، وينصر أهله ، ويشخص الواقع مهما كلفه ذلك البيان والانتصار! إن شعراء التدشين والمجاملات لا يكفون عن دجلهم وهرائهم طرفة عين! ومن هنا فينبغي على الشاعر الصادق أن يُفاضل بين القضايا ويختار أهمها ليقصد فيه ، ولا يردد كلام سواه!

اتسع الخرقُ على الراقع!	لا تلم الشاعر والسامع!
عمتنا الفوضى واتسعت	وسرابُ إزالتها خادع
وأضعننا فرصاً قد سنحت	أنعوضُ في الوقت الضائع!؟
واسـتـفـحل شـرر بـليـتـنا	واسـتـغـرق خـيـبـتنا الـواقـع
والفتن بلا عد غرضت	والكل يؤيد ويباع
فالشرع لقد غيب قسراً	ويعاقب من عنه يدافع
وحـدود الله مـعـطـاة	وغدا القانون هو الشائع
والكافر قد جعل دليلاً	فهو المـتـحـكـم والشـارـع!
وانساق الناس لغفاتهم	والرافض يقمعه التابع
وازرد الـذل جمـاهـيراً	لا زاجـر يـجـبـأ أو رادع
وانصاع الخلق ، وما اعترضوا	لأوامر طـاغـوت خـادع
بقلوب عـدمت نخوتها	ما فيهما من دين وازع
بثياب تفضخ لابسها	والخرقُ اتسع على الراقع

وغدا لجدارتـه البـاخع
فـي حـال مـبتـئـس دـامـع؟
ويُسـانـل قـومـي مـا الـدافـع!
وهـوى الـدنـيا أـمـسـى الطـايـع
والصـيـث بـنـكـبـتـه ذائـع
ويُقـالـب كـفـأ ، ويـراجـع
وخبـا نـجـمـ كـان الـسـاطـع
تحتـاجُ إلـى حـل قـاطـع
وبـه الـجـمـعُ الثـانـرُ قـانـع
لحـقـوق سـرـبـلـها الطـامـع!
صـدقُ الشـعـر الـفـذ المـاتـع
ولـيجـتـبـب الشـعـر الخـانـع
بـقـرـيـض مـبـتـشـر رانـع
وفـؤادك لـم يـكـ بالـمـانـع
بـيـراع عـنـهـم كـم دافـع!
شـعـرك فـيـه خـيالٌ واسـع
فـيـه الـسـر الكـامـن بـاتـع
راجـعُ نـفـسـك هـذي ، راجـع!
يـدفع عـن حـق ، ويـرافـع
إن الـفـرق جـلـي شـاسـع

والشـاعـرُ زادَتْ حـيـرتـه
مـاذا يـكـتـبُ؟ مـاذا يـحـكي
والشـاعـرُ يُعـانـي حـسـرتـه
والمـحـنـة بـلـغـت ذـروتـهـا
والشـاعـرُ أـزـتـه البـلـوى
يـكـتـب عـن مـاذا أو مـاذا؟
أنـى يـنظـر يـلقـى عـلـزاً
فـي كـل مـكان مـعضـلة
يـنقـذ هـلكـى مـن أزمـتـهم
تـعـس الشـاعـرُ إن لـم يـثـار
فـليـكـتـب مـهـمـا كـافـه
ولـيس تـعـفـف فـي لـهـجـتـه
ولـيس تـعـرض مـسـ تـقـبلـه
يـشـهد أنـك لـم تـسـتـسـلم
بـل عـشـت تُنـاصـرُ مـن ظـلـمـوا
واحتـسـب الجـهـد ، ولا تـعـجـز
لا تـزـهـذ فـي شـعـرك يـومـاً
واللـه مـوفـقُ مـن صـدقـوا
مـا اسـتـويا الشـاعـر كـمـحـام
والشـاعـرُ يـمدح مـن فـسـقوا

دفاعك عن نفسك أولى!

(عندما يكون الإنسان في موضع شبهة ، فإنه ينبغي عليه أن يدافع عن نفسه ، ليظهر الحق وليتبين للناس من حوله الحقيقة كاملة غير منقوصة. وهذه امرأة مازال الوشاة بزواجها حتى قلبوا له ظهر المِجَن عنها ، وصارت هناك فتنة لا يعلم إلا الله مداها ، وأوقدت النار لتتحرق بريئين ، وليصطلي فيها من لم يرتكب إثماً ولا خطيئة. وذلك أن الزوج ذهب ليتبين فكانت أولى كلماته: اذهبي من هذا المكان ريثما يهدأ الجو فنناقش ماذا لنا وماذا علينا! فلم تستجب! فقال: أليست طاعتي واجبة؟ اذهبي ولنا كلام آخر. فلم تستجب ، كما أنها لم تدافع عن نفسها فيما نسبه الوشاة إليها ، فزادت بذلك حبات الطين بلة ، وأضافت إلى النار الوقود ، وأججت الفتنة بصمتها ، فلم يتمالك الزوج نفسه فليس ملاكاً ، كما أن الفرص التي أعطاها لها قد نفذت ، فراح يرد عليها وينتصر لما قالتة على السنة الوشاة. ذلك أنها لم تدافع عن نفسها ببنت شفة ، فأخذ على عاتقه أن يحملها على الاعتراف أو الرحيل ، فلم يكن شئ من ذلك إطلاقاً. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، راحت تلوم الزوج وتطلق لسانها في عرضه بدون وجه حق لها في ذلك. الأمر الذي جعله يأخذ موقفاً منها ريثما ترجع. قال محمد المنجد في وجوب إصلاح ذات البين والتحذير من الإيقاع والإفساد بين الناس ما نصه: (إن الشريعة قد رغبت في جمع القلوب والإصلاح بين الناس وأن يكون أمر المسلمين مجتمعاً ، ولذلك جعلت الأخوة أمراً مرغوباً فيه ، مثاباً عليه لمن قام بحقه ، وكذلك دعت إلى رفع ضده ومقاومة كل ما يشينه ، ولذلك ترى الشريعة قد أمرت بإفشاء السلام ، وإجابة الدعوة ، وعبادة المريض ، وكل ما من شأنه أن يقرب بين المسلمين ، ونهت عن الكذب والنميمة والغيبة ، وعن الهمز واللمز والسخرية ، وعن كل ما من شأنه أن يسيء العلاقة ويقطع المودة بين المسلمين ، ومن الإجراءات التي جاءت الشريعة بها لأجل الحفاظ على العلاقات بين المسلمين إصلاح ذات البين. ونحن في مجتمعٍ مادي تغلب عليه المادة ، وتكثر فيه المعاصي ، ولذلك فإن الخلافات لا بد أن تكثر تبعاً لذلك ، والدعاة إلى الله عز وجل - بل وجميع المسلمين - عليهم واجب إصلاح ذات البين ، ومحاولة إزالة ما في النفوس ، وهذا من العبادات العظيمة ولا شك. أما الإصلاح بين الناس فإنه واجب ، قال الله تعالى: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ). والصلح يكون بين متغاضبين كالزوجين ، ويكون في الجراحات كالعفو على مال ، ويكون لقطع الخصومة ، كما إذا وقعت المزاحمة في الأملك أو المشتركات). هـ. جزا الله خيراً الأستاذ المنجد على ما قال!

كُفي عن الشكوى ، وعودي القهقري	وتريثي في وصف نيات الورى
أعطيتِ فرصتكِ التي استكثرتها	وأنا الذي ما كنت أعلم ما جرى
في فتنةٍ عصفتُ بقلبي والنهي	في معشر أضحى يلوك المنكرا
أعطيتهم فرصاً تُعضدها المدي	أما أنا ، فلقد تجرعتُ الثرى
لم تسبيري أغوارهم إذ أوقعوا!	إن الذي حاكوه إفكك مفترى
فيك استطلوا جهرة ، وتخرصوا	وكبيرهم - فيما ادعاه - قد امترى

ومتى استبان الدرب أصحاب الفرى؟
إذ لم أقابل طيباً أو خيراً
والعقل فيما لفقوا ما فكرا
أرجو التماس الحق فيما دبرا
فأيتني - في الناس - أجتز المِرا
والكيد - عن ثقل الدسانس - أسفرا
والمعتدي - عن ساق غدر - شمرا
أمسى - على هذي الضعيفة قيصرا
بمواقفٍ سبقت ، ولت وكرا!
في مشهدٍ فيه اللهب تسعرا
حتى يحسن - في السجال - المنظرا
وكبيرُ فتنتهم شدا وتندرا
حرباً تُصارغ من بغى وتهورا
كيلا ألقى - في الصراع - مبررا
وتحطمي سيفاً مبيراً مشهراً
خرقاء تجتزر الشتانم والمِرا
كشواظ نار ، ما استساغ المِجْمرا
فمن استفز الليث حتى يزارا؟
وأراد تمزيق الأواصر والغرى
كيلا يعاود كيده ، أو يسحرا
واجعله عبرة من تطاول وافتري

لما يُراعوا حُرمة في خوضهم
وأنا ضحية مكرهم وخداعهم
نسبوا إليك مخارفاً تُزري بنا
وأنا أتيتك حائراً متحققاً
سخرُ الكلام سباً جميع مداركي
ورأيتني - فيهم - ضحية كيدهم
والمسرحية فصّلت ألغازها
والكل أعرض عن نصيحة ثائر
كال المطاعن - في الجدال - معرضاً
وتكلف الألفاظ ، لم يك منصفاً
لم يأل جهداً في المعائب ساقها
والشامتون تفكّهوا واستهزأوا
والعداؤون توقعوا أن يشهدوا
وصمت ، والأحرى بأن تتكلمي
حتى تردي شبهة فتكت بنا
أنا ما عهدتك - في الشجار - غيبة
أوما نظرت العين تقدح شرها
أوما سمعت زئير ليث حارب
تعباً لمن - بالمكر - فرق بيننا
للهم دمهرة ، وأبطلن سحره
واثار لنا منه ومن أعوانه

جيران لا جدران!

(قبل عشر سنوات كتبت قصيدة عنوانها: (جيران أم جدران؟) ، وجعلتها بين قصائد ديوان: (دموع التصبر) برقم 39 ص 129. وتحكي عن الجيران الذين شغلتهُم مباريات كأس العالم عن أن ينقذوا جيرانهم الأطفال الخمسة الذين أصيب أبوهم في حادث سير ، بعد أن أوصل أمهم إلى مستشفى الولادة لتضع مولودها السادس ، لتخرج من المستشفى وقد احتسبت عند الله زوجها وأبناءها الخمسة ، بسبب الجيران الذين هم أقرب إلى الجدران منهم إلى الجيران! وما هو إلا إبدال يانهم دالاً ، حيث توفي الأطفال بفضل خذلانهم المقيت! ومن أراد التثبت والوقوف على أبعاد القصيدة فليذهب إليها في ديوانها المذكور! واليوم أكتب هذه القصيدة التي أعنون لها بـ (جيران لا جدران!) ، وأجعلها على ذات البحر والروي والقافية! وتحكي عن جيران لأسرة مبتلاة تسكن في بناية مؤلفة من خمسة طوابق. أسرة مؤلفة من زوج وزوجه وتسعة أبناء في مختلف مراحل العمر. وهناك في الطابق الرابع وعبر ليلة من ليالي الشتاء القارس ، وبينما الأسرة تغط في نوم عميق تنفجر اسطوانة الغاز ، إذ كان المطبخ مغلق النوافذ وكان هناك تسريب للغاز ، وتمدد الغاز وملاً المطبخ المحكم الغلق ، ووصل الغاز إلى مفاتيح الكهرباء ومعلوم أنه موصل جيد للكهرباء ، فوصل بين الأقطاب الكهربائية ، وكان هناك حريق هائل اندلعت منه السنة الذهب ، وملأت المطبخ وانفجرت الاسطوانة وبرحت النوافذ أماكنها ، وبدأت النار في الانتشار والتمدد في سائر غرف الشقة! وفي سرعة مذهلة استيقظ الأب وأيقظ الأسرة بسرعة ، وتعذر الخروج من الشقة نظراً لاندلاع السنة الذهب ، وزاد النار لهباً أن اسطوانة احتياطية أخرى انفجرت لتمتد النار في كل مكان من الشقة التي باتت ككرة من السعير والجحيم! ومن فضل الله أن أبواب الشقق المجاورة كانت متباعدة! وإلا لامتدت النار إلى الشقق الأخرى المجاورة! وليس من الموت مفر! ولم يكن أمام الجميع سوى البلكونة (الشرفة) فانطلقوا جميعاً إليها ، لضمان حياة مؤقتة حيث الأكسجين والهواء ، ولضمان الخيار بين الموت حرقاً أو الموت تردياً! وانطلقت أنظارهم يميناً ويسرة باحثين عن أي طوق نجاة ، فلقد بعدوا عن شاطئ الحياة وانحسرت الدقائق عن موت مُحقق بإحدى النهايتين: الحرق أو التردى! وبينما هم كذلك نظروا من دورهم الرابع ليجدوا جيرانهم قد أعدوا فرشهم ورتبوا على هيئة بئر لها جدران ، وأمروا الأب أن يُلقي بهم واحداً تلو الآخر بدءاً بزوجه على أن يكون هو الأخير! وقام الوالد بتنفيذ ما أمروا بسرعة. وما أن أتى دوره حتى كانت السنة الذهب قد هسمت باب البلكونة ، وبدأت تنطلق في الهواء من البلكونة حارقة الأخضر واليابس! وبعد عشرين دقيقة جاء الإطفائيون وأخمدوا الحريق وسيطروا عليه في عشرين دقيقة أخرى! وحول الجيران المخلصون الأوفياء ذفة الموقف ، وجعلوا من البلكونة التي قصدها الضحايا طلباً للموت المؤجل والحياة المؤقتة ، فصارت طلباً للحياة المؤقتة والحياة الدائمة! فصارت المعادلة بذلك صفرية! إذ نجا أفراد الأسرة جميعاً! وإن كان بعضهم قد أغشى عليه وأسقط في يده أول أمر الهبوط ، ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى نصابها والقوس إلى باريتها! والله الفضل أولاً وأخراً ، ولا ينكر فضل الجيران الذين ما أن سمعوا بالانفجار حتى هرعوا كل على قدر طاقته لينقذوا جيرانهم المبتلين المنكوبين! وبدلاً من أن يكون الجيران سبباً مباشراً في الموت كانوا سبباً مباشراً في الحياة! الجيران الذين كانوا في سباق مع الزمن وفي تحد عميق مع النار اللاهبة الساعرة ، واستطاعوا أن ينتصروا وبأفكار بسيطة باركها الله سبحانه وتعالى وحقق المراد منها وهو إنقاذ المنكوبين عن بكرة أبيهم!

الأمر الذي يقول أحد شهود العيان أنه أذهل رجال الإطفاء حتى إن كبيرهم سألهم هل أخذتم دورة تدريبية في الإنقاذ؟! فقالوا: لا! وتحت عنوان: (تذكير الفار من حقوق الجار) يقول الدكتور نايف بن أحمد الحمد القاضي في المحكمة العامة بالرياض ما نصه: (في هذا الزمن تباعد الجيران بعضهم عن بعض ، فأصبحت تمر الشهور بل السنوات ولا يعرف الواحد منا جاره وأحواله ، بينما في بعض الأحياء كثرت شكاوى بعض الجيران ممن جاورهم لأمر متعددة كاطلاع على العورات أو روائح مؤذية أو مشاكل الأولاد أو رمي القمامة أمام منزل الجار أو إغلاق مدخل سيارته أو غير ذلك من صور الإيذاء! قال الله سبحانه وتعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (وكل من ذكر في هذه الآية فحقه واجب وإن كان كافراً.هـ. وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الجيران ثلاثة: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَذَى الْجِيرَانِ حَقًّا ، وَجَارٌ لَهُ حَقٌّ ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٍ ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْجِيرَانِ حَقًّا ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَجَارٌ مُشْرِكٌ لَا رَحْمَ لَهُ ، لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ. وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ ، لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٍ ، فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحْمٍ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّحِمِ). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض ، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جراً إلى الواحد وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطى كل حقه بحسب حاله وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي ا.هـ. وفي الصحيح عن أبي شريح العَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ). ولمسلم بلفظ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ). قال القاضي عياض رحمه الله: معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيافته وبرهما وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه. ومن لوازم الإكرام والإحسان ترك أذية الجار فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ). فهنا رغب النبي صلى الله عليه وسلم في ترك أذية الجار وعداها من أمارات صدق الإيمان. ومن أعظم صور الإيذاء إيذاء الجار في أهله أو ماله عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الزنى؟ قالوا: حرام حرّمه الله ورسوله. فقال: (لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره). وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام حرّمها الله عز وجل ورسوله فقال: (لأن يسرق من عشرة أهل أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره). وكانت العرب تفتخر بحماية الجار وأمنه لهم.....إن العلماء قد اختلفوا في حد الجار الذي تترتب عليه هذه الأحكام قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "واختلف في حد الجوار فجاء عن علي رضي الله عنه: مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَهُوَ جَارٌ. وقيل: مَنْ صَلَّى مَعَكَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ فَهُوَ جَارٌ. وعن عائشة: حد الجوار أربعون داراً من كل جانب. وعن الأوزاعي مثله وأخرج البخاري في الأدب المفرد مثله عن الحسن وللطبراني بسند ضعيف عن كعب بن مالك مرفوعاً (ألا إن أربعين داراً جار). وأخرج ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب: أربعون داراً عن يمينه وعن يساره ومن خلفه

ومن بين يديه. وهذا يحتمل كالأولى ويحتمل أن يريد التوزيع فيكون من كل جانب عشرة" هـ. وقال ابن العربي رحمه الله تعالى: "والذي يتحصل عند النظر أن الجار له مراتب الأول الملاصقة والثاني المخالطة بأن يجمعهما مسجد أو مجلس أو بيوت ويتأكد الحق مع المسلم ويبقى أصله مع الكافر والمسلم وقد يكون مع العاصي بالتستر عليه" هـ. وقال الأسيوطي رحمه الله تعالى: "ولو أوصى لجيرانه. فقال أبو حنيفة: هم الملاصقون. وقال الشافعي: حد الجوار أربعون داراً من كل جانب ، وعن أحمد روايتان ، أربعون ، وثلاثون ، ولا حد لذلك عند مالك" هـ. وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى: "ولنا ما روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجار أربعون داراً هكذا وهكذا وهكذا وهكذا). وهذا نص لا يجوز العدول عنه إن صح وإن لم يثبت الخبر فالجار هو المقارب ويرجع في ذلك إلى العرف" هـ. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "وقد وردت بعض الآثار بما يدل على أن الجار أربعون داراً من كل جانب ولا شك أن الملاصق للبيت جار وأما ما وراء ذلك فإن صحت الأخبار بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فالحق ما جاءت به وإلا فإنه يرجع في ذلك إلى العرف فما عده الناس جواراً فهو جوار" هـ. وقال محدث العصر ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى: "وكل ما جاء تحديده عنه صلى الله عليه وسلم بأربعين ضعيف لا يصح ، فالظاهر أن الصواب تحديده بالعرف" هـ. ولسنا ننسى وصية نبينا - صلى الله عليه وسلم - بالجار وجعله بمثابة الأهل والقرابة والعشيرة! فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (مَا زَالَ جَبْرِيْلُ يُوصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوْرِّثُهُ). لعظم حقه ، وواجب بره قال ابن بطال رحمه الله تعالى: في هذا الحديث الأمر بحفظ الجار والإحسان إليه والوصاة برعي ذمته والقيام بحقوقه. وقال بدر الدين العيني رحمه الله تعالى: قوله سيورثه أي سيجعله قريباً وارثاً وقيل معناه أي يأمرني عن الله بتوريث الجار من جاره ، وهذا خرج مخرج المبالغة في شدة حفظ حق الجار. عن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو وغلماه يسلم شاة فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار حتى خشينا أو رؤينا أنه سيورثه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ). "لأن الجار لما كان مأموراً بالإحسان إلى جاره كان المتمسك به مستوجباً للثواب فمن كان أكثرهم حظاً من ذلك كان أعظمهم ثواباً عليه فكان عند الله خيرهم في الضيافة". لذا فكل من كان أكثر خيراً لصاحبه وجاره فهو أفضل عند الله والعكس بالعكس. وهناك مبدأ عام في ديننا وهو عدم إذاية جيراننا! بل بالعكس فمن المطلوب أن نرفع عن جيراننا الأذى فضلاً عن أن نكون سبباً مباشراً في إذائهم! مؤذ الجار ناقص الإيمان عن أبي شريح رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن). قيل: من يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه). وعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ). قال البغوي رحمه الله: قوله: "بوائقه" يريد غوائله وشره ، يقال: أصابتهم بوائقه ، أي: داهية. قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال القرطبي: فمن كان مع هذا التأكيد الشديد مضرراً لجاره كاشفاً لعوراته حريصاً على إنزال البوائق به كان ذلك منه دليلاً على فساد اعتقاد ونفاق فيكون كافراً ولا شك أنه لا يدخل الجنة وأما على امتهانه بما عظم الله من حرمة الجار ومن تأكيد عهد الجوار فيكون فاسقاً فسقاً عظيماً ومرتكب كبيرة يخاف عليه من

الإصرار عليها أن يختم له بالكفر فإن المعاصي بريد الكفر فيكون من الصنف الأول فإن سلم من ذلك ومات بلا توبة فأمره إلى الله. وقد كانوا في الجاهلية يبالغون في رعايته وحفظ حقه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أَحْسِنُ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا). والأصل في شريعتنا أننا نتورع تماماً عن أذى المسلمين بصفة عامة ، فإذا كانوا من جيراننا زاد تورعنا عن إذايتهم! بل من الإحسان إلى الجار ترك أذية دوابه ولو تعدت فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إنه كانت ليلتي من النبي صلى الله عليه وسلم فطحنت شيئاً من شعير فجعلت له قرصاً فدخل فرد الباب ودخل إلى المسجد وكان إذا أراد أن ينام أغلق الباب وأوكأ القربة وأكفأ القدح وأطفأ المصباح فانظرته أن ينصرف فأطعمه القرص. فأقبلت شاة لجارنا داجنة فدخلت ثم عمدت إلى القرص فأخذته ثم أدبرت به قالت وقلقت عنه واستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فبادرتها إلى الباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خذي ما أدركت من قرصك ولا تؤذي جارك في شاته). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه جاراً له فقال النبي صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات- (اصبر) ثم قال له في الرابعة أو الثالثة: (اطرح متاعك في الطريق) ففعل قال: فجعل الناس يَمرون به ويقولون: ما لك؟ فيقول: آذاه جاره فجعلوا يقولون: لعنه الله فجاءه جاره فقال: رد متاعك لا والله لا أؤذيك أبداً. وعن أبي جحيفة رضي الله عنه بلفظ: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اطرح متاعك في الطريق) قال: فجعل الناس يَمرون به فيلعنونه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من الناس قال: (وما لقيته منهم)؟ قال: يلغونني قال: (فقد لعنك الله قبل الناس) قال: يا رسول الله فإني لا أعود قال: فجاء الذي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أمنت). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدِّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ). ولقد علمنا من سنة نبينا - صلى الله عليه وسلم أن أول الخصوم يوم القيامة الجيران! عَفَنَ عَقْبَةَ بِنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَّلُ خَصْمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ). قال المناوي رحمه الله تعالى: أي أول خصمين يقضى بينهما يوم القيامة جاران أدى أحدهما صاحبه اهتماماً بشأن حق الجوار الذي حث الشرع على رعايته. ولكن هل نقابل إساءة الجار بإساءةٍ مثلها؟ والجواب أن لا! بل الصبر والاحتساب حتى يأتي الله بأمره! فلقد قال مطرفٌ رحمه الله تعالى: كَانَ يُبَلِّغُنِي عَنْ أَبِي دُرٍّ ، حَدِيثًا كُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ فَلَقِيْتُهُ ، فَقُلْتُ: كُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ ، قَالَ: اللَّهُ أَبُوكَ ، فَلَقَدْ لَقِيتُ فَهَاتَ ، فَقُلْتُ: كَانَ يُبَلِّغُنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَانَ يُحَدِّثُكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيَبْغُضُ ثَلَاثَةً ، قَالَ: أَجَلٌ ، فَلَا أَحَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي ، أَجَلٌ فَلَا أَحَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي ، أَجَلٌ فَلَا أَحَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَنْ هُوَ لِإِثْمِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: (رَجُلٌ عَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا مُجَاهِدًا ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَقَاتَلَ) قَالَ: وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ ، ثُمَّ تَأَوَّلَ هَذِهِ الْآيَةَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا ، كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: (وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ سَوْءٌ يُؤْذِيهِ ، فَيَصْبِرُ عَلَى آذَاهُ وَيَحْتَسِبُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ أَوْ يَمُوتَ) ، قَالَ: وَقُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: (وَرَجُلٌ كَافِرٌ فِي قَوْمٍ فَأَذَلُّوا حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي آخِرِ اللَّيْلِ شَقَّ عَلَيْهِمُ الْكَلَالُ وَالنَّعَاسُ ، فَنَزَلُوا فَضْرَبُوا بِرُءُوسِهِمْ ،

فَتَوَضَّأَ وَقَامَ ، فَتَطَهَّرَ فَصَلَّى رَهْبَةً لِلَّهِ وَرَغْبَةً فِيَمَا عِنْدَهُ) ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَنْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يَبْغِضُهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: (الْمُخْتَالُ الْفُخُورُ) ، وَأَنْتُمْ تَحْدُونَهُ عِنْدَكُمْ يَعْني فِي كِتَابِ اللَّهِ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: (الْبَخِيلُ الْمَنَانُ) ، قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: (التَّاجِرُ الْخَلَّافُ أَوْ الْبَيَّاعُ الْخَلَّافُ). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَوَدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنكَ). وعن الحسن رحمه الله تعالى أن لقمان قال لابنه: (يا بني حملت الجنادل والحديد وكل شيء ثقيل فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جار السوء). وعن نافع بن عبد الحارث - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: (من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيئ والمسكن الواسع). والأصل أن نشرك جيراننا في بعض أطعمتنا وأشربتنا! ليس ذلك فقط ، بل نتعاهد جيراننا ونسأل عنهم! فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَأَلِي أَيُّهُمَا أَهْدِي؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا). لأنه المراد بـ (الجار ذي القربى) على أحد الأقوال ، وقد قُدم في الذكر على الجار الجنب اهتماماً به واعتناء بشأنه ، ففيه إيماء إلى تقديمه عند المضايقة. وقال المهلب: وإنما أمر بالهدية إلى من قرب بابه لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها فإذا رأى ذلك أحب أن يشارك فيه وأنه أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه من حاجة إليه في أوقات الغفلة والغرة فلذلك بدأ به على من بعد باب داره وإن كانت داره أقرب. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ). قال القرطبي رحمه الله تعالى معلقاً: "فحض عليه السلام على مكارم الأخلاق ؛ لما رتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة ؛ فإن الجار قد يتأذى بقتار قدر جاره ، وربما تكون له ذرية فتتهيج من ضعفانهم الشهوة ، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة ، لا سيما إن كان القائم ضعيفاً أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة. وهذه كانت عقوبة يعقوب في فراق يوسف عليهما السلام فيما قيل. وكل هذا يندفع بتشريكتهم في شيء من الطبخ يدفع إليهم ، ولهذا المعنى حض عليه السلام الجار القريب بالهدية ؛ لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها ، فإذا رأى ذلك أحب أن يشارك فيه ؛ وأيضا فإنه أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه من حاجة في أوقات الغفلة والغرة ؛ فلذلك بدأ به على من بعد بابه وإن كانت داره أقرب". اهـ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه). والآن لنقرأ قصيدتنا: (جيران لا جدران!) وأنصح بقراءة قصيدة: (جيران أم جدران؟) قبلها!

عن وصف من شرفوا منظومة القيم

مهما تكلف لحن القول والنعيم

حتى أبين ما حازوه من شمم

أن ليس يقبله مني ذوو الشيم

إذ أنقذوا أسرة من ساعر الحمم

فيما يلاقون من كرب ومن إزم!

تعيًا الكتابة - في القرطاس - بالقلم

والشعر يعجز عن تصوير هماتهم

لا لفظ - في لغة البيان - يسعفني

لذا أقدم إعداري ، وبني خجل

من أثبتوا أنهم جيران ضيعتهم

ما الجار إن لم يكن عوناً لجيرته

وكم يؤاخذ إن جافى ولم يقم!
فلم يببال بمغلوب ومنفحم؟!
حباً لما عند ربي الواحد الحكم؟!
حتى وإن لم يكن شيئاً من الرحم!
وليس منا إذا استهان بالخرم!
أو ابتلينا - من المقدور - بالقحم
والأمر متفقٌ عليه من قدام
وإن يزرني تُمّت لواعج السقم!
أو كنت بالدين في بؤس وفي وضم
فيسلم القلبُ من سوى ومن تهم
فلا أعاني من الآلام والغمم
تحمّل الجارُ بعض الضنك والسأم
أتى فواسى ، فخفت شدة الألم!
وبارك السعدَ عن بُعدٍ وعن أمم!
كيلا تنزل - على درب الهدى - قدمي
فليس ينشرها في كل مصطدم
من الفؤاد تقوي وازع السلم
بطيب من صحيح القول محترم
بدمع عين - على المقبور - منسجم
تسئموا المجدَ في مدارج النجم
وسعيهم - في البرايا - غير متهم

ما الجارُ إن لم يقم دوماً بواجبه؟!
ما الجارُ إن أصبح الخذلانُ ديدنه
ما الجارُ إن لم تكن سَمَتاً منافعه
الجارُ أهلاً ، وإن شطت قرابته
والجارُ منا ، وإن أقصى العرى نسباً!
فالجارُ أقربُ إن طمّت مصائبنا
والجارُ للجار ، مهما كان بينهما
والجارُ إن قلت: أه! كان خيرَ دوا
والجارُ يُقرضني إن فاقة نزلت
والجارُ إن عمّت الأخطاء صوبني
والجارُ إن حلت الأحزان ، أسعدني
والجارُ إن سربت نفسي كوارثها
وإن دهنتني بلاءات شقيت بها
والجارُ إن بؤت بالسراء هنأني
والجارُ إن جاءت الضراء شاركني
والجارُ حافظ أسراري وممسكها
والجارُ إن يلتقي كانت تحيته
والجارُ إما عطست الشهم شمتني
والجارُ إن مت - للقبور - شيعني
والآن أتمدح الجيران أحسبهم
حازوا المناقب في قول وفي عمل

لم يعبأوا بسعير النار والجحيم
مما ألم بهم في حالك الظلم
فللثواني حساب بالغ العظم
إذ الارتفاع قرين الموت والنقم
تُنجي الضحايا من التحريق والعدم؟!
إنا عجزنا ، وتخمين المصير عمي؟!
والأمرُ بادٍ ، فما شئٌ بمنكتم؟!
حتى انتهت نكبات المأزق الوخم
تستوعب التاركين البيت عن رغم
يستقبلون عليها الكل في نهم!
والكل ناج بإذن الخالق الحكيم
على الألى صدقوا في العون والخدم
وزوجة بقرار جد مُنحسِم
فوق الأديم بلا صخر ولا ضم
تصيّبوا عرقاً كالسيل ذي العرم!
كانت خيالاً بعقل الحاذق الفهم!
يقول: شتان بين الصبح والغسم!
لما أطاعوا كلام المصطفى الهشم
لصالح الجار حسب الشرع والنظم
وسوف تخلص في الأجيال والأمم
والجار يخلصنا في الحادث العمم!

لما أفاقوا على النيران جامحة
بل كان مطمحهم إنقاذ جيرتهم
وسابقوا الوقت عبر الليل يخدعهم
والخطب يغلب إمكانات أغلبهم
ماذا عليهم إذا لم تكن حيلة
ماذا عليهم إذا قالوا بلا وجل:
ماذا عليهم إذا ما الإمكانيات خبت
لكنهم نشطوا فيما يشرفهم
فأنزلوا فرشاً جافت أسرتهم
وجهزوها بتنسيق على عجل
وناصحوا الأب أن يكون آخرهم
فانصاع للأمر ، لم يجذ بمقترح
وناول الناس أبناء على حذر
وقد أعدت لهم أسيرة رفعت
حتى إذا هبطوا ، والخوف بأسرهم
والبعض غاب عن الوعي ، الحياة له
والبعض غالب دمع العين مبتشراً
الحمد لله أنجاهم بجيرتهم
تمثلوا هديه في الجيرة اشترعت
وأخلصوا عشرة بانة قرائنها
شتان والله بين الجار يخدمنا

فإنها لا تعمى الأبصار

(عندما يُغني أحد المرتزقة على الهواء أغنية: (لسه فاكرك زمان!) على الموسيقى والألحان والمعازف ، فإنها فتنة لا يعلم إلا الله مداها! إذ كان من المتصور أن يأمر ذلك المرتزق الناس بالمعروف الذي منه سماع الأناشيد الإسلامية والخُداء بها بلا موسيقى ، وينهى ذلك المرتزق الناس عن المنكر الذي منه الانتهاء عن سماع الغناء والموسيقى والمعازف! لكنه يُستدرج إلى الحد الذي فيه يغني بنفسه وبالموسيقى وعلى الهواء يسمعه العالم كله ويفتن به الناس جميعاً فإنها كارثة حقيقية وطامة كبرى! على أن الرجل أعمى قد كُف بصره ، فضم إلى عمى بصره عمى بصيرته ، والعياذ بالله من ذلك! فكان بذلك أضحوكة الدنيا وسخرية العالم! لقد سخر منه الملايين ، ودعا عليه الملايين! إن أمتنا بحاجة إلى من ينتشلها مما هي فيه من الطوام ، وليست بحاجة إلى من يُزري بها ويزيد محتتها! إن هذه العمامة تمقته ، وتلك الجبة تلعنه ، وذلك الطربوش يسخر منه! لقد انضم إلى قافلة المرتزقة العملاء العميين! ولقد أصبح حاميتها حراميتها كما يقولون! واحترت أي قافية أنتقي وأي بحر أختار وأي روي أرشح! وأخيراً غلبني شعري وقطع تفكيري بتعجبه الزائد عن الحد مما يصنعه اليوم العميان المأجورون الجهلاء! وأفقت من استرسالي في الشجون على هذا المطلع: (عجب الشعر من القوم العميين) ، فجعلته مطلع القصيدة التي أخذت عنوانها من آية سورة الحج: (فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)! والعجيب في الأمر أن صوته أجش لا عذوبة فيه ولا طلاوة عليه ولا حلوة له! وعلى هذا فيكون قد جمع بين خصال خمس تجعله ممقوتاً مبغوضاً: (الأولى المجاهرة بمعصية الله تعالى (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) ، والثانية كونه يرتدي لباس أهل العلم وينتحل مكانتهم ثم هو يغني ، والثالثة كما أسلفنا عمى البصر والبصيرة أو عمى العين والقلب في وقت معاً ، والرابعة أن صوته أصلاً أجش لا يصلح للسمع ، والخامسة أنه تخطى مرحلة الفتوى بالحل أو الحرمة إلى الاستحلال العملي للمعصية! وذلك بعدما أصبحت بقايا الحياء بقايا جرأة على الله وشرعه وتحدياً لمشاعر المسلمين!)

عجبَ الشعرُ من القومِ العميينُ	يشترون - اليوم - دنياهم بدين
حرفوا الشرع ، فسادت فتنة	وابتغوا مرضاة أخزي المجرمين
زهدوا في الحق ، فانجزوا إلى	باطل يُفضي إلى ريب المنون
واسـتـكـانوا - للـطـواغـي - جـمـلـة	ثم ساروا حسب الريح السفون!
لم يكونوا وحدهم في سيرهم	بل خـلاف العير آلاف العميين
فتنة سادت ، فلو قيل: انظروا	لرأينا - في لظاهما - الأسفلين
كم أضلوا الناس حتى ينعموا	بعطا الطاغوت حيناً بعد حين!
كم أحلوا من حرام رغبة	في رضا الطغيان ، ويح الهازلين!

زهرة التقوى من الجيل الرزين!
والرياء يجعل في النفس العفون
هُدِي النَّاسُ الرِّشَادَ الْمَسْتَبِينَ!
لأناس نشدوا الحق المبين!
قد خلا من كل أصناف الفتون
مُغْرَم الْقَلْبِ بِأَلْوَانِ الْفَنُونِ
أيها المفسودُ خانتك الظنون!
نورُه ، فانساق في دنيا الرنين
فأحالتُه كما البئر الشطون!
واستساغ المُفْتَرِي الْعَيْشِ الدَجِينِ
أنس عبدِ يَأْلَفُ (الأكسيروفون)!
ولهُ شوقٌ إلى هز البطون
وردا القينات أودى بالعيون
واستمى الأرغول في سمع الزبون!
تصبغ اللحن بترجيع الطنين
ونشودُ الصوت يَأْبَى أَنْ يَلِينِ
مرسلاً صوتاً يوز السامعين
إذ تحديت جموع المعجبين!
بعدهما أشهرت لوثات الجنون
إنما الرحمن مولى التائبين
كيف تهذي مثل أشقى المطربين!؟

كم أشاعوا الجبن سَمْتاً يجتني
كم تردّوا في سراديب الريا!
كم أحالوا العيش تطويماً ، فما
كم أضاعوا من حقوق وجبت
كلهم يرجو اغتناماً بارداً
وابتلينا بكفيفٍ مُفْلَسِ
لا ترى العينُ ، ولا القلبُ يرى
قلْبُكَ الْخَالِي مِنْ الذِّكْرِ خَبَا
والأغاني عشعشت في لَبِّه
شطن النورُ ، فأغراه الدجى
وارتضى القينات عنواناً على
دنيدات العود تشجى روحه
وطبول العهر تسبي سمعه
والبيانو غمر الصب شجى
وانبرت قيثار الشدو له
وإذا (زرياب) يبدلي دلوه
(موصلي) الرجوع ، مرتج الصدى
أيها الأبله أشمت العدا
كنت - في أشياعهم - كبش الفدا
تسب إلى الله ، وأحسن ، واستقم
واندم الدهر على هذا الغنا

سُحْقاً لِلنَّذَالَةِ!

(أكتب على البحر السريع هذه القصيدة أصف فيها أحد الأندال الذين يعيشون لأنفسهم! وكان لي مع هذا النذل موقف مزر ، فكلانا لا يأمن الآخر على مال مقسوم بيننا ، فاخترت أن أحمل له نصيبه وأخذ نصيبي فقال: ولماذا لا أفعل أنا الشيء ذاته؟ فقلت له: العاقل من وعظ بغيره ، وأنا أخاف أن تأكل حقي ، كما أكلت مال فلان وعلان. فاقترحت أن أترك له نصيبه مع طرف محايد مضمون فأبى ، وذلك لفساد نيته وأنه قد عزم على أكل حقي في المال فسحْقاً للنذالة! وعزمت أنني لا أتعامل ما حييت مع الأندال! إذ الواحد منهم لا يفكر إلا في نفسه ومصالحته ولو على حساب الآخرين! ومعاذ الله أن تجد نذلاً بقي على نذالته يعرف معنى الإيثار واحترام حقوق الآخرين! وكم حارت أفكارى فيهم: فلقد رزق الله الواحد منهم سعة في المال ومع ذلك فالنذالة لا تفارقه والأنانية لا تغادر ساحته! وأعوذ بالله أن يبتلي الله مؤمناً بنذل يعكّر عليه صفو حياته. والحقيقة أن الكريم يحبه كل من حوله وما حوله. وأنا على يقين أن أعداءه وإن كانوا على غير ملته وطريقته يحبونه لأنها معايير إنسانية! أكتب على السريع أقول:)

يا نذلٌ قد حَيَّرت أفكاري
واحتللت للأموال تجمُعها
أعماك حب المال في بلدٍ
يا عابداً للمال تحسبته
لا ترفغ الأموال منخفضة
كم نلت من نذل بما كسبت
ناصرحت لكن ليس ينصت لي
من أجل هذا ذعت مظلمتي
سحْقاً لنذلٍ باع عشرتنا
في موقفٍ مُزر لمصالحةٍ
قلبي اشتكى مما يضيقُ به
والنفسُ ما انفكت تذبُّ جوئاً
يا نذلٌ لا تلعب بعاطفتي
وانصت للأهواء والعمار
لم ترعَ فيها شرعة الباري
للمال فيها الشأن والساري
يُعليك في الأنعام والدار
والنذل هل يعلو بدينار؟!
كفي ، وسل عن ذاك أشعاري!
والنصيح جلي كل إعداري
مستعرضاً مُلتاع أخباري
والملتقى من أجل دولار!
لو استمرت أجت ناري
والنذل يُبدي مكر ديار
أن لم تجد لو بعض أنصار
أبئس بمحتال وغدار!

قوم معهم سياط

(أعجب لقوم ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا من أهل النار. روى أحمد عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يكون آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه). وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (صنفان من أمتي لم أرهما قط قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس). وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن طالت بك مدة أو شكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر! أكتب على مجزوء المتقارب أقول:)

ســـــــــــــــــياط الأذى مُشـــــــــــــــــهرة	وأصـــــــــــــــــواتها منـــــــــــــــــكـــــــــــــــــرة
وقـــــــــــــــــومٌ رأوا عـــــــــــــــــزهم	إذا أعلـــــــــــــــــنوا العـــــــــــــــــســـــــــــــــــكرة
وقـــــــــــــــــاموا بـــــــــــــــــدور العـــــــــــــــــدا	بأكذوبـــــــــــــــــةٍ مـــــــــــــــــؤثرة
أراقـــــــــــــــــوا الـــــــــــــــــدما جهـــــــــــــــــرة	كـــــــــــــــــأن الـــــــــــــــــدما مهـــــــــــــــــدرة
وكـــــــــــــــــالوا الـــــــــــــــــبلا نغمـــــــــــــــــة	مـــــــــــــــــن الصـــــــــــــــــفوة الخيـــــــــــــــــرة
وشـــــــــــــــــادوا صـــــــــــــــــروح الـــــــــــــــــردى	وكـــــــــــــــــم أكثـــــــــــــــــروا الثرثـــــــــــــــــرة!
لنـــــــــــــــــا نصـــــــــــــــــبوا طغمـــــــــــــــــة	لهـــــــــــــــــا بطشـــــــــــــــــة مبطـــــــــــــــــرة
تُعـــــــــــــــــادي خيـــــــــــــــــار الـــــــــــــــــورى	ومـــــــــــــــــن هم لـــــــــــــــــنا مفخـــــــــــــــــرة
تُذيقـــــــــــــــــ التـــــــــــــــــقاة الـــــــــــــــــلظى	بأســـــــــــــــــ يافها المشـــــــــــــــــهرة
وتجـــــــــــــــــعلـــــــــــــــــ من دارنـــــــــــــــــا	مهـــــــــــــــــاد الفـــــــــــــــــنـــــــــــــــــا المقفـــــــــــــــــرة
وتســـــــــــــــــرق قـــــــــــــــــوت الـــــــــــــــــلى	قـــــــــــــــــصـــــــــــــــــوا نحـــــــــــــــــبهم فـــــــــــــــــي (طـــــــــــــــــرة)!
وتحبـــــــــــــــــك تـــــــــــــــــلفيـــــــــــــــــقها	وتختـــــــــــــــــرع المســـــــــــــــــخرة
فـــــــــــــــــيـــــــــــــــــا رب حُـــــــــــــــــل بـــــــــــــــــيننا	وبـــــــــــــــــين دـــــــــــــــــعاة التـــــــــــــــــرة!

الدنيا لا تزال بخير!

(فقد هذا الرجل هاتفه المتحرك الغالي الثمن في مكان ما ، ثم عثر عليه رجل أمين ، واحتار ذلك الأمين ماذا يفعل؟ هل يعطيه لآخر يوصله؟ هل يوصله إلى زيد أو عمرو ممن هم رؤوس في هذا المكان الذي وجده فيه؟ وأخيراً اختار أن يوصله بنفسه. فأخذه وذهب إلى البيت وحاول الاتصال ، فلم يستطع لوجود كلمة مرور معقدة ، فانتظر حتى يتصل صاحبه. وكان ذلك فاتصل وكانت أولى كلماته: (الدنيا لا تزال بخير) تلك التي جعلتها عنواناً لهذه المقطوعة أو الخاطرة الشعرية! عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ، يوتى بصاحب الأمانة - وإن قتل في سبيل الله - فيقال له: أد أمانتك ، فيقول: أي رب ، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به إلى الهاوية ، فيذهب به إليها ، وتمثل له أمانته ، فيجدها كهينتها يوم دفعت إليه ، فيراها فيعرفها ، فيهوي في أثرها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيأخذها فيحملها على عاتقه ، ثم يصعد بها في نار جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج بها ، زلت فهوت ، فهو في أثرها أبد الأبدين ، ثم قال: الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشد ذلك الودائع " ، قال زاذان: فلقبت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله؟ ، فقال: صدق ، أما سمعت الله يقول: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}. صحيح الجامع. وعن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث في خروج النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ". صحيح الجامع. أكتب في ذلك على مجزوء الخفيف أقول:)

لا تزال الدنيا بخير	إذ يخاف الله البش
خوفهم من رب السورى	باب خير فيه البش
إنما يخشى الله من	يعبد الله المقتدر
فماز عبداً مستيقن	ليس يأتي من أي شر
ليس يرضى درب الهوى	فالهوى - قطعاً - درب خسر
هاتفي ناعى أنسه	عاد لي لم يمسه ضر
موقف أعلى فاعلاً	إنه بالحسنى جهر
فاجأتني أسرار	كل سري دلي بسر
ثم كافأت الشهم لم	أنس ، بل كنت المفتخر!

وأجري على الله!

(ذهبتُ إلى المستشفى تلك الموفقة لتزور أختاً لها قد ولدت هناك. وبعد أن اطمأنت على الأم ذهبت إلى الحضّانة لترى المولود. وهناك كانت المفاجأة إذ رأت مولوداً ينظر إليها ويدقق النظر فيها! فانصرفت ثم عادت وإذا به يدقق النظر فيها أكثر ويبتسم! فسألت: ابن من هذا؟ فقيل لها: ليس له أب ولا تعلم له أم! فقالت في نفسها: آخذه وأربيه وأسميه وليكن له ما لأولادي ، وأجري على الله. وقد كان ذلك منها. واهتمت به كثيراً واستصدرت له شهادة ميلاد وسمته ، ولما ذهبتُ إلى دارها قدراً ، ورأيتُ من حاله وتربيته ، أدركتُ مقدار جهدها في تنشئته وتربيته! كما وقفتُ على بذلها وسخائها ودعوتُ لها بخير! وغبطتها على ذلك المعروف ، وتمنيتُ لو كنت يوماً مثلها أقدر على مثل الذي أقدرها الله عليه. وجعلت كلمتها لنفسها: (وأجري على الله) عنواناً لهذه القصيدة! وعن حكم تربية اليتيم أو اللقيط ونسبته إلى غير أبيه ، أجب عن سؤال بهذا الخصوص الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب ، ويحسن بنا هنا أن نورد السؤال والجواب نصياً! أما السؤال فإن السائلة تقول: (تزوجت منذ 12 عاماً ولم أرُق بأولاد ، وأنا أعيش في بلاد الغربية ، وأريد أن أتبنى طفلةً لأربيها على الطريقة الإسلامية علّ الله عز و جل أن يجعل فيها الخير ، فتكون لنا منها دعوة صالحة بعد الموت. ولكن التبني هنا يوجب أن تسجله باسمك وإلا فلا يسمح لك أن تأخذ الطفل الذي تريد تبنيه وتربيته ، وهنا آلاف الأطفال بدون آباء. لذلك أريد توضيح حكم الشرع في التبني على هذه الصفة ، والله الموفق). وأما الجواب: (أقول مستعيناً بالله تعالى: كان التبني معروفاً في الجاهلية ، وصدر الإسلام إلى أن نزل تحريمه في قوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ). قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (قال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني ، وهو من نسخ السنة بالقرآن ، فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف ، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولاته ، فإن لم يكن له ولاء معروف قال له: يا أخي يعني في الدين! قال الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة). (تفسير القرطبي). وعليه فإن التبني لا يجوز بحالٍ من الأحوال ، و هو بخلاف كفالة الأيتام التي حثنا عليها الإسلام ، لما روى البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد عن سهلٍ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً ، وَرَوَاهُ بَنُوهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: (كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك ، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية). ومن حُرِّمَ الذرية فليحتسب الأجر عند الله تعالى ، فإنّ هذا ابتلاءٌ لا مردّ له ، قال تعالى: (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً). ولو بادر إلى كفالة يتيماً يربيه ويرعاه لحاز الأجر العظيم في الآخرة ، والأنس والبركة في الدنيا ، ولكن عليه أن يحتاط لدينه فيراعي الأمور التالية: * لا يجوز لمن كفل ابن غيره (سواءً كان يتيماً أو لقيطاً أو غير ذلك) أن ينسبه إليه ، بل ينسبُ إلى أبيه الصلبي (الحقيقي) ، فإن لم يعرف أباه نسبه إلى ما يُعرف به (كأن يُقال: فلان الشامي نسبةً إلى الشام أو المقدسي نسبةً إلى القدس أو غير ذلك) ، أو دعاه بأخوة الإسلام. * وإذا كان لا بدّ له من ذكر اسم أبيه في السجلات الرسمية فينسب إلى عبد الله أو عبد الرحمن مثلاً ، إذ إنّ العباد كلهم عباد الله ، وأبوه منهم. * وإذا ربّى الرجل بنتاً من غير ضلّبه ولا محارمه بالنسب أو الرضاع ، فإنّها تظنّ أجنبيّةً عنه ، ويجب عليها أن تحتجب عنه بعد البلوغ ، ما لم تكن بنتاً لزوجته التي دخل بها.

* وإذا ربت المرأة ابناً من غير أبنائها نسباً أو رضاعاً ولا أبناء زوجها أو محارمها ، فليس لها أن تنكشف عليه إذا بلغ الحلم ، بل يجب عليه أن تحتاط من ذلك ، وربما رفع عنها الحرج إذا أرضعته بنفسها ، أو أرضعته أختها أو أمها أو بنتها ، لأنها تصير بذلك أمّاً أو أختاً أو خالة (له من الرضاع). هـ. وجاء في فتاوى الحديث وعلومه في حكم كفالة اللقيط ومدى مساواته باليتيم في الأجر ، السؤال: (هل تعدل كفالة اللقيط ومجهول النسب وتربيته نفس أجر كفالة اليتيم التي حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم؟) الجواب: (اليتيم هو الصغير الفاقد للأب ، واللقيط هو ولدٌ حديث الولادة نبتّه أهله ؛ خوفاً من مسؤولية إعالته أو فراراً من تهمة الزنا ، أو ضلّ الطريق فلا يعرف أبوه ولا أمّه ، أو لسبب آخر ، ولا كافل له معلوم ، والنقطة من أفضل أعمال البرّ ، وهو فرضٌ على الكفاية ، إلا إذا خيف هلاكه ففرض عين. واليتيم واللقيط ومجهول النسب يدخلون في معنى إحياء النفس بالرعاية الصحية من الإنفاق والعناية التربوية والتعليمية ، وإن كانوا يختلفون من جهة الولاية والإنفاق ؛ فالولاية على اللقيط في ماله ونفسه للسلطان أو نانيه ، وكذلك الإنفاق من بيت المال ؛ لحديث: «فالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ» ، أمّا الملتقط فليس له إلا حقّ التربية والحفظ لكونه منفعة محضة في حقّه ، وبهذا السبب لا تثبت له الولاية. وعلى كلِّ فإن الملتقط يستحقُّ أجرَ ومثوبة كافل اليتيم لحديث: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً ؛ لأنه في معناه ، ولم يختلف العلماء في أنّ الرجل إذا ضمّ إليه يتيماً أو لقيطاً أنه محمودٌ في دين الله تعالى ، كما لا يختلفون في عدم جواز تبني اللقطاء والأطفال مجهولي النسب بحجة الرحمة والعطف ، أو لكون المرأة عاقراً أو الرجل عقيماً ؛ فهذه الأسباب لا تبيح التبني ولا تجعله حلالاً ، بل يبقى على حرمة ، ولا تترتب عليه أحكام البتوة الحقيقية ؛ فهؤلاء إن كانوا مجهولي الآباء الحقيقيين فإنّ الأخوة في الدين والموالاتة فيه عوضٌ لهم عمّا فاتهم من النسب ؛ لقوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ). هـ. وقد أفتى فيها العلامة الفقيه الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - وهذه فتواه. أما السؤال: (هل يجوز للإنسان إذا وجد لقيطاً أن ترضعه زوجته؟) وأما الجواب: نعم ، يجوز أن ترضعه ، بل يجب إذا لم يوجد ما يقوم مقام إرضاعها ، لأنه إنقاذ معصوم من هلكة ، وتكون أمّاً له ويكون زوجها أباً له من الرضاعة. ثالثاً: ليس من شك أن اللقيط لا ذنب له ، وأن التكفل به والإحسان إليه له أجر عظيم ، كما قال بذلك مجموعة من أهل العلم في أكثر من فتوى منشورة! وإرضاعه قبل الحولين إحسان له ، وسداً لذرائع الفساد المترتب على عدم إرضاعه. ومع الإرضاع لا يجوز تبنيه فيبقى ينسب إلى أمه ويثبت له الرضاع والمحرمية. وإرضاعه صغيراً في المهد إلى الحولين لا يختلف عن إرضاع أي طفل كان يتيماً أو صاحب أبوين فالرضاع المذكور في كتاب الله وكان قبل الإسلام وأقره الإسلام. واللقيط لا ذنب له ، إنما الذنب ذنب من كان سبباً فيه). هـ. وعن أحكام اللقيط في الشريعة الإسلامية قال الدكتور جمال المراكبي ما نصه: (كثرت في هذه الآونة التساؤلات حول قضية التبني في الإسلام ، وكيف نعالج مشكلة اللقطاء؟ الإسلام يحرم التبني: والذي لا شك فيه أن الله - تعالى - قد حرم التبني تحريماً قاطعاً ؛ لأننا لا يمكن بحال من الأحوال أن نغير حقيقة الواقع بدعوى ندعينا. قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ). إن من أكبر الكبائر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه ، فيزاحم أبناءه ، ويطلع على عوراته ، ويجحد حق أبيه وأمه ؛

ولهذا قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر). أخرجه مسلم. (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام). فماذا عن زيد بن حارثة ، وسالم مولى أبي حذيفة؟ إنَّ تحريم التبني لا يعني ترك اللقيط دون رعاية وحماية ، أو الإساءة إليه بحال من الأحوال ، أو الطعن في شرفه أو الإضرار به ، فاللقيط مسلم حرٌّ ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن حقوقه على المسلمين: أن يُحفظ له نسبه إن كان معروفاً ، ولا يُدعى إلى غير أبيه ، وأن يُحفظ له قدره إن كان مجهول النسب ، فهو مولى للمسلمين ، يتمتع بمحبتهم ورعايتهم ونصرتهم ، ويبادلهم كل ذلك. فهذا زيد بن حارثة حبُّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومولاه ، ينتسب إلى أبيه بعد أن كان ينتسب إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا ينقص ذلك من قدره ، ولا يؤثر على سابقته وفضله ، ورسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول له: (أنت أخونا ومولانا). وهذا سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة ، لا يعرف من أبوه ، ولا ينقص هذا من قدره ، فهو سالم الذي شهد بدرًا ، وهو الذي يُعَلِّمُ المسلمين القرآن ، ويقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (خذوا القرآن من أربعة) أحدهم: (سالم مولى أبي حذيفة) ، ويقول عمر بن الخطاب عند موته: "لو كان سالم حيًّا لوليتَه". وأما عن تربية اللقيط فهي فرض على المسلمين ، فمن وجد طفلاً في مكان يغلب على الظنُّ هلاكه لو ترك فيه ، كان التقاطه فرض عين عليه ؛ لأنَّه نفس بشرية ضعيفة ، ولا ذنب له جناه ، وعلى كل الأحوال ، فالتقاط اللقيط فرض كفاية على جميع المسلمين في البلد الذي يوجد فيه. والإنفاق على اللقيط يكون من بيت مال المسلمين ، إن لم يكن معه مال ، فإن كان مع اللقيط مالٌ أنفق عليه منه ؛ إلا إذا أراد ملتقطه أن يربيه لوجه الله تعالى. فماذا يصنع من وجد لقيطاً؟ من وجد لقيطاً وكانت عنده الرغبة في تربيته ، فإنَّه يرفع الأمر إلى المحكمة الشرعية ، ويعلن استعداده لتحمل مسؤولية تربيته! ولا يجوز للملتقط أن ينسب الطفل اللقيط إليه ، ولما كانت المصلحة تقتضي أن يستخرج له شهادة ميلاد ، فليستخرج له الشهادة ويسميه ، وينسبه إلى اسم عام ، كأن يقول: فلان بن عبد الله ، أو يسميه باسم قريب من اسمه. وليعلم الملتقط أنَّ نشأة اللقيط في بيته محكومة بضوابط شرعية ، فلا يجوز له أن يخلو ببناته ولا بزوجته ، ولا يجوز له أن يطَّلِعَ على الزينة الظاهرة التي أمرت المرأة بإخفائها عن الأجانب. ويمكن التغلب على ذلك عن طريق الرضاع ، فإذا رضع اللقيط من زوجة الملتقط ، صار ابناً لهما بالرضاع ، ويصبح أمر الخلوة والاطلاع على الزينة جائزاً. يجب على الملتقط العناية بأمر اللقيط ، وتربيته وتعليمه ، فيُعلمه الصلاة إذا بلغ سبع سنوات ، ويضربه عليها إذا بلغ عشر سنوات ؛ لأنَّ له الولاية عليه ، فيُعامله معاملة ولده في الرعاية. وينبغي أن يعلم اللقيط حين يدرك أنه أخ في الدِّين ومولى للمسلمين ، ويكون ذلك بأسلوب يحفظ له كرامته. إذا ادعى أحد من المسلمين نسبة اللقيط إليه ، فإن نسبه يثبت ممن ادعاه من غير توقف على بينة استحساناً ، متى توافرت الشُّروط المعتبرة لصحة هذه الدعوى شرعاً ، سواء كان المدعي هو الملتقط أم غيره ، وذلك على التفصيل المعروف في كتب الفقه.هـ. وأورد الإمام ابن كثير تعليقاً على آية الأحزاب: (ادعوهم لآبائهم) ما نصه: (فأما الابن من الرضاعة فمَنْزَلُ مَنْزِلَةِ ابْنِ الصَّلْبِ شَرْعاً بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِينَ: «حَرَّمُوا مِنَ الرُّضَاعَةِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ» ، فَأَمَّا دَعْوَةُ الْغَيْرِ ابْنًا عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ وَالتَّحْبِيبِ ، فَلَيْسَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِدَلِيلِ مَارَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السَّنَنِ إِلَّا التَّرْمِذِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ عَنِ الْحَسَنِ الْعُرْنِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدَّمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغِيلَمَةَ

بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع ، فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول: «أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس» قال أبو عبيدة وغيره: أبيني تصغير بني وهذا ظاهر الدلالة ، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر. وقوله: {ادعوهم لأبائهم} في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان ، وأيضاً ففي صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن الجعد أبي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني» ورواه أبو داود والترمذي. وقوله عز وجل {فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم} أمر تعالى برد أنساب الأديعاء إلى آبائهم إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي عوضاً عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعته ابنة حمزة رضي الله عنها تنادي ، يا عم يا عم ، فأخذها علي وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك ، فاحتلمتها. فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم في أيهم يكفلها ، فكل أدلى بحجة ، فقال علي رضي الله عنه: أنا أحق بها وهي ابنة عمي: وقال زيد: ابنة أخي ، وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عمي وخالتها تحتي ، يعني أسماء بنت عميس ، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني وأنا منك». وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». هـ.

يا ربة الفضل ، دام الفضل والكرم	يا من رحمت الذي - في المهدي - يتسم
وكنيت أمأ وأصحاباً وعائلة	لمن أتى للدنا ، وماله رجم
وكنيت باقاة آمال تُسامره	إن هذه اليأس والإحباط والسأم
وكنيت بدرأ منيراً في حوالكه	وكنيت نجماً شددت بنوره النجم
وكنيت نجدته ، إذ عز ناصره	ففي محنة صغرت حياها الإزم
وكنيت حصناً يقى من كل قاصمة	إما تعاورت الأهوال والقصم
وكنيت درياً - مدى الأيام - يسلكه	إما الدروب نأت ، أو عز مصطدم!
وكنيت درعاً له في كل نازلة	كفارس أعزل تغتاله النقم!
لم يقترف - من ذنوب الناس - خردلة	وفي المعائب ما زلت به القدم
لم يدر ما الإثم فضلاً عن كبائره	كلا ، وما نزلت - بساحه - التهم
هو البرئ - من الأوزار - جاء بها	زان وزانية أعماهمما النهم
أودى بكل جنون الشهوة انفلتت	من القيود التي قد سنها السلم
كل أطياع نداء النزوة احتدمت	في القلب ، ثم طفت - من فوقها - الحمم

مثل الجواد وهت - في جیده - اللجم
من بعد أن غابت الأخلاق والقِيم
بها يُصان ، فلا يخزى وينهزم
فلم يعد - بهدى الإسلام - يلتزم
ولم يكن - بدعاء الله - يعتصم
تلك التي أصبحت - بالفحش - تتسم
وكل صب هوى العشاق يقتسم
من بعد أن لم تغد جلى ولا قيم
كل الأراذل ، إن راحوا وإن قدموا
كأنه العبد لا عرض ولا حرم
ولا يرد ، فقد أصابه البكم
ومن - بأصل اللقيط - اليوم قد علموا؟
على اللسان - برغم الأنف - يعتجم!
خير لها الصمت والإطراق والصمم
عبد بجرم سواه - اليوم - يُتهم
إلا سفية - من اللقيط - ينتم
من رام كيداً به تُستجلب الغم
إلا عذو - به - يستهزئ القلم!
منه استغاث الصوى والنص والكلم
وحوله الترب والقضيض والأكم
إذ سمتك الجود والتفضيل والكرم

كل لداعي الهوى أرخى إرادته
كل تمرغ في بيذا غرائزه
كل تنازل عن تقوى تُجمله
كل هوى النفس - بين الناس - سريله
كل لوسوسة الشيطان منتصت
كل - بمتعته الرعناء - ملتحف
كل تلبس - بالفحشاء - يعشقها
فكان هذا الفتى نتاج فعلتهم
جاء الحياة بريناً يستهين به
جاء الحياة ليشقى في مراتبها
جاء الحياة ليلتاط السباب به
ماذا يعوض أنساباً إذا افتقدت؟!
فمن أبوك؟ سؤال لا جواب له!
لا تسمع الأذن السؤال يُخرجها
ومن أبوك؟ سؤال يُستفز به
ومن أبوك؟ سؤال لا يُردده
ومن أبوك؟ سؤال يستطيل به
ومن أبوك؟ سؤال ليس يكتبه
ومن أبوك؟ سؤال خاب طارحه!
حتى أتيت - له - في جب محنته
رفعت عنه عذابات ينوء بها

بُشْرَاكِ بِشْرَاكِ هَذَا الْعَوْلُ مُحْتَرَمٌ!
فِيمَا يُثْبِتُكَ رَبِّ مَنَعَمَ حَكَمِ
وَلِلْمَكَارِمِ - فِي دُنْيَا الْوَرَى - سِيمِ
تِ الْخَمْسِ! طَابَ الْحَلِيبُ الْعَذْبُ وَالطَّعْمُ!
شَرْعِيَّةً سَأَنَهَا نَبِيْنَا الْهَشَمِ
فَتَلِكِ أُمَّ لَهَا - بَيْنَ النِّسَاءِ - شَمَمِ
لِلْوَالِدِينَ ، وَذِي يَأْتِي مَبْتَلَى قَسَمِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ لَانَ - بِالْفِرَارِ - مُجْتَرَمِ
كَلَا ، وَمَا حَمَلَ الْجَنِينَ ذَا الرَّجْمِ
وَفِيكَ حَارَ الْبَصِيرُ الْنَاقِدُ الْفَهْمِ
يُقْرَهُهَا الْعُرْفُ وَالْأَعْرَابُ وَالْعَجَمِ
جُوداً بِارْضَاعِ مَنْ أَوْدَى بِهِ السَّقْمِ
سَبْحَانَ رَبِّ لَه - فِي خَلْقِهِ - حِكْمِ!
وَخَالَةَ كَفَلْتِ ، وَالْأَمْرُ مَعْتَمِ
جُوداً تَقَاصِرَ عَنْ أَدَائِهِ أُمَّمِ!
وَفِي الْفَوَادِ لِكُلِّ مِنْهُمْ رُحْمِ
إِنْ الْجِرَاحُ بِحَسَنِ السَّعْيِ تَلْتَمِ
كَسْرًا ، بِجُودِكَ زَالَ الْكَسْرُ وَالْكَلِمِ
ذَلِ السِّنِينَ ، وَفَرْدًا كَادَ يَنْهَدِمِ
فَلَمْ يَعْقُ سِيرَهُ نَحْوَ الْعِلَا وَهَمِ
وَوَفَّقَ اللَّهُ فَضْلِي خَيْرُهَا عَمَمِ

وَعَلَّتِيهِ بَغِيَّةُ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ غَدًا
وَجُودَتِ ، لَمْ تَبْخَلِي بِالْبَذْلِ طَامِعَةً
رَفَعْتِ - عَنْ كَاهِلِ اللَّقِيْطِ - مُؤْنَتَهُ
وَبَعْدُ أَرْضَعْتَهُ مِنْ أُخْتِكَ الرُّضْعَا
كِي تُصْبِحِي لِلْفَتَى أُمَ الرُّضْعَاةِ فِي
وَابْنِ الرُّضْعَاةِ قَدْ سَيِّقَ الْفَخَّارُ لَهُ
أَبْشُرٌ بِخَيْرِ ، فَقَدْ أَلْفِيَتْ مَفْتَقِدًا
وَنَصَفَ عَارَكَ أَنْهَتَهُ مُرَبِّيَّةً
تَقُولُ: أُمِّي ، وَلَمْ تَرْضَعْكَ رَضْعَتَهَا
تَقُولُ: أُمِّي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهَا وَلَدًا
إِذْ بِالرُّضْعَاةِ صِرْتِ ابْنًا لَهُ صِلَةَ
وَالْأُمِّ خَالَةَ إِذْ جَادَتْ شَقِيْقَتَهَا
وَزَوْجٌ مِنْ أَرْضَعَتْ أَبًا لِرَاضِعَتِهَا
أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ أُمًّا أَرْضَعْتَ وَأَبَا
يَا رَبَّةَ الْبَذْلِ ، نَعَمَ الْبَذْلُ جُدْتَ بِهِ
وَعِنْدَكَ الْوَالِدُ ، لَكِنْ زِدْتَهُمْ وَلَدًا
تَقْبَلُ اللَّهُ سَعِيًّا عَزَّ صَانِعَهُ
وَأَخْلَفَ اللَّهُ أُمَّوَالًا جَبَرْتَ بِهَا
أَسْعَدْتَ بِالْجُودِ قَلْبًا كَادَ يَقْهَرُهُ
نَفَثْتَ فِي رُوعِهِ عَزْمًا يَدُلُّ بِهِ
فَبَارَكَ اللَّهُ فِي طِفْلٍ وَحَاضِنَةٍ

لا تعلق العين على الحاجب

(ارتقى في العلم ، وتخصّص في الهندسة ، ووصل لدرجة الماجستير ، مروراً بالتمهيدي ووصولاً للدكتوراة. وكان هناك دعوة مُلحة للمحبين والمتخصصين والأهل لحضور مناقشة الدكتوراة! فاحترار الأستاذ في دعوة مُعلميه ، وأوكل ذلك الأمر إلى أخيه ، وذلك حياءً من دعوتهم لأنهم علموه ، فاستحيا أن يكون في مكانة أعلى منهم. وذكرني ذلك بموقف مع أحد أساتذتي الكرام هو الأستاذ مصطفى عون الذي علمني اللغة العربية ، عشته معه عام 2009م عندما أخذ يسألني في اللغة العربية نحوها وصرفها ، وأنا أتعمد الخطأ لأشعره أنه الأفضل والأعلى والأسمى والأعلم من تلميذه! ولما كنتُ أعرف هناته في العروض الشعري طرحت عليه سؤالاً في أحد الأوزان ولما لم يُجب أو أجاب خطأ على ما أذكر ، استحييتُ وتذكرت خطئي عندما زدت حبات الطين بلة! فاعتذرتُ وأنهيت المناقشة بشئ من الحكمة ، ورحت أقول له يا أستاذ: (لا تعلق العين على الحاجب)! وأخذتُ أذكر له - من فضل ربي عليّ - أسماء دواوين أشعاري وعنواني كتابي في النقد الأدبي الأسلوبى! وعدتُ إلى دار غربتي وتركته في مصر ، وكلي ندم عندما أدركتُ أنني احترمت الأستاذ وأنا لم أناهز ، ونلت منه وأنا رجل أشيب! وعندما قابلتُ الدكتور عصام علوان الذي حكى له موقف دعوة معلميه لحضور مناقشة رسالته تذكرتُ موقفي مع الأستاذ مصطفى عون ، وبدأتُ في إنشاد القصيدة التي تتشابه مناسبتها مع موقفي السابق! ولنن كان عنوانها يدلّف إلى العامية فإنني أراه مناسباً ومنطقياً! ولنن كان العامة قد عنوا بمثلهم: (العين لا تعلق على الحاجب) عدم التطاول على ذوي الفضل والإكرام ، فإنني أرى أن هذا العنوان مناسب لقصيدتي بهذا الاعتبار! فهما بلغنا من العلم والمعرفة ، ومهما خُزنا من الشهادات ، ومهما بلغنا من المكنات والمنازل ، فلن نرقى على من علمونا ولن نتجاوز عليهم. وأعجبتني كلمة إنجيلا ميركل الألمانية عندما رفعتُ راتب المعلم في بلادها إلى ما هو أرقى من راتب الوزير! فلما توجه إليها اللوم في ذلك من بعض البرلمانيين ، قالت لهم في ثقة: كيف أساويكم بمن علموكم؟ فأثرت تخفيفاً على نفسي أن أنشدها على لسان الدكتور علوان! وتحت عنوان: (كيف نربي أبناءنا) للدكتور عبد الرحمن اليحيى يقول ما نصه: (نحن بحاجة ماسة إلى التربية من أي وقت مضى لأن العصر الجديد عصر العولمة يسعى إلى تفكيك الروابط والعلاقات القديمة القائمة على احترام الكبير ومراعاة الأعراف ومواصلة الأقراب وبناء العلاقات الجديدة! ذلك أن العولمة فتحت شهية الناس على المتعة واللذة واللهو ، وأعطت للمال نفوذاً في حياتهم فنحن في عصر العولمة والانصراف شبه الكلي إلى المحسوسات والماديات! والنتيجة تعلق القلوب بالمتع والمُلهيات ، وهذا البحث عن المتع الجسدية لم يأت من فراغ ، بل هناك جهود هائلة في الدعاية والإعلان وشتى أنواع الإغراء ، كي يتحول الناس إلى كائنات استهلاكية تبحث عن متع لا نهاية لها عصر العولمة يسعى إلى تفكيك الأمة الواحدة إلى شعوب! ونسال الله العظيم أن يحفظ هذه البلاد من كيد الكاندين! وتقوم العولمة بتهميش السلطات كسلطة الدولة وسلطة الأسرة وسلطة المدرسة وتوسيع دائرة الحرية الشخصية. أما سلطة الأسرة فيكون بالتدخل في شئونها عن طريق ما يسمى بحمايتها فالمرأة التي تريد أن تتمرد على زوجها يوفرون لها الحماية والمأوى! والبنات كذلك ويستغلون بعض التصرفات الشاذة التي يسمونها العنف الأسري أو الأطفال الذين يتعرضون إلى الاضطهاد وحاصل الأمر حق أريد به باطل! ونسال الله لا يحصل ذلك وكذلك نزع سلطة المدرسة وخاصة الخاصة ومنع الضرب فيها وعند نزع هذه السلطات يقومون

بتوسيع دائرة الحرية الشخصية حتى صار الكثير من الناس ينظرون إلى أي ملاحظة توجه إليهم على أنها تدخل غير مقبول في شأنهم الخاص ، ولكن خيرية الأمة تأتي من نشرها للخير والفضيلة ومحاصرتها للشرور والمنكرات. وقد صار اليوم النهي عن المنكر شيء مستنكر بسبب توسيعهم الغير مشروع وغير الصحيح لدوائر الخصوصية والحرية الشخصية ومن هنا فإن الأسس والمبادئ والقيم التي نحملها نحن المسلمون مهما كانت عظيمة ، لا يمكن المحافظة عليها أمام هذا السيل الجارف من الغزو المنظم! وأنا لا أريد من وراء هذا الكلام سوى شيء واحد هو إدراك حجم المهمات التي نقدم عليها ، فلا نتعجل ولا نجازف فليحذر الإنسان عدم العجلة ، لأنها طريق الهلكة ، ومن هنا فإن حسن التربية في مدرسة من المدارس لا يأتي من الكتب المقررة ، لأنها موحدة على مستوى البلاد فقد يأتي حسن التربية من تفوق إدارة المدرسة وقد يأتي من حسن تفوق الهيئة التدريسية أو الأنشطة الطلابية أو بسبب حسن اختيار الطلاب ووضع شروط لقبولهم ، وقد يكون بسبب جودة المباني المدرسة وتجهيزاتها ، وقد تجتمع كل هذه الأسباب ، ولذلك لا يصح الحكم على كل المدارس ولا المناطق ولا المدن بشكل عام حاصل الأمر ما قيمة الأهداف التربوية والأفكار التي تبقى في الأدرج أو في الكتب إذا لم تبلغ الناس ويتفاعلوا معها. يجب أن نبحث عن وسائل وأساليب تساعدنا على توصيل ما لدينا للأسر في البيوت والمعلمين في المدارس الناس اليوم مشغولون بكل شيء إلا الاهتمام بالتربية. إن الاهتمام اليوم ليس بتدين الأبناء فلم يعد الشغل الشاغل ، ولكن الهم المسيطر عليهم كيف أرفه الأولاد وأدخل السرور عليهم ، كيف يكونون ناجحين في دراستهم ، وهذا ليس سيئاً ، لكن السيئ عدم الاهتمام بالدين! ذكر أحد الباحثين الكبار في الغرب بأن التقدم الحضاري ليس طابعاً عمرانياً أو تقنياً ، وإنما هو في المقام الأول طابع روحي أخلاقي معنوي ، ومعطيات الواقع تؤكد هذا ، وإهمال قضية الدين معناه انهيار الأخلاق ومحاصرة هذه الشرور بالعقل وبالتوعية لا قيمة له ما لم يحط بالخير وبالدين وبالعبقات). هـ. والمهم أن الدكتور عصام علوان أخرج بعض الشيء عندما أنشدت هذه القصيدة عليه! وقد رأيت ذلك في عينيه! وأدركت مقدار حرجي أمام أستاذي مصطفى عون!

لا تعلقو العين على الحجاب	ها ذاك هو الرأي الصائب
أستاذي يا قرة عيني	أستاذ أنت ، أنا الطالب
قدرك محفوظ في قلبي	أنت الحاضر ، وأنا الغائب
مهما حصلت فتحصلي	من فضل المنان الواهب
ثم الفضل لمن قد ربى	من صنع العالم والكاتب
علمني الأساتذة كثيراً	واليوم الحبل على الغارب
فنهت العلم مع التقوى	وغزا قلبي الفكر الثاقب
والروح سامت في عالمها	وأنا - فيما تسمو - راغب

وجعلتك لي الأب والصاحب
بالفضل لمن أدى الواجب
ما أنا - في قولي - بالاعب!
في شعر من نظم القالب
من شبل ودكُم خاطب
فمهيئ معلمه خائب
لم يرع الرتبة والراتب
ومن الأخطاء هو التائب
من دعوة أصحاب مواهب!
فاستحي الموكل والنائب!
من صحب جاؤوا وأقارب
والرفغ مدارس ومذاهب
كنجوم من بين كواكب
فاجتزت دغاول ومصاعب
وبرغم مأخذ ومثالب
وبرغم نصائح ومقالب
من طفل يحبو ، أو شايب
وخصوصاً ما فيه تقارب
إذ درست من كل جوانب
ووقاهم محناً ومصائب

أكبرت جميلك أساتاذي
وشكرت صنيعك معترفياً
وتخذتك لي مثلاً أعلى
ومنحتك أطيّب أوسمتي
نصّ من غرسك زبدته
لم يهـدر حق معلمه
وعلى (المتدارك) نبرثه
بل خاف عقوق معلمه
أساتاذي غرسك في حرج
فندبت الدعوة لشقيقي
حييت ضيوفاً مناسبتي
ورفعت مقام أساتاذتي
وشرفت بهم فيمن حضروا
وتحاياهم شحذت عزمي
واللجنة شهدت بنجاحي
وبرغم عيوب في بحثي
واسـتـلهمـت وصايا أهلي
واستحضرت عطا أساتاذي
في وجهات النظر الشتي
حفظ الرحمن أساتاذتي

أشيب لم يندزه الشيب

(ظل ينفخ في البوق ، وتارة يضرب بالطبل ذي الجلاجل ، وتارة يُحرّك الأوتار ، وأخرى يشير بيده للفرقة! ذلك الأشيبُ الذي يدعى علقمة ، والذي لم يحترم شيبه. وجادلته كمايسترو لفرقة موسيقية معروفة ، فأعرض ونأى بجانبه! فطالبته بالبحث والتحري بُغية الوصول إلى التحريم فازداد نفوراً وإعراضاً! ونظرتُ فإذا باقي أفراد فرقة شوابٍ قد جاوزوا الستين أو السبعين أو هم عوان بين ذلك! والشيب رسول أرسله الله لكل أشيب ليدرك ما فات في زمان الشيبية من المعاصي! والشيب نذير حثيث يقرب النهاية وأنه لم يعد في العمر قدر ما مضى منه! والشيب ناقوس يدق في عالم النسيان والغفلة الذي يبتلئ به المرء حال تقدمه في العمر! فليتق الله كل أشيب وليحرص على طاعة ربه وليجتنب معاصي الله! لقد يدركه الموت فجأة فما هو صانع إن قبض على معصية من المعاصي أو كيبيرة من الكبائر؟! فأنشدتُ في موقفي - مع علقمة الموسيقي الأشيب الذي لا يزال يعزف ويرن - قصيدتي على البحر المتقارب أقول:)

سَمِعْتُ عَزِيفَكَ يَا (عَلْقَمَةَ)	وَأَنْكَرْتُ عَزْفَكَ مَا أَشْأَمَهُ!
وَعَبْتُ الَّذِي جِئْتَ مِنْ رِنَةٍ	تَصِمْ كَأَنِّي بِهَا هَذْرَمَةٌ
أَتَنْفَخُ - فِي الْبُوقِ - مَسْتَهْتِراً	عَلَى آلَةٍ تُشَبِّهُهُ الْحَنْتَمَةُ؟
وَتَقْرَعُ طَبْلًا عَلا صَوْتَهُ	بِكُفِّ تُعْرِبُ مُسْتَتْمَةً
وَتَحْمَلُ مِزْمَارَةَ لَمْ تَزَلْ	تُضَلُّ بِأَنْغَامِهَا الْمُبْهَمَةَ
وَتَضْرِبُ بِالرَّقِ فِي فِرْقَةٍ	عَلَيْهَا اللَّعَانُ مِنْ شِرْذِمَةٍ
هُوَ الشَّيْبُ يَزْجُرُ أَرْبَابَهُ	وَزَجَرَ الْكُهُولَةَ أَحْلَى سِيمَةٍ
فَهَلْ أَنْصَتَتْ أُنْذُنٌ ، أَوْ وَعَتْ	لِتَصْرِفَ عَنْ غِيهِ (عَلْقَمَةَ)؟
يَمِينًا تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِكُمْ	وَفِي الْفَعْلَةِ الْفَجَّةُ الْمُجْرَمَةُ
وَفِي فِرْقَةٍ جَاهَرَتْ بِالْهُوَى	مَجَاهِرَةٌ فَاقْتَتِ الْمَحْمَمَةُ
وَأَشْيِبٌ - فِي أَمَّهَا - قَانِدٌ	وَفِرْقَتُهُ - فِي التَّعَاظِي - أَمَّةٌ
مَدَى الدَّهْرِ تَعَزَّفُ أَلْحَانَهَا	وَعَنْ هَدْيِ رَبِّ السَّمَا مُحْجَمَةٌ
تَبَيَّنَتْ وَتَصْبِخُ رَهْنُ الصَّدَى	وَتَمْسِي لَهْ - الدَّهْرِ - مُسْتَسْلَمَةٌ
وَلَمْ يَعْطِهَا الشَّيْبُ مِنْ عِبْرَةٍ	وَعِبْرَةُ شَيْبِ الْفَتَى مَكْرَمَةٌ!

حفصة بنت سيرين

(يقول الدكتور علي القرني في محاضراته: (مكانة المرأة في الإسلام) ما نصه: (لقد نعتت المرأة في ظل الإسلام قروناً ، حتى جاءت جاهلية هذا القرن والذي قبله ، فوأدت المرأة وأداً معنوياً ، أشد خطراً من وأد الجاهلية ؛ فإن الموعودة في الجنة ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، أما موعودة هذا القرن فهي التي وأدت نفسها ، وباعت عفتها ، وأهدرت حياءها فلا تجد الجنة ، ولا تجد ريحها ، كاسية عارية ، مائلة مُميلة ، لا تجد عرف الجنة ، وإن ربح الجنة ليوجد من مسافة كذا وكذا. أصغت بأذنها إلى الدعاة على أبواب جهنم ، فقدفوها في جهنم! فشقيت وخسرت دنياها وأخراها ، فهي تعض أصابع الندم هنا ويوم القيامة ، يا أمة الله! تجيء جاهلية هذا القرن في صور متعددة ؛ في صورة المشفق عليك ، الضاحك ظاهراً ، وهو يريد قتلك باطناً. جاءت هذه الجاهلية في صورة المشفق عن طريق مجلة ، أو عن طريق جريدة ، أو أغنية فاجرة ، أو مسلسل ، أو تمثيلية ، أو جهاز استقبال ، يريدون منك أن تكوني عاهرة ، سافرة ، فاجرة ، يريدون أن تكوني بهيمة في مسلخ بشر ، حاشاك يا ابنة الإسلام! ويا حفيدة سمية وأسماء! اسمعي لقائلهم سمع اعتبار يوم يقول ، وهو أحد الكفار الذي يتربص بك وبأخواتك وبالمؤمنين الدوائر يقول: لا تستقيم حالة الشرق الإسلامي لنا حتى يُرفع الحجاب عن وجه المرأة ، ويُعطى به القرآن ، وحتى تؤتى الفواحش والمنكرات. وخاب وخسر. ويقول الآخر: إلى متى تحملين هذه الخيمة؟ ويقول آخر: ينبغي أن تبحثي عن قائد يقودك إلى المدرسة والكلية. ويقول آخر: لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا ، ونخلصها من قيود الدين. خاب وخسر. ويقول الآخر: إن الحجاب خاص بزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأين تنظلي مثل هذه الأمور؟ وأين هذا من القرآن؟).هـ. وكم أقدّر وأحترم النساء الفضليات ، والرعيّل الأول حوى العديد من هذا النوع المحترم! ومن هنا طاب لي أن أكتب عن حفصة بنت سيرين كنموذج للنساء الفضليات العفيفات العالمات الفقيّهات! وتحت عنوان (حفصة بنت سيرين ، فقيهة جيل التابعين) كتب الأستاذ أحمد مراد ما نصه: (تعد السيدة حفصة بنت سيرين واحدة من أبرز العالمات الفقيّهات في جيل التابعين ، وتتلذذ على يديها مشاهير الفقهاء ، عاشت وتربت بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وظلت طوال حياتها تخدم الإسلام بعلمها ، وكانت امتداداً لمنهج النبي في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. إنه بعد معركة ذات السلاسل انفتحت مدن العراق أمام جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكان سيرين والد حفصة في جملة الغلمان الذين سُبوا ، فكان من نصيب أنس بن مالك رضي الله عنه ، وتزوج سيرين من صفية مولاة أبي بكر الصديق ، وقد تولت تطيب صفية في عرسها ثلاث من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وحضر زفافها عدد كبير من الصحابة ، فيهم ثمانية عشر بدرياً ، منهم أبي بن كعب ، وكان يدعو وهم يؤمنون على دعائه. ولقد وُلدت حفصة بنت سيرين في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 31 هجرية ، وعن أبي العالية قال: كانت حفصة بنت سيرين أكبر ولد سيرين من الرجال والنساء من ولد صفية ، وكان ولد صفية محمد ويحيى وحفصة وكريمة وأم سليم وأخاها التابعي الجليل محمد بن سيرين. وكانت حفصة حريصة منذ صغرها على حفظ القرآن ، حتى أنها حفظته وهي ابنة اثنتي عشرة سنة ، وكانت تقرأ نصف القرآن في ليلة واحدة ، وكان أخوها ابن سيرين إذا استشكل عليه شيء من القرآن ، قال: أذهبوا ، فاسألوا حفصة كيف تقرأ. ونهلت حفصة من معين علم النبوة منذ طفولتها عن طريق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً ونساء ، حتى

أصبحت العالمة التي تعلم على يديها الكثير من العلماء ممن يشار إليهم بالبنان ، كأيوب السخيتاني ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وهشام بن حسان ، وخالد الحذاء. وكانت حفصة تدخل مسجدها تصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار، ثم تخرج فيكون ذلك أوان وضوئها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها مرة أخرى ، وكانت كثيرة الصيام ، طويلة القيام ، وتقول خادماتها حينما سُئلت: كيف رأيت مولاتك حفصة؟ قالت الجارية: إنها امرأة سالحة ، كأنها أذنت ذنباً عظيماً ، فهي تبكي الليل كله وتصلي. وكان ذكر الموت لا يفارقها ، فهي تعلم أن الدنيا أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم فقد ذهب بعضها ، لذا كانت تتوقع الموت في كل لحظة ، حتى روي أنها كانت تحتفظ بكفن دائم لها هو جزء من ملابسها ، فإذا حجت وأحرمت لبسته ، وإذا جاءت الأيام العشرة الأخيرة من رمضان لبسته لتقيم فيه. وروي أحد تلاميذها عنها قال: كانت تجلس إلينا وهي العجوز وقد لبست جلبابها وتنقبت به حتى إن أحدهم أشفق عليها ، فقال لها ذات يوم: رحمك الله أما قال تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ)؟ فقالت له بهدوء: وأي شيء بعد ذلك؟ فأتتم الآية ، وقرأ: (وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُنَّ) ، فترد عليه: في هذا إثبات الجلباب ، وهكذا كانت تأخذ بالعزائم ولا تتبع الرخص. وكانت حفصة تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب. وروي عن إياس بن معاوية قال: ما أدركت أحداً أفضله عليها - يقصد حفصة - ، وقال: قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة ، وعاشت سبعين سنة ، فذكروا له الحسن وابن سيرين فقال: أما أنا فما أفضل عليها أحداً. ويقول ابن أبي داود: سيدتا التابعيات حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن وتليهما أم الدرداء ، وعن هشام بن حسان قال: قد رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحداً أرى أنه أعقل من حفصة. وقال عنها الذهبي: روت عن أم عطية ، وأم الرانح ، ومولاها أنس بن مالك ، روى عنها أخوها محمد ، وقتادة ، وأيوب ، وخالد الحذاء ، وابن عون ، وهشام بن حسان ، وقال مهدي بن ميمون مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة أو قضاء حاجة. سطع نجمها في أيام بعيدة ، حيث كانت متميزة بين نساء عصرها بقوة شخصيتها ، وشدة حيائها وامتثالها لأوامر الله ، فكانت لا تزاحم الرجال ، ولا تبدي زينتها ، وكيف لا وأبوها هو ابن سيرين ، من الأتقياء ، وعلم من أعلام الزهد والورع والتقوى والفقه والفراسة؟ نهلت من هذا النهر الفيض ، وكانت امتداداً لجذور سالحة أثرت في حياتها وهي من عابدات البصيرة ، وكانت ذات همة عالية في طلب العلم حتى بلغت درجة عالية ، روت به ظمأ طلابه ، وجلت به القلوب. قال عنها إياس بن معاوية: ما أدركت أحداً أفضله على حفصة بنت سيرين ، حيث بلغت شأناً عظيماً في حفظ الحديث الشريف وروايته ، حتى أصبحت عند رجال الحديث من الثقات ، فروت عن أخيها يحيى وأنس بن مالك ، وأم عطية الأنصارية وغيرهم ، وروي عنها محمد بن سيرين ، وقتادة ، وقال عنها يحيى بن معين: ثقة وحجة ، وذكرها ابن حبان في الثقات. والثابت أن حفصة رباها أبوها على العلم ، فآثمر فيها نهماً شديداً لطلبه والسعي إليه ، حتى أنها لم تكن تتلذذ بنوم طالما وجدت فرصة لتحصيل العلم كما أنها ربطت نفسها بعلماء زمانها ، لتتلقى عنهم العلم النافع والمعرفة الصافية ، حتى وصلت إلى درجة رفيعة من الفقه والحديث ، وكان أهل العلم يرجعون إليها عند الاختلاف وتحري الحق ومعرفة الصواب ، ويقرأون عليها القرآن ، وإذا استشكل على حفظة القرآن شيء ذهبوا إليها لسؤالها. سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) قالت: يا رسول الله ، أهم الذين لا يقومون بعمل صالح ويرجون رحمة الله؟ فقال لها: لا يا عائشة ، ولكنهم الذين يقومون بالأعمال الصالحة ويخشون أن لا تقبل منهم. وحفصة كانت من هذه النوعية من العباد ، كانت دائمة الخشية من أن لا يتقبل الله منها. كانت حفصة على حظ عظيم من صلتها بربها ، ولم يرها من حولها إلا في ذكر وطاعة وصيام وصلاة ، وترسخت في قلبها قواعد الفضيلة من حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وحب دينه بفضل تربيتها ، فكانت ذكراً وعملاً صالحاً لهما دنيا وآخرة. وقد جنيا ما غرست يمينهما! وكذلك كان الهذيل ابن حفصة سليل الظهر والعفاف والتقى. وكان شديد البر بأمه. قالت حفصة: كنت أجد قرة (البرد الشديد) فكان الهذيل بن حفصة إذا جاء الشتاء جاء بالكانون (آنية لها حافظان لحجز النار) ، فيضعه خلفي وأنا في مُصلاي ، ثم يشعل النار ليدفني ، ويمكث إلى ما شاء الله. وقالت: فلما مات رزقتي الله من الصبر ما شاء أن يرزق ، وكان سلوك حفصة وانشغالها بربها دافعاً للولد الصالح وعوناً له على طاعتها وبرها وإكرامها وحببه الشديد لها وعنايته بها. هي من التابعات العالمات العابدات الزاهدات اللواتي تربينا في كنف صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسلمن راية الإسلام منهم ، وكن امتداداً للنماذج الفكرية والعملية لمنهاج النبوة. اغترفت حفصة من معين علم النبوة منذ طفولتها عن طريق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً ونساءً ، كانت حفصة تدخل مسجدها تصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار ، ثم تخرج فيكون عند ذلك وضونها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها مرة أخرى. رزقت حفصة بولد وحيد بار بها غاية البر ، امتحنها الله بوفاته وهو في مقتبل العمر ، فصبرت واحتسبت ، وتروي هي بره لها وصبرها على وفاته فتقول: بلغ من بر ابني الهذيل بي أنه كان يكسر القصب في الصيف فيوقد لي في الشتاء ؛ لنلا يكون له دخان ، وكان يحلب ناقته الغداة فيأتيني به فيقول: اشربي يا أم فإن أطيب اللبن ما بات في الضرع ، ثم مات فرزقت عليه من الصبر ما شاء الله أن يرزق. فكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن. قالت: فأتيته ليلة من الليالي هذه الآية: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ، فذهب عني ما كنت أجد. وفي سنة 101هـ يختارها الله إلى جواره ، عن نحو سبعين عاماً ، قضتها في العلم والعبادة ، وكان في مقدمة من حضر جنازتها عالما البصرة الحسن البصري وأخوها محمد بن سيرين ، وقد بقي تلامذتها من بعدها ينشرون علمها ، ويتحدثون بمناقبها ، فرحمها الله رحمة واسعة. وكان لها ستة إخوة غيرها، كلهم يقرءون القرآن ، ويشغلون بالحديث. وكانت حفصة تحب العلم، وتبذل في سبيله كل غالٍ ونفيس ؛ لأنها تعلم أن العلماء ورثة الأنبياء ، كما عرفت حفصة بشدة تمسكها بتعاليم الإسلام الحق ، وطاعتها لله ورسوله. وتوفيت حفصة رضي الله عنها في العام الثاني والتسعين من الهجرة ، وقيل: الحادي بعد المائة ، وقد بلغت من العمر سبعين عاماً).هـ. وعن مقال للأستاذ إبراهيم الزبيق في المجلة العربية بتصرف: (حفصة بنت سيرين عالمة القارئة ، والناسكة الزاهدة ، والحكيمة الصابرة. قالت بينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون) ، ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ، قالت فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد. بلغت حفصة في العلم مبلغاً لا يجاريها فيه نظيراتها من نساء عصرها كما ذكر ذلك الإمام الذهبي ، وتلت أباها محمداً في الشهرة علماً

وورعاً ، وقد عرف أخوها محمد حقها - وهو أحد تلامذتها - فكان إذا أشكل عليه شيء في قراءات القرآن يقول لتلامذته: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ. كانت حفصة تتمنى أن تختتم حياتها بالشهادة ، وكانت قد سمعت من أنس بن مالك حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم: بأي شيء تحبين أن تموتي؟ لم تتردد أن قالت بحزم: بالطاعون. ولكن الله لم يقدر لها ذلك). من أجل ذلك كله كانت هذه القصيدة عن حفصة بنت سيرين - رحمها الله رحمة واسعة! وإن امرأة بحجمها لجديرة بأن يقصد الشعراء في مناقبها الكثير! وأنا هنا أعني شعراء العقيدة والتوحيد ، لا الشعراء الذين شغلهم المغنون والراقصات عن أمثال بنت سيرين!

يا شعرُ غُذبي إلى مرابع العُصم	واشـحذ عـزائـمنا بطيـب السـيـم
نعم الـديارُ بهـا من كل رائـدةٍ	في العلم والفقه والأخلاق والقيم!
نعم الـديارُ زكـتُ ، وطاب سُودُها!	أنعم بجيـل بحبـل الله معتصـم!
نعم الرعيـة ، والإسلام يحرسُها	مِن كيد جمع سقيم الفهم منهزم!
نعم النـساءُ هـداهن المليكُ إلى	درب الرشاد ونور المنهج اللقم!
كم فيه من فـذةٍ عمت فواضـلها	لمادعتُ للهـدى بخيره الـتم!
وكم حوتُ كتبُ التاريخ من خبر	عن فضلياتٍ لنا في كل مصطدم!
عن الأدبيات سـلٌ في كل باديةٍ!	وفي الحواضر سلٌ عن عقائل عُصم!
يا (بنت سيرين) حُزتِ المجدَ أجمعه	وصرتِ بالعلم فضلى في نرى القمم
درستِ غيرك دينَ الله عن رغب	وذاع صـيتك في الأعراب والعجم
وفي الفتاوى بذلتِ العلم في مـلأ	فكنتِ كالنجم ، أجلي حالك الظلم
وكنتِ في الجود بالتعليم مدرسة	تهدي وتشرحُ شرحاً بالغ العظم
وعشتِ ما عشتِ في عز وفي شرفٍ	والله خصّك بالأخلاق والشيم
وقمتِ ليـلك ، والقـرآنُ يصـحبه	بدمع قانتةٍ - في الليل - منسجم
وكم تصدقتِ بالأموال في ثقةٍ!	وأنتِ أهلُ العطا والجود والكرم
وكم بذلتِ خيـوراً لا أعـددها!	إذ ليس يقوى على تصويرها قلـمي
وكم حملتِ على الطاعات من غفلوا!	وظاعة الله أسّ الخير والرُحم

والنصحُ يُذهب ما بالنفس من أضم
فعاف مجترمَ ما جاء من جُرم
فتاب كل فؤادٍ طيب فهم
حتى أقيمت قناعات على دَعَم!
لذا سلمت من الأخطاء والتهم
بمالديك من الإقناع والحكم!
دينٌ ولا كل ما في الأرض من نظم!
بلوم داعية أعتى من الخَم!
إليك ، إذ فقت آفاً من العمم
وذاك فضل المليك الواحد الحكم
والعلمُ مجدٌ تليدٌ بالغ العظم
فكم أشدت بفؤاد نابه علم!
على يدك علوم الشرع والسلام!
وأنت علمت من لَمالديك ظمي
كفارس - في لقاء المعتدين - كمي
ودأبها - في التحدي - جدّ معتم
أو استضاءت سما بالشمس والنجم
أنته من سائر الأوزار واللمم!
سجلت تزكيتي وحسن مختمي
بل عشت أحسبها من النسا الغُصم!

وكم نصحت بلا خوفٍ ولا حرج!
وكم وعظت فرد الوعظ من وعظوا!
وكم طرقت قلوباً في مناظرة!
وكم دحضت - لدى التنظير - من شُبّه
وسُقت برهان ما قدمت من زبد!
وكم أزلت - بدنيا الناس - من بدع
وكم زجرت عصاة ليس يردعهم
وكم أخذت على أيدي من انحرفوا
وجاء قوم إلى (محمد) ، فعزا
قال: اسألوها الذي دقت مسائله
فجبت بالعلم آفاً مؤسعة
وكنيت للفقها أرجى معلمة
و(السختياني) و(الحداء) كم درسا
وللسدوسي في الأصول مدرسة
ولابن حسان جهد لا نظير له
سبعين عاماً وما كالت ولا اعتذرت
عليك رحمة ربي ما ازدهى قمر
رباه فاغفر لها كل الذنوب وما
إني بهذا الدعا عن خير عالمة
ولا أزكي على - رب الورى - أحداً

فيسبوا الله عدواً بغير علم!

(وتأتي هذه القصيدة ترجمة لموقف مرير حدث بيني وبين أحد المنتسبين إلى الإسلام زوراً وبهتاناً! كان قد قصدني لأخذ بعض الكتب المكررة الطبقات عندي ، في محاولة منه لإثراء مكتبته العامة التي احتال بها لأخذ بيت وقطعة أرض مجانية وقد كان له ما أراد! ولم أمانع في إعطائه الكتب المكررة بغية المنفعة لي وله. وعندما وفيت لاحت له فكرة بيع بعض الكتب التي ليس هو بحاجة إليها لأنها مكررة عنده على أن يعود بثمنها عليّ فلم أعارض. وعندما جاء المشتري فإذا بهذا الوسيط يساوم في مقاسمتي الثمن! فقلت: لا ، لأنها كتبتي أنا وليست كتبك أنت. فاختلنا ، لأنه لم يقبل. فقلت: إذن أخذ كتبتي ولا أعير ولا أبيع! فلما علم بقراري هذا ، سب دين الكتب ودين من ألفوها! مع علمه بأنها كتب إسلامية في غالبها الأعم ، وحتى الذي ليس له عنوان إسلامي منها فهو وثيق الصلة بالإسلام من قريب أو من بعيد! فعجبت من أمره يسب علماء ومؤلفين وكتاباً مسلمين أمثال النووي وابن حجر وابن كثير والقرطبي والطبري وابن حزم والسيوطي وغيرهم! مع علمه بهم واحداً واحداً ، حيث إنه اطلع على القوائم التي تحوي أسماءهم وعناوين كتبهم! فلما عدت إلى نفسي ، لمت نفسي لوماً شديداً أنني تعاملت مع إنسان ظاهره الإسلام ولما يدخل الإيمان قلبه! ذلك أن مسلماً مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يمكن أن يجترئ على سب دين الله بهذه السهولة مختاراً دون إكراه! ولمت نفسي كيف غفلت عن النص الكريم: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) ، ورحت ألومه على ذلك فأعرض عني ، وأشاح بوجهه ، ورد الكتب وكله غيظ وكمد ، أسأل الله أن يحاسبه بعدله لا برحمته! حيث إن ابنه أخبرني على إصراره على موقفه من السب واللعن! وهذا نص فتوى الأزهر في حكم من سب دين الإسلام أنه كافر بلا خلاف: سئل الإمام أحمد بن حنبل (241 هـ) رضي الله عنه عن إنسان قال لرجل: "يا ابن كذا وكذا أنت والذي خلقك" (يشتم الله تعالى) ، فقال الإمام أحمد: "هذا مرتد عن الإسلام" سماه مرتداً كما في مسائل الإمام أحمد لابنه عبدالله. وقال الإمام ابن سحنون المالكي رضي الله عنه (265 هـ) "أجمع العلماء على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم كافر" ، سماه كافراً ، وسُحنون بضم السين وفتحها اسم طائر ، وهو من أئمة المالكية من السلف الصالح من أولياء الله تعالى. وفي كتاب الله تعالى: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" ، هذه الآية دليل على أنه لا ينفع التلطف بالشهادتين مع استقرار الكفر في القلب والعياذ بالله تعالى ، كمن يعتقد أن لله جسماً أو شكلاً أو هيئة أو صورة أو مكاناً. والشرط اللازم للذي يحصل منه كفر بالفعل أو القول أو الاعتقاد ، أن يخرج منه إلى الإيمان بالتشهاد فوراً بلسانه مع صحة الاعتقاد. ولا ينفع مع استمرار فساد الاعتقاد قول الشهادتين باللسان إلا أن يبرأ من الكفر الذي في قلبه. والآية نهت أولئك الأعراب عن ادعاء الإيمان لما يبطنونه من كفر في قلوبهم. قال القرطبي وغيره في تفسير الآية إنها نزلت في منافقين من الأعراب أسلموا ظاهراً الإسلام اللغوي بمعنى الانقياد الظاهري بلفظ الشهادتين ولم تؤمن قلوبهم ، فلا يكونون والحال كذلك مؤمنين في الحقيقة. ولكن نحن نعامل أمثالهم معاملة المسلمين لخفاء حقيقة حالهم علينا وإن يكونوا في الحقيقة كفاراً لا اعتقادهم ما يناقض الإسلام. أما من أظهر لنا الكفر بلسانه أو فعله أو عرفنا حقيقة اعتقاده الفاسد ، فحكمه على حسب ما يظهر منه كما نص على ذلك الإمامان أحمد وابن سحنون ، ومثل ذلك من أمثلة وافر كثير في كتب فقهاء المذاهب الأربعة. فعرفنا أن الحكم في سب الله ودينه وأنبياؤه أنه كافر خارج من دين الإسلام لقول الله تعالى في محكم الكتاب المعظم

في سورة التوبة واصفاً الكفار: "وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ". فمن اعتبر هؤلاء مع ذلك مؤمنين فقد ناقض كتاب الله وردّ كلام الله سبحانه. ومن قال بخلاف ما قال الله تعالى فكأنما يقول إن القرآن فيه خطأ ، وهذا ضلال مبين. ولزيادة الفائدة هذا نص فتوى الأزهر في من سب دين الإسلام أنه كافر بلا خلاف ، ومسبة الله أظهر في كونها كفراً والعياذ بالله تعالى: الموضوع (676) سب الدين كفر. المفتي: فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم. 21 شوال 1352 هجرية - 6 يناير سنة 1934م سنل المفتي: تشاجر شخصان وتنازعا فذهب الأول إلى الثاني يستسمحه عما حدث واستعطفه باسم النبي الكريم بأن قال له (أرجو السماح عشان خاطر النبي الي زرته) أي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأجابه الثاني بقوله: يلعن دين النبي اللي زرته. أي أنه سبّ دين النبي صلى الله عليه وسلم. فما حكم الدين في مثل هذا الحادث ، أجاب المفتي: نفيد بأن من قال هذه الجملة الخبيثة المذكورة (يلعن دين النبي الذي زرته) فهو كافر مرتد عن دين الإسلام بلا خلاف بين أئمة المسلمين، والأمر في ذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان).هـ. وقال الأستاذ أبو صخر السلفي في مطويته: (أيها المسلم كن على حذر من هذا المنكر العظيم فإن الذين يسبون الذات الإلهية قد حكم الله عليهم باللعن والطرده من رحمته الواسعة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا). ويقول سبحانه وتعالى (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ). وتأمل - يا عبد الله - كيف شنّ الله تعالى حرباً على من ينسب الولد إليه في كتابه فقال سبحانه: (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا). ولا شك أن سب الله صراحة أسوأ من نسبة الولد إليه سبحانه ، (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ). إن علماء الأمة من المذاهب الأربعة من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم قد نصوا على كفر الساب للدين أو للنبي الكريم أو لرب العالمين ، بل وحكوا على ذلك إجماعات أهل العلم ، وأن من فعل ذلك يعتبر مرتدّاً ويخرج من ربة الإسلام. "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من سب الله أو سب أحد من الأنبياء فاقتلوه) وقال ابن عباس رضي الله عنه: (أيما مسلم سب الله أو سب أحداً من الأنبياء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب فإن رجع ، وإلا قتل) وقال ابن راهويه وهو أحد الأئمة الأعلام: (قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسول الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرأً بما أنزل الله). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن من سبّ الله تعالى أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفراً ظاهراً وباطناً ، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم ، أو كان مستحلاً له ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده) ، وقال القاضي أبو يعلى في المعتمد: (من سب الله أو سب رسول الله فإنه يكفر سواء استحل سبه أو لم يستحله). وقال الإمام احمد رحمه الله (كل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب تبارك وتعالى فعليه القتل مسلماً كان أو كافراً وهذا مذهب أهل المدينة). (الصارم المسلول). وقال ابن قدامة: (من سب الله تعالى كفر ، سواء كان مازحاً أو جاداً). (المغنى). وقال الشيخ ابن باز في فتاوى نور على الدرب: (أجمع العلماء قاطبة على أن المسلم متى سب الدين أو تنقصه ، أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو انتقصه ، أو استهزأ به ؛ فإنه يكون مرتدّاً كافراً حلال الدم والمال يستتاب فإن تاب وإلا قتل).هـ. وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في فتاوى نور على الدرب: (من سب دين الإسلام فهو كافر سواء كان جاداً أو مازحاً ، حتى وإن كان يزعم أنه مؤمن فليس بمؤمن ، وكيف يكون مؤمناً بالله عز وجل

وبكتابه وبدينه وبرسوله وهو يسب الدين ، كيف يكون مؤمناً وهو يسب ديناً قال الله فيه: (ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وقال الله تعالى فيه: (ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال الله فيه: (إن الدين عند الله الإسلام) ، كيف يكون مؤمناً من سب هذا الدين ولو كان مازحاً إذا كان قد قصد الكلام فإن من سب دين الإسلام جاداً أو مازحاً فإنه كافرٌ كفاً مخرجاً عن الملة! عليه أن يتوب إلى الله عز وجل وسب الدين مازحاً أشد من سبه جاداً وأعظم ذلك لأن من سب شيئاً جاداً ، وكان هذا السب واقعاً على هذا الشيء فإنه قد لا يكون عند الناس مثل الذي سبه مازحاً مستهزئاً وإن كان فيه هذا الشيء والدين الإسلامي والحمد لله دينٌ كامل كما قال الله عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم) ، وهو أعظم منة من الله بها على عباده كما قال: (وأتممت عليكم نعمتي) ، فإذا سبه أحد ولو مازحاً فإنه يكفر فعليه أن يتوب إلى الله ويقطع عما صنع وأن يعظم دين الله عز وجل في قلبه حتى يدين الله به وينقاد لله بالعمل بما جاء في هذا الدين). هـ.

وقال العلامة ابن باز في معرض الرد على مسألة سب الدين ما نصه: (سب الدين سب كفر أكبر وردة عن الإسلام عند جميع العلماء ، ما فيه خلاف ، ذكروا هذا في باب حكم المرتد ، من سب الله ، أو سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، أو سب بعض الرسل غير محمد - صلى الله عليه وسلم - كان يسب نوح ، أو هود ، أو آدم ، أو غيرهم من الرسل والأنبياء كفر بإجماع المسلمين ، وهكذا إذا سب الإسلام ، سب دين الإسلام ، أو استهزأ به يكون كافراً عند جميع أهل العلم ؛ لقول الله تعالى: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ). ولأن سب الدين مضمون بالكرهية له وإنكاره ، والله يقول سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ). فالواجب على المؤمن أن يحذر ، نعم الواجب على كل مسلم ومسلمة الحذر ، وأن يحفظ لسانه ويصون لسانه عما يجزه إلى الردة عن الإسلام ، كسب الدين والاستهزاء بالدين ، أو الاستهزاء بالقرآن ، أو سب القرآن ، أو سب الرسول ، أو سب الله ، أو سب بعض الأنبياء الآخرين كله ردة ، كله ردة كفر بعد الإسلام - نعوذ بالله - ، واختلف العلماء هل يستتاب ، أو لا يستتاب. وقال بعضهم يستتاب فإن تاب وإلا قتل. ويعزر أيضاً ولو تاب ، يعزر عن فعله القبيح بالجلد ، والسجن ، ونحو ذلك ، وقال آخرون لا يستتاب ، بل يقتل حداً ، يقتل كافراً ، ولا يستتاب ، ولا يدفن ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، لأن الجريمة له عزيمة ، وكفره عظيم ، والأقرب عندي والله أعلم القول بالاستتابة ؛ لأنه قد يقع عن جهل ، قد يقع عن غضب شديد ، قد يقع عن استفزاز من بعض الناس ، فكونه يستتاب ويبين له خطاه وظلمه لنفسه ، وأنه أتى جريمة عظيمة ، وكفراً عظيماً ، فإذا تاب رفع عنه القتل ، لكن لا مانع من كونه يؤدب ، يؤدبه ولي الأمر ، الأمير ، أو القاضي يؤدبه عن هذا بجلدات ، أو بسجن ، أو نحو ذلك مع التوبيخ حتى لا يعود لمثل هذا). هـ. وأما الأستاذ محمد المنجد فبعد أن فصل الحكم فيمن سب دين الله أو استهزأ به فتح باباً للتوبة بشروطها فقال ما نصه: (الاستهزاء بدين الله ، أو سب دين الله ، أو سب الله ورسوله ، أو الاستهزاء بهما كفر مخرج عن الملة. ومع ذلك فإن هناك مجالاً للتوبة منه ، لقول الله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). فإذا تاب الإنسان من أي ردة كانت توبةً نصوحاً استوفت شروط التوبة الخمسة ، فإن الله يقبل توبته. وشروط التوبة الخمسة هي: * الشرط الأول: الإخلاص لله بتوبته ، بأن لا يكون الحامل له على التوبة رياء أو سمعة ، أو خوفاً من مخلوق ، أو رجاء لأمر يناله من الدنيا فإذا أخلص توبته لله وصار الحامل له عليها تقوى الله عز وجل والخوف من عقابه ورجاء ثوابه ، فقد

أخلص لله تعالى فيها. * الشرط الثاني: أن يندم على ما فعل من الذنب ، بحيث يجد في نفسه حسرة وحرزناً على ما مضى ، ويراه أمراً كبيراً يجب عليه أن يتخلص منه. * الشرط الثالث: أن يقلع عن الذنب وعن الإصرار عليه ؛ فإن كان ذنبه ترك واجب قام بفعله وتداركه إن أمكن ، وإن كان ذنبه بإتيان محرم أفلح عنه ، وابتعد عنه ، ومن ذلك إذا كان الذنب يتعلق بالمخلوقين ، فإنه يؤدي إليهم حقوقهم أو يستحلهم منها. * الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود في المستقبل ، بأن يكون في قلبه عزم مؤكد ألا يعود إلى هذه المعصية التي تاب منها. * الشرط الخامس: أن تكون التوبة في وقت القبول ، فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تقبل ، وفوات وقت القبول عام وخاص: أما العام ؛ فإنه طلوع الشمس من مغربها ، فالتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل ، لقول الله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ). وأما الخاص ؛ فهو حضور الأجل ، فإذا حضر الأجل فإن التوبة لا تنفع لقول الله تعالى: (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ). هـ. نفع الله بك يا أستاذنا المنجد وجزاك خيراً كثيراً! نقلت هذه النقول من الأزهر وابن عثيمين والمنجد لنلا يقول قائل بأثني أعمد إلى أقول بكفر ساب الدين هكذا اعتباطاً!

تبقى مدى الدهر - بين الناس - مخذولا	ومستهاناً به دوماً ، ومردولا
ولا تعيش سوى كالكلب مبتذلاً	تهوى القفار ، وتستجدي المجاهيلا
وترتغ الدهر - في دنياك - محتقراً	تقلو الرشاد ، وتستهدي المخابيلا
وتستخف ، فيسعى خلفك السفها!	وفي البرايا تحيكون الأباطيلا
إلا إذا تبت ، فالغفران موعدة	وإن بقيت تجرعت التهاويلا
يا مجرمأ ، لا يعي حقوق ملته	لا عشت إلا حقير السميت ضليلا!
إنني لفظتك من قلبي وعاطفتي	إذ لا أصحاب من يزجي الأضاليلا
ولست بالجهل معذوراً ، فتخرجني	والقلب أصبح - من دعواك - مغلولا
فيم انتسابك للإسلام يا هزءاً	وأنت أكذب من عاشرتهم قبيلا!؟
أراك أسرفت في العصيان مجترئاً	وجعرت صوتك فينا ليس مغفولا
حاذر من الملك الجبار نقمته	من مجرم يفتري ظلماً وتضليلا
أملاك دهرأ ، ولم تنفعك موعظة	وفي الختام تجاهلت التماهيلا

مهاجرة إلى الله

(أورد الأستاذ عبد الرحمن محمود قصة سوسن هندي الفتاة المصرية النصرانية سابقاً في كتابه الرائع: (رجال ونساء أسلموا) فقال ما نصه بتصريف زهيد تاركاً المجال لسوسن تحكي لنا قصة إسلامها فتقول: (قصتي مع الإيمان قصة طويلة هي مشوار العمر كله ، فمنذ كنت طفلة صغيرة لا أعي شيئاً من حولي ، وبدأت أتعرف على الأشياء ، وجدتني مدفوعة بنهم للاطلاع والقراءة في كل أنواع المعرفة ، وكانت البداية قراءات وحوارات ولقاءات متعددة انتهت بي إلى إشهار إسلامي. هذا ما أكدته سوسن هندي التي كانت إلى وقت قريب فتاة نصرانية شديدة التعصب لعقيدها قبل أن تعلن إسلامها. قالت : إنني نشأت في أسرة نصرانية وكنْتُ الابنة الوحيدة بين أربعة أشقاء من الذكور ولذا كنتُ مدللة للغاية وتعلقت بالإسلام منذ الصغر قبل أن أصل لمرحلة التفكير ، ففي المرحلة الابتدائية كنتُ النصرانية الوحيدة في الفصل إلى جانب نصراني آخر ، وكنْتُ أحرصُ على حضور درس الدين الإسلامي مع زميلاتي ، وكان مدرس اللغة العربية بأسلوبه المحبب إلينا وشرحه المبسط يأسرنني بما يرويه عن الإسلام ، وفي المرحلة الإعدادية كنتُ أحرص على استعارة كتاب الدين الإسلامي المقرر وبي شغف شديد لاستيعاب كل ما فيه ، كذلك كان حالي في المرحلة الثانوية ، وكان كتاب (عبرية عمر) للأستاذ محمود العقاد الذي كان مقرراً علينا في المرحلة الثانوية ، نقطة تحوّل في تفكيري. وتضيف سوسن: إنه رغم تشبث أبي بنصرانيته وتردده على الكنيسة إلا أن مكتبته الخاصة بمنزلنا بها عدد كبير من الكتب الإسلامية ، وكنْتُ أتسلل إلى المكتبة في غيبته لأشبع نهمي للاطلاع المجرد بلا هدف ، وبالتدريج تكونت لدي الرغبة في المزيد من البحث عن المجهول بالنسبة لي من أجل العلم والمعرفة. في هذه المرحلة كنت نصرانية شديدة التعصب مواظبة على التردد على الكنيسة ، وكنْتُ أشعر بالغيرة على عقيدتي وهي تتضاءل أمام الإسلام ، وكنْتُ أتمنى أن أرى - وقتها - في عقيدتي المسيحية من القيم والمبادئ القويمة في العقيدة والشريعة والسلوك ما هو موجود في الإسلام ، وكان كل همي أن أستوعب "عبرية عمر" المقرر علينا رغبة في الحصول على درجة كبيرة في اللغة العربية التي أعشقها ، وحتى يتسنى لي الالتحاق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، ولم أكن أدري أن هذا القسم لا يلتحق به إلا المسلم أو المسلمة وشخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أذهلتني ، وقد كان عليّ - رضي الله عنه - محقاً عندما قال: [عقمت الأمهات أن يلدن مثل عمر] ، لقد أرسى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الدولة المسلمة سياسياً لكن عمر أرساها سياسياً وفكرياً معاً. وتمضي سوسن هندي قائلة: ولم تكن أسرتي تشعر بشيء بل كان والدي لا يرى مانعاً من مطالعتي للكتب الإسلامية لزيادة المعلومات لا أكثر ، كان هناك إنسان واحد يحس بي وبحيرتي ، قسّ شاب متفتح حر التفكير ، كان يقول لي: (أنت ملزمة بما ترين ، ولست بملزمة بنصوص الإنجيل التي تقلقك ، إنني أراك باحثة عن الحقيقة). وعندما علم بحزني لعدم التحاقني بقسم اللغة العربية ، أشار علي بقسم التاريخ ، وقال لي: (ستجدين في التاريخ ما تبحثين عنه)! وكان هذا القسّ يحمل ليسانس آداب قسم تاريخ. توفي القس ، وكم حزنت على وفاته ، فلم أشك لحظة واحدة في أنه مؤمن يكتم إيمانه ، وزاد حزني أن القسّ الذي حل محله ، كان على عكسه تماماً ، وكان يضيق بمحاورتي له ، وما أكثر ما قال لي: إنك تفسدين زميلاتك الشابات في الكنيسة. فقدت الثقة في الإنجيل ، وعندما التحقت بالجامعة حملت معي فكراً قلقاً بالنسبة لنصرانيتي ، وفقدت الثقة في الأناجيل وشروحها الكثيرة ولكنها على طرفي نقيض ، ولكن لا أكتمم سرّاً حين أقول: إن

الإنجيل كان عاملاً مساعداً لي على إشهار إسلامي وطالما وضعته أمام القرآن الكريم في إطار المقارنة فأحسست بأن لا وجه للمقارنة. وتضيف: كان الحوار بيني وبين الشباب المسلم داخل الجامعة على أشده ولكن بروح سمحة ، وما أن ينتهي الحوار حتى نعود أصدقاء. وفي السنة الأخيرة قررت أن يكون حوارني مع أستاذ بالكلية ، هذا الأستاذ كان على بينة من دينه في غير تعصب. وقبل امتحان السنة النهائية ، فاجأت الأستاذ بعزمي على الدخول في الإسلام عن اقتناع تام ، ودهشت عندما طلب مني أن أتريث حتى أنتهي من الامتحان ، لكنني أصررت على موقفي. وغادرت منزلي لأعيش في ضيافة أسرة إحدى زميلاتي حتى استطعت إشهار إسلامي ، جن جنون أسرتي التي فقدت كل أمل في أن أعود إليها ، وأبلغوا عني أنني مخطوفة ، ولكنني ذهبت إلى الأجهزة المختصة وكتبت إقراراً بأنني لست مختطفة. تزوجت مسلماً ، وتقول سوسن هندي: تزوجت شاباً مسلماً ملتزماً ، من الذين كنت أحاورهم في الجامعة ولم تتعد أو تتجاوز علاقتي به حدود الحوار ، ولكن ما إن علم بإعلان إسلامي حتى بادر بالتقدم لخطبتي وقبلت على الفور ، وكنت أعرف فيه دماثة الخلق وهدوء الطبع بالإضافة إلى استقامته والتزامه بدينه قد رحبت أسرته بي ترحيباً شديداً ، وأحسست بأنني في أمان بين هذه الأسرة المؤمنة ، وحاولت وكنت أود أن تكون هناك صلة بيني وبين أسرتي. فالحمد لله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: {وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي..} حاولت أن أكون على هذا المثال ولكن بلا جدوى. وقد رأى زوجي أن أبدأها بالزيارة ، وبالفعل قمت بزيارة أبي إلا أنه رفض هذه الزيارة ، ونصحني بعدم زيارة أمي وأخوتي. وأخيراً تقول: الحمد لله أنا الآن ربة بيت أبحث عن عمل يليق بي حيث أعيش مع زوجي وابنتي أسماء وإسراء ، وأكتب في بعض المجلات والصحف الدينية وشغلي الشاغل حالياً أن يظهر أول كتاب لي وهو "قصتي مع الإسلام". وفي نهاية مصنفه الرائع يقول الأستاذ عبد الرحمن عمر: (وفي النهاية لك يا من تبحث عن الحقيقة القدوة في صحابة الرسول صلي الله عليه وسلم الذين كانوا من أهل الكتاب ثم اعتنقوا الإسلام.. وسنورد هنا قصصاً لهم أعدها الدكتور محمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر. نبدأ بقصة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي ظل يبحث عن الحقيقة سنوات حتى وصل إليها. أتركك مع قصته العظيمة. إن قصة إسلامه مجموعة مواقف للبحث عن الحق ، تترفع عن المال والجاه ، بل تصل إلي موقف لا نعلم له مثيلاً حيث يفقد حرته ويبيع عبداً ويعمل خادماً. كل ذلك كي يحقق هدفاً إيمانياً يرضي الله به ، ويحظي فيه بلقاء خاتم الأنبياء والمرسلين. ففي صحيح البخاري عن سلمان الفارسي: أنه تداوله بضعة عشر من رب إلي رب. وتفيض كتب السيرة بقصة إسلام ذلك الصحابي الباحث عن الحق (راجع الروض الأنف ، والسيرة الحلبية ، والسيرة النبوية لابن كثير). وفي صحيح البخاري أنه من رامهرمز وفي رواية: ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبي فمن أصبهان. وكان أبوه مجوسياً له في المجوسية قدم حتى صار دهقان قريته أي كبير أهل القرية. وجعل ابنه يجتهد في المجوسية حتى كان قطن النار أي الخادم الذي يقودها (بفتح القاف وكسر الطاء). وذات يوم أرسله والده إلي ضيعة له يتولي شؤونها فمر بكنيسة وسمع أصوات المصلين بها فأعجبته صلاتهم وقال: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه. ثم عاد إلي أبيه عشاء دون أن يعمل شيئاً في الضيعة وقص عليه ما حدث ، فخاف الرجل علي ولده أن يترك دين أبائه فجعل في رجله قيداً وحبسه في بيته. لكن العقل الباحث عن الحقيقة يرفض القيد حسياً كان أو معنوياً ويتحين الفرص ويذهب مع وفد من

أهل الشام يسأل عن أفضل أهل هذا الدين علماً. فدلوه علي أسقف في كنيسة ، فجاءه يتعلم منه ويصلي معه ، ويشاء الله أن يكون هذا الأسقف ممن أشار إليهم القرآن الكريم في قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". يقول سلمان (فدخلت معه ، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلا ذهب وورق ، وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع). ويموت هذا الراهب ويخلفه آخر علي النقيض منه ، زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، دائباً في العبادة ، ويظل معه سلمان ويحبه حباً شديداً ، ويقوم معه زمناً حتى تحضره الوفاة، فاستشاره سلمان بمن يلحق بعده ، فأوصي به إلي رجل من "نصييين". ذهب سلمان إلي "نصييين" فوجد صاحبه خير رجل ، وما لبث أن نزل به الموت فأوصي به إلي رجل بـ "عمورية" من أرض الروم ، وأقام عنده سلمان واستقر به المقام ، واكتسب بقرات وغنماً يري بها. ومرة أخرى نزل بالرجل أمر الله ، فسأله سلمان: إلي من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال صاحب "عمورية": "أي بُني ، والله ما أعلم أصبح أحد علي مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجراً إلي أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفي ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل! ومات الرجل ، ومكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث ، ثم مر به نفر من تجار العرب فقال لهم: احملوني إلي أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه. وحمله التجار حتى إذا بلغوا وادي القري (مكان قريب من المدينة) ظلموه فباعوه عبداً لرجل يهودي ، ويشاء الله أن يأتي ابن عم لهذا اليهودي من بني قريظة فيبتاع سلمان منه ويحمله إلي يثرب. يقول سلمان: "فوالله ما هو إلا أن رأيتهما فعرفتاه بصفة صاحبي لها ، فأقمت بها ، وبُعث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلي المدينة. فوالله إنني لفي رأس عذق (النخلة) لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتي وقف عليه وقال: يا فلان ، قاتل الله بني قيلة (الأنصار نسبة إلي أهم قيلة بنت كاهل) ، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء علي رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي! فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتي ظننت أني ساقط علي سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل علي عملك. هنا تبدأ مرحلة تحقيق وتثبيت في حياة سلمان الدينية ، ويراوده الأمل في قرب الوصول ويحاول أن يستكشف الوصايا الثلاث التي حملها عن أسقف عمورية. يقول سلمان: "وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم. فقربته إليه. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لأصحابه: كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل. فقلت في نفسي هذه واحدة! ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي المدينة ، ثم جنته فقلت له ، إنني قد رأيته لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها. فأكل رسول الله صلي الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. فقلت في نفسي: هاتان ثنتان! ثم جئت رسول الله صلي الله عليه وسلم ببقيع العرقد ، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه ، وعليه شملتان ، وهو جالس في

أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدبرته انظر إلي ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ (ذكر السهيلي مجموعة روايات في خاتم النبوة منها أنه كان كآثر المحجمة يعني أثر المحجم القابضة علي اللحم حتي يكون ناتئاً وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود ، وقيل كالتفاحة أو بيضة الحمامة أو ركة العنزة. ويقع الخاتم بين كتفي النبي صلي الله عليه وسلم عند أعلي منقطع الغضروف في الكتف -الروض الأنف 1-206). فلما رأي رسول الله صلي الله عليه وسلم استدبرته عرف أن استثبت في شئ وُصف لي فألقي رداءه عن ظهره فنظرت إلي الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي. فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم: تحول. فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي.. " شغل سلمان الرق حتي فاتته مع الرسول الكريم بدر وأحد. ما الحل إذن؟ كيف يتخلص من الرق ، ويخلص للإسلام ، ويصفو قلبه من هموم الحياة المادية. أشار عليه النبي صلي الله عليه وسلم أن يكاتب سيده ، فكاتبه علي ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين أوقية من ذهب. وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان ، فأحضروا له النخل وحفروا معه أماكنها وقدم رسول الله صلي الله عليه وسلم ووضع بيده الشريفة وعُتق سلمان. وكانت أول مشاهده غزوة الأحزاب وأشار علي المسلمين بحفر الخندق حول المدينة وحين قسم الرسول حفر الخندق بين الصحابة والأنصار قال الأنصار: سلمان منا وقال المهاجرون: سلمان منا. فقال عليه الصلاة والسلام: سلمان منا أهل البيت! كذلك هناك قصة زيد بن سعنة رضي الله عنه أحد أحبار اليهود الذي أعتنق الإسلام: يحكي زيد فيقول: لم يبق من علامات النبوة شئ إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: - يسبق حلمه غضبه. - ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً. فكننت أتلطف له لأن أخالطه وأعرف حلمه وجهله ، فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم يوماً من الأيام من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب ، فأتاه رجل علي راحلته كالبدوي فقال: يارسول الله ، إن قرية بني فلان قد أسلموا وقد أصابتهم سنة وشدة ، فإن رأيت أنه ترسل إليهم بشئ تصيبيهم به فعلت. فلم يكن معه شئ! قال زيد فدنوت منه فقلت: يا محمد ، إن رأيت تبيني تمرأ معلوماً من حانط بني فلان إلي أجل كذا وكذا. فقال: لا يا أخا اليهود ، ولكن أبيعك تمرأ معلوماً إلي أجل كذا وكذا ولا أسمى حانط بني فلان. فقلت: نعم. فبايعني وأعطيته ثمانين ديناراً ، فأعطاها الرجل. قال زيد: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث خرج الرسول صلي الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصاري ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، فلما صلي علي الجنازة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تعطيني يا محمد حقي؟! فوالله ما علمتكم يا بني عبدالمطلب لسئ القضاء مطل! فنظرت إلي عمر وعيناه تدوران في وجهه ثم قال: أي عدو الله ، أتقول لرسول الله ما أسمع ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت سيفي برأسك! ورسول الله ينظر إلي عمر في سكوت وتبسم ثم قال: يا عمر ، أنا وهو إلي غير هذا منك أحوج ، أن تأمره بحسن الأقتضاء وتأمرني بحسن القضاء! اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روعته! قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني وزادني. فأسلمت. لقد أسلم زيد تصديقاً بالخلق العظيم للنبي الأمي فقد مر بتجربة عملية واستقرأ لملامح الشخصية واحتكاك مباشر بصاحب الدعوة حتي تتجلي الصورة واضحة بلا خفاء ، فإن المعاملة هي محك الخلق. إذاً لا بد من وقفة تأمل لحال هؤلاء الأعلام الذين أعلنوا إسلامهم. أعتقد بأنهم يبحثون عن زيادة في الشهرة والمنصب بعد ما وصل المسلمون لما وصلوا إليه أم أنهم فضلوا اتباع دين الحق من حيث أتى؟ وكان شعارهم الحق

أحق أن يتبع وآثروا علي مكانتهم الاجتماعية وشهرتهم العلمية ما سيواجهونه من تأثيرات مقابل إسلامهم ، هؤلاء العلماء والأعلام قد مهدوا لك الطريق للدخول في الإسلام بعد الدراسة المستفيضة والتعمق في المقارنة والتأكد الذي لا يقبل الشك كل في مجاله ، فلا تتردد إذا كانت الشهرة أو المنصب أو الوضع الاجتماعي تمنعك من إعلان إسلامك ، لأنك راحل من هذه الدنيا مهما بلغت من العلو ، وإنك ستنسى كما نسي من هم مثلك أو أفضل منك ، ولو دامت هذه الدنيا لغيرك ما وصلت إليك وعندها لا تساوي الدنيا كلها لحظة عذاب في الآخرة).هـ. وصدق الله القائل: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ". يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بتأويل ذلك: أنا دعوة أبي إبراهيم "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك" وبشارة أخي عيسى "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" ورؤيا أمي التي رأيت حين وضعتني قد خرج منها نور ساطع أضاعت منه قصور الشام). لعل من القراء من سيسأل سؤالاً فيقول: "إذا كانت أوصاف النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام موجودة إلى اليوم في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ، فلماذا لم يؤمن معظم الأحرار والقسيسين والرهبان به وهم أعلم الناس بما في كتابهم؟" لقد أسلم الكثير الكثير من القسيسين في زماننا هذا ومنهم إبراهيم خليل فلوبوس والقس عزت معوض وإسحاق مسيحة. وفوزي سمعان وعبد الأحد داود ومحمد مجدي مرجان ويوسف استس ووديع أحمد الشماس وأبو بكر موايبو وماركو كوريس وملقح فوقادو ورحمة بورنومو وعزت إسحق معوض وجان ماري دوشمان وماري واتسون وألدو ديمريس وكريست راجا والقس السابق محمد فؤاد الهاشمي وفريدريك دول مارك وموريس بوكاي وكيث مور والدكتور الفرنسي علي سليمان بنوا والألماني ألفريد كرونير والمجري عبد الكريم جرمانوس والصحفي الألماني حامد ماركوس والشاعر البريطاني وليام بيكارد والكاتب الأمريكي دونالدس روكيل والعالم البريطاني آرثر أليسون واللورد جلال الدين برانتون والأديب الفرنسي فانسيان مونتيه والعالم الكندية صوفي بوافير والفيلسوف الفرنسي رينيه جينو والمغني البريطاني كات استيفانس (يوسف إسلام) والدكتور روبرت كرين مستشار الرئيس نيكسون والممثل الأمريكي وول سميث والمغنية الألمانية كريستيان باكر وروجيه جارودي وغيرهم الكثير والملاحظ أن أغلب من أسلموا وأشهروا إسلامهم من قادة الفكر والأدب والعلم! وضروري جداً لمن يريد الوصول للحق والهداية أن يتوجه إلى الله فإنه سبحانه الهادي إلى سواء السبيل! ثم عليه أن يطالع ما كتبه هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم ممن كانوا على غير الإسلام ثم من الله تعالى عليهم بالإسلام! إن هؤلاء ومن شابههم كتبوا وتكلموا ، فليرجعوا إلى ما قالوه أو كتبوه أو نقل عنهم! فلربما كان ذلك حافزاً لهم على الاهتمام إلى الحق يوماً ما! وكذلك نحن المسلمين علينا بدراسة ما كتب هؤلاء لنذكر منة الله علينا إذ جعلنا مسلمين مؤمنين موحدين ، وجعل آباءنا وأمهاتنا وأجدادنا كذلك مسلمين مؤمنين موحدين! فأرسلت هذه التحية الشعرية للأخت سوسن هندي تعبيراً عن مدى تقديري واحترامي داعياً الله العلي القدير أن يثبتنا وإياها على الحق!

قد حصص الحق ، والبرهان يأتق وأصاحت (سوسن) الإسلام تعتق

وزايلت ملة التثليث عامدة ولم تعد - بذجى أهل الهوى - تثيق

للحق ، ما هزها خوفاً ولا فرّق
ولم يعدّ يحتوي أفرأحها أفق
مع الحنيفة السمحاء لا قلق!
والدمع - من كل عين - بات يندفق
ولم تنزل - في دروب الخير - تستبق
إلى المعالي ، وتستهدي بمن سبقوا
وليس يُهدرُ عزم الفذة النزق!
والحق دوماً - مع الفاروق - يتفق
في العدل - من رحم الإسلام - ينبثق؟
والدين يحملهُ الرئالة الصّدق؟!
مَن اجتَبَوْهُ - من المهالك - انعتقوا
عذب الثمار - من النضوج - تأتلق
لم تعبني بالألى - في شركهم - غرقوا
أصحابها بعزيف الكفر قد نعقوا!
تستقرنين إجابات الألى حدقوا!
دهراً ، وشذك - نحو الباطل - الملق
ورج قلبك رجسُ القوم والفرق
وسيفُ عزمك في المضاء مُمتشق!
لهاجس - في جواه - الشك والأرق
وبات أمرك - عن ماضيك - يفترق
وفارقت - أبداً - درب الذين شقوا!

واستهجنت دجل الرهبان ، وانتصرت
واستقبلت أمرها ، والشوق يُعمرها
وودعت كل شئ كان يُقلقها
والعيشة انبلجت أنواراً بهجتها
إذ أدركت أمرها من قبل ميبتها
تسعى بجد ، وتقوى الله تُرشدها
وليس يصرفها - عن رُشدها - خطل
وأعجبت بهدى الفاروق مُذ درست
ومن كمثل (أبي حفص) لمتبع
بعبد النبي وذا الصديق صاحبه
يا سوسن الخير بُشراك اتبعت هدى
هُزي إليك بجذع السلم ، وانتظري
كم التمسّت الهدى بعزم صامدة!
وكم تساءلت عن تثليث طانفة
وكم رجعت إلى كُهان ملتكم
كم التزمت بما قالوه من كذب
وكم بذلت سني العمر هينة
حتى أتيت إلى الإسلام راغبة
ثم اجتهدت ، ولم تستسلمي أبداً
درست دين الهدى ، ثم افتخرت به
فوفق الله فضلي دينه اتبعته

كفّ بعشرة آلاف دينار!

(اختلف ذلك الزوج مع زوجته! وفي الشارع العام وأمام الناس لطمها بكفه على وجهها الذي غطاه حجابها ونقابها! فغلبتها دمعها فبكت حتى بلت نقابها وخمارها وكُم درعها السابغ! فأسف الناس بما فيهم أحد معارفي ممن روى هذه الحكاية بعد أن عاينها! وكان الناس متفرجين سلبيين ، إذ لم يكن عند أحدهم نخوة ولا مروءة ولا حتى شجاعة أدبية يستطيع بها إيقاف هذا المفترى الغشوم عند حد! وذلك لأنه لم يكتف بالكف الواحدة بل كان ينوي المزيد! ونسي ذلك الجاهل أن هذه امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة إلا بالله العلي الأعلى! فإذا بأحد الأعاجم تتحرك فيه نخوة الرجولة ويقف حائلاً بينهما ويقول في ثقة ورجولة معاً: لا تصفعا يا أخي واجعل ذلك لي واصفعا لي أنا ، وصدقاً لن أرد عليك! بل سوف ألقى إساءتك وتطاولك باللين والتسامح! ولم يكن ذلك العجمي يتوقع أن الزوج الأحقق المتهور يمكن أن يضربه على وجهه بذات الكف ، وزاد حبات الطين بلة عندما بصق في وجه الرجل! فلما فعل أمام الناس ، رفع ذو المروءة كفيه إلى السماء وقال: اللهم تقبل واغفر وارحم وفرج! اللهم إني فعلت الذي فعلت في سبيل مرضاتك وابتغاء وجهك الكريم! فاللهم إن كنت فعلت ذلك لك فاصرف كيد ذلك الأحقق الجاهل! وصبر الرجل على البلاء! فما هو إلا أن يتم وجهه ذلك الجهول وولى مديراً ولم يُعقب ، أخرجت الزوج الضعيفة المسكينة المغلوبة على أمرها (عشرة آلاف دينار) من حافظتها وقالت: أجعل ذلك المبلغ هدية ومكافأة لك على مروءتك! فقال: لقد فعلت ذلك لله ولا أريد منك شيئاً! أنا أغنى منك! وأخرج الرجل نقوده من حافظة نقوده وقال: انظري ونادي في الناس: انظروا جميعاً أنا معي خمسة وستون ألفاً من الدنانير! أنا لست فقيراً أنا رجل أعمال وفي سيارتي ضعف هذا المبلغ! فأقسمت الزوج البائسة عليه بالله تعالى ليأخذنها إن كان فعلاً فعل الذي فعل ابتغاء الله! فأبتلني الموقف ، واحترت فيم أكتب نصي الشعري؟ وفيمن؟ هل في الزوج المتهور الغبي الجبار؟ وقلت: لقد كتبت فيه وفي أمثاله الكثير! وإذن فهل أكتب في الزوجة المنكسرة التي أهدرت كرامتها في ذلك الموقف السيئ البغيض؟ وأيضاً أراني كتبت في أمثالها الكثير! هل أكتب في أحد معارفي النذل الخسيس الذي اكتفى بالمشاهدة والتفرج دون أن يكون له أثر فاعل في الموقف البغيض؟ وقلت: كم كتبت عن الخذلان وأهله والخسة وأهلها! وأخيراً وقع اختياري على أن أجعله نصاً عاماً يستوعب القاصي والداني ممن حضر المشهد! واخترت له هذا العنوان المستقى أصلاً من الموقف الذي ليتني ما تخيلته ولا كتبت عنه! وهناك في موقع الإسلام اليوم وتحت عنوان: (عندما يكون الزوجان صديقين) جاء ما نصه: (السيدة ندى محمود الخبيرة في العلاقات الأسرية تقول: إن العطاء يستمر وينمو بالتشجيع والمكافآت ، ونادراً ما نجد إنساناً يستمر في العطاء من غير تشجيع أو مكافأة ، والعلاقة الزوجية كذلك تستمر ، ويستمر العطاء فيها بين الزوجين إذا كافأ كل طرف الآخر ، والمكافأة لا يُشترط فيها أن تكون مكلفة أو أن تكون مالية ، وأمامنا أفكار كثيرة تمكّن الزوجين أن يكافئ كل واحد منهما الآخر من غير أن تكلفه المكافأة شيئاً ؛ فهناك المكافأة النفسانية ، وهناك المعنوية وغيرها الكثير. والمكافأة الزوجية هي رمز التقدير والاحترام للعلاقة الزوجية ، وكلما كثرت المكافآت بين الطرفين كلما ازداد الحب وقوي الانسجام. فهناك مكافأة تتمثل في "الابتسام في الوجه" وهي تعطي الشعور بالتقدير للموقف الذي حصل بين الزوجين ؛ فتدعمه معنوياً ، وخصوصاً إذا ما أضيف إليها الإمساك باليد ، والشد عليها فإن ذلك يعبر عن الفرح والامتنان من التصرف الذي قام به أحد الزوجين و"الابتسام صدقة" كما أخبر الحبيب محمد صلى الله

عليه وسلم. وهناك مكافأة أخرى وهي "الشكر بحرارة وصدق" ؛ فالكلمة الطيبة صدقة ، وشكر أحد الزوجين للآخر على الموقف الذي وقفه يعطيه تأكيداً بأن عمله صحيح ومقبول عند الطرف الآخر ، ولكن بشرط أن يكون الشكر بصدق وحرارة. ولا ننسى مكافأة "التقدير العلني" كأن يمدح الزوج زوجته أمام الأبناء أو يمدح الزوجة زوجها أمام أهله أو يمدح أمام الأصدقاء بمعنى أن يكون المدح بصوت مسموع وعلني فيسعد الطرف الممدوح عند سماع هذا التقدير ، أو يفرح عندما ينقل له الخبر فيزيد عطاؤه وحبّه للعلاقة الزوجية. ولا يمكننا كذلك التقليل من أهمية "رسالة الشكر" ، وفكرتها أن يكتب أحد الزوجين رسالة شكر وتقدير على الجهود التي يبذلها الآخر من أجل العائلة ، ويغلفها بطريقة جميلة ، ثم يقدمها له على اعتبار أنها هدية ، فمثل هذه اللحظات لا تنسى من قبل الزوجين ، وتطبع في الذاكرة معنى جميلاً للحياة الزوجية. وهناك أمثلة كثيرة على المكافآت المجانية في العلاقة الزوجية، مثل إشراك الطرف الآخر في القرارات العائلية ، أو الموافقة على طلب لأحد الطرفين كان مرفوضاً سابقاً. وسائل لتنمية الصداقة بين الزوجين يرى د. عزت الشحات أستاذ علم النفس بجامعة المنوفية أن اشتراك الزوجين معاً في عمل بعض الأشياء الخفيفة كالتخطيط للمستقبل ، أو ترتيب المكتبة ، أو المساعدة في طبخة معينة سريعة ، أو الترتيب لشيء يخص الأولاد ، أو كتابة طلبات المنزل ، وغيرها من الأعمال الخفيفة ، والتي تكون سبباً للملاطفة والمضاحكة وبناء المودة وتدعيم الصداقة بين الطرفين. ويركز د. عزت الشحات على الكلمة الطيبة ، والتعبير العاطفي بالكلمات الدافئة الرقيقة بإعلان الحب للزوجة مثلاً ، وإشعارها بأنها نعمة من نعم الله عليه. وينبّه على الجلسات الهادئة ، وجعل وقت للحوار والحديث ، يتخلله بعض المرح والضحك ، بعيداً عن المشاكل ، وعن الأولاد وصراخهم وشجارهم ، وهذا له أثر كبير في الألفة والمحبة بين الزوجين. كما يركز على التوازن في الإقبال والتمتع ، وهذه وسيلة مهمة ، فلا يُقبل على الآخر بدرجة مفرطة ، ولا يتمنع وينصرف عن صاحبه كلياً ، وقد نُهي عن الميل الشديد في المودة ، وكثرة الإفراط في المحبة. ويلفت د. عزت الشحات إلى التفاعل من الطرفين في وقت الأزمات بالذات ، كأن تمرض الزوجة ، أو تحمل فتحتاج إلى عناية حسية ومعنوية ، أو يتضايق الزوج لسبب ما ، فيحتاج إلى عطف معنوي ، وإلى من يقف بجانبه ، فالتألم لألم الآخر له أكبر الأثر في بناء المودة بين الزوجين ، وجعلهما أكثر قرباً ومحبة أحدهما للآخر. أسباب الخلافات ويحدد د. إبراهيم فرحات أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة أسباب خلافات السنوات الأولى من الزواج ، والتي تقف به أحياناً على حافة الطلاق ، ومن ثم تزيد حالات الطلاق المبكر ، ويحصر هذه الأسباب في عدم جعل الدين هو الأساس الأول في اختيار الزوج "الزوجة" ، وعدم البساطة في الزواج ، ومحاولة توفير جميع الكماليات والتحسينات في عيش الزوجية ، ولو أدى ذلك إلى إضافة أعباء مادية قد ترهق الزوج أو تجعله مديناً. ومن هذه الأسباب تطلع المرأة إلى من هي أعلى منها مادياً باستمرار ، ومحاولة محاكاتها وإرهاق الزوج بذلك. وكذلك عدم توافر الجو الأسري الذي يجمع بين الزوجين ليناقد كل منهما أحوال الآخر ويستمتع إلى مشكلاته. وتمسك كل طرف برأيه ، وعدم التنازل عنه ، أو الوصول إلى حلّ وسط. وتدخّل الأهل بمفاهيم خاطئة يبيئونها بين الزوجين (مثل القول للمرأة: أنت تعملين مثله فلا بد أن يكون لك رأي ، ولا تتنازلي عنه ، فهو ليس أفضل منك). وخروج المرأة للعمل واحتكاكها بمجتمع اختلط فيه الحق بالباطل ؛ فلم تعد المرأة تعلم حقها من واجبها. ومن هذه الأسباب أيضاً وسائل الإعلام وما تقوم به من غسيل مخّ في العلاقة الزوجية حتى صورتها على أنها علاقة ندية بين

اثنين ، وليست علاقة تكاملية ، حتى توهمنا أن الزواج عبارة عن حلقة مصارعة بين طرفين ، وكل طرف حريص على أن يحصل على أكبر قدر من المكاسب لصالحه! ويضيف د. إبراهيم فرحات أن الصداقة بين الزوجين ، تيسر عليهما أشياء كثيرة جداً وتخفف من حجم أي مشكلة كما أن حسن طاعة الزوجة لزوجها ، والعمل على استرضائه دائماً بالتقرب إليه بفعل الأشياء التي يحبها ، يجعلها دائماً حبيبتة وصديقتة. وندعو كل زوجة إلى فهم الطاعة ، لا على أنها الخنوع والذل للطرف الآخر ، بل على أنها عبادة تتقرب بها الزوجة الصالحة إلى ربها - عز وجل - وإذا كانت طباع الزوج سيئة ، ولم تعتد عليها الزوجة ففي صبرها على ذلك ، ومحاولتها تغيير هذه الطباع أجرٌ تُثاب عليه ، كما أن لها عظيم الأجر في إشعارها زوجها بأنه أول اهتماماتها في هذه الحياة ، وأنها لا تقدم عليه أي شيء آخر سوى الله. الصراحة بين الأزواج تبني الثقة والصداقة الكذب والمداراة وعدم المصارحة من أهم أسباب ضعف الثقة ؛ فالزوجة التي اعتادت الكذب وعدم الاعتراف بالخطأ تعطي الدليل لزوجها على ضعف ثقته بها وبتصرفاتها وعدم تصديقها وإن كانت صادقة ، والزوج الذي يكذب يعطي الدليل لزوجته كذلك. ولو التزم الزوج والزوجة الصدق والمصارحة لخفت المشكلات بينهما. والثقة لا تعني الغفلة ، ولكنها تعني الاطمئنان الواعي ، وأساس ذلك الحب الصادق والاحترام العميق وبناء ذلك يقع على الطرفين ، والمصارحة تدفع إلى مزيد من الثقة التي هي أعلى ما بين الزوجين ، وإلزام كل طرف بالصراحة منذ بداية حياتهما سوياً ، ولا يطلب الزوج الذكي من زوجته أو خطيبته أن تقص له بداية حياتها ، وإن طلب منها ذلك فلا يجب عليها أن تستجيب ، ويظهر بطلبه ذلك أنه لا يعرف شيئاً عنها وعن عائلتها. والسؤال كيف يرتبط بفتاة لا يعرف عن أهلها وبيئتها شيئاً؟ فيجب على الشاب أن يعرف ذلك كله قبل الزواج وليس بعده ، وهذا من حقه قبل الزواج ، وليس من حقه بعد الزواج أن يطالبها بسرد قصة حياتها ويطرح عليها الأسئلة التي لن تزيد إلا في الفرقة). هـ. وإذن فكان ينبغي علاج الموقف بين زوجي قصيدتنا بشيء من الحكمة والموعظة الحسنة! أما ضرب الزوجة أمام الناس في الشارع فمرفوض تماماً!

كَفَّ عَلَى الْوَجْهِ ضَاهِي جَذْوَةَ الْأَلَمِ	هوى على وَجْنةٍ عانت من الورم
أمام أعين مَنْ زاغت بصائرهم	لهول ما شهدوا في الموقف الوخم!
وضاربُ الكف ما شفتْ شهامته	عن المروءة والأخلاق والقِيم
تجاوز الحدّ في عُرف وفي خلق	ولم يكن - في الذي وافى - بمحترم!
ومدّ كفاً بلا حق ولا أدب	كأنه كف طاغوتٍ ومنّ تقم
وزوجُه عدمتْ - في الناس - منتصراً	لِمَا دهاها - من المكابر - الغشم
بكتْ وآلمها إهدارُ عزتها	على يد البعل ما عانى من الألم!
أزرى بزوجته أمام من شهدوا	ويح الحشيمة في العقائل العُصم!
ولم يُرغ سمعه لِمَا تقول به	في معرض الجدل المشفوع بالكلم!

من عقل كل لبيب حاذق فهم؟
يُبقي - لصاحبه - شيئاً من الإزم؟
حداثة السن في آفاق مختتم؟
وخلفت سُعراً في غاية الجحم؟!
وجئت شيئاً - بهذا - بالغ العظم!
وتلك من حكمة المهيمن الحَكم!
زوجية ربما باءت بسفك دم!
عن ضرب وجه ورأس يا أخ السلم؟
من ظالم ما رعى وشائج الرحم؟
على الحنيفة السمحاء في نهم
فكنت في موقف - بالخزي - متسم
إلى الرجولة في افترائك العمم!
بلفظة صُبغت بالبوُس والوصم
حتى يردك عن غي وعن غشم
ذي من قریش ، وحاميهما من العجم!
علاقة سَلِمَتْ من سيئ التهم!
روحي الفِداءً لما لا قيته ، ودمي!
والله كافيك - بي - ما كان من نِقم!
إنني أسفْتُ لدمع جَدّ منسجم
فما الفؤادُ - بما يلقاه - بالشبم
وهمة شمختُ في خانع الهمم

أين التفاهم يُجَلِي كل مُعضلةٍ
أين التريث يجتاح الخلاف ، فلا
أين اصطبارك في البأساء ما رحمتُ
أين احتمالك في البلوى إذا اشتعلتُ
أهنت نفسك قبل الزوج يا لكعاً
ألم يكن رادعاً ضعفً به اتصفتُ؟
لو أنها اتصفتُ بالقوة انتحرتُ!
ألم يكن مانعاً نهى النبي لنا
ألم يكن كافياً بكأوهما فرقاً
لما أتيت الذي أتيت مُجترئاً
أدانك الناس من غر ومن فطن!
كشفت سترك - للعدال - مُفتقراً
ولامك الكل من غابوا ، ومن حضروا
وقيض الله شهماً لا نظير له
وحوال بينك والصبية ابتذلتُ!
الله أكبر سؤى السلم بينهما
وقال: لا تحزني يا أخت ، أو تهني
قفي ورائي بلا خوفٍ ولا وجل
دموغ عينيك تكوي قلب ذي نُبل
وبعض أهاتك الحرى تُمزقني
دمٍ ولحمٍ وإحساسٍ وعاطفة

بالحق قد عملوا ، من بعد ما علموا!
حتى ابتليت - من المصاب - بالسأم
تلك التي أجمت كفي بالبنم
وكنت أتعن من سعي على قدم!
إن احتساب الفتى يضيق بالندم
في محو ذنبي والعصيان واللمم!
أرد بغيك ، إنني - اليوم - كالصنم
قسطاً تصيرُ به في رقدة العدم!
لما بصقت على وجهي! فما جرُمي؟
تجيده - بطراً - في شرّ مختم
عشراً تشع الضيا في الجو كالنجم
من الحليل العتيّ الظالم الغلم!
لما غدا جرح قلبي غير ملتئم
يمينها في إباءٍ مُشرق سَنِم
بدمع عين - على الخدين - منفحم
وشكرُ أهل العطا من أنبل الشيم
من الثناء تخطى أعذب النغم!
في ثوب عز - من التوقير - محتشم!
إن الذي ذكرت لَوْنٌ من الحكم!
ولا تؤاخذ بما قالته من سيم!
والطف بعبدٍ - بدين الحق - معتصم!

ونية عُقدت على اللحاق بمن
ما أن بصُرتُ الذي عيناى قد رأتا
وزاد زوجك أوجاعي بلطمته
لئن رفعتُ يدي عليه ذبتُ أسى
لذا احتسبتُ ، ولم أندم على عملي
وقلتُ: رباه فأشهد أن لي أملاً
وقلتُ للزوج: زدني ما اشتهيت ، ولن
لو شئتُ زدتك من بأسى ومن غضبي
وزدت طينة هذا الملتقى بلاً
وكان سببك برهاناً على نزق
والزوج أخرجت الآلاف يانعة
قالت: أكافئ من ضحى لئبقذني
فقلتُ: كلا ، وأخرجت الألوف لها
فأقسمت - بمليك الناس - مشهرة
فقلتُ: أقبلها جبراً لخاطرها
فناولتني - من الشكران - أعذبه
والناسُ تسمع ما تُزجيه من ملح!
من عفة في سماء الطهر حائمة
فقلتُ: إنني لما قالته أكبرها
رباه فاغفر لها ما تلك تجهله
واجعلني خيراً إلهي من مزاعمها

لقطاء لا أبناء!

(حانت أيام الوضع الأخيرة مُختمة بالمخاض ثم الولادة لهذه المرأة المبتلاة المسكينة. ودارت دورتها على جميع المستشفيات في إحدى دول الماو ماو التي هي إحدى بلاد السراب الكبير. ورفضت جميع المستشفيات استقبالها بحجة أنها سوف تلد ثلاثة أبناء توأم! فقام الزوج بكتابة الإقرارات اللازمة من أنه سوف يقبل بأي نتيجة ابتداءً من وفاة الأم أو الأبناء أو نجاة الكل ، وأوضح أن الأمر كله لله! فلم يُنصت له أحد! وإذا به يجد نفسه وزوجه أمام مشكلة لا حل لها! فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله! واتصل بكل من يظن أن لديه القدرة على مساعدته ، ولكن دون جدوى. ولاحت ساعة الإجابة حيث اقترحت إحدى النساء أن تدخل المرأة المستشفى التي تريد مُستخدمة بطاقتها هي! وقد كان ، حيث كان هدف الأب والأم هو الولادة بسلام بقطع النظر عن أي عواقب بعد ذلك. فلما ولدت المرأة أبناءها الثلاثة طبعاً بدون رسوم ، لأن صاحبة البطاقة المتحلة من بُنيات دولة الماو ماو. وكانت سعادة غامرة للأسرة المبتلاة! وكان احتفالاً وشكر وعزائم وولائم بمناسبة سلامة الأم والعمران الثلاثة الذين بدأ ابتلاؤهم قبل أن يولدوا! وبدأت مشكلة عويصة لا حل لها تظر على السطح ، ألا وهي مشكلة تسجيل الأبناء. إذ لا يمكن تسجيلهم إلا باسم الأم التي اسمها في البطاقة! فكان حوار وتشاور مع أولي النهى من المعارف والأصدقاء ، فاستقر الأمر في الختام على تسجيلهم عن طريق شخص محايد على أنهم لقطاء لا أبناء ، فسجلهم باسم أبيهم الحقيقي وأهم الحقيقية ولكن على أنهم لقطاء! إنني أدرك جيداً أن الطواغيت قد نزعت الرحمة من قلوبهم نزعاً! ولكنني في الوقت ذاته أورد أحاديث صحيحة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لعل واحداً منهم يعود إليه ضميره الميت ويرحم الناس حتى يرحمه الله! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنزع الرحمة إلا من شقي". وعن عمرو بن حبيب الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أياها الناس ، إنما أنا رحمة مهداة". وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته أن ابنها قد احتضر ، فاشهدنا فقال: "ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب" ، فأعادت الرسول أنها قد أقسمت لتأتينها. "فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم" وقمنا معه. فلما دخلنا ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقعقع كأنها شن ، "ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء". وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن العقل في القلب ، والرحمة في الكبد والرأفة في الطحال ، والنفس في الرئة". والمهم أنني استغرقت في الشجن ، وتخيلت الأب والأم ينعيان حالهما وحال أبنائهما في ظل التعقيدات الماوماوية السرابية الظلامية تلك! فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا النعي!)

خـاب الضلال ، وأزهق الطغيان! وطوى جموع الظالمين هوان!

ودهاهمُ التتبيـرُ والخسران
ونعاهمُ الأهلـون والأعوان!
حتى طغت فوضى ، وزال أمان!
وعلى الفساد كبرهم معوان
وبدارهم أمسى الرشاد يُهان
والغـدة التضـييقُ والبُهتان
نحو الضياع ، فضجّت البلدان!
همجية ، واستأسد الغـدان!
والوالـداتُ اسـتأن ، والولـدان
لتموت - من ألم المخاض - حـصان!
تُجرى الولادة ، مالها أثمان!
يكفي الذي تشقى به النسوان!
أيامَ حـمل ، وانقضى الحـسبان؟!
إن كان فيها لا يزال كيان!
إذ غالها الإجرامُ والطغيان
وطغى - على تفكيرها - استهجان
هل سنـ ضنك حياتنا إنسان؟!
ولـي نعمتنا الأميرُ (فلان)؟!
أما رخيـصُ السـعر فالإنسان؟!
فليخسأ القانونُ والميزان؟!
فالعبـدُ مقتـرنٌ به الإذعان!
وغدا مُقننٌ نهجنا الشيطان!؟

تعس الطغاة تعاسة أيديّة!
وتجرّعوا ما أشربوه شعوبهم
كم أفسدوا هذي الحياة بظلمهم
كم روجوا للموبقات بهزلهم!
كم حاربوا الإسلام دون تورّع!
كم ناوأوا صور الصلاح جميعها!
كم عربدوا في الأرض واستبقوا الخطا
كم أبطلوا حقاً ، فسادت فتنة
وأتى على الأنساب دوز سُفولهم
حتى الولادة حرّفوا قانونها
في الأرض آلام الولادة طارئ
ويباشـرُ التوليـدُ دون تعنت
إذ ما البديلُ أمام أم أكملت
وأتى المخاضُ يهدّ عزم كيانها
فاحتـارتِ الأمُ الكسيرُ فؤادها
فشكّت إلى الله المصير ، وأطـرقت
وبدا سـؤالٌ لا يطـاق جوابه
هل نحن صـرنا أعـبداً وعوابداً
هل كل شـيئٍ حولنا ذو قيمة
هل أصبح القانونُ سيفَ مذلة
هل أصبح الفرعون رباً فلنطع!؟
هل زایلـتُ قيمُ الأصالة دارنا

واحتار زوجي المُحِبُّ الغضبان؟!
فنعود تعدو - خلفنا - الأشجان!
ونقول: هل هذي لنا أوطان؟!
أولم يُطالبنا بذا (العدنان)؟!
أين الحجا والرشدُ والرَّحمان؟
هل سنةٍ وندتُ ، ومَرَّ زمان؟!
ويُذاع سِرَّ الحَمَل والإعلان؟
عني؟ فما جُرْمي؟ وما عِصْياني؟
عن حل مشكلتي ، وليس تُعان!
البر والتقوى لها غنوان
لا الوقتُ يُسعِفكم ، ولا الصبيان!
لَمَّا يَزُرُ أُنْداءُها النسيان
قلقاً ثوث - لمراره - الأجفان
يُدرى لهم أهلٌ ولا إخوان!
وكأننا - في ذي الدنا - أخدان!
أين الدليلُ عليه والبرهان؟
هذا - وربِّي - والردى صنوان!
وسعادتي - فيها - هي القربان
وبرغم أني عَفْوة ورزان!
فالمستعانُ الخالق الرحمن!

لم جرتُ في أمري وأمر ثلاثي
في كل مُستشفىٍ تُجرُّغنا الشفا
ونلوك بلوانا ، ونزدرُدُ العنا
حملي ثلاث ، تلك كل جريمي
وبمن يُباهي في القيامة غيره؟
والعقلُ أين لفهم سنة (أحمد)؟
أطوف في المستشفيات ذلياة
وتشيخ - بين العالمين - فضيحة
وتدورُ عائلتي تُفتشُ في الورى
حتى بدتُ وسط الأنام صديقة!
قالت: خذوا هذي البطاقة ، وانفضوا
ووضعتُ أولادي ، وكانت فرحة
حتى أتى تسجيلهم ، فأذاقني
فاحتلتُ حتى سُجّلوا لقطاء ، لا
لقطاء رغام أب وأم أنجبا
أمن السيفاح رزقتهم ووضعتهم؟
لقطاء لا أبناء ، يا لفضيحتي!
هذي ضريبة غربتي وسط الغثا
ما كنتُ أحسبُ أن أعاني هكذا
حسبي إله الناس مراعني

عتاب لا تنقصه الصراحة

(قام فينا خطيباً وموجهاً وناصحاً من سفة ضرب المتعلم غير مبرح ، واعتبر الضرب وسيلة غير تربوية بالمرّة. وأيده على ذلك جموع الحاضرين والحاضرات. فكانت لي مداخلة ظريفة من باب الإعذار إلى الله - عز وجل - ، ومن باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لا يمنع أحداً هيبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو سمعه أو علمه). وأثبت فيها بالدليل من كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن الضرب غير المبرح للمتعلّم وللزوجة الناشز - عندما توجد مُبررات للضرب - وسيلة تربوية ناجحة ، فإذا بالنسوة الحاضرات ذلك الاجتماع المشووم يهجمن عليّ كأنني قلت منكرًا من القول وزوراً! وإذا بالافتراءات التي منها تضعيفُ الحديث رغم كونه صحيحاً ، ومنها أن الآية نهت عن الضرب ولم تأمر به! ومن رد لكلام العلماء أمثال ابن ما سكويه والزرنوجي وابن خلدون! ناهيك عن تسفيه أقوال أئمة المذاهب وغيرهم! والقول بأننا يجب أن نكون أفضل من الغرب ، فإن الغرب يقدر المرأة ويحترمها ، ثم أنت تأمر الأزواج أن يضربوا زوجاتهم! وأعتذر عن طول هذه المقدمة ، ولكن طولها حتمية ضرورية من أجل الوقوف على حقيقة الأمر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال أهل العلم والتربية في القديم والحديث! وصدق من قال بأن العقوبة الجسدية من أحد الأساليب الشرعية التربوية متى ما استعمل على الوجه الصحيح. قال لقمان الحكيم: ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع. وعن سبرة بن معبد الجهني ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: 'علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر'. فالعلم والتوجيه والإرشاد أولاً في وقت كافٍ ليدرك ويتعلم ويقوم ما أمر به ، فثلاث سنوات لتعلم الصلاة من أحكام وآداب مدة تناسب هذه الشعيرة العظيمة. فعندما يرى المربي - لا سيما الوالدين - أن الولد استحق العقوبة الجسدية وسوف يجعلها سبباً في صلاحه واستقامته ، ودافعاً إلى الأفضل والأكمل لا دافع انتقام ، ويكون ذلك حينما يسلك الطرق المؤصلة إلى ذلك ، - التدرج في العقوبة ، فهناك فهم خاطئ وهو حصر العقوبة بالضرب ، مع أن أسلوب [وهي: أ العقاب متعدد ؛ فمنه المنع ؛ فيمنع من الأشياء التي اعتاد عليها من الوالدين كالمال ، والتأخير عن الاستجابة لبعض متطلباته ، والهجر ، فمقاطعة الأب أو الأم للولد ، وعدم الحديث معه له تأثير قوي على الولد قد يكون أشد من الضرب. ب] - أنه لا يلجأ إلى العقوبة الجسدية إلا في أضيق الحدود ، وأن تكون آخر حلول العلاج لا أوله ، فأخر العلاج الكي. ج] - لا يكون العقاب أمام الآخرين كزملانه في الدراسة ، أو في الحي ، أو أمام إخوانه. وأيها المربي تجنب كل ما فيه إهانة له ، وكذا أسلوب التعميم: 'أنت من طبعك الخطأ ، أو أنت لا تعمل شيئاً صواباً أبداً'. د] - لا يعاقب على خطأ ارتكبه للمرة الأولى ، فعند الخطأ الأول يأتي دور التوجيه والإرشاد ، وتوضيح عواقب الوقوع فيه مرة أخرى. هـ] - الابتعاد عن القسوة ، والإفراط في العقوبة ؛ فالقسوة دليل ضعف في الإنسان فضلاً عن المربي ، فلا يكون العقاب مبرحاً للبدن ، وذلك بأن لا تكون في حالة ثورة غضب. فحين يفرط المربي بانزال العقوبة فسينقلب الأمر إلى تأثير مضاد ، ومن ثم يشعر الولد أنه مظلوم ، فينشغل بالعقوبة عن الإصلاح ، أو أن يتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك ، وهو كره أبيه أو مربيّه. ونقيض القسوة الإهمال وغيض الطرف وترك الحبل على الغارب ، فكثير من الأبناء الذين انجرفوا في سبيل الشر الانحراف ، وانغمسوا في وحل الضياع ، وجنوح طريق الشهوات ضحية لهذين الطريقتين الخاطئتين: القسوة ، والإهمال. وهناك في مجلة الشقائق مقالة أعجبتني ، عنوانها: (كيف تعاقب طفلك بالضرب؟) وكان من

بعض فقراتها: (إن تربية الطفل والسمو بأخلاقياته إلى أعلى مستوى هو مراد كل الآباء ، ولكن كثيراً من الآباء قد يفشلون في اتباع الأساليب التربوية ، سواء الفكرية منها أو النفسية ، فإذا لم تجد أي وسيلة مع الطفل ، فهذا يعني أن الطفل بحاجة إلى علاج بالتأديب ، لكي يحس بأن الأمر جاداً لا هزل فيه ، فيذوق ألم التأديب ، فيعرف قيمة الحنان والعاطفة التي تدفقت عليه من والديه قبل التأديب ، ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة ، وحسن الخلق ، ولكن ماهي أسس التأديب؟ وكيف يؤدب الأب ابنه فيحقق حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لأن يؤدب الأب ابنه خير له من أن يتصدق بصاع). رواه الترمذي بسند ضعيف. لا بد قبل الشروع في هذا أن نعرف المفهوم الفقهي للتأديب حيث يقول الكسائي في بدائع الصنائع: إن الصبي يعزى تأديباً لا عقوبة لأنه من أهل التأديب ، ألا ترى إلى ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً). وذلك بطريق التأديب والتهذيب لا بطريق العقوبة ، لأنها تستدعي الجناية ، وفعل الصبي لا يوصف بكونه جناية التصحيح الفكري للخطأ. إن الطفل كأي كائن حي يجهل أكثر مما يعلم ، فإذا علم فعل الصواب سار سيراً محموداً ، لذلك تكون مرحلة تعليمه الصحيحة من الصغر ، أولى الخطوات في تفويمه ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُصَحِّحُ البنى الفكرية للطفل ، وكان يتبع في ذلك شتى الأساليب المعينة التي تمتاز بالرفق واللين ، وذلك لتصحيح فكر الطفل. ومن ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ): ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل صدقة). ففي هذا الحديث فائدة لطيفة وهي طريقة الزجر بهذه الكلمة (كخ كخ) ثم ما لبث أن علل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه للطفل سبب عدم الأكل ، وعدم حمله له لتكون قاعدة فكرية عامة في حياته كلها (أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) وذلك في صيغة رانعة. أما علمت؟ وذلك ليكون وقعها في النفس أقوى تأثيراً. كثيراً ما يطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له عملها ، أو شاهد من عملها لذلك يبقى في جهل ، فإذا طلب منه العمل وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح ، فإذا عوقب على خطئه هذا كان ظملاً وحيقاً. وإن رسول الله عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد لا يلبث أن يفهم الطفل بالطريقة العلمية ، فيشمر عن يديه ، ويرى الطفل كيف يحسن العمل ، وفي هذا تعليم للوالدين والمربين ، وأي تعليم! روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مر بسلام يسلمك جلد شاة ، وما يحسن ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنح حتى أريك)! فإنه أدعى للعلم الصحيح ، والعمل البناء الموجه ، والطريقة السليمة في العملية التربوية). هـ. والحقيقة أنه لا بد من التدرج في التأديب ... فإذا لم يصلح الطفل التصحيح الفكري أو العملي واصر على ارتكاب الخطأ كان التأديب حتماً لازم عليه ويتبع معه العقوبات بالخطوات التالية: * رؤية الأطفال للعصا والخوف منها: كثير من الأطفال يردعهم ابتداءً رؤية العصا ، وأداة العقوبة فبمجرد إظهارها لهم يسارعون إلى التصحيح ، ويتسابقون في الالتزام ، وتتقوم اخلاقهم وسلوكهم ، فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتعليق السوط في البيت. * شد الأذن: وهي أول عقوبة جسدية للطفل إذ بهذه المرحلة يتعرف على ألم المخالفة ، وعذاب الفعل الشنيع الذي ارتكبه ، واستحق عليه شد الأذن ، عن عبد الله بن يسر المازني الصحابي رضي الله عنه قال بعثتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن يبلغه إياه ، فلما جئت أخذ بأذني وقال يا غدر). * وللضرب قواعد: وإذا لم يُجد مشاهدة العصا ،

ولم يجد شد الأذن مع الطفل ، ومازال مُصِراً على المشاكسة والعناد ، كانت المرحلة الثالثة هذه كفيفة بكسر العناد ، ولكن هل الضرب يمشي هكذا بلا ضوابط ؛ لا. الضرب من الوالدين والمربين له قواعد تتبع! فما هي هذه القواعد؟ ابتداء الضرب من سن العاشرة: انطلاقاً من الحديث ، مروا صبيانكم بالصلاة وهم أبناء سبه واضربوهم عليها وهم أبناء عشر. ومع أن التقصير في عمود الدين وركنه الأساسي الذي يحاسب عليه المرء يوم القيامة أولاً بعد العقيدة إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن بضرب الطفل على التقصير فيه قبل سن العاشرة ، فمن الأولى في باقي الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية التي لا تساوي مكاتة الصلاة أهمية ومنزله عند الله تعالى أن لا يضرب عليها الطفل ، لذلك على المربي أن يتبع المراحل السابقة قبل العاشرة بكل دقة وأناة وصبر وحلم على الطفل ، وفي هذا لفته نبوية تربوية رائعة في تقرير سن الضرب ، لهذا فإن لوالدين في معالجة تصرفات الطفل خصوصاً أن الطفل في مرحلة نموه الجسدي والعقلي إذا تعرض لكثرة الضرب قد تؤذي أحد أعضائه ، وأحياناً قد تؤدي إلى إيذاء نفسي وفكري ، أي يمكن القول بأن الضرب للتأديب كالمح للطحام ، فكما أن الملح يوضع بشكل قليل فيغير من طعم الطعام ويحسنه ، فكذلك الضرب القليل المفيد المثمر هو المطلوب في العملية التربوية ، لأن الهدف كما ذكر هو أن الضرب ضرورة تربوية ، وليست انتقامية أو تفريغ شحنه غضب الوالدين أو المربين ، ولا ننسى أن كثرة الضرب واستخدامه تقلل من هيئته وتفقد مفعوله ، بالإضافة لما يولده من آثار سلبية في النمو النفسي والفكري للطفل .

* أقصى الضربات عشر: إن أقصى عدد الضربات لا يتجاوز في أي حال من الأحوال في العملية التربوية عن عشر ضربات. وذلك لما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله)... * الالتزام بمواصفات إدارة الضرب وطريقته ومكاته: إن الالتزام بمواصفات أداة الضرب ومكانه وطريقته يجعل منه ضابطاً لحماقة بعض الوالدين والمربين ، ويضعهم في مواجهة الحقيقة مع أنفسهم عندما لا يلتزمون بها ، فإن هذا يعني منهم الانتقام لا التربية والغضب لا الرحمة والتأني... * مواصفات طريقة الضرب: وكذلك يجب أن يكون الضرب بين الضربين ، وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يقول للضارب: لا ترفع إبطك ، أي لا تضرب بكل قوة يدك. والفقهاء متفقون على أن الضرب لا ينبغي أن يكون مبرحاً أي موجعاً ولخص الشيخ الفقيه (شمس الدين الأنباري) طريقة ضرب تأديب الطفل في كتابه (رسالة رياضة الصبيان)... فقال في كيفية الضرب: * أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد... * أن يكون بين الضربتي زمن يخف فيه ألم الضربة الأولى. * أن يرفع الضارب ذراعه لنقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه ، فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه.. إن هذه الضوابط من أجل أن يوتى الضرب ثماره التربوية في التأديب والتهيب ، فيتقدم الطفل نحو الأحسن لا الأسوء ، ونحو الأعلى لا أسفل ، ونحو الكمال لا النقصان ، ونحو القمة الأخلاقية والسلوكية لا الحضيض. مواصفات مكان الضرب: لا ينبغي أن يكون في موضع واحد من الجسد بل ينبغي أن يفرق على الجسد كله حيث يأخذ كل عضو من أعضائه حقه ، إلا الوجه والفرج والرأس ، يفضل ابن سحنون أن الضرب على الرجلين. فيما نقل القابسي عنه في رسالته أحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين فيقول: ولتجنب أن يضرب رأس الصبي أو وجهه ، فإن سحنون قال فيه: لا يجوز أن يضربهما ، وضرر الضرب فيهما بين قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين ، أو يؤثر أثراً قبيحاً ، فليتجنبها ، فالضرب في الرجلين آمن وأحمل للألم في سلامة. ولا ضرب مع الغضب

والسب ومع ذكر الطفل لله تعالى: لا بد أن يبتعد الضرب عن مصاحبته ببداءة اللسان في السب والشتم وتقبيح الطفل ، ولهذا أوصى القابسي في رسالته بالابتعاد عن ذلك ، فقال: عندما يكثر خطأ الطفل ولم يغن فيه العزل ، والتقريع بالكلام الذي فيه القواعد من غير شتم ولا سب لعرض! كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً فيقول: يا مسخ يا قرد! ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى وأنت تضرب طفلك وتؤدبه وهو يتألم. فإذا استجار بالله تعالى فيدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقف عن الضرب وترفع يدك وتترك الطفل. وفي هذا لفته رائعة. فإن الطفل وصل إلى قناعة بخطئه وسيصلحه ، أو وصل إلى مرحلة الألم التي لم يعد يتحملها ، أو وصل على مرحلة الانهيار النفسي ، أو الخوف الشديد ، وإن الاستمرار في الضرب وحالة الطفل هذه تعد جريمة في صورة تربية الطفل وهو دليل على حب الانتقام والتشفي من هذا الطفل المسكين – الذي وقع في ظلم وأحضان الوالد الظالم. روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم. وقد يقول قائل أن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة للتخلص من الضرب ، ويعاود فعله فالجواب على ذلك: الاقتداء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من تعظيم الله عزوجل في نفس الطفل ، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جداً مما يستدعي من الطفل ذكر الله تعالى ، والاستعانة به. وتحت عنوان: (ضرب الأولاد وضوابطه من الكتاب والسنة وكلام الفقهاء والمحدثين وعلماء التربية) يقول الأستاذ علي هاني يوسف ما نصه: (هذا بحث يتكلم عن ضوابط ومشروعية الضرب في الإسلام عند الفقهاء وأهل التربية من المتقدمين والمتأخرين مع إضافة أمور لا بد منها في البحث كالواجبات والحقوق للأباء والأولاد وذكر رأي المتقدمين من كبار علماء التربية كالغزالي والقابسي وابن خلدون وابن مسكويه وذكر أهم قواعد التربية التي ذكرها المتخصصون في التربية ، وهذا البحث مقسم إلى ثلاثة مطالب: * المطلب الأول: كلام الفقهاء في الضرب: * المطلب الثاني: الضرب عند أهل التربية من المتقدمين والمعاصرين: * المطلب الثالث: ذكر ملخص لأكبر علماء التربية من المسلمين: فأما المطلب الأول: فلننظر كلام الفقهاء في الضرب: أدلة جواز الضرب: الأحاديث: رَوَى ابْنُ وَهْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مُرُوا الصَّبِيَّانَ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ ، وَاصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ). وَهَذَا التَّأْدِيبُ وَاجِبٌ عَلَى الْوَالِيِّ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ لِلْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ. وَهُوَ فِي حَقِّ الصَّبِيِّ لِتَمْرِينِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا لِیَأْلَفَهَا وَيَعْتَادَهَا وَلَا يَتْرُكَهَا عِنْدَ الْبُلُوغِ ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ وَاضِحٌ ، لِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الصَّبِيَّ وَالصَّبِيَّةَ فِي الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالضَّرْبِ عَلَيْهَا". قال بعض العلماء: وَقَدْ حَمَلَ جُمُهورُ الْفُقَهَاءِ - الْأَحْنَفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ - الْأَمْرَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْوَجُوبِ، وَحَمَلَهُ الْمَالِكِيَّةُ عَلَى النَّدْبِ. قَالَ الْعَرُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْأَفْعَالِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ مَعَ رُجْحَانِ مَصَالِحِهَا عَلَى مَفَاسِدِهَا: ضَرْبُ الصَّبِيَّانِ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَعَیْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ. قال في الموسوعة الفقهية الكويتية: وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ الْمَشْرُوعِ: ضَرْبُ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ وَلَدَهُمَا تَأْدِيبًا ، وَكَذَلِكَ الْوَصِيِّ ، أَوْ الْمُعَلِّمِ بِإِذْنِ الْأَبِ تَعْلِيمًا. قال في فتاوى النووي: - مسألة: هل له استخدام ولده وله ضربه على ذلك؟ الجواب: يجوز له ذلك فيما فيه تأديب الصبي ، وتدريبه وحسن تربيته ونحو ذلك. قال محمد الأمين الشنقيطي في شرح زاد المستفتع: والشرع أذن للوالد أن يؤدب ولده ، وأذن للسلطان أن يؤدب رعيته ، وأذن للمعلم أن يؤدب من يعلمه ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع

واضربوهم عليها لعشر) فشرع الضرب في التعليم ، والدعوة للخير ، والأصل: أن العلم يراد به الدعوة للخير ؛ يتعلم الإنسان ثم يعمل. فهذا الإذن الشرعي بالتأديب والتعليم ، وأيضاً صيانة الناس والرعية ، كل هذا إذا كان الأصل يقتضي جوازه فإن ما يترتب عليه من ضرر معتقراً شرعاً ؛ لأن الأصل أن من فعل هذه الأفعال يقصد بها مصلحة المجني عليه. قال بعض المعاصرين: والضرب بشكل عام عقوبة يجوز استعمالها شرعاً فقد شرع الضرب في الحدود وفي التعزير وشرع ضرب الزوج لزوجته في حال النشوز وشرع ضرب الأولاد تأديباً لهم على ترك الصلاة وغير ذلك من الحالات ولكن ضرب الأولاد يحتاج إلى تفصيل وتوضيح. والأمور التي على الولي أن يعلمها الصبي والصبية: على الآباء والأمهات تعليم أولادهم ما يلزمهم بعد البلوغ: * فيؤمر بجميع المأمورات وما سيتعين عليهم بعد البلوغ ويفعل الطاعات كالصلاة والطهارة والصيام ونحوها مما تصح به عبادته ويومرون بالتزام شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة كما يؤمر بها البالغون ، فإن صلوا بغير ذلك أمروا بالإعادة ويجب تعليمهم ما يضطرون إليه من الأمور التي يكفر جاحدها من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال النووي: "ويأمره بسائر الوظائف الدينية ، ويأمره الولي بحضور الصلوات في الجماعة وبالسواك. قال ابن عابدين: الصبي ينبغي أن يؤمر بجميع المأمورات وينهى عن جميع المنهيات. قال اللباب: قال أبو بكر الرازي: دللت آية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح ، فإن الله تعالى أمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات. * وينهى عن جميع المنهيات والمخطورات وعن افتراء المخطورات سواء أكانت لحق الله تعالى أم لحق العباد ويكف عن المفاسد كلها ، ويعرفه تحريم الرنا واللواط والخمر والكذب والغيبة والسرقة وشرب المسكر والكذب والغيبة وشبهها حتى الصغائر ، كما ينهى عن اعتقاد الكفر والشرك وإظهاره وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية وعلة ذلك أن الصبي وإن لم يكن مكلفاً ، فوليته مكلف ، لا يحل له تمكينه من المحرم ، لأنه لو لم يؤمر بذلك في الصغر وحلى وسائر شهواته وما يؤثره ويختاره يصعب عليه بعد البلوغ الإقلاع فإنه يعتاده ، ويعسر فطامه يلزمه. * ويعلمه محاسن الأخلاق ويزجره عن سيء الأخلاق وقبيح العادات - ولو لم يكن فيها معصية - استصلاحاً لينشأ على الكمال وكريم الخلال. * ويحفظه من قرناء السوء ولا يعودته التنعم ، ولا يحبب إليه الرينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ويهلك هلاك الأبد. * وينبغي أن يعلمه أيضاً من أمور الدنيا ما يحتاج إليه من: السباحة والرمي وغير ذلك مما ينفعه في كل زمان بحسبه. قال سيدنا عمر رضي الله عنه: علموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً. * ويعرفه أن بالبلوغ يدخل في التكليف. * وهل يؤمرون على التمرين بالصيام ويتعودونه قبل البلوغ؟ قال الشافعية والحنفية نعم إن أطاقه قال الجصاص: وروى هشام بن عروة أنه كان يأمر بنيه بالصلاة إذا عقلوها وبالصوم إذا طاقوه وقال ابن عابدين: (قوله والأب يعزر الابن عليه) أي على ترك الصلاة. ومثلها الصوم كما صرحوا به وبه ابن الماجشون من المالكية: عند إطاقتهم لذلك وإن لم يبلغوا. * وقال المالكية: لا يؤمرون بذلك لأنه ليس بمتكرر ، وإنما يأتي مرة في العام، بخلاف الصلاة. وقال: ويؤدب على ترك الطهارة والصلاة وكذا الصوم. وتأديبه على الإخلال بذلك تعويداً له على الخير والبر قال ابن حجر الهيتمي : ويضرب ضرباً غير مبرح وجوباً ممن ذكر (عليها) أي على تركها ولو قضاءً ، أو ترك شرط من شروطها ، أو شيء من الشرائع الظاهرة

قال المحشي الشرواني: (قوله: أو بشيءٍ من الشرائع الخ) هذا مصرحٌ بوجوب الضرب على ترك نحو السواك من السنن المتأكدة لكن في شرح الروض عن المهمات المراد بالشرائع ما كان في معنى الطهارة ، والصلاة كالصوم ونحوه ؛ لأنه المصنوب على تركه وذكر نحوه الزركشي اه ، ثم رأيت الشارح في شرح العباب ذكر أن ظاهر كلام القمولي الضرب على السنن المذكورة أيضاً وأنه ليس ببعيد ونظر في كلام المهمات ونزع في الضرب على السنن بأن البالغ لا يعاقب على السنن فالصبي أولى اه. واعتمد النزاع الرشدي حيث قال ولا يضرب على السواك ونحوه من السنن كما نقله سم عن الشارح اه. واعتمد شيخنا والبجيري ما في شرح العباب. قال الراغب في تفصيل النشأتين: والخامس اختلاف أحوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقيحة، فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية وأخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي: "مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر" ويجب أن يصاب عن مجالسة الأرياء، فإنه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به ، وأن يحسن في عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة ، ويبغض إليه الحرص على المآكل والمشرب ، ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف ، ويؤخذ بقلّة النوم في النهار ، فهو يشيب ويورث الكسل ويعود التآني في أفعاله وأقواله ، ويمنع من مفاخرة الأقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ، ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع. قال بعض الحكماء: "من سعادة الإنسان أن يتفق له في صباه من يعوده تعاطي الشريعة حتى إذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعود بصيرته ونفذت في تعاطيها عزمته". والسادس اختلاف من يتخصص به ويخالطه، فيأخذ طريقته فيما يتمذهب به (عن المرء لا تسأل وابصر قرينه). والسابع اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه. والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الأسباب المسعدة. وهو أن يكون طيب الطينة معتدل الأمزجة جارياً في أصلاب آباء صالحين ذوي أمانة واستقامة ، متكوناً من نطفة طيبة ومن دم طمّث طيب على مقتضى الشرع ، ومرتضعاً بذر طيب ومأخوذاً في صغره من قبل مربيه بالآداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الأشرار ، ومتخصصاً بعد بلوغه بمذهب حق ومجهداً نفسه في تعرف الحق مسارعاً إلى الخير. فمن وفق في هذه الأشياء تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات كما قال الله تعالى: (الأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم). ويكون جديراً أن يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله: (وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار). والردل التام الرذيلة هو من يكون بعكس هذا في الأمور التي ذكرناها. ويقول ابن قيم الجوزية: "من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم". قال المناوي في فيض القدير: وفيه وجوب تأديب الأولاد وأنه حق لازم وكما أن للاب على ابنه حقاً فلا بد على أبيه كذلك بل وصية الله تعالى للآباء أبنانهم سابقة في التنزيل على وصية الأولاد بأبنانهم فمن أهمل تعليم ولده وليداً ما ينفعه فقد أساء إليه وأكثر عقوق الأولاد آخرها بسبب الإهمال أولاً ومن ثم قال بعضهم لأبيه: أضعتني وليداً فأضعتك شيخاً. ونسأل: ما حكم هذا التعليم؟ قيل هذا التعلّم مستحب ، ونقل الرافعي عن الأئمة وجوبه على الآباء والأمهات ، قال بعض العلماء: وقد حمل جمهور الفقهاء - الحنفية والشافعية والحنابلة - الأمر في الحديث على الوجوب ، وهذا ما صححه النووي ودليل وجوب تعليم الصغير: قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا). قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وَمُجَاهِدٌ وَقْتَادَةٌ: مَغْنَاهُ عَلَّمُوهُمْ مَا يَنْجُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ "وَهَذَا ظَاهِرٌ". وَثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: كُتِّمَ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِيأَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُتِّمَ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (قال النووي: في الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار وتُمنع من تعاطيه وهذا واجب على الولي. قال ابن حجر في الفتح: جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك. قال بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح البخاري: وفيه: أنه ينبغي أن يتجنب الأطفال ما يتجنب الكبار من المحرمات. وفيه: أن الأطفال إذا نهوا عن الشيء يجب أن يعرفوا لأي شيء نهوا عنه ليكونوا على علم إذا جاءهم أو أن التكليف. وفيه: أن لأولياء الصغار المعاتبه عليهم والحوال بينهم وبين ما حرم الله على عباده، ألا يرى أنه صلى الله عليه وسلم استخرج الثمر من الصدقة من فم الحسن وهو طفل لا تلزمه الفرائض ولم تجر عليه الأقاليم؟ فيبان بذلك أن الواجب على ولي الطفل والمعتوه، إذا رآه يتناول خمرا يشربها، أو لحم خنزير يأكله، أو مالا لغيره يتلفه، أن يمنعه من فعله ويحول بينه وبين ذلك. وقال علي القاري في مرقاته المفاتيح: قال ابن الملك: وهذا يدل على أنه وجب على الآباء نهى الأولاد عما لا يجوز في الشرع اه ولذا قال علماؤنا: يحرم على الآباء والأمهات لباس الصبي الحرير والخلي من الذهب والفضة خلافا للشافعي، وقد أورد الغزالي هذا الحديث في الإحياء عند ذكر ورع المتقين فأمر بضربهم على ترك الواجب الشرعي الذي هو الصلاة، فضربهم على الكذب والظلم أولى، وهذا مما لا يعلم بين العلماء فيه نزاع أن الصبي يؤدي على ما يفعله من القبائح وما يتركه من الأمور التي يحتاج إليها في مصلحته. قال في مرقاته المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (وعنه) أي: عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا أي: آدميا لأنه ربما ضرب مركوبة (قط بيده ولا امرأة ولا خادما، خصا بالذكر اهتماما بشأنهما، ولكثرة وقوع ضرب هذين والاختياج إليه، وضربهما وإن جاز بشرطه فألولى تركه. قالوا بخلاف الولد، فإن الأولى تأديبه ويوجه بأن ضربه لمصلحة تعود إليه، فلم يندب العفو بخلاف ضرب هذين، فإنه لحظ النفس غالبا فنذب العفو عنها مخالفة لهواها وكظما لغيظها. وهناك قواعد ذكرها الفقهاء في الضرب والتعليم: * أديب الصغير إنما يبدأ بالقول، ثم بالوعيد، ثم بالتغنيف، ثم بالضرب إن لم تجد الطرق قبله، وهذا الترتيب تلزم مراعاته، فلا يرقى إلى مرتبة إذا كان ما قبلها يفي بالعرض، وهو الإصلاح، وفي ذلك يقول العز بن عبد السلام: ومهما حصل التأديب بالأخف من الأفعال والأقوال، لم يعدل إلى الأغظ، إذ هو مفسدة لا فائدة فيه، لحصول الغرض بما دونه. قال بعض المعاصرين: وقد ذكر القرآن الكريم التدرج بالعقوبات في معالجته للخلافات الزوجية وكذلك معالجة الطفل، وقال مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: واختلف في الوقت الذي يؤدب فيه على تركها. - أما العقوبة فبعد العشر وكره فضيل وسفيان أن يضرب وقالوا أرشبه عليها، وهذا أحسن لمن يقدر على ذلك فإن كان ممن لا يقدر، أو لم يفعل بعد أن أرشبه ضرب عليها. * التأديب يكون بالوعيد والتقريع لا بالشتم، قال ابن عرفة: وعليه أن يزجر المتخادل في حفظه بالوعيد والتقريع لا بالشتم كقول بعض المعلمين للصبي يا فرد يا عفریت فإن لم يفد القول انتقل للضرب قال بعض

المعاصرين: وقد اتفق المربون على الابتعاد عن الكلام الجارح ، والتوبيخ الذي ينتقص من شخصية الطفل ، أو يسبب له ردود أفعال سيئة ، واتفقوا أيضاً على أن يكون كل ذلك بين المربي والتلميذ ، وليس أمام أحد من الناسوومما يدل على النهي عن السباب قول الرسول "ليس المؤمن بالطعان ، ولا باللعان ، ولا بالفاحش ، ولا بالبذيء". قال مصطفى السباعي: "الابن يتأثر بالأب أكثر ، والبنيت تتأثر بالأم أكثر ، والأمهات الجاهلات طريقهن في التربية: الشتيمة والدعاء بالموت والهلاك ، والآباء الجاهلون طريقتهم في التربية: الضرب والاحتقار. وقال بعض المعاصرين: ومن أبرز الوسائل السلبية السباب واللوم. وكل منها وسيلة سهلة الاستخدام، سيئة الأثر ، مهما أعطت من أثر سريع ، يظهر أنه إيجابي." قال بعض المعاصرين: بعد إجراء دراسة شملت 110 أسرة أمريكية ، تضم أطفالاً تتفاوت أعمارهم ما بين ثلاثة وخمسة أعوام، أعلن معهد العلوم النفسية في أتلانتا أن هناك دلائل قطعية على وجود علاقة بين شخصية الطفل المشاغب ، الكثير الحركة ، وبين الأم العصبية التي تصرخ دائماً ، وتهدد بأعلى صوتها حين تغضب ،... وتشير نتائج الدراسة أيضاً إلى أن الأم التي تعبر عن غضبها بالصراخ ، وباستخدام ألفاظ بذيئة أو سيئة ، أمام طفلها تدفع بهذا الطفل إلى التحول إلى طفل من هذا النوع المشاغب. * وكذلك لا يكون التأديب بالدعاء عليه فقد أخرج مسلم وغيره عن رسول الله قال: لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم. قال في جامع العلوم والحكم: فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دُعَاءَ الْعُضْبَانِ قَدْ يُجَابُ إِذَا صَادَفَ سَاعَةَ إِجَابَةٍ ، وَأَنَّهُ يُنْهَى عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ فِي الْعُضْبِ. قال القسطلاني: وإذا كان عَرْضُهُ بِاللُّعْنَةِ لَدُنْكَ وَوَقَعَتِ الإِجَابَةُ وَإِعَادَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ قَتْلِهِ لِأَنَّ الْقَتْلَ تَفْوَيْتِ الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ قَطْعًا وَإِلْبَاعَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَعْظَمَ ضَرَرًا بِمَا لَا يَحْصَى. قال الشرواني في حواشي التحفة: وَيُكْرَهُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى وَوَلَدِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ ، أَوْ مَالِهِ قَالَ الرَّشِيدِيُّ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالدُّعَاءِ الدُّعَاءَ بِنَحْوِ الْمَوْتِ وَأَنَّ مَحَلَّ الْكِرَاهَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ كَالتَّأْدِيبِ وَنَحْوِهِ ، وَإِلَّا فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ بِلَا حَاجَةٍ لَا يَجُوزُ عَلَى الْوَالِدِ وَالْخَادِمِ فَمَا فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ. يُشْتَرَطُ فِي الضَّرْبِ عِنْدَ مَشْرُوعِيَةِ اللُّجُوعِ إِلَيْهِ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ تَحْقِيقُهُ لِلْمَصْلَحَةِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْهُ ، قَالَ الْعَزْزَنِيُّ فِي السَّلَامِ: فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ الصَّبِيُّ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الضَّرْبُ الْمُبْرَحُ ، فَهَلْ يَجُوزُ ضَرْبُهُ تَخْصِيلاً لِمَصْلَحَةِ تَأْدِيبِهِ؟ قُلْنَا: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ ، بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَضْرِبَهُ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، لِأَنَّ الضَّرْبَ الَّذِي لَا يَبْرَحُ مَفْسَدَةٌ وَإِنَّمَا جَازَ لِكُونِهِ وَسِيلَةً إِلَى مَصْلَحَةِ التَّأْدِيبِ ، فَإِذَا لَمْ يَخْصُلِ التَّأْدِيبُ بِهِ ، سَقَطَ الضَّرْبُ الْخَفِيفُ كَمَا يَسْقُطُ الضَّرْبُ الشَّدِيدُ ، لِأَنَّ الْوَسَائِلَ تَسْقُطُ بِسُقُوطِ الْمَقَاصِدِ". فالضرب يكون مؤلماً غير مبرح إن ظن إفادته وإلا فلا. قال ابن حجر الهيتمي: أي ضرباً غير مبرح ولو لم يفد إلا بمبرح تركه وفقاً لابن عبد السلام". وكذلك قال الحنفية. إن لم يفد القول والوعظ والتذكير والتحذير انتقل إلى الضرب. ويشترط في الضرب شروط: الأول: كونه غير مبرح ولا شاق ولا ممرض ، قاله الإسنوي: ضرباً رقيقاً غير عنيف لأنه للتأديب لا للعقوبة. والثاني التأديب والضرب مشروط بسلامة العاقبة فلا يجوز الضرب الذي يؤدي للضرر والتلف فلا بد أن يتوقى فيه الوجه والمواضع المهلكة ويكون في المواضع التي يؤمن عليهم التلف من ضربها ضرب إبلا ففقط دون تأثير في العضو قال الرسول: «إذا ضرب أحدكم فليترك الوجه» قال محمد بن رشد: ولا يضرب بعض الضرب ، معناه: ولا يضرب بعض الضرب الذي يضربه كثير من الناس فيتعدي في الضرب ، يريد: أنه لا يضرب إلا ضرباً خفيفاً. * أن تكون عدد الضربات بعدد ما أجازته

الفقهاء. وفي عدد الضربات الجائزة أقوال: أ. القول الأول: ولا يُجاوِزُ ثلاثًا فليسَ له أن يُجاوِزَ بضربِهِ الثلاث. وعندَ الحنَفيَّةِ وكذلك عند جماعة من المالكية كابن عرفة وأشهب ومن الشافعية ابن سريج وجماعة من الحنابلة. ففي كتب الأحناف: قال في مراقي الفلاح: ولا يزيد على ثلاث ضربات. وفي كتب المالكية: قال ابن عرفة: الضرب من واحد إلى ثلاثة. قال أشهب: إن زاد المُؤدَّب على ثلاثة أسواط أفتُصَّ منه. ومن الشافعية ابن سريج: وقال ابن سريج من الشافعية: لا يضربُ فوقَ ثلاثِ ضرباتِ الأدلة التي استدلوا عليها ، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمِرْدَاسِ الْمُعَلِّمِ: إِيَّاكَ أَنْ تُضْرِبَ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، فَإِنَّكَ إِذَا ضَرَبْتَ فَوْقَ الثَّلَاثِ أَفْتَصَّ اللهُ مِنْكَ. أَخْذًا مِنْ حَدِيثِ «عَطَّ جَبْرِيْلُ لِلنَّبِيِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ابْتِدَاءِ الوَحْيِ. وَرَوَى ابْنُ عَدِيٍّ فِي الكَامِلِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ «نَهَى أَنْ يُضْرِبَ المُؤدَّبُ فَوْقَ ثَلَاثِ ضَرَبَاتٍ» ، قال في كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي وهو من الحنابلة: اعلم أن الضرب على أضرب: فمَنه ضرب على ترك أدب ، كضرب الولد على تعلم القرآن والعربية والعلم الزائد على قدر الواجب ، وقد كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن. وضرب الولد على ترك الصلاة إذا بلغ تسع سنين ، وعلى ترك أسباب المعاش ، فهذا تأديب ينبغي أن يتلطف فيه ويقتنع بالسوط الواحد والسوطين.

ب. القول الثاني: يكون بقدر الحاجة وإن كثير. الشافعية وهو المعتمد عند المالكية نص عليه الدسوقي والحطاب الرعيني من المالكية في مواهب الجليل وغيره. ففي كتب الشافعية : قال في الشرواني: قوله: ضربًا غير مبرح وإن كثرت فالمعتمد أنه يكون بقدر الحاجة وإن زاد على الثلاث لكن بشرط أن يكون غير مبرح على المعتمد. ففي كتب المالكية: قال الشيخ الدسوقي: ولا يحد بعدد كالثلاثة أسواط بل يختلف باختلاف حال الصبيان. قال في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: فإن لم يفد القول انتقل للضرب ، والضرب بالسوط من واحد إلى ثلاثة ضرب إيلام فقط دون تأثير في العضو فإن لم يفد زاد إلى عشر قال ومن ناهز الخلم وعظ حلقه ، ولم تردعه العشرة فلا بأس بالزيادة عليها. قال الحطاب الرعيني: (قلت:) الصواب اعتبار حال الصبيان شاهدت بعض معلمينا الصالحين يضرب الصبي فوق العشرين وأزيد وكان معلمنا يضرب من عظم جزمه بالعصا في سطح أسفل رجليه العشرين وأكثر انتهى. وقال الجزولي يضربون ثلاثة أسواط على الظهر من فوق الثوب ويضرب تحت القدم غريانا ، ولا يزيد على الثلاثة فإن زاد عليها كان قصاصا فإن نشأ عن ذلك شيء فإن كان بوجه جائز فلا شيء عليه وإلا لزمه وقال بعضهم يضربون على الصلاة ثلاثة أسواط وعلى الألواح خمسة وعلى السب سبعة وعلى الهرب عشرة ويكون ذلك بسوط لئلا ينتهي. زاد الشيخ يوسف بن عمر فإن زاد أفتُصَّ منه. القول الثالث: لا ينبغي الزيادة على عشر ضربات ، لقوله: "لا يجلد فوق عشر جلدات ، إلا في حد من حدود الله" رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، واللفظ للبخاري. وقيد الحنفية الضرب بأن يكون باليد لا بالعصا حيث قالوا: جواز ضرب الولد حيث لزم ضربه بأن يكون باليد فقط ، لا بغيرها كالعصا والسوط فلا يضربه الولي والمعلم بغيرها من سوط أو عصا سواء كان على الصلاة أو غيرها قال ابن عابدين: (قوله: بيد) أي ولا يجاوز الثلاث ، وكذلك المعلم ليس له أن يجاوزها «قال - عليه الصلاة والسلام - لمرداس المعلم إياك أن تضرب فوق الثلاث ، فإنك إذا ضربت فوق الثلاث أفتص الله منك» ، وظاهره أنه لا يضرب بالعصا في غير الصلاة أيضا. (قوله: لا بخشبة) أي عصا ، ومقتضى قوله بيد أن يراد بالخشبة ما هو الأعم منها ومن السوط: (قوله: لحديث الخ) استدلال على الضرب المطلق ، وأما كونه لا بخشبة فلأن الضرب بها ورد في جنابة المكلف. قال في مراقي الفلاح: وتضرب عليها بيد لا

بخشبة ولا يزيد على ثلاث ضربات قال الطحطاوي: اعترض بأن الدليل أعم من المدعى وأجيب بأنه خص الضرب بغير الخشبة لقرينة وهو أن الضرب بها إنما ورد في جناية صدرت من مكلف ولا جناية من الصغير وقد ورد في بعض الآثار ما يدل عليه". وقالت المالكية والشافعية يجوز بغير اليد. وقيد الشافعية الضرب بما إذا لم يترتب على ضربه ضياعه وهربه قالوا: ثُمَّ مَحَلٌّ مَا ذَكَرَ مِنْ وَجُوبِ الضَّرْبِ مَا لَمْ يَتَرْتَبْ عَلَيْهِ هَرْبُهُ وَضِيَاعُهُ ، فَإِنْ تَرْتَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ تَرَكَهُ. نص الأحناف أنه لا يجوز ضرب الولد قبل أن يعقل عند بكانه قال في البحر الرائق شرح كنز الدقائق: في مبحث جواز ضرب الزوج لزوجته: وَيُنْبَغِي أَنْ يُلْحَقَ بِهِ مَا إِذَا ضَرَبْتَ الْوَلَدَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ عِنْدَ بَكَانِهِ ؛ لِأَنَّ ضَرْبَ الدَّابَّةِ إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا فَهَذَا أَوْلَى سُنُّ (وجوب) التعلیم على الولي للصبي للصلاة ونحوها: وَقَدْ صَرَّحَ الْفُقَهَاءُ بِأَنَّ وَجُوبَ تَعْلِيمِ الصَّغَارِ يَبْدَأُ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ سَبْعِ سِنِينَ ، لِحَدِيثٍ: مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ. قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ: الظَّاهِرُ أَنَّ الْوَجُوبَ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ السَّبْعِ ، وَيُنْبَغِي أَنْ يُؤَمَّرَ بِجَمِيعِ الْمَأْمُورَاتِ وَيُنْهَى عَنِ جَمِيعِ الْمُنْهَيَّاتِ. وَقَالَ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيُّ نَقْلًا عَنِ النَّوَوِيِّ: يَجِبُ عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ تَعْلِيمَ أَوْلَادِهِمُ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ وَالشَّرَائِعَ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ. سن الضرب على الصلاة وما يتبعها: قالت الحنفية والحنابلة بعد العشر أي في أول الحادية عشرة وقالت المالكية وجماعة من الشافعية عند الدخول في العشر أي في أثناء العشر وتفصيل ذلك: وأنه قد ذهب الحنفية والحنابلة إلى أن وجوب الأمر بها يكون بعد استكمال السبع والأمر بالضرب يكون بعد العشر بأن يكون الأمر في أول الثامنة وبالضرب في أول الحادية عشرة. وقال المالكية: يكون الأمر عند الدخول في السبع والضرب عند الدخول في العشر. واما الشافعية: فمنهم من قال في أثناء العشر ولو في أول العشر ومنهم من قال بعد العشر قال الرملي والخطيب الشربيني والباجوري وعلي الشبراملسي وصححه الإسنوي وجزم به ابن المقرئ: قالوا: وَيُنْبَغِي اعْتِمَادُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَظْنَةُ الْبُلُوغِ. وَأَمَّا الْأَمْرُ بِهَا فَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ السَّبْعِ. وقال ابن حجر: "عليها لعشر" أي بعد العشر لما صح من قوله: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر. وأما عن جواز الضرب قبل العشر: فقد نص كثير من العلماء على جواز الضرب للصبي والصبية قبل العشر إذا كان للتأديب لا للصلاة وقليل منهم نص على جواز الضرب للصلاة قبل ذلك: قال في الدر المختار: وَفِي الْقُنْيَةِ: لَهُ إِكْرَاهُ طِفْلِهِ عَلَى تَعَلُّمِ قُرْآنٍ وَأَدَبٍ وَعِلْمٍ لِفَرِيضَتِهِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ. قال ابن عابدين: وَهَلْ يُضْرَبُ تَعْزِيرًا بِمُجَرَّدِ عَقْلِهِ أَوْ إِذَا بَلَغَ عَشْرًا كَمَا فِي ضَرْبِهِ عَلَى الصَّلَاةِ؟ لَمْ أَرَهُ ، نَعَمْ فِي الْبَحْرِ عَنِ الْقُنْيَةِ: مُرَاهِقٌ شَتَمٌ عَالِمًا فَعَلَيْهِ التَّعْزِيرُ. اهـ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَاهِقَةَ غَيْرَ قَيْدٍ تَأْمَلُ. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ضرب الصغار وهم في سن مبكرة ، بحيث يكون الضرب قبل أن يكون عندهم نوع من التمييز ؛ هذا لا يجوز، ولذلك جعل الشرع الضرب بعد التمييز ، وإنما يكون الضرب إذا أخطأ الصبي أو الصبية وكان عندهما شيء من التمييز ؛ لأن الصبيان يختلفون ، يقول بعض العلماء: ربما ميز الصبي وهو في الخمس سنوات ، وقد يميز وهو ابن ست سنوات وهذا يرجع إلى قوة الذكاء وعلى حسب طبيعة الصبي وقد يتأخر تمييزه إلى العاشرة ؛ ولذلك إذا كنت تفهم أنه مَيِّزٌ ، وأنه لا بد من زجره ، وأنه مسترسل في هذا السوء ، أو في هذا الخطأ فحينئذ يضرب الإنسان بقدر ، وإنما هو اجتهاد ومرده إلى الوالد والوالدة ، فليتق الله كل منهما في هذه الطريقة. قال بعض المعاصرين: والصحيح أنه لا يضرب الأبناء قبل العشر ، وذلك في الصلاة فقط ، وهو تأديب للصغار على الصلاة ، بل قد ورد في بعض طرق الحديث (وأدبوهم

عليها لعشر) ، أما التأديب لغير الصلاة فجانز دون العشر وفوقها ، وقد وردَ أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) ضرب الحسن عند ما أخذ تمرَةً من تمر الصدقة وقال له (كخ كخ) قال ابن حجر فتح الباري (عن أبي هريرة قال كنا عند رسول الله وهو يقسم تمرًا من تمر الصدقة والحسن في حجره أخرجه أحمد قوله فجعلها في فيه زاد أبو مسلم الكجي من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد فلم يفتن له النبي حتى قام ولعبه يسيل فضرب النبي شدقه وفي رواية معمر فلما فرغ حمله على عاتقه فسأل لعبه فرفع رأسه فإذا تمرة في فيه قوله كخ بفتح الكاف وكسرهما وسكون المعجمة مثقلًا ومخففًا وبكسر الخاء منونة وغير منونة). وقال أيضاً بعد حديث أبي هريرة (وفي الحديث - جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك) الخلاصة: أن الصبي يضرب للتأديب قبل بلوغ العشر وبعدها ، أما التأديب بالضرب للصلاة فلا يجوز إلا بعد العشر ، وهو ضرب رياضة وتأديب ، لأنه لم يكلف بعد. وقال بعض المعاصرينالظاهر أن هذا المفهوم غير معتبر (أي مفهوم أي أنه قبل العشر لا يجوز الضرب) ، وذلك أن أمره بضربه إذا بلغ العشر من أجل أن الغالب فيمن دون العشر عدم العصيان وعدم المخالفة لأمر الوالدين ، بل الغالب على الابن في هذه السن تقليد والديه ، وذلك لكثرة خلطة الابن لوالده في هذه الفترة وعدم اختلاطه بالأجانب ، فإذا بلغ سن العاشرة فما دونها بدأ في مخالطة الأجانب فتأثر بأخلاقهم وتعلم منهم ، فربما يكتسب من هذه الخلطة أخلاقا سيئة ، فأمر الشارع بتأديبه بالضرب حينئذ ، ثم إن هذا المفهوم معارض بعموم النصوص الكثيرة الآمرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن تأديب الأبناء ورعايتهم من دون تفرقة بين السن العاشرة وما قبلها. وفي كتب الأحناف: (والأب يُعزِّرُ الابْنَ عَلَيْهِ) وَقَدَمْنَا أَنَّ لِلْوَالِي ضَرْبَ ابْنِ سَبْعِ عَلَى الصَّلَاةِ. وهناك أهمية كبيرة لتعليم الأولاد في الصغر: فالطُّفْلُ كَمَا قَالَ الْعَرَالِيُّ أَمَاتَهُ عِنْدَ وَالِدِيهِ وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَادَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ وَصُورَةٍ ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ نَفْسٍ ، وَقَابِلٌ لِكُلِّ مَا يَمَالُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ عُوِدَ الْخَيْرَ وَعَلِمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ ، وَسَعَدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، يُشَارِكُهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مَعْلَمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ ، وَإِنْ عُوِدَ الشَّرَّ وَأَهْمِلَ إِهْمَالِ الْبُهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ ، وَكَانَ الْوَزْرُ فِي رَقَبَةِ الْفَيِّمِ عَلَيْهِ وَالْوَالِي لَهُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلِ أَفْضَلٍ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَدَبُ ابْنِكَ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْهُ: مَاذَا أَدَّبْتَهُ ، وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ؟ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ بَرِّكَ وَطَوَاعِيَّتِهِ لَكَ. بل ذكر بعض العلماء أن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده. قال القاضي أبو بكر بن العربي: ومهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فينبغي أن يصونه من نار الآخرة ، وهو أولى ، والحقوق والواجبات على الصبي: أ - حقوق الله تعالى: أما العبادات البدنية كالصلاة ، فلا خلاف بين العلماء في عدم وجوبها عليه إلا أنه يؤمر بأدائها في سن السابعة ، ويضرب على تركها في سن العاشرة. وأما العقائد كالإيمان ، فقد ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أنه يصح من الصبي فيعتبر إيمانه لأنه خير محض ، وخالف في ذلك الشافعية فقالوا: إن إسلامه لا يصح حتى يبلغ ؛ لحديث: رفع القلم عن ثلاث ومنها عن الصبي حتى يبلغ. . . وأما العقوبات المتعلقة بحقوق الله سبحانه وتعالى كحد السرقة وغيره ، فإنها لا تقام على الصبي ، وهذا محل اتفاق عند الفقهاء. ب - حقوق العباد: - أما المالية منها كضمان المتلفات وأجرة الأجير ونفقة الزوجة والأقارب ونحو ذلك فإنها تجب في ماله ؛ لأن المقصود منها هو المال ، وأداؤه يحتمل النيابة ، فيصح للصبي المميز أداؤه ، فإن لم يؤده آداه وليه. وأما ما كان منها

عُقُوبَةُ الْقِصَاصِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الصَّبِيِّ لَا يُوصَفُ بِالتَّقْصِيرِ ، فَلَا يَصْلُحُ سَبَبًا لِلْعُقُوبَةِ لِقُصُورِ مَعْنَى الْجِنَايَةِ فِي فِعْلِهِ ، وَلَكِنْ تَجِبُ فِي فِعْلِهِ الدِّيَّةُ ؛ لِأَنَّهَا وَجِبَتْ لِعِصْمَةِ الْمَحَلِّ ، وَالصَّبَا لَا يَنْفِي عِصْمَةَ الْمَحَلِّ ؛ وَلِأَنَّ الْمُقْصُودَ مِنْ وُجُوبِهَا الْمَالُ ، وَأَدَاؤُهُ قَابِلٌ لِلنِّيَابَةِ ، وَوُجُوبُ الدِّيَّةِ فِي مَالِهِ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَعَلَى عَاقِلَتِهِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. وَخَالَفَ الشَّافِعِيَّةُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْأَصَحِّ عِنْدَهُمْ ، حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ عَمْدَ الصَّبِيِّ فِي الْجِنَايَاتِ عَمْدٌ ، فَتَغْلُظُ عَلَيْهِ الدِّيَّةُ ، وَيُحْرَمُ إِرْثٌ مِنْ قَتْلِهِ. أَمَّا تَصَرُّفَاتُهُ الْمَالِيَّةُ ، فَفِيهَا تَفْصِيلٌ عَلَى النَّحْوِ الْأَتِيِّ: أ - مَا يُشْتَرَطُ لَوْجُوبِهِ الْبُلُوغُ: - التَّكْلِيفُ بِالْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحْرَمَاتِ يُشْتَرَطُ لَهُ الْبُلُوغُ ، وَلَا تَجِبُ عَلَى غَيْرِ الْبَالِغِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ. . . الْحَدِيثُ ، وَذَلِكَ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ عَلَى أَنْ فِي الرِّكَاعَةِ خِلَافًا. وَمَعَ هَذَا يَنْبَغِي لَوْلِيِ الصَّغِيرِ أَنْ يُجَنَّبَهُ الْمُحْرَمَاتِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِالصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا لِيَعْتَادَهَا ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبِّحَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ. وَمَعَ هَذَا إِذَا آدَاهَا الصَّغِيرُ ، أَوْ فَعَلَ الْمُسْتَحَبَّاتِ تَصَحَّ مِنْهُ ، وَيُوجَرُ عَلَيْهَا. وَلَا يَجِبُ الْقِصَاصُ وَالْحُدُودُ ، كَحَدِّ السَّرْقَةِ وَحَدِّ الْقُدْفِ وَلَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَدَّبَ. وأما عن الضرب عند اهل التربية من المتقدمين والمعاصرين: فيكاد يتفق المعلمون على وجوب معاقبة المخطئ وردعه عند تكرار خطئه ، ولكنهم يختلفون في مسألة العقاب البدني للتلميذ ، وفي هذا ثلاثة أقوال لعلماء التربية: القول الأول: يمنعون مطلقاً ضرب الأولاد ويقولون: نرى عدم السماح للمعلم بمعاقبة الولد بدنياً مطلقاً. ويستدلون بأن: أ- هذا الأسلوب غير مجد ، ويؤدي إلى حدوث أمراض نفسية لدى الطالب ، وتجعل الطالب يتخوف من العلم لأدنى سبب ، وكذلك هذا الأسلوب يدعو الطالب إلى الكذب للفرار من عقاب المعلم. ب- ويستدلون بالأحاديث: مثل قول السيدة عائشة : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم أحداً قط بيده ولا أمره ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله». رواه مسلم. وعن أنس -- قال: خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ، فما قال لي قط: أف ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله: إلا أفعلته كذا. متفق عليه. وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضاً: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم. وأجاب موسى لاشين عن هذه الأدلة بقوله: كثيراً ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك يترفع عما يتوهم منه شبهة ظلم ، لهذا لم يضرب بيده - صلى الله عليه وسلم - امرأة ولا صبياً ولا خادماً مهما استدعى الأمر التأديب ، مع أن الضرب للتأديب جائز ، وقال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: وَعَنْهَا قَالَتْ «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يَنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. شَيْئاً أَيْ: أَدْمِيّاً لِأَنَّهُ رَبِّمَا ضَرَبَ مَرْكُوبَهُ (قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً ، خُصّاً بِالدُّكْرِ اهْتِمَامًا بِشَأْنِهِمَا ، وَلِكثْرَةِ وُقُوعِ ضَرْبِ هُدَيْنٍ وَالِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ ، وَضَرْبِهِمَا وَإِنْ جَازَ بِشَرْطِهِ فَأَلْوَلَى تَرْكُهُ. قَالُوا بِخِلَافِ الْوَلَدِ ، فَإِنَّ الْأَوْلَى تَأْدِيبُهُ وَيُوجِبُهُ بَأَنَّ ضَرْبَهُ لِمَصْلَحَةِ تَعَوُّدِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَنْدَبِ الْعَفْوُ بِخِلَافِ ضَرْبِ هُدَيْنِ ، فَإِنَّهُ لِحَظِّ النَّفْسِ غَالِبًا فَنَدَبَ الْعَفْوُ عَنْهُمَا مُخَالَفَةً لِهَوَاهَا وَكَظْمًا لِعِظْهَا. الْقَوْلُ الثَّانِي: يَقُولُونَ لَا بَدَّ مِنَ الضَّرْبِ بِاطِّلاقٍ. يَسْتَدْلُونَ عَلَيْهِ: بِأَنَّ إِغْيَاءَ الْعِقَابِ الْبَدْنِيِّ بِنَاتًا لَهُ عَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ: مِنْهَا أَنْ الطَّالِبَ لَا يَأْبَهُ لِلْمُعَلِّمِ ، وَلَا يَضَعُ لَهُ اعْتِبَاراً ، وَبِالتَّالِي لَنْ يَلْقَى اهْتِمَاماً لِلْعِلْمِ أَيْ (لِلْمَادَةِ الدَّرَاسِيَّةِ). وَعَمَلِيَّةُ إِغْيَاءِ الْعِقَابِ الْبَدْنِيِّ يَنْشِئُ لَنَا جِيلًا مُسْتَهْتَرًا بِالْقِيمِ وَالْمَثَلِ

والعلم. القول الثالث: وهو رأي المحققين من علماء التربية وهو الذي تؤيده الأدلة الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين: أن الضرب آخر الدواء فهو كالملاح للطعام ، إذا وضع في الطعام بكمية كبيرة فسد الطعام ، وإن وضع بكمية قليلة فإنه يصلح الطعام ، فالضرب لا يلجأ إليه إلا بعد استنفاد جميع وسائل التأديب ، فمن الخطأ الفادح التوجه للعقاب البدني مباشرة ومن الخطأ ترك الضرب مطلقاً مع كل الأولاد لأن بعض الصغار لا ينفهم الكلام والنصح ولا ينفهم إلا الضرب ، ولا يستقيم حالهم ولا يصلح أمرهم إلا بالعقوبة أو الخوف منها فلو أنهم تركوا بدون ضرب ؛ لضيّعوا الأخلاق والآداب والواجبات والدروس ، فلا بد من ضربهم ليعتادوا النظام ، ويقوموا بما ينبغي أن يقوموا به ، وإلا لصارت الأمور فوضى فمن فوائده ردع المعاقب عن العودة لسبب العقاب وقد شاهدنا نتائج إلغاء الضرب في المدارس أنه قد أثر على العملية التعليمية تأثيراً سلبياً إلى أن أصبح الطلاب يضربون المدرس والأب والأم ، وصفحات الحوادث في الصحف تسجل مثل هذه الوقائع! فالوسائل البديلة للضرب لم تؤت ثمارها بل ازداد الأولاد عقوقاً وإجراماً ، ومن المشاهد أن الولد الذي يتسامح معه والداه يستمر في إزعاجهما ، والعقاب يصحح السلوك والأخلاق. فإن ضرب الولد يكون في بعض الأحيان أمراً مهماً ، وتركه فيه مفسدة أكبر من مفسدة الضرب. وهذا أمر واضح ، وإن حصول بعض التجاوزات من بعض المعلمين بضرب الطالب ضرباً مبرحاً نتج عنه ضرر - لا يعني إلغاء الضرب نهائياً ، لأن الذي فعله هذا المعلم قد خالف فيه القواعد المبيحة للضرب! فمن المتفق عليه بين الفقهاء أنه لا يجوز التأديب بقصد الإلتلاف ولا يجوز الضرب المبرح ، ومن وقع منه ذلك من المعلمين فإنه يتحمل المسؤولية ، فعقوبة الضرب في المدارس وفي التأديب بشكل عام مهمة ، لها أهميتها في إصلاح النفوس. وتقول الأستاذة "رشا عاشور" مدرسة علم نفس بكلية الآداب جامعة القاهرة: (الأبحاث في مجال تربية الطفل تؤكد أنه يمكن استخدام العقاب كوسيلة لمنع سلوكيات الأبناء المرفوضة مثل العدوانية. أي أن الأب يكون على حق إذا ضرب طفله ، ومعاقبته لمنعه من التصرفات الخطيرة مثل اللعب في أسلاك الكهرباء أو مفاتيح الغاز ونفس الحال يحق للمعلم معاقبة التلميذ الذي يعيب في المرافق أو أدوات التدريس الخاصة بالمدرسة أو ينتهي كنظام الفصل". فإذا كان الضرب بضوابطه الشرعية فلا يصلح إنكاره وتقبيحه إذا لم ينفذ الرفق واللين والرحمة ؛ فإن التربية بالحكمة هي وضع الشيء في موضعه بإحكام وإتقان ، بدون زيادة ولا نقصان ؛ فإن المربي كالتبيب في معالجته للمرض والمرضى ، فمن المرض ما يحتاج إلى حمية المريض عن بعض المأكولات ، ومن المرض ما يحتاج إلى بعض الأدوية اليسيرة ، ومن المرض ما يحتاج إلى كي بالنار عند الحاجة ، ومن المرض ما يحتاج إلى عملية جراحية للمريض ، إذا لم ينفذ في علاجه غيرها ، فتستخدم عند الحاجة إليها ، بشرط الالتزام بالشروط والضوابط الشرعية التي ذكرت من قبل. ومما يؤيده مع ما سبق من الأدلة مجيء نصوص من الكتاب والسنة في التأديب بالقوة عند الحاجة ومن أهمها قول النبي: «مروا الصبي بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع») حسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند. قال في التوضيح الذي شرحه الإمام السعد في التلويح: (وَإِنَّمَا الضَّرْبُ لِلتَّأْدِيبِ) جَوَابُ إِشْكَالٍ ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ يُضْرَبُ ، وَالضَّرْبُ عُقُوبَةٌ ، وَالصَّبِيُّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا؟ فَأَجَابَ بِأَنَّ هَذَا الضَّرْبَ لِلتَّأْدِيبِ ، وَالصَّبِيُّ أَهْلٌ لِلتَّأْدِيبِ". قال ملا حويش: هذا على أن الإنسان قد يقسو أحياناً على شخص لمنفعته وأي منفعة أكبر من الهداية إلى الله ، هذا والأمور بمقاصدها والأعمال بالنيات ، هذا وكون الرفق أكثر تأثيراً على

الإطلاق غير مسلم لأن المقامات متفاوتة يدل ذلك على هذا إرشاده تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في دعاء قومه ، فمرة يقول له: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وتارة: (وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ) وقال لقمان: ضرب الوالد ولده كالسماد للزرع ، وقد أجاز الشارع ضرب الولد للتعليم ، ولكفه عن المساويء ، حتى إن اليتيم الذي أمر الله بالإحسان إليه ورعايته يجوز ضربه لهذه الغاية ، لأن المنهي عنه الضرب عبثاً أو عدواناً. ونأتي إلى الضوابط الشرعية والتربوية للضرب: نعم الضرب مقيد بقيود ، وقد تكلم علماء المسلمين على موضوع الضرب وإباحة الضرب ، وأحاطوه بشروط بالغة في الدقة ؛ لأنه إذا لم تراعى هذه الشروط خرج الضرب عن موضعه التربوي: الشرط الأول: أن يكون ضرباً غير مبرح ، لأنه ليس من أهداف الضرب تشويه الطفل! ولا يجوز أن يكون الضرب كثيراً متكرراً لرجحان مفسدته حينئذٍ وضياع مصلحته ، لما يسببه الضرب المتكرر من بلادة الحس ، وما يؤدي إليه من آثار نفسية سيئة ، وليس الهدف من الضرب إهانة كرامته ، ولا التحقير من شأنه ، وإنما هو وسيلة بنّاءة لا هدامة ، هدفها الإصلاح وليس الإفساد. فلا يجوز للأب أن يضرب أولاده ضرباً مبرحاً ، لأن النبي إنما أمر بضربهم لتأديبهم وتقويمهم لا لتعذيبهم وإيذائهم فالضرب المبرح غير جائز شرعاً ، مع ما يسببه ذلك للأولاد من أذى نفسي ومعنوي قد يطول أثره! قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: يقول بعض الحكماء: إن الإغراق في الضرب يجعل عند الصبي شيء من الجنون ؛ لأنه لا يستطيع أن يركز ، قد تكون عنده شهوة قوية وقد يكون عنده فضول ، وقد يكون عنده شيء من التوجه النفسي الذي لا يحسن فهمه ، فينظر على أنه مجرم وأنه عاصٍ ، فيعاقب فيصبح في تيه ، يرى شدة العقوبة ، ويرى نفسه تبعثه لا شعورياً إلى الشيء ، فيصبح في تيه ، وقد يتولد عنده شيء من النفاق ، بحيث إذا وجدت العقوبة امتنع ، وإذا زالت العقوبة فعل ، فالأمر يحتاج إلى شيء من بعد النظر ، يحتاج إلى شيء من تقوى الله ، ويحتاج إلى شيء من الأخذ بالأسباب". و قال بعض المعاصرين: القاعدة تقول بأن العقاب الشديد في الصغر يسبب اهتزاز الشخصية في الكبر ، وعدم النضج الانفعالي لذا سينعكس هذا على أسلوبه في معاملة الآخرين فيعاملهم بعنف شديد. والشرط الثاني: أن لا يضرب في مكان مهلك أو متلف كالرأس والمذاكير والبطن أو ما شابه ذلك ، أو يكسر عضواً أو يشوه الخلقة ، أو يكوي بالنار فهذا كله حرام ، قال: - "لا يعذب بالنار إلا رب النار". وأن يتقي الوجه في الضرب. قال الرسول: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه». وذلك لأن الوجه هو أشرف الأعضاء في جسم الإنسان ، وهو مكان التكريم ، فالضرب على الوجه يبعث على الكراهية وحب الانتقام ، ولما فيه من محاسن الصورة وأعضاء خطيرة قد تتأذى للطفها وحساسيتها وفيه ، فقد يؤدي الضرب عليه إلى التشويه أو فقدان بعض الحواس. فمن الخطأ ما يفعله بعض الآباء و المعلمين حين يرفسون بأرجلهم ونعالهم ، وربما أصاب ذلك الرفس محلاً خطيراً أودى بحياة الطالب. الشرط الثالث: أن يكون الضرب للتأديب ، وليس للانتقام والتشفي وإطفاء الغضب ، فيجب عدم ضرب الأولاد أثناء انفعالنا حتى لا يتحول الضرب إلى ضرب وحشي غير محسوس به من قبلنا. لأن الغضب قد يُخرج صاحبه عن السيطرة على نفسه ، ولذلك يخطئ بعض الآباء و المعلمين عندما يضرب بعض الأبناء والطلاب وهو في حالة شدة الغضب ضرباً شديداً مبرحاً كالمنتقم لخطأ وقع فيه ، فيظن الأب والمعلم أنه يؤدبه ، وفي الحقيقة أنه ينتصر لنفسه ، وهل هذا إلا بدافع الغضب والانتصار للنفس وحظوظها ، فالضرب ضرورة تربوية يلجأ إليها عند الاضطراب بعد استنفاد كل الوسائل ، والفشل في العلاج عن طريقها ، وعندما يضرب وهو غضبان يفرغ شحنة

الانفعال التي أوجدها تصرف الطفل في قلبه ، فهو من غيظه وشدة غضبه وانفعاله من تصرف الطفل يلجأ للضرب ، فعليه أن يعالج نفسه لا الطفل ، فهو يدمر الطفل ؛ لأنه إذا ابتدأ بالضرب لا يرفع يديه حتى تنتهي الشحنة كلها! وهذا انحراف في الهدف التربوي ؛ فلا يضرب الإنسان وهو غضبان. لأن هذا الأب الذي يضرب مثل هذا الضرب المبرح القاسي ليشفي غليله وغيظه لا يضربه بنية أنه يعالجه ، بل يضربه بحثاً عن راحة نفسه ، وقد قال النبي للرجل الذي استوصاه: (لا تغضب ، قال: أوصني ، قال: لا تغضب ، قال: أوصني قال: لا تغضب). فكرر عليه هذه النصيحة ، وقد عقد الإمام النووي باباً في رياض الصالحين عنوانه: باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب. قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). وأورد حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ" فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الْغَضَبِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ" قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي ، فَقَالَ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ" فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا." قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: فإذا كان الوالد عصبياً فالأفضل أن يترك الأمر للوالدة إذا كانت حكيمة عاقلة ، إذا كان لا يأمن من نفسه أن يضرب أولاده برفق وبقدر ، لكونه إذا ضرب أوجع وبالغ فيه ، فحينئذ ينزع يديه ؛ لأن مثله لا يصلح للتربية بهذا الأسلوب- أعني الضرب- ، وهذا ينبه العلماء عليه في باب اتخاذ الأسباب ؛ لأنه إذا كان منهياً عن ظلم ولده وضربه بالضرب المبرح الذي لا يتحملة ، فلا يجوز له أن يتعاطى أسباب ذلك ، فإذا غلط الولد وكل إلى أمه التربوية ، فيحاول أن يترك الأمر للوالدة هي التي تضرب إذا كانت حكيمة عاقلة ، كذلك أيضاً الوالدة إذا كانت سينة في أسلوب التربية ، وتضرب بشدة ، وتبالغ في استخدام هذا الأسلوب ، هنا ينبغي على الوالد أن يتدخل ، وأن يكف يدها ، وأن يمنعها ويزجرها ويخوفها بالله" ، لأن الضرب شرع لحاجة ، والقاعدة: أن ما شرع لحاجة يقدر بقدرها ، قال أحد الصحابة: (يا رسول الله! إن لي موالى أمرهم فيعصونني ، وأنهامم فيخالفونني ، فأضربهم وأسبهم ، فماذا تأمرني: قال: إذا كان يوم القيامة نظر في أمرك وعصيانهم ، وضربك لهم ، ثم اقتص منك ومنهم ، فتولى يبكي وقال: أشهدك يا رسول الله: أنهم أحرارٌ لوجه الله!) ويرى الدكتور "مصطفى عويس" أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن الضرب أحد وسائل التربية والتهديب ويستدرِك فيقول: (قبل أن نقرّ إباحته لا بد أن يدرك الأب والأم أن الضرب المقصود به هو الذي لا يترك آثاراً نفسية أو جسدية ، فهو ليس وسيلة لتنفيس عقد الآباء في أبنائهم ، فالأولاد يُضربون لتأديبهم وليس لتعقيدهم ، ويجب أن لا يزيد من مكابراتهم وعنادهم ، فليعلم العبد أن الله يحاسبه عن هذه الذرية التي وصفها الله بأنها ذرية ضعيفة ، فهذا رجل مولى قوي ، ويستطيع أن يصبر ويتحمل ومع ذلك نهى النبي عن ضربه ، فكيف بالأبناء والبنات الضعفاء - لا بد أن يكون الهدف من ضرب الأولاد (إن لزم الأمر) علاجاً لتصرفاتهم ، وتأديباً لسلوكلهم ، لا علاجاً لانفعالاتنا ، وتفريغاً لغضبنا ؛ فنحن نضرب لنعلم لا لننتقم ، فمتى ما عادت هذه الوسيلة هدامة أو ترتب عليها فساد ، فقدت قيمتها ولا يلجأ إليها ، فهذا أمر مهم. الضرب ضرورة تأديبية وليست انتقامية. الشرط الرابع: أن يستعمل معه قبل الضرب أساليب أخرى يتدرج فيها قبل أن ينتقل

للضرب: والأسلوب الأول: التربية بالحسنى: فمن ذلك: أسلوب الثواب والترغيب وهو الأسلوب التربوي الأجدى والأنتفع مع الأولاد ؛ ومن أساليب التربية ، التربية بالثواب والتربية بالقوة والتربية بالحكايات والتربية بالمواقف والتربية بالملاحظة والتربية بالمناسبة والتربية بضرب المثل الثواب ، الثناء ، الشكر ، المحبة ، والعطف ، والاهتمام ، وكلها ترفد مصباً واحداً ، وقد فطرت النفوس على حب من أحسن إليها ، فطبيعة النفس البشرية تحب الثناء والشكر محبة اعتدال بدون زيادة ، لأن زيادة الثناء قد يؤدي إلى الرياء ، وجاءت كثير من النصوص تلمي هذه الحاجة الفطرية ، إن الطفل يحب من يهتم به ، ويعطف عليه ، لأنه يريد معرفة ردود الفعل على ما يقوم به من أعمال في عقله ؛ لتصبح في المستقبل علامات لسلوكه ، وتصرفاته ، وكثير ممن انصرفوا بسبب فقدان هذا الاهتمام والمحبة ، وآخرون يعملون أعمالاً لينالوا رضا مربيهن ، والمربي يلاحظ هذا وذلك ويوجه ويساعد على التوازن ، ألا نلاحظ كيف يغار الإخوة من المولود الجديد ، وما ذلك إلا لشعورهم بأنه استأثر أو سوف يستأثر بالأبوين على حسابهم! ولذلك كان من هديه العدل بين الأبناء. ابتساماً رضى من مرب. أو مسحة رأس. أو كلمة طيبة: جزاك الله خيراً ، أحسنت ، كل ذلك وسائل تفعل فعلها والتوسط في توزيعها ، وتجديد أساليبها وطرقها شيء مطلوب ، ورتابتها والإكثار منها يفقدها قوتها! قال الشيخ مصطفى السباعي : أعن ولدك على برك بثلاثة أشياء: لطف معاملته ، وجميل تنبيهه إلى زلاته ، وحسن تنبيهه إلى واجباته واسلك في تربيته ولدك طريق الترغيب قبل الترهيب ، والموعظة قبل التأييب ، والتأييب قبل الضرب ، وآخر الدواء الكي ، ويدل على رحمة الصبيان حديث أنس «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظٍ : «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». زَادَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْبَغَوِيُّ «وَالصَّبِيَّانِ». أ- الأسلوب الثاني: النصح والإرشاد والتحذير من الفعل ، لأن البعض تؤثر فيه الكلمة والتوجيه! فعلى المربي أن يرشد الطالب إلى الخطأ بالملاطفة أو بالإشارة وبالتوجيه والتحذير ، كما ثبت في الحديث عن عمر بن أبي سلمة قال: (كنت غلاماً في حجر الرسول وكانت يدي تطيش في الصحفة - تتحرك في وعاء الطعام فيأكل من عدة أماكن- فقال لي رسول الله: يا غلام سم الله وبكل بيمينك وكل مما يليك). رواه البخاري ومسلم. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: قال الحكماء: إن أفضل ما تكون التربية بالضرب والزجر إذا سبقه نذير ؛ فأول ما يبتدئ الوالد والوالدة أن يأمر الصبي أو الصبية أو ينهياهما عن الشيء ، فإذا لم ينته الولد أو البنت بيئاً لهما سوء العاقبة ، وقالوا له: هذا يضركما لا خير فيه ؛ حتى يصبح امتناعهما عن تعقل من ذاتهما ، لا يعود الولد بمجرد ما يُخطئ يُضرب ، إنما أول ما يبتدئ أن يحذر الصبي ويقول له: لا تفعل كذا ، فإذا انكف الحمد لله ، فإذا فعل ثانية ، يقول له: لا تفعل ، هذا فيه كذا ، فحينئذ إذا لم يمتنع من جهة أمر أبيه أو أمه ، فإنه قد يمتنع من جهة الضرر الموجود في الشيء الذي يفعله فإذا لم يمتنع يقول له: لا تفعل ، فإن فعلت سأضربك ، فإذا قال له: إن فعلت سأضربك ، ووعده أنه يضربه ؛ فإنه إذا فعل يضربه ولا يتأخر ؛ لأنه إذا وعده أن يضربه فجاء يريد أن يضربه فتعلق به ، وقال: لا أعود فأخذته العاطفة فإن الولد سيفعل هذا ثانية ، ويتكل على العاطفة ، فقالوا: بمجرد أن يحذره بالضرب فإنه يضربه ، فإذا ضربه أحس الابن أنه بمجرد تحذير الوالد أو والدة بالضرب بأنه سيقع ما وعدا به من العقوبة ، لكن بعض العلماء يقول: لا ينبغي أن يبادر الوالدان إلى هذا الأسلوب ؛ لأنه يعود الولد على اليأس والقنوط من رحمة الوالدين ، بل ينبغي عليهما أن تكون عندهم مرونة، تختلف بحسب الأحوال ، وما يكون

من الصبي من الأخطاء ، وأحوال الصبية والصبيان ، فهذا صعب لا نستطيع أن نضع ضابطاً فيه ؛ ولكن الأمر يرجع إلى اجتهاد الوالدين". قال ملا علي القاري عند الحديث الذي في قصة الحسن بن عليٍّ لما وضع النمرة في فيه قال له كبح كبح أما علمت أننا لا نأكل الصدقة كما تقدم بسطة في موضعه" قال بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح البخاري: وفيه: أن الأطفال إذا نهوا عن الشيء يجب أن يعرفوا لأي شيء نهوا عنه ليكونوا على علم إذا جاءهم أو أن التكليف. قال بعض المعاصرين: لا ينفع أن تظهر غضبك للطفل دون أن تشرح له الأسباب التي أدت إلى غضبك ، أو تشيح عنه بوجهك ، وتعرض عنه ، أو تعاقبه وهو يقول لك: ماذا عملت؟ فتقول له: هكذا فقط! لا ، الصواب أنك عندما تغضب من فعل أنك تعلمه بسبب هذا الغضب ؛ لأنه لا يستطيع أن يقرأ أفكارك ، ولم يصل بعد لمرحلة من النضج تؤهله لأن يفهم ما الخطأ الذي صدر منه ؛ ففي هذه الحالة يجب أن يتفهم الطفل الأسباب التي أدت إلى غضب الوالدين. (المرحلة الأخيرة) الضرب بشروطه ولا يلجأ للضرب إلا حيث لا ينفع غيره فالضرب يكون بعد استنفاد جميع الوسائل ، فإذا لم تفجح هذه الأساليب ولم تأت بالثمرة المرجوة منها فحينئذ يجوز استعمال الضرب وسيلة من وسائل التربية وتكوين السلوك. فمن ضرب أولاده لتأديبهم ملتزماً بالضوابط المذكورة ، فلا إثم عليه. فالأولاد الذين لا ينتفعون بالثواب ولا يحدون عن خطئهم فيعاقبون بعقاب ملائماً للسلوك الخاطيء. فمثلاً إذا كان الولد لا يقوم للصلاة إلا بالضرب بعد استيفاء جميع الوسائل السابقة فإنه يضربه ضرباً غير مبرح ، ضرباً معتاداً ؛ وأما الأولاد الذي تجدي فيهم الوسائل السابقة فليس للمربي أن يضربهم ، ويدلنا على ذلك ما قاله سبحانه في ضرب النساء: (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) ، فجعل الضرب في المرتبة الثالثة! قال الشيخ الحجار في تعليقه على فتاوى النووي: فإفتاء المؤلف بجواز الضرب والخدمة من هذا القبيل ؛ ولكن المصلحة تتفاوت على حسب الولد سناً ، وعلماً ومنزلة: فمنهم من تكفيه الإشارة ، ومنهم من تكفيه العبارة ، ومنهم من لا يأتي إلا بالعتب ، ومنهم من لا ينزجر إلا بالعصا والتوبيخ. وقد لخص ما سبق الشيخ مصطفى السباعي قائلاً: لا تستعمل الضرب في تأديب ولدك إلا حين تخفق الموعظة والتأنيب ، وليكن ضربك له ضرب تربية لا ضرب انتقام ، وتجنب ضربه وأنت شديد الغضب منه ، واحذر موطن الأذى من جسمه ، وأشعره وأنت تضربه أنك لا تزال تحبه. وقل ما استطعت من استعمال الضرب وسيلة للتأديب. ولأن يهابك ويحبك خير من أن يخافك ويكرهك. وعليك أيها المربي أن تسلك سبيل التربية الصحيح: اسلك في تربية ولدك طريق الترغيب قبل الترهيب ، والموعظة قبل التأنيب ، والتأنيب قبل الضرب ، وآخر الدواء الكي. الشرط الخامس في للضرب: أن يكون العقاب مساوياً للذنب ويكون العقاب مناسباً للموقف أي حسب حجم الخطأ ، يروى عن النبي من حديث عبد الله بن بسر قال: (بعثتني أمي إلى رسول الله بقطف من عنب ، فأكلت منه قبل أن يبلغه إياه ، فلما جئت أخذ بأذني وقال: يا غدر يا غدر) يعني: ظهر له أنه أكل منه في الطريق ، والحديث رواه ابن السني. الشاهد أن هذا فيه دليل على أن يفرك أنه كعتاب خفيف على الخطأ الخفيف ، فإن كان الذنب أكبر تكون العقوبة أكبر ، وإذا لم يجد معه هذا العقاب تنتقل إلى عقاب أقسى نوعاً ما. الشرط السادس: أنه يجب أن يكون الثواب والعقاب بالتساوي بين كل الأولاد ، لا أن يحاسب الكبير أكثر من الصغير ؛ فقط لأنه أكبر سناً! ولا أن تعاقب البنت لأخطاء ترتكبها لا يعاقب على مثلها أخوها ؛ فقط كونه ذكراً وهي أنثى. قال الشيخ مصطفى السباعي: أخطر شيء على الأسرة أن يميز الأبوان بعض الأولاد على بعض في الحب والدلال والإغضاء عن الزلات ،

وأخطر من ذلك: أن يعلننا كرههما للواحد وحبهما للآخر ، فتلك هي بذرة العداء بين الإخوة والأخوات ، تثمر بعد رشدهم واستقلالهم بشؤون أنفسهم جفاء وخصومة قد ينتهيان إلى الجريمة. ومن القواعد المهمة في التعامل مع الأولاد: * أن لا نغلب جانب الحزم على اللين ، ولا جانب اللين على الحزم ، مع المحافظة على أن يكون الأصل في التعامل هو الرحمة واللين. يرى الدكتور "عدلي السمري" أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس أن الأم هي المدرسة الأولى التي يتربى فيها الأبناء حيث تغرس فيهم القيم والأخلاق النبيلة التي تكون شخصيتهم ، فهي التي يقع عليها العبء الأكبر في التربية ، فإذا كانت واعية ومدركة لمدى مسنوليتها وتأثيرها على الأجيال القادمة ، فسوف تتعامل مع أولادها بحكمة ، وتمسك العصا من النصف ، بمعنى أن لا تضربهم إلى أن يؤدي الضرب إلى عقد نفسية لديهم وأن لا تترك الحبل على الغارب كما يقولون ، فتتسبب بلا قصد في انحرافهم. وسطية التربية بين التدليل والقسوة! والإفراط في التدليل خطر ، والإفراط في القسوة والحرمان أيضاً خطير على الطفل ، والإفراط في التدليل يصنع من الطفل طاغية صغيراً ، فالتعود على أن تشبع حاجاته حتى الحاجات الثانوية والتافهة خطأ ، نعم هو طفل ، وله احتياجاته الأساسية ولا بد من شيء من التدليل والحنان وتحقيق رغباته ؛ لكن بقدر متوسط ، فتشبع احتياجاته الأساسية: الأكل والشرب والملابس إلى آخره ، تشبع حاجاته الأساسية دون تدليل ، وإلا فالطفل سوف تحوله أنت إلى طاغية صغير ، ويصبح ملكاً غير متوج ، والتاج ليس على رأسه إنما على رأس الأب! لكن في الحقيقة هو الأمر الناهي المتحكم في الآخرين. وفي الجانب الآخر: هناك إفراط في القسوة والحرمان أيضاً ، وهذه في غاية الخطورة ، الأب يريد أن يحول البيت إلى ثكنة عسكرية ، وأمر ونواهٍ ، ضابط وجندي ، وكأنه في الجيش أو في الشرطة! لا يوجد تراحم أو مرونة ، فموضوع الثكنة العسكرية هذا يؤدي إلى أنه يحرم من فرصته في إثبات ذاته ؛ لأن الإنسان في النظام العسكري ليس له إرادة ، ولا بد أن تسلب منه الإرادة حتى تسير الأمور في الحرب وفي غيرها ، والأمور الإدارية والروتينية تحتم وجود ضابط وجندي ، هذا يقرر والثاني ينفذ ، لكن هذا الوضع في البيت سيحرم الطفل من فرصته في إثبات ذاته ؛ لأنه يرى أنه يخنق نفسه ولا يحقق ذاته. الشاهد: أن تحويل البيت إلى مناخ ضابط وجندي يحرم فيه الطفل من إثبات ذاته ، وتسد الطرق السوية التي يجب أن يسلكها لكي ينمو نمواً طبيعياً ، فحينها ليس أمامه إلا المقاومة عن طريق المقاومة السلبية بالعناد أو التحدي ، فلا بد من ترك الطفل على تهيئته ، وإعطائه مساحة من الحرية ومرونة وتدريب على التعاون ؛ ليوصل تواصل ، ويحصل التعاون بين الطرفين ، ونستجيب أيضاً لطلباته المعقولة ، ليس الحرمان لأجل الحرمان لا ، لا بد من الطلبات المعقولة التي تجاب حتى لا يشعر بالقهر والظلم. * أن يتم تطبيقه عقب صدور السلوك المرفوض فوراً ، ولا ينتظر مده حتى يعاقب الطفل عليها. * أن يترك للطفل مساحة حرية ، فلا يكون الأب كالظل الذي لا يفارق الولد: قد يصل بعض الآباء إلى مستوى الوسوسة ويجعل كل همه طوال النهار هذا الطفل ؛ بحجة أنه يريد أن يحسن تربيته ، وإذا تكلم فإنه يعلق عليه ويوبخه ، وإذا تصرف كان وراءه مثل الظل ، فهذا كيف يتحملة ولده؟! فالشاهد أنه لا بد من وجود مساحة حرية للطفل ، وأحياناً كثيراً نتغاضى عن الأخطاء ، بدون التعليق على كل خطأ والنقد لكل شيء . وهذا ما نص عليه الإمام الغزالي وابن مسكويه وغيرهم من قدماء علماء التربية من المسلمين وسيأتي كلامهم - لأنك بهذا تفقده الثقة بنفسه ، فلا بد من مساحة حرية للطفل لتتيح لشخصيته أن تتبلور وتتكون ، فالكبت والقهر الدائم له آثاره. فسلوك الوالدين

مع الطفل العنيد لابد أن يتسم بالحزم المرن المغلف بالحنان والحب والعاطفة ، مع ترك مساحة حرية للطفل حتى تتكون شخصيته وينمو كما هي سنة الحياة * أن لا تقيس تصرفاته بعقلك أنت: إن الخطورة كل الخطورة أنك تقيس تصرفاته بعقلك أنت ، فأنت وأنت صغير كنت ترتكب نفس الأخطاء ، وهنا قاعدة مهمة بينها لنا بقوله: كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم قال ابن عاشور: وَهَذِهِ تَرْبِيَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَهِيَ أَنْ يَسْتَشْعِرَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ مُوَآخَذَتِهِ غَيْرَهُ أَحْوَالًا كَأَنَّ هُوَ عَلَيْهَا تُسَاوِي أَحْوَالٍ مَنْ يُوَآخِذُهُ ، كَمُوَآخَذَةِ الْمُعَلِّمِ التَّلْمِيذَ بِسُوءٍ إِذَا لَمْ يُقَصِّرْ فِي إِعْمَالِ جِهْدِهِ. وَكَذَلِكَ هِيَ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَمْتَحِنُونَ طَلَبَةَ الْعِلْمِ فَيَعْتَادُونَ التَّشْدِيدَ عَلَيْهِمْ وَتَطَلُّبَ عَثْرَاتِهِمْ ، وَكَذَلِكَ وَلاَةُ الْأُمُورِ وَكِبَارُ الْمُوظَّفِينَ فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ لِنَظَرِهِمْ مِنْ صِغَارِ الْمُوظَّفِينَ ، وَكَذَلِكَ الْأَبَاءُ مَعَ أَبْنَائِهِمْ إِذَا بَلَغَتْ بِهِمُ الْحَمَاقَةُ أَنْ يَنْتَهَرُوهُمْ عَلَى اللَّعِبِ الْمُعْتَادِ أَوْ عَلَى الضَّجْرِ مِنَ الْأَلَامِ. ونأتي لرأي رأي ابن سحنون في الضرب : 202هـ ومات سنة 256هـ: يورد ابن سحنون تحت هذا العنوان روايات تتضمن أقوالاً للنبي تحدد مدى ما يجوز للمعلم في عقاب الصبيان وتأديبهم ، منها قول النبي: " لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد" وقوله: "أدب الصبي ثلاث درر ، فمن زاد عليه قوصص - من القصاص - يوم القيامة". وهذا يعني أن ضرب المعلم الصبي يجوز بين ثلاث درر ولا يزيد عن عشرة عند تأديبهم على اللعب والبطالة. ويكون التأديب بهدف منفعتهم لا بسبب غضب المؤدب. ويجب أن يكون التأديب على قدر الذنب دون إسراف. 5- لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبي على رأسه أو وجهه ولا يجوز له أن يمنع من طعامه وشرابه إذا أرسل في طلبه. 16- يجب على المعلم أن يأمر الصبي بالصلاة إذا كان ابن سبع سنين ويضربه عليها إذا كان ابن عشر. وعليه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأنها من تمام دينهم ، ويعلمهم أيضاً سنن الصلاة ، والابتهاج إلى الله. 20- على المعلم أن يؤدب الصبيان إذا أدى بعضهم بعضاً. ونأتي لرأي القابسي: ولد بالقيروان سنة 324هـ -935م يقول: إن العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل لنا في القصاص حياة. وقد أقر القابسي مبدأ عقاب الصبيان لكنه يترفق معهم تمشياً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو. وينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد ، وطالبه بأن يكون رقيقاً به عادلاً في عقابه غير متشدد فيه. ومن الرفق أن لا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل ، وإنما ينبهه مرة بعد أخرى ، فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب وقد نهى القابسي عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب. بل طلب من المعلم أن يترفق بالصبيان فيأذن لهم بالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب ثم يعودون. وهذا يعني أن الدراسة بالكتاب كانت تمتد إلى العصر. ونهى القابسي عن الانتقام في العقاب ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان في حالة الغضب حتى لا يكون "ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه". وأشار القابسي إلى اتباع أسلوب الترغيب والترهيب في معاملة الصبيان فأقر الضرب كعقوبة ، إلا أنه اشترط لها شروطاً من أهمها: (لا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب. - أن يكون العقاب على قدر الذنب. - أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث. - أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكله لواحد من الصبيان. - أن يكون الضرب على الرجلين ، ويتجنب الضرب على الوجه والرأس أو الأماكن الحساسة من الجسم. - أن تكون آلة الضرب هي الدرة والفلقة ، ويجب أن يكون عود الدرة رطباً مأموناً. وهذه نفس الشروط تقريباً التي أشار إليها ابن سحنون من قبل. ونأتي لرأي ابن مسكويه: 320هـ -412هـ ، 933م-1030م ، أكد ابن مسكويه في تربية النشء على أهمية الدين واعتبره دعامة قوية في هذه التربية لأنه حصن للشباب وغير عاصم لهم من الزلل والخطأ. وهو يرى أن تربية الصبي وتنشئته على الخلال

الحميدة إنما تكون عن طريق العقل ، وأن ظهور الحياء عليه دليل على بزوغ عقله وأنه أصبح يدرك القبيح والحسن ويميز بينهما. كما أنه يرى أن نفس الصبي مهيأة للإدراك والمعرفة. فهي أشبه بصفحة بيضاء ولم تنتقش بعد صورة ولا رأي لها وعزيمة تملئها من شيء إلى شيء. فإذا تفتت بصورة وقبلتها نشأت عليها واعتادتها ، ولهذا يرى ابن مسكويه أنه يجب أن نطبع في نفس الصبي القيم والمثل العليا والاعتزاز بالنفس والكرامة. كما يجب أن نطالب الصبي بحفظ جيد الأشعار ومحاسن الأخبار ، وأن نجنبه سماع الأشعار السيئة ومرافقة أهل السوء. ويشير ابن مسكويه إلى ناحية تربوية هامة في التعامل مع الصبي وهي أن نمدحه على كل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ونكافئه عليه ، وإن حدث منه مخالفة فالأولى أن لا يوبخ عليها ولا يكشف بها ، بل يتغافل عنها لا سيما إذا حاول إخفاءها. ذلك أنه إذا تعود على التوبيخ والمكاشفة حمله ذلك على الوقاحة وحرصه على معاودة ما كان قد استقبحه. وهان عليه سماع الملامة في ركوب القباح التي تدعو إليها نفسه. وبالنسبة لأدب العلم والتعلم يقول ابن مسكويه إنه ينبغي أن يعود الصبي على خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه. وأن يعود على طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم. وفي تلقينه العلم من أستاذه عليه أن لا يعترض ولا يسأل بل يكتفي في بداية أمره بالقبول ، حتى إذا بلغ في العلم شأناً يمكنه من معرفة الأسباب والعلة طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عاداته به فاستحكم رأيه وقويت بصيرته ونفذت عزمته. وينبغي أن يؤذن للصبي في بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاً ليستريح إليه من تعب الأدب ، ولا يكون في لعبة ألم ولا تعب شديد وتعرض ابن مسكويه بتفصيل كبير إلى آداب الأكل والطعام. فأشار إلى عدة مبادئ هامة منها أن يوضح للنشء أن الأطعمة إنما تتراد للصحة لا للذة ، أي أننا نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل. وهو مبدأ صحي وأخلاقي سليم ، فالأطعمة والأغذية شبيهة بالأدوية نداوي بها الجوع كما نداوي بالأدوية المرض. ومن مبادئ آداب الطعام أيضاً أن يعلم الصبية إذا جلسوا مع غيرهم على مائدة الطعام أن لا يبادروا إلى الطعام أولاً ، وأن لا يديموا النظر إلى أنواعه الموجودة. ولا ينبغي لهم أن يتسرعوا في الأكل أو يضحخوا الكمية المتناولة. وينبغي عليهم أن يمضغوا الطعام جيداً ولا يبادروا ببلعه. ولا ينبغي للصبي أن يلطخ يده أو ثوبه بما يتناوله من طعام أن لا يجعل غذاءه الرئيسي نهائياً لأن ذلك يحمله على الكسل ويلجئه إلى النوم ويتبلد ذهنه وفهمه. وإنما يستوفي غذاءه العشي ، لأن هذا أصح له وأنسب بعد عناء يومه. وينصح ابن مسكويه بمنع الصبي من الإكثار من أكل اللحم ، وإن منع منه في أكثر أوقاته كان أنفع له حتى لا يعود على الترف. أما الحلوى فيمنع منها البتة إن أمكن ، وإلا فليتناول القليل منها لأنها تستحيل في بدنه فتكثر انحلاله ، كما أنها تعود على الشر والاستكثار من الأكل ، وبالنسبة إلى آداب اللباس يشير ابن مسكويه بأن لا يتزين الصبي بملابس النساء ، ولا يلبس الخليع منها ، ولا يفخر على أقرانه بشيء من مأكله وملبسه ولا بما يملكه والده. ويجب أن يعود الصبي على التواضع وكرم المعاشرة وعدم الكذب وعدم الحلف باليمين البتة سواء كان صادقاً أم كاذباً. ويجب أن يعود الصمت وقلة الكلام. ويمنع من خبيث الكلام ومن السب واللعن ولغو الكلام. وهذا هو الإمام الماوردي: 364هـ-450هـ يروي أن التأديب ضروري لأن النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلّة لا يستغنى محمودها عن التأديب والتهذيب. ولأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة ، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة ، لأنها عليه غير مطبوعة فتصير منه أنفر ولضده أثر. وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه. وإذا شرفت النفس

كانت للآداب طالبة وفي الفضائل رغبة فإذا مزجها صارت طبعاً ملائماً. ويقول الماوردي إن الأدب مكتسب بالتجربة ومستحسن بالعادة. وقد روي عن النبي قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وهو يرى أن التأديب يلزم من وجهين أو جانبين. أحدهما ما يلزم الوالد لولده في صغره. والثاني ما يلزم الإنسان في نفسه عند نشأته وكبره يتناول الماوردي الكلام عن الشروط التي يجب أن تتوافر في طالب العلم ويورد تسعة شروط هي: (- العقل الذي يدرك به حقائق الأمور. - الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم. - الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه. - الشهوة أو الرغبة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليها الملل. - الاكتفاء بمادة تغنيه عن تلقي الطلب. - الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار. - عدم القواطع "أي ما يسبب الانقطاع" المذهلة من هموم وأشغال وأمراض. - طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار مراتب الكمال. - الظفر بعالم سمح بعلمه متأن في تعليمه). ويقول الماوردي إن طالب العلم الذي استكمل هذه الشروط التسعة هو أسعد طالب وأنجح متعلم. فينبغي أن يصرف للعلم حظاً من زمانه. فليس كل الزمان اكتساب ولا بد للمكتسب من أوقات استراحة وأيام عطلة ومن آداب العلماء التي يذكرها الماوردي أيضاً نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم وبذل المجهود في مساعدتهم ومعونتهم. ومن آدابهم أيضاً ألا يعنفوا متعلماً ولا يحقروا ناشئاً ولا يستصغروا مبتدئاً. فقد روي عن النبي قوله: "علموا ولا تعنفوا" ، وقوله أيضاً: "وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه". آداب رياضة النفس واستصلاحها. وهذا هو الغزالي وآراؤه التربوية: 450هـ - 555هـ ، 1058م - 1111م. الغاية من التربية هي التقرب إلى الله ، والدليل على ذلك طلب العلوم ومحاسن الأخلاق ، وفي ذلك يقول: على المعلم أن ينبه المتعلم على أن الغرض من طلب العلوم هو التقرب إلى الله دون الرياسة والمباهاة. وغاية الأخلاق حب الله وحب لقائه والبعد عن الدنيا ، وهو يقول: "مهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فليصنعه عن نار الآخرة أولى وصيانيته أن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق". يقول الغزالي: (اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ فِي رِيَاضَةِ الصَّبِيَّانِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ وَأَوْكَدِهَا وَالصَّبِيَّانِ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ. وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَادَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِنْ عَوَّدَ الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ نَشْأً عَلَيْهِ وَسَعَدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبُوهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ. وَإِنْ عَوَّدَ الشَّرَّ وَأَهْمَلَ إِهْمَالَ الْبُهَائِمِ شَقِيٌّ وَهَلَكَ وَكَانَ الْوَزْرُ فِي رِقْبَةِ الْقِيمِ عَلَيْهِ وَالْوَالِي لَهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا. وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ عَنِ نَارِ الدُّنْيَا فَبِأَنْ يَصُونَهُ عَنِ نَارِ الْآخِرَةِ أَوْلَى وَصَيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيَهْدِيَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْقِرْنَاءِ السُّوءِ وَلَا يَعُوذُهُ التَّنَعُّمُ وَلَا يُحِبُّ إِلَيْهِ الزَّيْنَةُ وَالرَّفَاهِيَةُ فَيَضِيعُ عُمُرُهُ فِي طَلَبِهَا إِذَا كَبُرَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَبْدِ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَرِاقِبَهُ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ فَلَا يَسْتَعْمِلَ فِي حَضَانَتِهِ وَإِرْضَاعِهِ إِلَّا امْرَأَةً مَتَدِينَةً تَأْكُلُ الْحَلَالَ فَإِنَّ اللَّبْنَ الْحَاصِلَ مِنَ الْحَرَامِ لَا بَرَكَةَ فِيهِ فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَشْوُ الصَّبِيِّ انْعَجَتِ طِينَتُهُ مِنَ الْخَبِيثِ فَيَمِيلُ طَبَعُهُ إِلَى مَا يَنَاسِبُ الْخَبَائِثَ. وَمَهْمَا رَأَى فِيهِ مَخَائِلَ التَّمْيِيزِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْسِنَ مُرَاقِبَتَهُ وَأَوَّلَ ذَلِكَ ظُهُورُ أَوَانِلِ الْحَيَاءِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَحْتَشِمُ وَيَسْتَحِي وَيَتْرُكُ بَعْضَ الْأَفْعَالِ فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِشْرَاقِ نُورِ الْعَقْلِ عَلَيْهِ حَتَّى يَرَى بَعْضَ الْأَشْيَاءِ قَبِيحاً وَمُخَالَفاً لِبَعْضِ فَصَارَ يَسْتَحِي مِنْ شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَبِشَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى اعْتِدَالِ الْأَخْلَاقِ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ وَهُوَ مَبْشَرٌ بِكَمَالِ الْعَقْلِ عِنْدَ الْبُلُوغِ فَالْصَّبِيُّ الْمُسْتَحِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمَلَ بَلْ يَسْتَعَانَ عَلَى تَأْدِيبِهِ بِحَيَاتِهِ أَوْ تَمْيِيزِهِ. وَأَوَّلَ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ شَرُّهُ الطَّعَامِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ فِيهِ مِثْلُ

أَنْ لَا يَأْخُذَ الطَّعَامَ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ عِنْدَ أَخْذِهِ وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ وَأَنْ لَا يُبَادِرَ
 إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ غَيْرِهِ وَأَنْ لَا يَحْدِقَ النَّظْرَ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى مَنْ يَأْكُلُ وَأَنْ لَا يُسْرِعَ فِي الأَكْلِ وَأَنْ يُجِيدَ
 المَضْغَ وَأَنْ لَا يُؤَالِيَ بَيْنَ اللُّقْمِ وَلَا يُلَطِّخَ يَدَهُ وَلَا تُؤْبَهُ وَأَنْ يُعَوِّدَ الخُبْزَ القَفَارَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ
 حَتَّى لَا يَصِيرَ بِحَيْثُ يَرَى الأدمَ حَتْمًا وَيَقْبِحَ عِنْدَهُ كَثْرَةُ الأَكْلِ بِأَنْ يُشَبَّهُ كُلُّ مَنْ يُكْثِرُ الأَكْلَ بِالبُهَانِمِ
 وَبِأَنْ يُدَمَّ بَيْنَ يَدَيْهِ الصَّبِيُّ الَّذِي يُكْثِرُ الأَكْلَ وَيَمْدَحُ عِنْدَهُ الصَّبِيُّ المُتَادِبُ القَلِيلُ الأَكْلَ وَأَنْ يُحَبِّبَ
 إِلَيْهِ الإِيثَارَ بِالطَّعَامِ وَقِلَّةَ المُبَالَاةِ بِهِ وَالقَنَاعَةَ بِالطَّعَامِ الخَشِينِ أَيَّ طَعَامٍ كَانَ. وَأَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ مِنَ
 الثِّيَابِ البِيضِ دُونَ المَلُونِ وَالإِبْرِسَمِ وَيُقَرِّرَ عِنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنُ النِّسَاءِ وَالمُخَنَّثِينَ وَأَنَّ الرِّجَالَ
 يَسْتَنكِفُونَ مِنْهُ وَيُكْرَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَمَهْمَا رَأَى عَلَى صَبِي ثَوْبًا مِنْ إِبْرِسَمٍ أَوْ مَلُونٍ فَيَنْبَغِي أَنْ
 يَسْتَنكِرَهُ وَيَذَمَّهُ وَيَحْفَظُ الصَّبِيَّ عَنِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ عَوَّدُوا التَّنَعُّمَ وَالرِّفَاقِيَّةَ وَالبُسَّ الثِّيَابِ الفَاحِشَةَ
 وَعَنْ مُخَالَطَةِ كُلِّ مَنْ يُسْمَعُهُ مَا يُرَغِّبُهُ فِيهِ. فَإِنَّ الصَّبِيَّ مَهْمَا أَهْمَلَ فِي ابْتِدَاءِ نَشْوِهِ خَرَجَ فِي
 الأَعْلَبِ رَدِيءِ الأَخْلَاقِ كَذَابًا حَسُودًا سَرُوقًا نَمَامًا لِحُوحًا ذَا فِصُولٍ وَضَحِكٍ وَكِيَادٍ وَمَجَانَةٍ وَإِنَّمَا
 يُحْفَظُ عَنِ جَمِيعِ ذَلِكَ بِحُسْنِ التَّأْدِيبِ. ثُمَّ يَسْتَعْلَمُ فِي المَكْتَبِ فَيَتَعَلَّمُ القُرْآنَ وَأَحَادِيثَ الأَخْبَارِ
 وَحِكَايَاتِ الأَبْرَارِ وَأَحْوَالَهُمْ لِيَنْعَرَسَ فِي نَفْسِهِ حُبَّ الصَّالِحِينَ وَيَحْفَظُ مِنَ الأَشْعَارِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرُ
 العِشْقِ وَأَهْلِهِ وَيَحْفَظُ مِنَ مُخَالَطَةِ الأَدْبَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الظَّرْفِ وَرَقَّةِ الطَّبَعِ فَإِنَّ
 ذَلِكَ يَغْرِسُ فِي قُلُوبِ الصَّبِيَّانِ بَدْرَ الفَسَادِ. ثُمَّ مَهْمَا ظَهَرَ مِنَ الصَّبِيِّ خُلُقٌ جَمِيلٌ وَفِعْلٌ مَحْمُودٌ
 فَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ عَلَيْهِ وَيُجَازَى عَلَيْهِ بِمَا يَفْرُحُ بِهِ وَيَمْدَحُ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ فَإِنَّ خَالَفَ ذَلِكَ فِي
 بَعْضِ الأَحْوَالِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعَافَلَ عَنْهُ وَلَا يَهْتَكِ سِتْرَهُ وَلَا يَكْاشِفُهُ وَلَا يُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ
 يَتَصَوَّرُ أَنْ يَتَجَاسَرُوا أَحَدٌ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا سِيِّمًا إِذَا سَتَرَهُ الصَّبِيَّ وَاجْتَهَدَ فِي إِخْفَانِهِ فَإِنْ إِظْهَرَ
 ذَلِكَ عَلَيْهِ رَبَّمَا يَفِيدُهُ جَسَارَةً حَتَّى لَا يُبَالِيَ بِالمُكَاشَفَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ إِنْ عَادَ ثَانِيًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَاتَبَ
 سِرًّا وَيُعْظَمَ الأَمْرُ فِيهِ وَيَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمِثْلِ هَذَا وَأَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا
 فَتَفْتَضِحَ بَيْنَ النَّاسِ. وَلَا تُكْثِرِ القَوْلَ عَلَيْهِ بِالعِتَابِ فِي كُلِّ حِينٍ فَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيْهِ سَمَاعُ المَلَامَةِ
 وَرُكُوبُ القَبَاحِ وَيَسْفُطُ وَقَعَ الكَلَامِ مِنْ قَلْبِهِ. وَلِيَكُنِ الأبُ حَافِظًا هَيِّبَةً الكَلَامِ مَعَهُ فَلَا يُؤْبِخُهُ إِلَّا
 أَحْيَانًا وَالأُمُّ تُخَوِّفُهُ بِالأَبِ وَتَرْجُرُهُ عَنِ القَبَاحِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُنَمَّعَ عَنِ النُّومِ نَهَارًا فَإِنَّهُ يُورِثُ
 الكَسَلَ وَلَا يُنَمَّعُ مِنْهُ لَيْلًا وَلَكِنْ يُنَمَّعُ الفُرْشُ الوَطِينَةُ حَتَّى تَتَصَلَّبَ أَعْضَاؤُهُ وَلَا يَسْمَنُ بَدَنُهُ فَلَا
 يَصِيرُ عَنِ التَّنَعُّمِ بَلْ يُعَوِّدُ الخُسُونَةَ فِي المَفْرَشِ وَالمَلْبَسِ وَالمَطْعَمِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُنَمَّعَ مِنْ كُلِّ مَا
 يَفْعَلُهُ فِي خَفِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُخْفِيهِ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَبِيحٌ فَإِذَا تَرَكَ تَعُودَ فِعْلِ القَبِيحِ. وَيُعَوِّدُ فِي
 بَعْضِ النِّهَارِ المَشْيَ وَالحَرَكَةَ وَالرِّيَاضَةَ حَتَّى لَا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الكَسَلُ وَيُعَوِّدُ أَنْ لَا يَكْشِفَ أَطْرَافَهُ
 وَلَا يُسْرِعَ المَشْيَ وَلَا يَرْخِي يَدَيْهِ بَلْ يَضْمَعُ إِلَى صَدْرِهِ وَيُنَمَّعُ مِنْ أَنْ يَفْتَحَرَ عَلَى أَقْرَانِهِ بِشَيْءٍ
 مِمَّا يَمْلِكُهُ وَالدَّاهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ مَطَاعِمِهِ وَمَلَابِسِهِ أَوْ لُوحِهِ وَدَوَاتِهِ بَلْ يُعَوِّدُ التَّوَاضُعَ وَالإِكْرَامَ
 لِكُلِّ مَنْ عَاشَرَهُ وَالتَّلَطُّفَ فِي الكَلَامِ مَعَهُمْ. وَيُنَمَّعُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الصَّبِيَّانِ شَيْئًا بَدَا لَهُ حَشْمَةٌ إِنْ
 كَانَ مِنَ الأَوْلَادِ المَحْتَشَمِينَ بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ الرِّفْعَةَ فِي الإِعْطَاءِ لَا فِي الأَخْذِ وَأَنَّ الأَخْذَ لُؤْمٌ وَخِسَّةٌ
 وَدَنَاءَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْلَادِ الفُقَرَاءِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الطَّمَعِ وَالأَخْذَ مَهَانَةً وَذِلَّةً وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ دَابِ الكَلْبِ
 فَإِنَّهُ يُصْبِصُ فِي انْتِظَارِ لُقْمَةٍ وَالمَطْعِ فِيهَا. وَبِالجُمْلَةِ يُقْبِحُ إِلَى الصَّبِيَّانِ حُبَّ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ
 وَالمَطْعِ فِيهِمَا وَيَحْدَرُ مِنْهُمَا أَكْثَرُ مِمَّا يُحْدَرُ مِنَ الحَيَاتِ وَالعقَابِ فَإِنَّ أَفَةَ حُبِّ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ
 وَالمَطْعِ فِيهِمَا أَضَرُّ مِنْ أَفَةِ السُّمُومِ عَلَى الصَّبِيَّانِ بَلْ عَلَى الأَكَابِرِ أَيْضًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَوِّدَ أَنْ لَا
 يَبْصُقَ فِي مَجْلِسِهِ وَلَا يَمْتَخِطُ وَلَا يَتَشَاءَبُ بِحَضْرَةِ غَيْرِهِ وَلَا يَسْتَدْبِرُ غَيْرَهُ وَلَا يَضَعُ رِجْلًا عَلَى
 رِجْلِ وَلَا يَضَعُ كَفَّهُ تَحْتَ دَقْنِهِ وَلَا يَعْمِدُ رَأْسَهُ بِسَاعِدِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلُ الكَسَلِ. وَيَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ الجُلُوسِ

وَيُمنَعُ كَثْرَةَ الكَلَامِ وَيُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الوَقَاحَةِ وَأَنَّهُ فِعْلٌ أُنْبَاءِ النَّامِ. وَيُمنَعُ الِيمِينَ رَأْسًا صَادِقًا كَانَ أَوْ كاذِبًا حَتَّى لَا يَعتادَ ذَلِكَ فِي الصَّغَرِ وَيُمنَعُ أَنْ يَبْتَدِيءَ بِالكَلَامِ وَيَعودُ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا جَوَابًا وَبِقدَرِ السُّؤالِ وَأَنْ يَحسِنَ الإِستِماعَ مَهْمَا تَكَلَّمَ غَيْرُهُ مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا. وَأَنْ يَقُومَ لِمَنْ فَوْقَهُ وَيُوسِّعَ لَهُ المَكَانَ وَيَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَيُمنَعُ مِنْ لُغُو الكَلَامِ وَفُحْشِهِ وَمِنْ اللُّغْنِ وَالسَّبِّ وَمِنْ مُخَالَطَةِ مَنْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْرِي لَا مَحَالََةَ مِنَ القِرْناءِ السُّوءِ وَأَصْلُ تَأْدِيبِ الصَّبِيَّانِ الحِفْظُ مِنَ قِرْناءِ السُّوءِ. وَيُنَبِّغِي إِذَا ضَرَبَهُ المَعلَمُ أَنْ لَا يَكْثُرَ الصِّراخُ وَالشَّعْبُ وَلَا يَستَشْفَعُ بِأحدٍ بَلْ يَصْبِرُ وَيَذْكَرُ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ دَابُّ الشَّجَعانِ وَالرَّجالِ وَأَنَّ كَثْرَةَ الصِّراخِ دَابُّ المَمالِيقِ وَالنِّسوانِ). يَقُولُ ابنُ مَسكُويَةَ: "وَإِذَا أَخْطَأَ الصَّبِيُّ فَأُولَى أَلَا يَوبِخُ عَلَيْهِ وَلَا يَكاشِفُ بِأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَيْهِ بَلْ وَيَتَعاغَلُ عَنهُ تَعاغَلُ مَنْ لَا يَخْطُرُ بِبِالِهِ أَنَّهُ قَدْ تَجاوَزَ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا هَمَّ بِهِ وَلَا سِيمًا إِنْ سَتَرَهُ الصَّبِيُّ وَاجْتَهَدَ فِي أَنْ يَخْفِيَ ما فَعَلَهُ عَنِ النَّاسِ". "فَإِنْ عادَ فليُوبِخُ عَلَيْهِ سِرًّا! وَيَحْذَرُ مِنَ مَعاوَدَتِهِ فَإِنَّكَ إِذَا عَودَتَهُ التَّوْبِيعُ وَالْمَكاشِفةَ حَمَلتَهُ عَلَى الوَقَاحَةِ وَحَرَضتَهُ عَلَى مَعاوَدَةِ ما كانَ اسْتِقبَحَهُ وَهَناكَ عَلَيْهِ سَمْعُ المَلامَةِ". "وَالذَّنْبُ الأَوَّلُ الَّذِي يَرتَكِبُهُ الصَّبِيُّ يَعمَى عَنهُ وَالثَّانِي يَعاثِبُ عَلَيْهِ عَتابًا غَيرَ مِباشرٍ كَأَنَّ يُقالُ لَهُ: إِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذا قَبِيحٌ وَالثَّالِثُ يَعاثِبُ عَتابًا مِباشرًا. فَإِنَّ عادَ إِلى ذَلِكَ ضَرَبَ ضَرَبًا خَفيًّا. فَإِذَا اسْتَعَمَلَ المَعلَمُ هَذِهِ الطَّرِيقَ وَلَمْ يَنتَهِ الصَّبِيُّ فَعَلِيهِ أَنْ يَترَكَهُ مَدَّةً ثُمَّ يَعودُ إِليه بِنَفْسِ الطَّرِيقِ". هـ. قال في فيض القدير: - (قال الله تعالى من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس ربا غيري) أي ولا رب إلا الله فعلى العبد الرضى بقضائه وإحسان الظن به وشكره عليه فإن حكمته واسعة وهو بمصالح العباد أعلم وغدا يشكره العباد على البلاء إذا رأوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد البلوغ مؤدبه على ضربه وتأديبه والبلاء تأديب من الله وعنايته لعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بأبنائهم". ولقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : ما حكم ضرب الطالبات والطلاب لغرض التعليم والحث على أداء الواجبات المطلوبة منهن لتعويدهن على عدم التهاون فيها؟ فأجاب: لا بأس في ذلك ؛ فالمعلم والمعلمة والوالد كل منهم عليه أن يلاحظ الأولاد ، وأن يؤدب من يستحق التأديب إذا قصر في واجبه ، حتى يعتاد الأخلاق الفاضلة وحتى يستقيم على ما ينبغي من العمل الصالح ، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع" ، فالذكر يُضرب والأُنثى كذلك إذا بلغ كل منهم العشر وقصر في الصلاة ، ويؤدب حتى يستقيم على الصلاة ، وهكذا الواجبات الأخرى في التعليم وشئون البيت وغير ذلك ، فالواجب على أولياء الصغار من الذكور والإناث أن يعتنوا بتوجيههم وتأديبهم لكن يكون الضرب خفيفاً لا خطر فيه ولكن يحصل به المقصود. "مجموع فتاوى الشيخ ابن باز". هل يجوز للاب أو الأم معاقبة الطفل بالضرب أو وضع شيء مر أو حار في فمه كالفلفل إذا ارتكب خطأ؟ الجواب: أما تأديبه بالضرب فإنه جائز إذا بلغ سناً يمكنه أن يتأدب منه وهو غالباً عشر سنين ، وأما إعطاؤه الشيء الحار فإن هذا لا يجوز ، لأن هذا يؤثر عليه وقد ينشأ من ذلك حبوب تكون في فمه أو حرارة في معدته. ويحصل بهذا ضرر بخلاف الضرب فإنه على ظاهر الجسم فلا بأس به إذا كان يتأدب به ، وكان ضرباً غير مبرح. فيما دون العشر؟ الجواب: فيما دون العشر ينظر فيه ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أباح الضرب لعشر على ترك الصلاة ، فينظر فيما دون العشر قد يكون الصبي الذي دون العشر عنده فهم وذكاء وكبر جسم يتحمل الضرب والتوبيخ والتأديب به ، وقد لا يكون. ابن عثيمين رحمه الله (أسئلة الأسرة المسلمة). فإن لم يجد مع الطالب المخطئ الأساليب السابقة فإن المعلم أو

المعلمة يمكنهم اللجوء إلى الضرب ، وقد جاءت السنة ببيان أن الضرب وسيلة للتربية يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر). وأقر النبي صلى الله عليه و على آله وسلم أبا بكر على ضرب غلام له حين أضع بعيره. ولكن على المعلم والمعلمة أن يعلموا أن الضرب أسلوب تربية وتقويم اعوجاج وليس مُتَنَفَساً لهم وانتقاماً لأشخاصهم. وبناءً على ذلك فيراعى في الضرب أن يكون غير مبرح ولا يشق جلد أو يكسر عظماً أو يُذهب منفعة أو يضر بجارحة ، فكل ذلك لا يجوز ، والنبي صلى الله عليه و على آله وسلم يقول: (لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله). ولما شرع الله ضرب الزوجة الناشز بعد موعظتها وهجرها في الفراش ذكر النبي صلى الله عليه و على آله وسلم أن ذلك الضرب يكون غير مبرح. لأن المقصد من الضرب تقويم اعوجاج لا إبراز القوة وإظهار الانتقام فهذا لا يساعد على تربية الطلاب التربية السليمة). هـ. قال الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان: وفيه أيضاً: أن الضرب وسيلة من وسائل التربية ، وأن السلف كانوا يستعملونه ، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالضرب ، فقال: مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر. بل الله جل وعلا أمر بالضرب أيضاً للتأديب في حق الزوجات: [واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يُضرب فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله). فالضرب من وسائل التربية ، فللمعلم أن يضرب ، وللمؤدب أن يضرب ، ولولي الأمر أن يضرب تأديباً وتعزيراً ، وللزوج أن يضرب زوجته على النشوز. فالذين ينكرون الضرب ويمنعون منه ويقولون: إنه وسيلة فاشلة. هؤلاء متأثرون بالغرب وبتربية الغرب وهم ينقلون إلينا ما حملوه عن هؤلاء لأنهم تعلموا على أيديهم. أما ما جاء عن الله وعن رسوله وعن سلفنا الصالح فهو أن الضرب وسيلة ناجحة ، لكن بحدود ، ولا يكون ضرباً مبرحاً يشق الجلد أو يكسر العظم وإنما يكون بقدر الحاجة. وقال أيضاً: الفائدة العاشرة: في الحديث دليل على أن الضرب وسيلة من وسائل التربية ، ففيه رد على من يمنع من الضرب ، ويقول: إنه وسيلة فاشلة بل هو وسيلة ناجحة دينية إسلامية ، عمل بها السلف الصالح وأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بها الله في كتابه ، فهو وسيلة ناجحة ، إذا استعملت على الوجه المشروع ووضعت في موضعها. إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد. أفاد الشيخ العلامة المحدث ناصر الدين الألباني - رحمه الله - بأن الضرب لا يجوز للولد إلا إذا تهاون بالصلاة وبالشروط المعروفة عند أهل العلم. والذي ذكره العلامة الألباني رحمه الله وغيره من العلماء ليس عدم الضرب مطلقاً كما يروج لذلك البعض بل عدم جوازه. قبل العاشرة بمفهوم المخالفة من الحديث المشهور ، ويجوز بعد العاشرة بضوابط ذكرها بعض العلماء. وينظر كلامه في سلسلة الهدى والنور. وهذا هو العلامة: عبد المحسن العباد حفظه الله يسأل: هل يجوز للمعلم أن يضرب فوق عشر ضربات من أجل أن الطالب لم يحفظ أو أنه لم يهتم بدروسه؟ الجواب: التأديب يجب أن يكون بغير الضرب ولا يصار إلى الضرب إلا عند الضرورة ، وإلا فإن التأديب بالكلام المفيد والكلام النافع الذي فيه تشجيع وترغيب وترهيب أولى من الضرب ، وإن صار إلى الضرب فإنه لا يزيد عن عشرة أسواط. شرح سنن الترمذي - . وفي (لها أون لاين) وتحت عنوان: (حقائق وأرقام تكشف واقع المرأة الغربية) جاء ما نصه: (وهذه رؤوس أقلام عن المرأة في بريطانيا: - أكثر من 50% من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك. - ارتفع العنف في البيت بنسبة 46% خلال عام واحد إلى نهاية آذار 1992. - 25% من النساء يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن. -

تتلقى الشرطة البريطانية 100 ألف مكالمة سنويًا لتبلغ شكاوى اعتداء على زوجات أو شريكات ، علمًا بأن الكثير منهن لا يبلغن الشرطة إلا بعد تكرار الاعتداءات عليهن عشرات المرات. - تشير (جين لويس) إلى أن ما بين ثلث إلى ثلثي حالات الطلاق تعزى إلى العنف في البيت، وبصورة رئيسة إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي. - في استطلاع شاركت فيه سبعة آلاف امرأة، قالت 28% من المشاركات: إنهن تعرضن لهجوم من أزواجهن، ويفيد تقرير بريطاني آخر أن الزوج يضرب زوجته دون أن يكون هناك سبب يبرر الضرب. ويشكل هذا 77% من عمليات الضرب. وذكرت امرأة أن زوجها ضربها ثلاث سنوات ونصف سنة منذ بداية زواجها ، وقالت: لو قلت له شيئاً إثر ضربي لعاد ثانية ، لذا أبقى صامتة وهو لا يكتفي بنوع واحد من الضرب ، بل يمارس جميع أنواع الضرب من اللطمات واللكمات والركلات والرفسات ، وضرب الرأس بعرض الحائط ولا يبالي إن وقعت ضرباته في مواقع حساسة من الجسد. وأحياناً قد يصل الأمر ببعضهم إلى حد إطفاء السجائر على جسدها ، أو تكبيها بالسلاسل والأغلال ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحال ساعات طويلة. - تسعى المنظمات النسوية لتوفير الملاجئ والمساعدات المالية والمعنوية للضحايا ، وتقود (جوان جونكلر) حملة من هذا النوع ، فخلال اثني عشر عاماً مضت ، قامت بتقديم المساعدة لآلاف الأشخاص من الذين تعرضوا لحوادث اعتداء في البيت ، وقد جمعت تبرعات بقيمة 70 ألف جنيه إسترليني لإدارة هذه الملاجئ. وقد أنشئ أول هذه المراكز في مانشستر عام 1971 ، ثم عمت جميع بريطانيا حتى بلغ عددها 150 مركزاً. - 170 شابة في بريطانيا تحمل سفاحاً كل أسبوع. - 50 ألف باحثة بريطانية تقدمت باحتجاجات شديدة على التمييز ضد المرأة في بريطانيا. وأما المرأة في إسبانيا: يتحدث الدكتور (سايمنز مور) عن وضع المرأة في الغرب فيؤكد على أن العلاقة الشائنة مع المرأة لم يتولد معها غير الخراب الاجتماعي. ويقول: تؤكد آخر الإحصائيات عن أحوال المرأة في العالم الغربي بأنها تعيش أتعس فترات حياتها المعنوية ، رغم البهجة المحاطة بحياة المرأة الغربية التي يعتقد البعض أنها نالت حريتها ، والمقصود من ذلك هو النجاح الذي حققه الرجل في دفعها إلى مهووي ممارسة الجنس معه دون عقد زواج يتوّج مشاعرها ببناء أسرة فاضلة. ويضيف أن هناك اعترافاً اجتماعياً عامًا بأن المرأة الغربية ليست هي المرأة النموذجية ولا تصلح أن تكون كذلك، وهي تعيش حالة انفلاتها مع الرجال ، ومشاكل المرأة الغربية يمكن إجمالها بالأرقام لتبين مدى خصوصية تلك المشاكل التي تعاني منها مع الإقرار أن المرأة غير الغربية تعاني أيضاً من مشاكل تكون أحياناً ذات طابع آخر: - تراجع متوسط الولادات في إسبانيا من (1.36) لكل امرأة سنة 1989م إلى (1.2) سنة 1992م وهي أقل نسبة ولادات في العالم. - 93% من النساء الإسبانيات يستعملن حبوب منع الحمل وأغلبهن عازبات. - 130 ألف امرأة سجلن بلاغات رسمية سنة 1990م نتيجة للاعتداءات الجسدية والضرب المبرح ضد النساء إلا أن الشرطة الأسبانية تقول: إن الرقم الحقيقي عشرة أضعاف هذا العدد. - سجلت الشرطة في إسبانيا أكثر من 500 ألف بلاغ اعتداء جسدي على المرأة في عام واحد وأكثر من حالة قتل واحدة كل يوم. - ماتت 54 امرأة هذا العام على أيدي شركانهن الرجال. - هناك ما لا يقل عن بلاغ واحد كل يوم في إسبانيا يُشير إلى قتل امرأة أو أكثر بأبشع الطرق على يد الرجل الذي تعيش معه. وأما عن المرأة في أمريكا: - يغتصب يوميا في أمريكا 1900 فتاة ، 20% منهن يغتصبن من قِبَل آبائهن. - يقتل سنويا في أمريكا مليون طفل ما بين إجهاض متعمد أو قتل فور الولادة. - بلغت نسبة الطلاق في أمريكا

60% من عدد الزيجات. كما كشف عدد من مراكز دراسات وبحوث أمريكية تفاصيل للإحصائية المثيرة التالية: - مليون و553 ألف حالة إجهاض أجريت على النساء الأمريكيات سنة 1980م (30%) منها لفتيات لم يتجاوز عمرهن العشرين عاما. بينما تقول الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك. - 80% من المتزوجات منذ 15 عشرة سنة أصبحن مطلقات في سنة 1982م. - 8 ملايين امرأة في أمريكا يعشن وحيدات مع أطفالهن دون أي مساعدات خارجية في سنة 1984م. - 27% من الرجال يعيشون على إنفاق النساء في سنة 1986م. - 65 حالة اغتصاب لكل 10 آلاف امرأة سنة 1982م. - 82 ألف جريمة اغتصاب منها 80% وقعت في محيط الأسرة والأصدقاء. - تم اغتصاب امرأة واحد كل 3 ثوان سنة 1997م ، كما عانت 6 ملايين امرأة أمريكية من سوء المعاملة الجسدية والنفسية من قبل الرجال ، 70% من الزوجات يعانين الضرب المبرح ، 4 آلاف امرأة يقتلن في كل سنة على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن. - 74% من العجائز النساء فقيرات و85% منهن يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعدة. - أجريت عمليات تعقيم جنسي للفترة من 1979م إلى 1985م على النساء المنحدرات من أصول الهنود الحمر وذلك دون علمهن. - مليون امرأة تقريبا عملن في البغاء بأمريكا خلال الفترة من 1980م إلى 1990م. - 2500 مليون دولار الدخل المالي الذي جنته مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية سنة 1995م. وكشفت دراسة أمريكية أخرى أن الإحصائيات التي ترد إلى الشرطة تزيد أضعافا مضاعفة على تلك التي تنشرها وسائل الإعلام ، بحيث يتم التعتيم على الجزء الأكبر من الإحصائيات حتى لا يفضح واقع المجتمع الأمريكي المختل خاصة في جانب المرأة. تقول هذه الدراسة: - في عام 1981م أشار الباحثون إلى أن حوادث العنف الزوجي منتشرة بين 50% إلى 60% من العلاقات الزوجية في أمريكا. في حين كان التقدير بأنّ هذه النسبة بأنها تراوح بين 25% إلى 35%. - وبين بحث أجري في عام 1980م على 620 امرأة أمريكية أن 35% منهن تعرضن للضرب مرة واحدة على الأقل من قبل أزواجهن. - ومن جهتها أشارت باحثة تدعى "والكر" استنادا إلى بحثها عام 1984م إلى خبرة المرأة الأمريكية الواسعة بالعنف الجسدي، فبيّنت أن 41% من النساء أفدن بأنهن كن ضحايا العنف الجسدي من جهة أمهاتهن ، و44% من جهة آبائهن ، كما بيّنت أن 44% منهن كن شاهدات لحوادث الاعتداء الجسدي لأبائهن على أمهاتهن. - وفي عام 1985م قُتل 2928 شخصا على يد أحد أفراد عائلته. وإذا أردنا معرفة ضحايا القتل من الإناث وحدهن لوجدنا أن ثلثهن لقين حتفهن على يد شريك حياة أو زوج! وكان الأزواج مسؤولين عن قتل 1984، في حين أن القتلة كانوا من رفاقهن الذكور في 10% من الحالات! أما إحصائيات مرتكبي الاعتداءات ضد النساء في أمريكا فتقول إن 3 من بين 4 معتدين هم من الأزواج. - إحصائية أخرى تبين أن الأزواج المطلقين أو المنفصلين عن زوجاتهم ارتكبوا 69% من الاعتداءات بينما ارتكب الأزواج 21%. - وقد ثبت أن ضرب المرأة من قبل ما يسمى بـ "شريك لها" هو المصدر الأكثر انتشارا الذي يؤدي إلى جروح للمرأة ، وهذا أكثر انتشارا من حوادث السيارات والسلب والاعتصاب كلها مجتمعة. - وفي دراسة أخرى تبين أن امرأة واحدة من بين كل 4 نساء يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة، يبلّغ عن التعرض للاعتداء الجسدي من قبل شركائهن. - وفي بحث آخر أجري على 6 آلاف عائلة على مستوى أمريكا تبين أن 50% من الرجال الذين يعتدون بشكل مستمر على زوجاتهم ، يعتدون أيضا وبشكل مستمر على أطفالهم. واتضح أن الأطفال الذين شهدوا عنف آبائهم معرضون ليكونوا عنيفين

ومعتدين على زوجاتهم ، أكثر ثلاثة أضعاف ممن لم يشهدوا العنف في طفولتهم ، أما أولياء الأمور العنيفون جدا فأطفالهم معرضون ليكونوا معتدين على زوجاتهم في المستقبل ألف (ضعف). هـ. وتحت عنوان: (حقوق المرأة في المنظور الغربي والواقع الافتراضي) يقول الأستاذ محمد بن حسن المبارك ما نصه: (لا يخفى على أحد تزايد وتفاقم الدعوات في العالم الإسلامي إلى تغريب المرأة وتجريدها من دينها وأخلاقها وشرفها وعفافها تحت مسمى "تحرير المرأة" تارة ، أو "حقوق المرأة" تارة أخرى، أو "إصلاح الأسرة" أو غيرها من الأسماء المتلونة غير محددة المعنى ، وذلك في ظل التسلط الغربي على كل ما يمت إلى الإسلام بصلة. وصدق الله عز وجل القائل: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا). ولكن هل حقاً المرأة في الإسلام مضطهدة ممتهنة؟ وهل الغرب قدم للمرأة أفضل مما قدمه لها الإسلام؟ أم أن الغرب يريد منا أن نلبس نظارات محددة مسبقاً؟ بحيث نرى بالضبط ما يريد الغرب، حتى ولو كان ذلك غير ما هو مشاهد ومشهور به على أرض الواقع ، وهل وصلنا إلى درجة من الانهزامية والانبطاح الثقافي بحيث لم نعد نعرف أننا ننظر بعين غريبة إلى واقع افتراضي. والواقع الافتراضي هو: ما يراه الشخص عندما يلبس نظارات معينة تتصل بتقنية عالية بحيث يعتقد وقتياً أن ما يراه من صور ومشاهدات هي حقيقة، وبالتالي يتصرف وفق ذلك الانطباع. فلنستعرض إذأ بعض الأصول التشريعية للمرأة الغربية: ولنأخذ أهم النواحي والمجالات التي تهم المرأة ، بل والرجل كذلك ، وهي: * احترام الكيان الشخصي للمرأة: ينبغي أن لا ننسى أن الثقافة الغربية المعاصرة هي سلبية ثقافة غربية قديمة ، وأقصد بذلك الثقافتين: الإغريقية والرومانية ، وكذلك تصطبغ في كثير من مفرداتها بالثقافة الكنسية ، وكل تلك الثقافات كانت تمتهن المرأة وترى فيها منبعاً للشرور والآثام ، ولا ترى فيها إلا ظرفاً مكانياً للمتعة ، بل كان الجدل يدور خلال القرون الوسطى في الأديرة والكنائس حول بشرية المرأة وحول كونها من ذوات الأرواح أم لا؟! وهذا بالضبط ما يحدث الآن في الحضارة الغربية المعاصرة ولكن تحت شعارات مغايرة ، فالرجل الذي كان في جميع أطواره التاريخية يلتزم قانونياً بإعالة المرأة وكفالتها أصبح في زمن ومنطق الحضارة الغربية غير مسنول عن إعالة حتى زوجته والتي وجدت نفسها ملزمة بمقاسمته المسنولية تجاه المتطلبات المالية والمادية في المؤسسة الأسرية. والأدهى من ذلك: أن الرجل غير ملزم بالإنفاق حتى على ابنته بعد بلوغها الثمانية عشر عاماً ، إذ تكون عند ذلك مسنولة عن نفقتها الخاصة كما هو معروف ومشاهد ، ولا يخفى بالطبع أن الفتاة في هذه السن – في الغالب – تكون في مقتبل الدراسة الجامعية ، وبالتالي يكون من الصعب عليها الجمع بين الدراسة الجامعية والعمل الوظيفي ، مما يجعلها لقمة سائغة لسماسرة الانحراف والسقوط ، وفريسة ممتهنة في سوق الرقيق الأبيض. والأغرب والأدهى أن هذه المرأة الكادحة في العالم الغربي لا تمتلك حتى اسمها الخاص بها ، بل هي تنسب إلى زوجها ويتغير اسمها بتعدد زيجاتها؟! * الناحية الأمنية: أما من الناحية الأمنية فإن المرأة في العالم الغربي تفتقد أهم مفردات الأمن الاجتماعي ، وذلك أنها تفتقد الكافل والمسنول عنها بعد سن النضج لديهم وهو الثامنة عشرة ، وبالتالي فإنها تسعى بكل جهدها للانخراط في قفص الزوجية ، ولكن هذا المطلب يكون غير متيسر في كثير من الأحوال ؛ وذلك لأن الرجل الغربي لديه الكثير من الخيارات ، فهو بالتالي "سيد الموقف" ولذلك فهو يتطلع إلى مواصفات جمالية واقتصادية مرتفعة ، مما يلقي بكثير من النساء خارج المؤسسات الأسرية. * الناحية الاقتصادية: أما من الناحية الاقتصادية فقد مر بنا أن المرأة في المجتمع الغربي تقاسم الرجل

مسئولية النفقة على الأسرة ، هذا مع كونها لا تقبض حسب "المنطق الرأسمالي" الذي يحكم المجتمع الغربي إلا نصف راتب الرجل ، وفي نفس الوقت تطالب بنفس الدوام الذي يعمله الرجل؟! وبعد ذلك يبقى من مرتبها الشيء الضئيل والذي يذهب بالطبع في مستلزمات الزينة التي تحتاج إليها للمحافظة على وظيفتها خارج المنزل. هذا عدا رضوخها نظراً لضعف تكوينها الجسمي للالتزام بمسئولية الأعمال المنزلية وغيرها من الأعباء العائلية ، والتي تسقط على كاهلها في الآخر ، أي: أن المرأة في المجتمع الغربي توول إلى أن تكون آلة تعمل طوال الوقت وتستغل في كل ما هو ممكن. أما من ناحية الإرث: فقد التفت كثير من المجتمعات الغربية على توريث المرأة بحيلة ماهرة ، وذلك أنه في كثير منها توول التركة إلى الابن الأكبر الذكر ، ما لم يكن هناك وصية ، حيث إن للمرء أن يوصي لمن يشاء بتركته أو بعضها، حتى للقطط والكلاب وغيرها ، ومعلوم أنه في كثير من الأحيان حين يفوض الأمر في التركة إلى الموروث فإنه بحكم الانتماء سيوصي بماله أو جلّه إلى الأبناء الذكور حتى لا تخرج ممتلكاته عن نطاق العائلة التي ينتمي إليها. * الناحية النفسية: قد مر بنا أن المرأة في المجتمع الغربي تقاسم الرجل مسؤولية النفقة على الأسرة، ولكن ماذا بشأن الأعمال المنزلية ومن الذي يتولاها؟ من المؤسف أن المرأة وجدت نفسها بعد خروجها من المنزل ملزمة بالنفقة على الأسرة وفي الوقت نفسه للقيام بالأعمال المنزلية. في حين أن أغلب النساء حتى من غير العاملات في المجتمعات الخليجية يستخدمن خادمتين أجنبيات! ومن الطبيعي في ضوء هذا الوضع التعيس للمرأة الغربية ألا يكون لها مهر ، أما مصاريف الاحتفال بالزواج فلا يطالب بها الرجل ، بل في كثير من الأحيان تضطلع المرأة بالإتفاق على مصاريف حفل زواجها ، إما مفردة أو مشاركة مع الرجل. بقي أن نعلم أن المرأة الغربية بعد الزواج بها مع الرجل في مجالات العمل المختلفة فقدت الكثير من أنوثتها ، وفي استفتاء قامت به الصحف الأمريكية اتضح أن 90 % من الشباب لا يمانعون لو تسنت لهم الفرصة في العمل في الأفلام والمجلات الإباحية ، وقد علل أخصائون نفسيون ذلك بأن الشباب بهذا الاختيار يردن إنقاذ أنوثتهن من براثن العمل "الرجولي" خارج المنزل ، والذي يسلبهن أنوثتهن شيئاً فشيئاً.هـ. وتحت عنوان: (حتى في أوروبا. العنف الجسدي يطال النساء) كتبت الباحثة الاجتماعية الأستاذة ميسون أبو الحب ما نصه: (أظهرت مسوحات تزايد أعمال العنف ضد المرأة في المنطقة الأوروبية ، ومن أسبابها احتساء الكحول بشكل مفرط. وتبين الأرقام ارتفاع معدل هذه الاعتداءات حتى في دول أوروبا الشمالية. إننا عندما نتحدث عن العنف ضد المرأة ، نعني به العنف الذي يمارسه رجال يعيشون معها ، مثل الشريك والزوج والأب والأخ ، وفقاً لنوعية العلاقات داخل المجتمعات المختلفة. وحسب المعدل العالمي تتعرض امرأة واحدة من كل ثلاث للضرب أو لعنف جنسي أو لسوء معاملة خلال حياتها. وتشير معطيات البنك العالمي إلى أن خطر الاغتصاب أو العنف الزوجي يترتب بالنساء، اللواتي تتراوح أعمارهن بين 15 و44 عامًا ، أكثر من خطر الإصابة بالسرطان أو حوادث الطرق أو الحرب والملازيم معاً. فهناك واحدة من كل خمس نساء تتعرض لمحاولة اغتصاب خلال حياتها في أوروبا. في فرنسا وحدها ، تموت امرأة كل ثلاثة أيام ، وفي جميع الأوساط ، سواء في المدينة أو الريف ، بسبب ضربات الزوج. كذلك ، تتعرض امرأة واحدة من كل خمس نساء أوروبيات لعنف جسدي أو جنسي ، وواحدة من كل اثنتين تعرضت لعنف نفسي ، حسب الإحصاءات التي أعلنت عنها وكالة الحقوق الأساسية التابعة للاتحاد الأوروبي ، بعد إجراء مسح شمل 42 الف امرأة. نلاحظ أن هولندا والسويد ورومانيا وفرنسا

سجلت أرقامًا سيئة ، حيث تتعرض واحدة من كل أربع نساء في هذه الدول لعنف جسدي. وفيما يبلغ المعدل الأوروبي 22% ، سجلت فرنسا 26% وترتفع هذه النسبة في ليتوانيا وفي الدنمارك إلى 32%. فيما سجلت دول أوروبا الشمالية ، المعروفة باحترامها للمرأة وبتحقيق المساواة بين الجنسين ، أرقامًا أسوأ. وفسرت النائبة الأوروبية ورئيسة الاتحاد الأوروبي للنساء إليزابيث مورن شارتييه ذلك بالقول "سبب العنف في هذه الدول الشمالية هو الكحول ، لكن ارتفاع الأرقام سببه أيضًا هو أن النساء يعرفن حقوقهن جيدًا ، وبالتالي لا يخفن التحدث عن العنف الذي يتعرضن له". يعني هذا الكلام أن الأرقام الواردة في المسح لا تعكس الواقع تمامًا ، فالنساء لا يتجرأن دائمًا على كشف مثل هذه الأسرار ، خاصة وأنهن يعرفن أن القليل سيتغير في النهاية. الدفع بقوة ، إعطاء صفعات على الوجه ، سحب الشعر ، الضرب باليد ، الحرق بالسجائر ، إضافة إلى ما يرافق ذلك من كلام مهين ، مثل "أنت لا شيء" ، و"لا تساوين نقيراً". بعض الشركاء يأتون بأفعال أخرى ، مثل أخذ مفاتيح السيارة من المرأة ، ومنعها من زيارة أسرتها ، ومساومتها على بعض الأمور أو مصادرة ما تملك من أموال. وعادة ما تظهر على المرأة المعنفة أعراض مرضية ، مثل الإصابة بالكآبة وعدم النوم والقلق ونوبات هلع غير مبررة ، لا سيما إذا ما عزلها الرجل عن محيطها وصديقاتها وأقربائها. ويكون الوضع أصعب بوجود أطفال ، إذ تشير إحصاءات إلى أن عام 2014 شهد موت 134 امرأة ، ومات معهن 35 طفلًا ، بسبب أعمال عنف بين الزوجين). هـ. وهناك في موقع: (العربية - نت) وعام 2000م كانت مقالة بعنوان: (الزوجة المصرية. الأولى عالمياً في ضرب الأزواج - والخليجيات يستخدمن المقلاة والعصا الغليظة) جاء في بعض فقرات المقال ما نصه: (استمراراً لمقولة أن العالم يتغير وأن العديد من الأمور وإن حملت طرائف إلا أن لها مدلولاتها على المستوى الاجتماعي، فقد أكدت دراسة أجراها مركز مصري متخصص أن المصريات تفوقن على جميع نساء العالم بضرب رجالهن. وذكرت الدراسة ، التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية نشرت أجزاء منها في بعض الصحف، أن نسبة النساء اللواتي يقمن بضرب أزواجهن بلغت 28٪ من مجموع النساء المصريات. وتقول الدراسة إن هذه النسبة المرتفعة تعني أن المرأة المصرية تفوقت حتى على الأمريكيات اللاتي جنن في المركز الثاني بنسبة 23٪، ومن بعدهما الهند بفارق شاسع فالنسبة هناك 11٪. وما لفتت إليه الدراسة أن النسب الأعلى لممارسات ضرب الزوجات لأزواجهن تكون في الأحياء الراقية والطبقات الاجتماعية الأعلى، أما في الأحياء الشعبية، فالنسبة وصلت إلى 18 ٪ فقط، وبالرغم من أن ظاهرة ضرب المرأة لزوجها ليست جديدة إلا أنها تدفع للتأكيد على التغييرات الاجتماعية على صعيد تبدل مراكز القوى الجسدية بحسب أكثر التعليقات الطريفة على مثل هذه الأخبار. وأصبح "سي سيد" يتعرض للقهْر والعنف الأسري ولا أحد أحسن من أحد ، فقبل شهور أكدت دراسة أخرى أن نسب ضرب الزوج تأتي عالية ففي الهند 11% ، بريطانيا 17 % ، أمريكا 23% . هذه النسب بالأغلب بالقرب من المجتمعات الغنية أما عند المجتمعات الفقيرة فالنسبة تكون منخفضة. هذا فيما أكدت دراسة أعدها الدكتور السيد عوض أستاذ علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة قنا، أن أكثر من نصف الرجال المتزوجين في مصر معرضون للضرب من زوجاتهم ، ووصلت نسبة عنف الزوجات ضد أزواجهن إلى 50.6 ٪ من إجمالي عدد المتزوجين في مصر. وكشفت دراسة أخرى أعدتها فادية أبو شبيهة الباحثة بالمركز القومي للبحوث حول العنف المصري في مطلع الشهر الحالي ونشرتها وسائل إعلام متفرقة ، أن

معدلات ضرب الزوجات لأزواجهن في مصر قد زاد بشكل مثير حيث ففرت من 23% عام 2003 م لتصبح 28% عام 2006 م لتفوق أعلى المعدلات على المستوى العالمي متفوقة بذلك على الأمريكيات وهن في المرتبة الثانية بنسبة 23% بينما جنن البريطانيات في المرتبة الثالثة بنسبة 17% ثم المرأة الهندية في المرتبة الرابعة بنسبة 11%. وقد ذكرت الدكتورة فادية في دراستها أن معدلات ضرب الزوجات لأزواجهن تزداد في الأحياء وبين الطبقات الراقية عن الشعبية حيث تبلغ في الأحياء الراقية 18% بينما تبلغ في الأحياء الشعبية 12%. لكن قد تكون هذه فروق إحصائية فقط لأن عامل الصراحة والشجاعة في الاعتراف يكون بارزا أكثر في الأحياء الراقية. وتقول الدراسة إن النساء عندما يرتكبن العنف ضد الرجل فأنهن يفعلن ذلك بشدة وقسوة حسب درجة القرابة بين الزوجين وغالبا ما تكون لديهن دوافع وانفعالات وصراعات مكبوتة تجاه المجني عليه ويكون الدافع لأسباب اقتصادية وبعضها يعود إلى التنشئة الاجتماعية. وعن أسباب وأشكال ضرب الزوجة لزوجها أعد الدكتور محمد المهدي رئيس قسم الطب النفسي جامعة الأزهر بكلية طب دمياط دراسته الحديثة يقول فيها: الأسباب التي أدت إلى العنف الأنثوي ترجع أولا إلى حالة الانتقال من مرحلة تحرير المرأة إلى مرحلة تمكينها حتى أدى ذلك إلى استيقاظ عقدة التفوق الذكوري لدى الرجل فراح يمارس عدوانا سلبيا ضدها فهبت هي لتؤدبه مستخدمة العنف. وفي الكويت أكدت دراسة علمية حديثة أجريت على شريحة من النساء وعرضها المحامي خالد عبد الجليل أن 35% من نساء الكويت شعرن بالمتعة بعد ضربهن وتعذيبهن لأزواجهن. المرأة السعودية ليست ببعيدة فقد دخلت على الخط كما يقال وعلى سبيل المثال ما نشرته الوطن السعودية اعترافات لعدد من الزوجات بأنهن يعتدين بالضرب على أزواجهن ، مشيرة إلى تنوع آلات الضرب فمنهن من تضرب زوجها بالمقلاة وأخرى تؤدبه بالخيزران وثالثة تنتقم منه بسبب ما أوقعه والدها علي والدتها من اعتداءات وهي صغيرة). هـ. وفي موقع (شبكة بيت حواء) جاء ما نصه: (تعاني المرأة الغربية من الويلات في ظل الحضارة الغربية المعاصرة ومن تلك الويلات التي فتكت بالمرأة الغربية ما يلي: أولاً: استخدام المرأة في الدعاية والإعلان لا يخفى على المتأمل في واقع المرأة الغربية أنها استغلت استغلالا سيئاً من خلال الإغراء بها في وسائل الدعاية والإعلان لمنتجات مختلفة بعضها متعلق بالمرأة والآخر لا علاقة لها بالمرأة! ففي مجال الأفلام تستخدم المرأة استغلالا تجاوز كل الحدود الشرعية والإنسانية في عرض المرأة عرضاً فائتاً صارخاً ، والمجلات الهابطة لا يمشي سوقها إلا إذا ملئت المجلة بصور النساء الجميلات. ففتاة الغلاف تختار بعناية لجذب الزبائن. وهناك في الغرب. فئات كثيرة من التجار يضعون في محلاتهم التجارية نساء جميلات تقف عند أبواب متجارهم لجذب الزبائن والتأثير عليهم والتلطف معهم حتى يدخل المحل. وهكذا فالمرأة تبتز بشكل بشجع في المجتمعات الغربية. (وحسب بحث الماجستير للباحثة جيهان البيطار(حول أخلاقيات الإعلان) فقد جاء فيها: * 93% تستخدم السيدات. * 73% منها يتم تقديمها من خلال حركة المرأة. * أكثر من النصف يحتوي إثارة في المضمون. ثانياً: فتح مجالات عمل لا تتناسب مع طبيعة المرأة. فبناء على نظرية المساواة المزعومة في العالم الغربي طالبوا بأن تعمل المرأة كما يعمل الرجل فهي تعمل في المناجم وصناعة المواد الثقيلة وتنظيف الشوارع وقيادة الشاحنات وحمل السلاح وحراسة الأمن وغيرها من الأعمال التي لا تليق إلا بالرجال وهذا من ظلم المرأة والتي سببت لها أثر عظيمة على أنوثتها وعفافها وصحتها الجسدية والنفسية. ثالثاً: العنف والاعتداء على المرأة. وصور الاعتداء على المرأة

إما أن يكون بالضرب أو التحرشات الجنسية أو الاغتصاب وأخيراً القتل. الاعتداء عليها بالتحرشات الجنسية: وصور الاعتداء على المرأة إما أن يكون بالضرب أو التحرشات الجنسية أو الاغتصاب وأخيراً القتل . لقد كشف مسح استطلاعي أعدته وزارة الداخلية البريطانية أن 80% (نعم ثمانون في المائة) من ضابطات الشرطة ، أي بنسبة أربعة إلى خمسة ، يتعرضن للمضايقات الجنسية خلال نوبات العمل الرسمية. شارك في الاستطلاع 1800 ضابطة في عشر مديريات أمن في إنكلترا وويلز وأشرفت عليه الدكتورة (جنيفر بروان) وهي باحثة اجتماعية في الوحدة الملحقة في مديرية أمن (نيوهامبشاير) أليست نسبة مفزعة؟ أربعة أخماس الشرطيات - عفواً ضابطات الشرطة - يتعرضن للمضايقات الجنسية ، ومتى؟ خلال نوبات العمل الرسمية! خلال العمل على حفظ الأمن! هذا في حق حامية الأمن أما في حق الساهرات على مصلحة المرضى فهناك أفعال يندى لها الجبين. أشارت دراسة صدرت عن جمعية علم النفس البريطانية إلى أن 60% من الممرضات اللاتي تم استطلاع آرائهن قد عانين من التحرش الجنسي من مرضاهن الرجال. وأوضحت الدراسة أن أشكال التحرش الجنسي تمثلت في مازحات صفيقة ، واقتراحات تتضمن الدعوة إلى ممارسة الجنس ، بالإضافة إلى الملامسة الجسدية مباشرة ، واتضح أن معظم الممرضات يعانين في صمت ، ويفضفن عدم الإبلاغ عن تلك الحوادث بنسبة 76% . وقد دعت الباحثة النفسية البريطانية سارة فينيز ، خلال مؤتمر لجمعية علم النفس البريطانية عقد في لندن ، إلى ضرورة صياغة توجيهات ولوائح داخلية تلزم الممرضة بالإبلاغ عن جميع حالات التحرش الجنسي التي تعاني منها خلال العمل ، على أمل أن يؤدي ذلك إلى الحد من تلك الظاهرة المسيئة لمهنة التمريض وموامة الصمت التي تحيط بها. وقد أشارت الدراسة إلى أن الرجال (المرضى) لا يتورعون عن الإتيان بأفعال يندى لها الجبين خلال قيام الممرضات بمساعدتهم. هل رأيتم وتأملتكم لا آلام المرضى ، ولا اقتراب الموت ، ولا أجواء المستشفى ؛ جميعها لم يمنع هؤلاء المرضى من القيام بتلك الأفعال التي وصفتها الدراسة بـ (يندى لها الجبين). علماً أن الدراسة لم تتحدث عن الأطباء والممرضين ، واكتفت بالمرضى ، ولا ندري كم تبلغ النسبة حين تضاف إليها اعتداءات أولئك؟! الاعتداء عليها بالاغتصاب : أعلن مركز الضحايا الوطني الذي يناصر حقوق ضحايا جرائم العنف: إن معدل الاغتصاب في الولايات المتحدة أصبح يبلغ 1.3 امرأة بالغة في الدقيقة الواحدة ؛ أي 68000 امرأة في العام. وأضاف المركز أن واحدة من كل ثماني بالغات في الولايات المتحدة تعرضت للاغتصاب ليكون إجمالي من اغتصبن اثني عشر مليوناً ومائة ألف امرأة على الأقل . ويشير المسح إلى أن 61% من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن عن 18 عاماً ، وأن 29% من كل حالات الاغتصاب تمت ضد أطفال تقل أعمارهم عن 11 عاماً. وأظهرت الأرقام زيادة معدل الاغتصاب عن العام الذي سبقه بنسبة 59% ! وتقول دراسة أمريكية: إن جرائم الاغتصاب شأن هجمات واعتداءات الغرباء ، تنخفض خلال الشتاء ؛ لأن الناس لا يخرجون كثيراً. وبالتالي فإن فرص الالتقاء تكون أقل. ولو أردنا أن نترجم هذا الكلام إلى نتيجة علمية فإننا نقول: عندما يقل الاختلاط يقل الاغتصاب. أي أن الإسلام العظيم حين يحد من الاختلاط ويضيق من فرصه ومجالاته فإنه يحد من جرائم الاغتصاب ، ويحد من فرصها ومجالاتها. وهذه مجتمعاتنا المسلمة ، رغم عدم التزامها التام بالإسلام تنخفض فيها نسب جرائم الاغتصاب. وإذا كانت بعض مجتمعات المسلمين بدأت تعاني من تزايد جرائم الاغتصاب فيها ، فإنما هذا بقدر بعدها عن الإسلام والتزامها بأوامره. رابعاً: استغلال المرأة في التجارة

الجسدية. لقد استغلت المرأة هناك جسدياً حتى ظهرت ظاهرة تسمى بتجارة الرقيق الأبيض بلغت أرباحها بالملايين وإليك بعض الأرقام: (ألفت الشرطة التشيكية القبض على أربعة رجال وامرأة كانوا يشكلون عصابة لاستدراج الفتيات التشيكيات إلى الغرب عن طريق وعدهن بالعمل في الغناء والرقص في النوادي الليلية مقابل رواتب مغرية فيما كان الهدف من ذلك إجبارهن على ممارسة الدعارة أو المشاركة في تمثيل أفلام جنسية. وذكرت بلانكا كوسينوفا المتحدثة الصحافية باسم رئاسة الشرطة التشيكية أن العصابة استدرجت 25 فتاة تشيكية ، وأن أحد أفرادها أجنبي من دولة من جنوب شرق أوروبا غير أنه انتحر قبل إلقاء الشرطة القبض عليه ، أما زعيم العصابة فألقت الإنتربول القبض عليه في برشلونه وسيسلم إلى القضاء التشيكي لاحقاً. ورغم هذا النجاح للشرطة التشيكية إلا أن ظاهرة استدراج أو "تصدير" الفتيات من تشيكيا ومن دول أوروبا الشرقية الأخرى بمختلف الأساليب لا تزال تعتبر من الظواهر المقلقة التي تعيشها هذه الدول منذ سقوط الأنظمة الشيوعية فيها وما أعقب ذلك من تراجع مستويات المعيشة وسهولة الانتقال عبر الحدود واللهث وراء المال بأي ثمن كان. ويؤكد تقرير حديث لمنظمة الهجرة الدولية أنه يجري سنوياً بيع نصف مليون امرأة إلى شبكات الدعارة في العالم وأن النساء من دول أوروبا الشرقية يشكلن ثلثي هذا العدد أما أعمارهن فتتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين. وتعترف منظمة الشرطة الأوروبية "أوروبول" بأن تجارة الرقيق الأبيض منظمة بشكل جيد أما المنظمات غير الحكومية المهتمة بهذه المسألة وبعض الأجهزة الأمنية في أوروبا الشرقية فتؤكد أن الكثير من النساء يقعن في فخ الاستدراج الذي يجري عادة عن طريق نشر إعلانات مكثفة في مختلف الصحف في دول أوروبا الشرقية عن الحاجة إلى مربيات أو نادلات في المطاعم أو مغنيات أو راقصات أو عارضات أزياء للعمل في الغرب أو في بعض الدول البلقانية بعروض مغرية. وبعد وصول الفتيات إلى (أماكن العمل) تصدر جوازات سفرهن ويحتجزن لعدة أسابيع يتعرضن خلالها للإهانات والتعذيب ثم يجبرن على ممارسة الجنس مع كثير من الرجال إلى أن يروضن تماماً ثم يبيعهن القوادون إلى عصابات مختلفة الأمر الذي يجعل عودتهن إلى بلدانهن أو الوصول إلى الشرطة صعباً. وتؤكد العديد من المصادر المتابعة لتجارة الرقيق الأبيض في أوروبا أن العديد من الدول والمناطق في البلقان غدت مفترق طرق بالنسبة للكثير من النساء ولاسيما اللواتي يستدرجن من جمهوريات رابطة الدول المستقلة كأوكرانيا أو ملدوفيا وروسيا البيضاء ، فالنساء الأكثر جمالاً يرسلن إلى أوروبا الغربية ولا سيما إلى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، في حين أن الأقل جمالاً وجاذبية يرسلن إلى تركيا واليونان والشرق الأوسط. ويؤكد الكسندر لوناس الجنرال في الشرطة الرومانية الذي يترأس المركز الإقليمي لمكافحة الجريمة المنظمة أن مدينة برتشكو الواقعة في البوسنة والهرسك وإقليم كوسوفو أصبحت من المعاقل الرئيسية لتجارة الرقيق الأبيض، وأن أغلب الفتيات اللواتي يجري الاتجار بأجسادهن تتراوح أعمارهن بين 18-24 عاماً. وكمثال حي على الطريقة التي تتبع للاستدراج يورد الجنرال قصة بطلة ملدوفيا السابقة في القفز سفيتلانا البالغة من العمر 28 عاماً التي استجابت لإعلان نشر في إحدى صحف بلادها طلب فتيات للعمل في يوغوسلافيا السابقة في جني الخضار وبدلاً من أن تمارس بهذا العمل انتهى مطاف هذه الفتاة الشقراء القادمة من كوسوفو في مكان قريب من الحدود مع ألبانيا وهناك باعها واشتراها ستة من أصحاب بيوت الدعارة وعندما تمردت على ذلك دفعت ثمنها كان سبعة كسور في أضلاعها ثم نقلت بعد ذلك ومن المستشفى مباشرة إلى منزل معاون

النائب العام السابق في جمهورية الجبل الأسود زوران ، غير أن الأخير لم يساعدها لأنه هو نفسه كان ينظم حفلات الجنس الصاخبة لمسؤولين كبار في هذه الجمهورية البلقانية الصغيرة ولم تتمكن من الهرب إلا بعد إلقاء القبض عليه وسجنه. وفي دليل على الحجم الخطير الذي وصلت إليه هذه التجارة يقول تقرير حديث للمجلس الأوروبي إن أرباح القوادين ومجموعات المافيا التي تعمل في هذا المجال في دول الاتحاد الأوروبي ارتفعت في الأعوام العشرة الماضية بنسبة 400% وإن شبكات الدعارة هذه تعرض الآن نصف مليون امرأة للبيع يبلغ الدخل الذي تحققه النساء فيها للقوادين ومزوري الوثائق ومهربي البشر وغيرهم 13 مليار يورو سنوياً. وتعيد الدراسات الاجتماعية هنا سبب تفشي ظاهرة تجارة الرقيق الأبيض في دول أوروبا الشرقية بأحجام كبيرة إلى تفشي الفقر وانتشار الفساد على نطاق واسع لدى أجهزة الأمن والقضاء وسهولة الانتقال عبر الحدود ووجود طلب كبير في الغرب على الفتيات الأوروبيات الشرقيات ورخص أسعارهن إضافة إلى تعاون المافيات المحلية مع المافيات الغربية في ظل ضعف أداء أجهزة الأمن. ويسود اعتقاد لدى المنظمات غير الحكومية المتابعة لهذه المسألة بأن العديد من دول أوروبا الشرقية ستظل لسنوات طويلة أخرى مراكز رئيسية في أوروبا لتجارة الرقيق الأبيض). (و صدر عن منظمة الهجرة العالمية عام 1997 أن نحو 175 ألف امرأة تم الاتجار بهن عبر البلقان استقدمن من آسيا الوسطى إلى دول الاتحاد الأوروبي. 1000 ألف امرأة ألبانية وقعن فريسة لهذه التجارة) (و أكد خبراء في الأمم المتحدة أن تجارة الرقيق الأبيض أصبحت تحتل المركز الثالث عالمياً ، بين النشاطات غير المشروعة. وجاء في ندوة عقدها مسؤولون من مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات في البرازيل ، وشارك فيها خبراء دوليون ، ومسؤولون من الإنتربول ، وشرطة اسكوتلانديارد ، أن هذه التجارة تحقق عوائد بلغت أكثر من سبعة مليارات من الدولارات في العام الواحد ، ويبلغ عدد ضحاياها أكثر من أربعة ملايين شخص ، يهاجرون من بلادهم بصورة غير مشروعة سنوياً ، الأمر الذي دفع وزير العدل البرازيلي إلى وصف الدعارة بأنها "مرض العصر). خامساً: حرمانها من الحياة الزوجية السعيدة. في «مانهاتن» المدينة الأميركية التي اخترعت بدعة العزاب المتمايلين تعيش النساء أزمة حادة . فقد تبين من آخر إحصاء ؛ أن هنالك امرأتين تعيشان دون زواج ؛ مقابل كل رجل أعزب ، وهذا يعني أن جيلاً من النساء يتعرضن لخطر العنوسة. وتذكر الإحصائيات العلمية أن المرأة التي يتراوح عمرها ما بين 35-39 عاماً لا تتوفر لها فرص الزواج إلا بنسبة 38% فقط. ففي نيويورك - مقصد الشاذين والمتسكعين - أصبح العجز في عدد الرجال الذين يمكن الزواج منهم حاداً جداً. إلى درجة أن آلاف النساء الجميلات والذكيات والناجحات أصبحت يائسات من نجاح محاولتهن الظفر بأزواج لهن! ولقد جعل هذا الوضع النساء الأخريات - الأقل جمالاً ونجاحاً - يقتتنن كل فرصة سانحة للقاء رجال ، وإقامة علاقات معهم حتى دون زواج ، إلى حد قيام بعضهن بدفع تحويشة العمر للحصول على حصة بيت على الشاطئ تمضي فيه الصيف مع رجل! كما أن بعضهن يلجأن إلى الإعلان في الصحف والمجلات عن حاجتهن إلى رجال). العجيب أن المرأة هناك هي التي تبحث عن الزوج وتحاول جاهدة أن تكرم صديقها وخليفتها حتى يقبلها زوجة له ، بل وصل الأمر إلى أنها تخشى أن تفتاحه بالزواج فيتركها ويبحث عن أخرى . يقول الدكتور عبد الله الخاطر- رحمه الله :- (كنت أستغرب عند بداية إقامتي في بريطانيا أن المرأة هي التي تنفق على الرجل ، وكنت أشاهد هذه الظاهرة عندما أركب القطار ، أو أدخل المطعم ، إذ ليس في قاموس الغربيين شيء اسمه

(كرم) وبعد حين زال هذا الاستغراب ، وأخبرني المرضى عن أسباب هذه الظاهرة ، وفهمت منهم بأن الرجل لا يحب الارتباط بعقد زواج ، ويفضل ما أسموه (صديقة) والمرأة تسميه (صديقاً) وليس هو أو هي من الصديق في شيء ، وكما أساءوا لهذه الكلمة النبيلة ، فالصديق يعني: الصديق والمحبة والمروءة والنخوة والكرم والوفاء ، وما إلى ذلك من معان طيبة كريمة. والصديق عندهم يعيش مع امرأة شهوراً أو سنيناً ، ولا ينفق عليها ، بل هي تنفق عليه في معظم الحالات وقد يغادر البيت متى شاء ، أو قد يطلب منها مغادرة بيته ، إن كانت تعيش معه في البيت ، ولهذا فالمرأة عندهم تعيش في قلق وخوف شديدين ، وتخشى أن يرتبط صديقها! بامرأة ثانية ويطردها ، ثم لا تجد صديقاً آخر. وكما يقولون (بالمثال يتضح المقال) فسوف أختار مثلاً واحداً من أمثلة كثيرة تبين وضع المرأة عندهم: رأيت في عيادة الأمراض النفسية امرأة في العشرينات من عمرها وكانت حالتها منهارة ، وبعد حين من الزمن شعرت بشيء من التحسن ، وأصبحت تتحدث عن وعي ، فسألتها عن حياتها فأجابت ؛ والدموع تنهمر من عينيها ، قالت: مشكلتي الوحيدة أنني أعيش بقلق واضطراب ، ولا أدري متى سينفصل عني صديقي ، ولا أستطيع مطالبة بالزواج مني، لأنني أخشى من موقف يتخذه ، ونصحت بالعمل على إنجاب طفل منه ، لعل هذا الطفل يرغبه في الزواج ، وبعدها أنت ترى الطفل ، كما أنك تراني لا ينقصني جمال ، ومع هذا وذاك فأبذل كل السبل ؛ من تقديم خدمات! وإنفاق مال! ، ولم أنجح في إقناعه بالزواج ، وهذا سر مرضي ، وسبب قهري ، إنني أشعر بأنني وحدي في هذا المجتمع ، فليس لي زوج يساعدي على أعباء الحياة ، ولي أهل ولكن وجودهم وعدمهم سواء وليتني بقيت بدون طفل لأنني لا أريد أن يتعذب ويشقى في هذه الحياة كما تعذبت وشقيت. وهذه المريضة ليست من شواذ المجتمع الغربي ، بل الشواذ هم الذين يعيشون حياة هادئة). سادساً: الضياع النفسي والروحي: المرأة الغربية محرومة من الاستقرار والراحة فهي دائماً في قلق واضطراب وخوف رهيب من المستقبل المجهول ، (ففي فرنسا وحدها عشرة ملايين امرأة يستشن منجمات - عرّافات - كل عام ؛ بسبب خوفهن من المستقبل ، تحت وطأة الضياع النفسي والروحي). هذا ما أكدته منْ وُصفت بأنها «المنجمة الفرنسية المعروفة ليليان جرتييه». فكم مليوناً من النساء في سائر أوروبا ، وفي أمريكا ، وفي باقي دول العالم؟ ألسن عشرات من الملايين الأخرى؟! وحتى لا يقول أحد: إنما تذهب هؤلاء الفرنسيات إلى المنجمات والمنجمين تسلية وليس اعتقاداً ؛ فإننا ننقل ما قالتها المنجمة الشهيرة نفسها عن النساء اللاتي يقصدنها: «إنهن يعتقدن أنني أمثل المفتاح السحري الذي يحل مشكلاتهن من مرة واحدة وفي زمن قياسي!» ولهذا فهن «يفرغن جيوبهن من أجل الهدف نفسه» أي إنهن يدفعن بسخاء). هـ. ويقول عميد كلية أصول الدين بالأزهر سابقاً الدكتور يحيي هاشم حسن فرغل ما نصه: (أما وضع المرأة في الغرب فهو وضع البشر ، ومن هنا فإن الكثير مما يقرره لها البشر هو بالبداية باطل ، لأن البشر هنا دخيل على موضوع لا يملكه: لا يملكه معرفة ، ولا يملكه صناعة ولا يملكه عدلاً ، ومن ثم كان الكثير مما يقرره لموضوعه - الذي هو المرأة - لا مفر من أن يصدر في منطقة الباطل. نعم لقد حصل - حتى في تراثنا القديم - هذا الانتقال من سعة الحق في الإسلام إلى ضيق المنافذ البشرية بدعوى سد الذرائع أمام الفتنة ، وانحرفت النظرة إليها وإلى طبيعتها نتيجة لذلك ، إننا يجب أن ندرك ما يمكن أن تصل إليه الأمور تحت أسلوب المبالغة في توقع الفتنة وسد الذرائع بتطبيقه الأعرج ، لأنه بهذا التطبيق ينقلب على نفسه بتوليد مفسد أعظم. أسلوب سد الذرائع بغير شروطه وما يقتضيه من أفق شامل للرؤية

والموازنة لا يلد إلا انفجاراً ، وانفلاتاً إلى الطرف النقيض الذي آل إليه في المجتمع المعاصر ، مسلماً كان أو غير مسلم. ولم يصر المجتمع الأوربي المعاصر إلى ما صار إليه في شئون المرأة إلا بعد أن وصل إلى أقصى الغايات في التضييق على المرأة ثم فيما جره ذلك من تحقيرها ، وظلمها ، والقضاء على إنسانيتها. إننا بهذا التضييق لما وسعه الله نتابع قانون المجتمع الأوربي في منطوقه العام – مهما تدرعنا بالنقاب - وهو قانون المادة في الفعل ورد الفعل).هـ. وبعد هذه المقدمة التفصيلية لمسألة جواز الضرب غير المبرح عندما تتوافر دواعيه أعود إلى النساء اللاتي هاجمنني بشدة لمجرد الدفاع عن هذه الشعيرة من شعائر ديننا! فكان مشهداً درامياً مؤسفاً ، فكتبتُ هذه القصيدة العتابية لهؤلاء النسوة لعلهن يتبن إلى الله تعالى. ودانماً عندما يكون البحث عن الدليل منهجاً فإننا لا بد ندرك الحقيقة!

أعـاتـبـكـن حـبـاً واحـتـسـابـا	فـهـل تـقـبـلن نصـحـي والعـتابـا؟
وهـل تـرضـين تحـكـيمـاً يـجـأـي	غـمـوضـاً مسـتـطـيلاً مسـتـرايـا؟
وهـل تـنـصـتن للبرهـان يـسـبـي	نـهـى سـألت ، وتـنتـظر الجوابـا؟
وهـل تُصـغـين للأفـكار طابـت	وتـعـرض فيه عـرضـاً مسـتـطـايا؟
وهـل تـفـهـمن قـصـدي مـن كـلام	أسـوق رـمـوزه شـهـداً مـذابـا؟
وأختـصر المـدى في عـرض قـولي	لأـكـشـف مـن عـلى مـلأ تـغـابـي
وأستـبـق الخـطـا نـحو التـحـدي	لأـكـتـسـح الهـواجـس والسـرـابـا
وأدحـض شـبـهـة سـادت وراجـت	وفـينا - مـن لباظـلها - اسـتـجابـا
وأقـمـع مـن يـوصـل للـتـدني	وللتـحـريـف يعـتـصـبُ اعـتـصـابـا
وأقتـلـع المغالـطـة احتوتـنا	فأحـدثتِ التـخـبـط والمصـابـا
وأدلي - في خـضـم الزيف - دلوي	وأخـذـن في صـفي غـلابـا
وأبـذل جـهد منتـصر لـحق	لـدى البـاغـين يُغـتـصـب اغـتـصـابـا
وأوقـف مـن تعالـم عـند حـد	وأخـذ موقـفاً مـنـه احـتـسـابـا
بنا أمـسى المـحـاضـر مُسـتـخفاً	وما احـترم الشـيوخ ولا الشـبابـا
وأفتى - في المحـاضـرة - افتـتاتاً!	خز عـبـلة توشـحـتِ السـرـابـا
أرانـي لـم أنـل مـنـكـن حـتى	تـكـلـن لـي الشـتـائم والسـبابـا

فكيف يُلام من يتلو الكتاب؟!
لكيلا يشهد الرأي اضطرابا
وذعت لمن تُجادلني الجوابا
وجردت المسائل والحسابا
كأنني قلت زوراً أو كذبا
لعاءً للسيف إذ برح القرابا
تفوق إذا أتت صوبي الحرابا
ويرحم من يُصارغ الاغترابا
فهل أمسست مكافأتي العذابا؟
تنلن به الشرافة والثوابا
لكي تلزمن في الهرج الصوابا
أنا للحمز أنتسب انتسابا
بفتيا أصبحت عجباً عجابا!
لذا أبكي ، وأنتحب انتخابا
كفى بالشرع عيشاً وارتبابا!
به تآمن في الأخرى العقابا؟
وباتت تشتكي الغيد الكعابا
يُجنّدلنا ، ولا ندري المآبا
وأعلن الندامة والمتابا
ومن في سنة المولى يُحابي؟
إذا أخطأ رأى أمراً صوابا
تلوث لئن آيات عذابا

وكنت تلوث من آيات ربي
وقول المصطفى أوردت غضبا
وسقت أدلتي ، وهزمت خصمي
وأسقطت التكلف من حسابي
فهاجمتني أعتى هجوم
وأشهرتني في وجهي سيوفاً
وكلت القوادح فاضحات
ولم ترحم ضعفي واغترابي
ولم تعذرن بارقة انفعالي
ألا إنني أردت لئن خيراً
أناصح ، والنصيحة بعض جودي
وإن يك في النصيحة بعض حمز
أصارحك لا أخفي اعتقادي
لأن الدين قد أمسى غريباً
وأسأل: هل تعلمت شرعاً؟
وهل نلتن قسطاً من سجايا
لقد شقيت بكن الأرض طراً
يمين الله إننا في انحطاط
فعدن إلى الشريعة من قريب
وموت المرء سيفاً لا يحابي
وضرب النشأ ضرباً مستساغاً
وفي القرآن تصديق لقولي

لأكمل - في مجادلتي - النصابا
إذا لم يفصل الوعظ الخطابا
تضاعف - في معيشتها - الصعابا
فكيف عن النساء اليوم غابا؟
وليس يسوم نسوته عذابا
وزيفاً فيه نرتاب ارتيابا
غزت كل المدائن والرحابا
ويكسر رغم قوتها الرقابا
لكيمات بهن الوعي غابا
كسيل الماء يحتمل الحبابا
فهل كانت مزاحاً أو دِعبا؟
فما لقيت لها فذاً مهابا
تفوق إذا نظرت لها الخُصابا
ألا خاب الذي غالى وخابا!
فإنترنيتهم قشع الضبابا
ومن بها يحتج فقد أصابا
ألا وافتحن للتحقيق بابا
لكي تُدركن رأيي المستطابا
فإن الحق ما شهد احتجابا
فهذي إلهنا خير ثوابا

وسُقت حديث مولانا تباعاً
وضرب الناشز الرعاء شرعاً
ولم تردغ ليالي الهجر حمقا
وأمتنا على هذا استقرت
وقالوا: الغرب يُكرم كل أنثى
وهذا محضُ بهتان وإفك
وعنهم شاعت الأخبار حتى
فضرب يكسر العظم انتقاماً
وضرب يفقأ العين احتوتها
وضرب قد أسال دماً حصيناً
وضرب به الكدمات جعات
وضرب منه كم أنثى استجارت
وضرب منه في الأيدي بقايا
وقد يُفضي لموت النفس ضرب
وليس الحال ملتبساً علينا
ومعلوماته انتظمت وصحت
ألا فاقران عن تلك المآسي
الا وادرسن أحوال الضحايا
وأثرن التثبّت والتحمري
هداكن المليك لكل حق

مُكرّة أستاذك لا بطل!

(تقول ابنتنا (ريم البحيري): كان أستاذي يدرسنني في المرحلة الإعدادية ، وهو مرب فاضل ومحبوب ومحترم من الجميع. وبينما كنت راجعة من الجامعة إلى بيتي ، أشرت إلى (تكتك) لأتبلغ به. فإذا بي أفاجأ بأن سائق (التكتك) هو ذات المعلم الذي كان يدرسنني! وقلت لعلمي تشابه عليّ معلمي بإنسان يماثله! فإذا بي بعد التحدث إليه أكتشف أنه هو! وراح يشكو لي ثقل أعباء الحياة وكثرة ضغوطها! وكان فيما قال أنه يتقاضى راتباً مقداره 2500 جنيه بعد عمله في التربية والتعليم ربع قرن: 25 سنة! فانهمرت الدموع من عينيّ على وجنتي ، وزادت عندما قدّمت له الأجرة فردّها عليّ وشاح بوجهه! فحزنت الحزن كله على حال المعلم المربي! وإلى هنا انتهى كلام ريم ملخصاً! وأما أنا بوصفي معلمّ شاعر فرّحت أقول لريم: إن المؤامرة على المعلم مؤامرة عالمية! وليتها كانت على المعلم فقط لهان الخطب. إن المؤامرة على العلم والتعليم والمعلم! ولكن هذا لا يعني أن نستكين وننصاع ونقبل بالدون ، ونرضخ لما يريد أعداء العلم والتعليم والمعلم. بل ينبغي أن نستمر ونكتشف مؤامرتهم ونوازر المعلم ونشاطر في هذا الطريق ريثما تنكشف الغمة ويندحر الجهل والجاهلون! وكنت قد وعدت ريم بكتابة قصيدة أنتصر فيها للمعلم! وفي منتدى العائلة العربية كانت هذه الزفرات عن واجبنا نحو المعلم: (احترام المعلم والمعلمة أمرٌ ينشأ مع التربية في الصغر لذا يجب على الأهالي أن يعودوا أبنائهم على عدم السخرية من المعلمين واحترامهم ، ونرى أحياناً بعض الطلبة وهم يسخرون من المعلم ويقلّدونه ويقوموا بتقليد شخصيته بموقف ما أو عند نيله لعقاب منه ويقوم أحياناً بهذا أمام أمه وأبوه وهم لا يباليون وأحياناً يضحكون. ولهذا يجب على الأهل تعليم الأولاد وتعويدهم على حب المعلمين لأنهم يقومون بدور التربية والمعلم له أسلوبه الخاص في التعامل مع طلابه ، لهذا لا يجب اعتبار المعلم أو المعلمة وسيلة للتدريس فقط فلهم دور كبير في التربية كالأهل بالضبط. وهناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة على رفعة منزلة المعلمين لدورهم العظيم في إخراج جيل متعلم وقادر على تحمل مشقات الحياة وعلى التعامل مع جميع المواقف بحكمة وعلم ومنها: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)! فهذا دليل على رفعة الله لأهل العلم والتعليم. وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) رواه الترمذي. وحديث الرسول صل الله عليه وسلم: (تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه). فالأمم التي تهتم بالدراسة وتربي الأولاد بالشكل الأمثل هي الأمم التي تصل إلى أعلى الدرجات بين بلاد العالم أجمع وهناك أدلة كثيرة على ذلك في حياتنا ، فمعظم البلاد ذات الدخل العالي مثل قارة أوروبا واليابان تحسن اقتصادها القومي بسبب اهتمامها بالعلم والمعرفة وقوة التدريس من مرحلة مبكرة من عمر أطفالها وليس بسبب أموالها فقط ، فبنظرهم أن أي طالب يحاول السخرية من أخطاء المعلم يعتبر ذلك رجعيّاً ومتخلفاً. وإذا تم الاهتمام بهذا الجانب عند تنشئة أولادنا فسنحظى بجيل جدي وصاحب هدف وبالتالي يكون لهم مستقبل زاهر ممكن من خلاله أن يقدوا رفعة بلادهم. في بعض المجتمعات وخاصة العربية منها تكثر العبارات والسلوكيات الغريبة والتافهة من الطلاب والطالبات! وهذا أمر يؤثر على المعلمين والكثير منهم يشتكي من ذلك ، ولم نكن نلاحظ تلك السلوكيات بهذه الكثرة من قبل ، فلماذا نعود للوراء بسلوكياتنا وتصرفاتنا وتربية أبنائنا؟ ولم يهتم الأولاد بالتفاهات والأمور السخيفة ويتهربون من تعلم وتوظيف الوقت فيما يفيد؟ فيا ترى أين تكمن المشكلة في الأولاد أم في الأهل؟ أم أن الواقع

الذي نعيشه حالياً أخرج لنا جيلاً سخيلاً؟ جيل لا يميز المعلم والمتق من غيره. المعلم يمنح وقته لغيره أكثر من أي شخص آخر فهو يمضي وقته يدرس ويعطي المعرفة لكل الفئات ويتلقى الكثير من الصد والأذى لأنه من الدير أن يكون قدوة للصغار والكبار. فكما يقول شوقي: (قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا). التحليل الأغلب هو أن التربية لها دور كبير في ذلك فلو عود الأهل أولادهم وبناتهم على احترام المعلم والأكثر منه سناً ، وهذا أيضاً يدل على ضعف التربية الدينية ، لأن الإسلام يحث الناس على الاحترام بشكل عام ، فكيف من كان يقدم العلم للناس! ففي القدم أذكر أن الناس كانوا ينصتون بكل احترام لكل ما يقوله المعلم وأنهم كانوا يشعروا بهيبة المعلم ويصابون بالخوف الشديد إن رأوه في الأماكن العامة ، لحد أنهم يمكن أن يسلكوا طريقاً آخر إن رأوه في الطريق احتراماً له وتقديراً. وكان للمعلم في الماضي احترام بكل معنى الكلمة ، فلم تكن نرفع أصواتنا أو نتجادل معه ، وكنا نعتبر كل ما يفعله هو بمثابة مثال لنقتدي به ، وكنا نرجف خوفاً إن نسينا حل واجب ما).هـ. يقول الأستاذ مراد الشوابكة عن المعلم وفضله ما نصه: (التأثير الإيجابي يمتلك المعلم القدرة على إحداث التأثير الإيجابي على طلابه ، حيث إن تحفيز الطالب ودفعه للنجاح في الأمور يجعله متحمساً لإنجاز المهام والنجاح بها ، بالإضافة لسعيه لأن يكون متميزاً ، يساعد المعلم طلابه أيضاً على أن يحققوا أعلى إمكانيات لديهم في الدراسة ، ولهم دور كبير في المجتمع حيث يساهمون في إعداد الأجيال لتحقيق مساعيهم في العالم ، والكثير من المعلمين كانوا قدوة لطلابهم لذا من الضروري أن يتحلى المعلم بالطيبة والاحترام والتواضع يكون تأثيره إيجابياً على طلابه. ونقل المعرفة للطلاب يعتبر الدور الرئيسي للمعلم ، ويكون ذلك بعد أن يتم إعطاؤه منهجاً دراسياً معيناً لاتباعه في العملية التدريسية ، يقوم المعلم باتباع التعليمات الخاصة بهذا المنهج وتوزيع المادة لتشرح في فترة زمنية محددة ؛ طوال العام الدراسي مثلاً ، ويستطيع كل معلم أن يتبع أسلوبه الخاص والمحاضرات والأنشطة التي يعتقد أنها تناسب الطلبة والمنهج التعليمي. خلق بيئة تعليمية مناسبة واحدة من مهام المعلم والأمور التي تجعل وجوده مهماً هي أنه يخلق بيئة دراسية مناسبة للطلاب ، حيث يلعب المعلم الدور الأساسي في الفصل الدراسي لإعداد بيئة سعيدة ودافئة ؛ ومن المرجح أن يكون الطلاب أكثر إنجازاً وسعادة في هذه الحالة ، وللمعلم القدرة على جعل البيئة التعليمية إيجابية أو سلبية على الطلاب ، فإذا شعر الطالب أن المعلم غاضب قد يتفاعل معه بطريقة سلبية ؛ مما يضعف العملية التعليمية ، والعكس صحيح. والتعرف على الموهوبين لسير العملية التعليمية بطريقة متطورة ومثالية يجب أن يتوفر لكل مدرسة أو منطقة محددة خبير في التعليم الموهوب ؛ ليقوم هذا الخبير بتقديم الخدمات والنصائح للمعلمين! وللقيام بتحويل الطلاب الموهوبين إلى برامج وخدمات تعليمية خاصة بهم حتى لا ينتهي بهم المطاف في الفصل الدراسي العادي كباقي الطلبة).هـ. وأشكر للطلبة ريم البحيري التي رثت معي لحال المعلم الذي جعل منه سائق تكتك أو بانع خضر وغيره!)

يا (ريم) هيجت ما في القلب من سقم
وخمش القول ما في الروح من ألم
وحجت مريثة - في النفس - دامية
بقصة وقعتها مستشرف العظم
ويح المعلم أمسى اليوم في شغل!
وحاله اصطبغت بالهم والوصم!
وغربلته - مدى الأيام - أجهزة
وخلفته بهذا المونل الوخم

وفي البلاء يُعاني شدة الغم
ومن يهبه الورى يُكرم ويُحترم
بها يُشارك في منظومة القيم
والنهي ممثّل - في القوم - عن رغم
قوت ولا عوز في الصبح والغسم
مُعظّم القدر من كهل ومُحتلم
ويُصدِر اللفظ عن علم وعن حكّم
ومن يُهن شخصه يُهجّر وينهزم
عليه يُزجر ، وبالإجرام يُتهم
بين الأناسي في نبل ، وفي شمم
بل ماس في مظهر مستشرفٍ سنم
بل عاش مستمياً في كل مصطدم
بل كان مؤتسياً بالمصطفى الهشم
فخصّه ربه بالفضل والنعمة
ناهيك عن طيب الألقاب والسيم
ما حازه بعض أهل العز والحشم
وما اشتكى جيبه شيئاً من الإزم
كانوا الأباعد ، أو كانوا أولي رحم!
حتى ليشهد هذا الضيف بالكرم
فأخطأوا القصد في بحوحة العشم!
سما عن الشبه الرعاء والتهم

يُمسي ويُصبخ مُلتاعاً بصدمته
بالأمس كانت له - في الناس - هيبته!
وكان يرفل في عز وتكرمة
والأمر ما أمر الأستاذ في ملاء
يعيش فيهم عزيزاً لا يُهدده
يسير - بين جموع الناس - مُبتشراً
يقول فصلاً ، ولا تُردّ كلمته
لا يُستهان به - في مجلس - أبداً!
ومن ينل عرضه بالسوء مُجتزئاً
كان المعلم معتزاً بسيرته
لم يرض في عيشه دنية سفلت
لم يقبل الدون مجبوراً ومنكسراً
لم تُغره متع الدنيا ، فيعبدها
رمى بها خلفه بلا مواربة
غدا (الأفندي) و(الباشا) له لقباً
وحاز من طيب الأموال في زمن
وعاش يُقرض من يرجو مُداينة
وعاش يُعطي بلا من من افتقروا
وعاش يُكرم ضيفاً حل منزله
وعاش يعذر طلاباً إذا اجتهدوا
معلم الأمس في هذي الدنا ملك

في عالم العُرب ، أو في عالم العجم
فعاش في حالةٍ أدنى من العدم!
وأرسلوا - فوقه - سيلاً من العرم
حتى اعترته عذاباتٌ من السقم
حتى يسربل بالتينيس والسأم
فلم يعد شامخاً بالعلم كالعلم
بكف محتقر ، وغل من تقم!
وأغرقوه بأبار من القخم
وليس يقوى - على تصويره - قلبي
كيف السدادُ لدين شط في الرقم؟!
وساعل الناس ما ذنبي؟ وما جرّمي؟
لكل نشأ بلفظٍ غير منبهم
حتى أرى خيرة الطلاب كالنجم
ولم أحنُ عهدتي كخائني الذم
على المليك الذي رسختُ في نهم
حتى أراهم جميعاً شامخي الهمم
يشكو مصائبه للواحد الحكم
بالأمس ، شتان بين النور والظلم!
قلبي يؤمن ، والدعا يجوب فمي
إن الدعاء - له - من أعظم السبب!
يدي يقيناً ، وأفدي عرضه بدمي!

بين الأماجد يُكبّره الألى رشدوا
واليوم أهل الهوى قلبوا المجنّ له
تعمّدوا جعله لكيدهم هدفاً
لم يرحموا ضعفه فيما ألمّ به
وجرّعوه كؤوس الازل مترعة
وأسقطوا هيبة كانت تُجلّاه
وناولوه - من الفقر الرهيب - مدى
وجردوه - من الألقاب - تشفية
فسل عن القهر في سر وفي علن
وسل عن الدّين من زيدٍ ومن عمّر
معلم اليوم أحنى رأسه خجلاً
أنا الذي أبذل العلوم واضحة
وما بخلتُ بأفكاري وتجربتي
علمتهم دون إهمال ولا ملل
رسختُ فيهم خصال الخير محتسباً
لم آلُ جهداً ، وما فرطتُ في عمل
معلم اليوم في بلاواه منجدلّ
وإن يُقارن بما أخوه عايشه
فعنه يا رب فرج كربة عظمت
إني جعلتُ دعائي بعض واجبه
فداهُ نفسي وأموالي وما ملكتُ

موتوا بغیظكم

(أنشدت من شعري قصيدة في الصلاة والسلام على النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان عنوانها: (صلى الله على محمد) وصليت تباعاً على آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وعلى أبنائه وبناته وعلى خلفائه الراشدين وعلى صحابته الغر الميامين وعلى التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين! وتناولت فيما تناولت بعض مناقب الصديق والفاروق وعثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين - ثم تناولت بعض أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - بشيء من الإطراء وذكر المناقب! وأعجب بالقصيدة أحد المنشدين الإماراتيين ، فعرض عليّ أن أسمح له بإنشادها ، فلم أتردد في الموافقة! فلما أخذ المنشد طريقه نحو الاستوديو ، والتقى بالملحنين والموزعين ، فإذا بهم يعرضون عليه أن يذكر النبي وآله فقط دون أمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين! فجاء يريد استئذاني في ذلك! فقلت له: أنت تعرف شرطي الوحيدين: الأول: أن تنشدها بدون موسيقى ، وإن وجدت مؤثرات بشرية خفيفة هادئة فلا بأس وأسأل الله أن أكون مصيباً! والثاني: تنشد القصيدة كما هي بدون حذف أو تعديل إلا في حالة واحدة أن أكون قد تجاوزت وأخطأت أو كان هناك خلل عقدي أو فني! وحتى في هذا ينبغي الرجوع إليّ ما دمت حياً أرزق ليكون لي فيه نظرة! فإذا كنت من أهل القبور فليرجع إلى أهل الفن من أصحاب العقيدة والتوحيد! وأعني بالفن هنا: (أهل ذكر الشعر والعروض والقافية)! فلما رأى الامتعاض والغضب والاستياء في وجهي قال: لهذا أتيتك صدقني! فعقبت: لا بأس عليك! ثم أضاف: لقد عرضوا عليّ أن نسجلها بدون رسوم ، بل ويشرونها منه وتباع تباعاً لصوت طهران! فقلت: لو دفعوا لي ولك أموال قارون ومعها قارون نفسه وقورانين الأرض جميعاً بأموالهم فلن أوافق أبداً ، رغم حاجتي وحاجتك للمال ، ولكننا لا نبيع عقيدتنا وتوحيدنا بالدنيا بما عليها ومن عليها! وما عند الله خيرٌ لي كشاعر وخيرٌ لك كمنشد! وتجاذبنا أطراف الحديث عن الروافض وأثبت للأستاذ أنهم من واقع كتبهم يكرهون أهل البيت النبوي! ولاح لي كي تعم الفائدة ويعلم القاضي والداني أن أعود فقط إلى مصدرين تعقبا الروافض وبيننا ما هم عليه من ضلال! ألا وهما الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله ذلك الجهبذ الذي تلوث أصابع الروافض المجوس بدمه لما عجزوا عن مواجهته! والثاني هو الدكتور ناصر العمر حفظه الله! ومن أراد المزيد فليرجع إلى مقالاتهما وكتبهما في هذا الخصوص! ولسوف أثبت أن الروافض يكرهون أهل البيت النبوي ، وليسوا فقط يكرهون الصحابة من غير أهل البيت النبوي! وذلك من كتبهم وبأدلة يقينية! يقول الأستاذ إحسان إلهي ظهير قاهر الروافض في جُل مقالاته وكتاباتهِ وتحت عنوان: (الروافض ومخالفتهم أهل البيت) ما نصه: (إن الروافض حاولوا خداع الناس بأنهم موالون لأهل لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم أقرب الناس إلى الصحة والصواب من بين طوائف المسلمين ، وأفضلهم وأهداهم لتمسكهم بأقارب النبي صلى الله عليه وسلم وذويه ، وإن المتمسكين بأقوالهم ، والعاملين بهديهم ، والسالكين مسلكهم ، والمتتبعين آثارهم وتعاليمهم هم وحدهم لا غيرهم. والقوم لا يقصدون من أهل البيت أهل بيت النبوة ، وأنهم لا يوالونهم ولا يحبونهم ، بل يريدون ويقصدون من وراء ذلك علياً رضي الله عنه وأولاده المخصوصين المعدودين. ونريد أن نثبت في هذا الباب أن الروافض لا يقصدون في قولهم إطاعة أهل البيت واتباعهم لا أهل بيت النبي ولا أهل بيت علي رضي الله عنه ، فإنهم لا يهتدون بهديهم ، ولا يقتدون برأيهم ، ولا ينهجون منهجهم ، ولا يسلكون مسلكهم ، ولا يتبعون أقوالهم وآراءهم ، ولا يطيعونهم في أوامرهم وتعليماتهم ، بل هم على عكس ذلك

يعارضونهم ويخالفونهم مجاهرين معلنين قولاً وعملاً ، ويخالفون آراءهم وصنيعهم مخالفة صريحة. وخاصة في خلفاء النبي الراشدين ، وأزواجه الطاهرات المطهرات وأصحابه البررة ، حملة هذا الدين ومبلغين رسالته إلى الآفاق والناس أجمعين ، وناشرين دين الله القوي المتين ، ورافعين راية الله الرحمن الرحيم ، ومعلنين كلمته ، ومجاهدين في سبيله حق جهاده ، ومقدمين مضحين كل غال وثمين في رضاه ، راجين رحمته ، خائفين عذابه ، قوامين بالليل ، صوامين بالنهار الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه المحكم: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} - ذكرهم فيه جل وعلا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}. وقال تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. وقال وهو أصدق القائلين حيث يصف أصحاب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}. وقال سبحانه ما أعظم شأنه في شركاء غزوة تبوك: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. كما قال في الذين شاركوه في غزوة الحديبية: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَعَانٍ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}. وقال: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}. وشهد بإيمانهم الحقيقي الثابت بقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}. وذكر السابقين من الأصحاب المهاجرين منهم والأنصار: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. كما ذكر المهاجرين والأنصار عامة وضمن لهم الفلاح والنجاح بقوله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. ويذكر جل مجده المؤمنين المنفقين قبل الفتح - أي فتح مكة - وبعده متنبياً عليهم مادحاً فيهم: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. ثم يقرن ذكر الأصحاب مع نبيه وصفيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بدون فاصل حيث يذكرهم جميعاً معاً في قوله عز من قائل: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} ، وأيضاً في قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}. وأيضاً: {وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}. وأيضاً: {لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} ، وقال: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ، وأيضاً: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ} ، وقال: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ

وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}. يذكر الله المؤمنين من أمة محمد وعلى رأسهم أصحاب النبي عليه السلام المؤمنين الأولين الحقيقيين قارناً ذكرهم بذكر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}. كما ذكر الله عز وجل خروج نبيه من مكة وهجرته منها مع ذكر خروج أصحابه وهجرتهم حيث قال: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}. كما ذكر صديقه ورفيقه في الغار: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}. ويقول في أزواجه المطهرات: {النَّبِيِّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}. ويقول: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ}. وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة. فلنرى الروافض الزاعمين اتباع أهل البيت ، المدّعين موالاتهم وحبهم ، ونرى أئمتهم المعصومين - حسب قولهم- آل البيت ماذا يقولون في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يعتقدون فيهم؟ وهل أهل بيت النبي يبغضون أصحاب نبيهم ، ويشتمونهم ، بل ويكفرونهم ، ويلعنونهم كما يلعنهم هؤلاء المتزعمون؟ أم غير ذلك يوالونهم ، ويتوادلون إليهم ، ويتعاطفونهم ويساعدونهم في مشاكلهم ، ويشاورونهم في أمورهم ، ويقاسمونهم همومهم وآلامهم ، ويشاركونهم في دينهم ودنياهم ، ويشاطرونهم الحكم والحكومة ، ويبايعونهم على إمرتهم وسلطانهم ، ويجاهدون تحت رايتهم ، ويأخذون من الغنائم التي تحصل من طريقهم ، ويتصاهرون معهم ، يتزوجون منهم ويزوجونهم بهم ، يسمون أبناءهم بأسماءهم ، ويتبركون بذكرهم ، يذاكرونهم في مجالسهم ، ويرجعون إليهم في مسائلهم ، ويذكرون فضائلهم ومحامدهم ، ويقرّون بفضل أهل الفضل منهم ، وعلم أهل العلم ، وتقوى المتقين ، وطهارة العامة وزهدهم. نسردهم هذا كله وقد عاهدنا أن لا نرجع إلا إلى كتب القوم أنفسهم لعل الحق يظهر ، والصدق يجلو ، والباطل يخبو ، والكذب يخبو ، اللهم إلا نادراً نذكر شيئاً تأييداً واستشهاداً ، لا أصلاً ، ولا استدلالاً ، ولا استقلالاً ، ولا يكون إلزام الخصم إلا من كتبهم هم ، وبعباراتهم أنفسهم ، ومن أفواه أناس يزعمونهم أئمتهم ، وهم منهم براء. وقد قيل قديماً إن السحر ما يقربه المسحور. والحق ما يشهد به المنكر. وما نريد من وراء ذلك إلا الإظهار بأن أئمة الحق وأهل البيت ليسوا مع القوم في القليل ولا في الكثير ، ولعل الله يهدي به أناساً اغتروا بحب أهل البيت ، حيث ظنوا أن معتقدات الروافض وضعها أئمة أهل البيت ، وأسسوا قواعدها ، ورسخوا أصولها ، فهم يحبونهم ، ويبغضون أعدائهم - حسب زعمهم - الذين غصبوا حقهم وحرموهم من ميراث النبي ، وظلموهم. ويتبين لنا علاقة الروافض الحقيقية بآل البيت وعلاقتهم معهم. فما هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الراشد الرابع عندنا ، والإمام المعصوم الأول عندهم ، وسيد أهل البيت يذكر أصحاب النبي عامة ، ويمدحهم ، ويثني عليهم ثناء عاطراً بقوله: "لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحداً يشبههم منكم! لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم! إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ، ورجاء للثواب". وهذا هو سيد أهل البيت يمدح أصحاب النبي عامة ، ويرجحهم على أصحابه وشيعته الذين خذلوه في الحروب والقتال ، وجنبوا عن لقاء العدو ومواجهتهم ، وقعدوا عنه وتركوه وحده ، فيقول موازناً بينهم وبين صحابة رسول الله: "ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نقتل أباعنا وأبناعنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ، ومضياً على اللقم ، وصبراً على مضض الألم ، وجداً في جهاد العدو ،

ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما: أيهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت ، وأنزل علينا النصر ، حتى استقر الإسلام مُلقياً جرائه ، ومُتّبوناً أوطانه. ووالله لو كنا نأتي ما أتيتم ، ما قام للدين عمود ، ولا اخضر للإيمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً ، ولتتبعنها ندماً" ويذكرهم أيضاً مقابل شيعته المنافقين المتخاذلين ، ويأسف على ذهابهم بقوله: "أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فحكّموه ، وهيجوا إلى القتال فولهوا ولة اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً ، بعضٌ هلك وبعضٌ نجا ، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى ، مرة العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غيرة الخاشعين ، أولئك إخواني الذاهبون ، فحق لنا أن نظماً إليهم ونعص الأيدي على فراقهم". ويذكرهم ، ويذكر بما فازوا به من نعيم الدنيا والآخرة ، ولهم حظ وافر من كرم الله وإحسانه ، حيث يقول: "واعلموا أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذته الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح ، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم ، لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة". ويمدح المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فيقول: "فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم". وأيضاً: "وفي المهاجرين خير كثير تعرفه ، جزاهم الله خير الجزاء". كما مدح الأنصار من أصحاب محمد عليه السلام بقوله هم والله ربوا الإسلام كما يربي الفلج مع غنائهم ، بأيديهم السياط ، وألسنتهم السلاط". ومدحهم مدحاً بالغاً موازناً لأصحابه ومعاوية مع أنصار النبي بقوله: "أما بعد! أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب ، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنعه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدها ، وما هما بأقدم العرب ميلاداً ، ولا بأكثرهم عدداً ، فلما آوا النبي وأصحابه ، ونصروا الله ودينه ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وتحالفت عليهم اليهود! وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة ، فتجردوا لنصرة دين الله ، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبال وما بينهم وبين اليهود من العهود ، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن والسهل [وأقاموا] قناة الدين ، وتصبروا تحت أحلاس الجلال حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم العرب ، ورأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه الله إليه ، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب". وسيد الرسل نفسه يمدح الأنصار حسب قول الشيعة: "اللهم اغفر للأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ، يا معشر الأنصار! أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاه والنعم ، وفي سهمكم رسول الله". وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: الأنصار كرشي وعيني ، ولو سلك الناس وادياً ، وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار". ويروي المجلسي (والمجلسي هو الملا محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، ولد سنة 1037هـ ، ومات سنة 1110هـ ، من ألد أعداء السنة وخصومهم ، ولم ير مثله في الروافض المتأخرين سليط اللسان ، بذنياً ، فاحشاً ، لا يتكلم بكلمة إلا ويتدفق الفحش والهجاء من كلامه ، يسمونه (خاتمة المجتهدين) و(إمام الأئمة في المتأخرين) ، يقول القمي:

"المجلسي إذا أطلق فهو شيخ الإسلام والمسلمين ، مروّج المذهب والدين ، الإمام ، العلامة ، المحقق ، المدقق... لم يوفق أحد في الإسلام مثل ما وفق هذا الشيخ العزم وأمير الخضم والطود الأشم من ترويج المذهب ، وإعلاء كلمة الحق ، وكسر صولة المبتدعين ، وقمع زخارف الملحدين ، وإحياء دارس سنن الدين المبين ، ونشر آثار أئمة المسلمين بطرق عديدة وأنحاء مختلفة أجلها وأبقاها الرانقة الأنيقة الكثيرة". وقال الخوانساري: "هذا الشيخ كان إماماً في وقته في علم الحديث وسائر العلوم ، وشيخ الإسلام بدار السلطنة أصفهان ، رئيساً فيها بالرياسة الدينية والدنيوية ، إماماً في الجمعة والجامعة... ولشيخنا المذكور مصنفات منها كتاب (بحار الأنوار) الذي جمع فيه جميع العلوم وهو يشتمل على مجلدات ، وكتب كثيرة في العربية والفارسية" - عن الطوسي رواية موثوقة عن علي بن أبي طالب أنه قال لأصحابه: "أوصيكم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تسبوهم ، فإنهم أصحاب نبيكم ، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً ، ولم يوقروا صاحب بدعة ، نعم! أوصاني رسول الله في هؤلاء". ويمدح المهاجرين والأنصار معاً حيث يجعل في أيديهم الخيار لتعيين الإمام وانتخابه ، وهم أهل الحل والعقد في القرن الأول من بين المسلمين وليس لأحد أن يرد عليهم ، ويتصرف بدونهم ، ويعرض عن كلمتهم ، لأنهم هم الأهل للمسلمين والأساس كما كتب أمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما رداً عليه دعواه بإمرة المؤمنين وحكم المسلمين فإن الإمام من جعله أصحاب محمد إماماً لا غير ، فها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يذكر معاوية بهذه الحقيقة ويستدل بها على أحقيته بالإمامة ، والكلام من كتاب القوم: "إنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضي ، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى". فما موقف الشيعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كلامه هذا حيث يجعل: أولاً: الشورى بين المهاجرين والأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويبدعهم الحل والعقد رغم أنوف القوم. ثانياً: اتفاهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم. ثالثاً: لا تتعقد الإمامة في زمانهم دونهم ، وبغير اختيارهم ورضاهم ؛ وقد حل الإشكال من هذا أيضاً بأن الإمامة والخلافة في الإسلام لا تتعقد إلا بالشورى والانتخاب ، لا بالتعيين والوصية والتنصيب كما يزعمه الروافض مخالفين نصوص أئمتهم ومعصوميتهم حسب زعمهم. رابعاً: لا يرد قولهم ولا يخرج من حكمهم (أي الصحابة) إلا المبتدع أو الباغي ، والمتبع والسالك غير سبيل المؤمنين. خامساً: يقاتل مخالف الصحابة ، ويحكم السيف فيه. سادساً: وفوق ذلك يعاقب عند الله لمخالفته رفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبائه ، المهاجرين منهم والأنصار رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأولاد عليّ على شاكلته. فها هو علي بن الحسين الملقب بزین العابدین ؛ الإمام المعصوم الرابع عند القوم ، وسيد أهل البيت في زمانه يذكر أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه فيقول: "فأذكركم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصرته ، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بغيره ، وانتفت منهم القرباب إذ سكنوا في ظل قرابته ، اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا

الحق عليك ، وكانوا من ذلك لك وإليك ، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى قلة ، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ، وتحروا جهتهم ، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم ، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والانتماء بهداية منارهم مكافئين وموازرين لهم ، يدينون بدينهم ، ويهتدون بهديهم ، يتفقون عليهم ، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم". وواحد من أبنائه: حسن بن علي المعروف بالحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند القوم يقول في تفسيره: "إن كليم الله موسى سأل ربه هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى! أما علمت أن فضل صحابة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع صحابة المرسلين كفضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع المرسلين والنبیین". وكتب بعد ذلك في تفسير الحسن العسكري: "إن رجلاً ممن يبغض آل محمد وأصحابه الخيرين أو واحداً منهم يعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل عدد خلق الله لأهلكهم أجمعين". ولأجل ذلك قال جده الأكبر علي بن موسى الملقب بالرضا الإمام الثامن عند الروافض حينما "سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهديتم" - وينبغي الانتباه أننا ننقل هذه الرواية من الروافض أنفسهم ، فالرواية روايتهم وهي حجة عليهم - وعن قوله عليه السلام: "دعوا لي أصحابي" فقال عليه السلام: هذا صحيح". هذا ونقل ما قاله ابن عم النبي وابن عم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس فقيه أهل البيت وعامل علي رضي الله عنه أنه قال في حق الصحابة: "إن الله جل ثناؤه وتقديست أسماءه خص نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بصحابة أثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال: {رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ} ، قاموا بمعالم الدين ، وناصروا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذبت طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه ، وأذل بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياء لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها". ويروي ابن علي بن زين العابدين محمد الباقر رواية تنفي النفاق عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتثبت لهم الإيمان ومحبة الله عز وجل كما أوردها العياشي والبحراني - وهو هاشم بن سليمان بن إسماعيل ، ولد في قرية من قرى التوبلى في منتصف القرن الحادي عشر ومات في السنة 1107هـ. قال فيه الخوانساري: "فاضل عالم ماهر مدق فقيه عارف بالتفسير والعربية والرجال ، وكان محدثاً فاضلاً ، جامعاً متنبعاً للأخبار بما لم يسبق إليه السابق سوى شيخنا المجلسي ، ومن مصنفاته (البرهان في تفسير القرآن) - في تفسيريهما تحت قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} عن سلام قال: كنت عند أبي جعفر ، فدخل عليه حمران بن أعين ، فسأله عن أشياء ، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك أطل الله بقائك وأمتعنا بك ، إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا ، وتسلوا أنفسنا عن الدنيا ، وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال ، ثم نخرج من عندك ، فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل ، ثم قال أبو جعفر: أما إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق ، قال: فقال لهم: ولم

تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا ، ووجلنا ، نسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك ، فإذا خرجنا من عندك ، ودخلنا هذه البيوت ، وشممنا الأولاد ، ورأينا العيال والأهل والمال ، يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك ، وحتى كأننا لم نكن على شيء ، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا ، هذا من خطوات الشيطان. ليرغبكم في الدنيا ، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتكم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ، ومشيتم على الماء ، ولولا أنكم تذبون ، فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ، ثم يستغفروا ، فيعفو الله لهم ، إن المؤمن مفتن تواب ، أما تسمع لقوله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} وقال: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}. وأما ابن الباقر جعفر الملقب بالصادق يقول: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً ، ثمانية آلاف من المدينة ، وألفان من مكة ، وألفان من الطلقاء ، ولم ير فيهم قدري ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي ، ولا صاحب رأي ، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير". هذا ولقد روى علي بن موسى الرضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى". ورسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين وسيد الخلائق نفسه يشهد لأصحابه بالسعادة والجنة حيث يقول ، ويرويه القمي - هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي الملقب بالصدوق ، من مواليد أوائل القرن الرابع من الهجرة ، وتوفي سنة 381 من الهجرة ، ونشأ بقم ، وقبر بالري ، هو من كبار القوم ومحدثيهم وكتابه (من لا يحضره الفقيه) أحد الكتب الأربعة التي تعد من أهم الكتب وأصحها في الحديث عند الروافض ، كما أن له مصنفات عديدة أخرى ، وهو من المكثرين ، كما أن كتبه عمدة لمذهب الروافض ، يقول الروافض فيه: "لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه. (أعيان الشيعة) و(الخلاصة) للحلي). كما يقولون: "ولد هو وأخوه بدعوة صاحب الأمر علي يد السفر الحسين بن الروح ، فإنه كان الواسطة بينه وبين ابن البابويه ، قال فيه المجلسي: "وثقه جميع الأصحاب لما حكموا بصحة جميع أخبار كتابه يعني صحة جميع ما قد صح عنه من غير تأمل ، بل هو ركن من أركان الدين" (نقلاً عن الخوانساري) - محدث القوم وإمامهم والملقب بالصدوق في كتابه الذي طبعه الروافض أنفسهم: "عن أبي أمامة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن رآني وآمن بي". وروى الحميري القمي - وهو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسن الحميري القمي ؛ "شيخ القميين ووجههم ، ثقة من أصحاب محمد العسكري (ع) ، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ، وسمع أهلها منه ، فأكثروا ، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب (قرب الإسناد) ، وهو من أساتذة الكليني ، قد روي عنه في الكافي روايات عديدة ، وله مكاتبات مع أبي الحسن ، كما أنه كاتب مع أبي محمد (من أئمة الروافض المزعومين) (مقدمة قرب الإسناد) - روى مثل هذه الرواية عن جعفر بن باقر عن أبيه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من زارني حياً وميتاً كنت له شافعياً يوم القيامة". وأما موقف الروافض من الصحابة: فهذا هو موقف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم خيار خلق الله وصفوة الكون. وأما الروافض الذين يزعمون أنهم أتباع أهل البيت والمحبون الموالون لهم ، فإنهم يرون رأياً غير هذا الرأي محترقين على جهادهم المستمر ، ومنتقمين على فتوحاتهم الجبارة الكثيرة التي أرغمت أنوف أسلافهم ، وكسرت شوكة ماضيهم ومزقت جموع أحزابهم ، ودمرت ديارهم وأوكار كفرهم. الصحابة الذين أدلوا الشرك

والمشركين ، وهدموا الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها ويعكفون عليها ، أزالوا ملكهم وسلطانهم ، وخرّبوا قصورهم وحصونهم ومنازلهم ، وأنزلوا فيها الفناء ، وأعلوا عليها راية التوحيد وعلم الإسلام شامخاً مترفراً ، فاجتمع أبناء المجوس واليهود ، وأبناء البائدين الهالكين الذين أرادوا سد هذا النور النير ، والوقوف في سبيل وطريق هذا السيل العرم ، اجتمعوا ناقمين ، حاقدين ، حاسدين ، محترقين ، واقتنعوا بقتاع الحب لآل البيت ، وآل البيت منهم برآء ، وسلّوا سيوف أقلامهم وألسنتهم ضد أولئك المجاهدين المحسنين ، رفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المشغوفين بحبه ، والمفعمين بولائه ، والمتفانين في إطاعته واتباعه ، والراهنين كل ثمين ونفيس في سبيله ، والمضحين بأذى إشارات الآباء والأولاد والمهج ، المقتفين آثاره ، المنتبعين خطواته ، السالكين منهجه ، الغر الميامين رضوان الله عليهم أجمعين. فقال قائلهم: إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أربعة. والغريب أن أبناء اليهودية الأثيمة يطيعون مثل هذه الكتب الخبيثة المليئة من العيب والشتم لأهل خير القرون وخير الأمة ، ثم يتضوعون عن الكتب التي كتبت رداً عليهم مثل كتاب (الروافض والسنة) للمؤلف لتبيين مذهبهم ، وإظهار ما يكونه في صدورهم تجاه الأمة المرحومة ومحسنيها ، ويقولون: إنه لا ينبغي كتابة مثل هذه الكتب وطبعها ونشرها في زمان المسلمون أحوج ما يكونون إلى الاتحاد والاتفاق ، ونحن لا ندري أي اتحاد ووفاق يريدون؟ نحن لا نسب القوم ولا نشتم قاداتهم ، بل كل ما نعمل نبدي للرأي العام ما عمله القوم الأمس وما يعملونه اليوم. فمن أي شيء يخافون؟ ثم ولم نفهم من بعض من يسمي نفسه متتوراً ، واسع الأفق ، فسيح القلب ، وسيع الظرف ، محباً للتقريب والوفاق من أهل السنة ، البلهاء أو المغترين ، لا نفهم منهم حينما يعترضون علينا بأننا لم نقم بإحقاق الحق وإبطال الباطل؟ ولم ندافع عن أولئك القوم الذين لو ما كانوا كنا عباد البقر أو النجوم أو اللات والمناة والعزى والثالث ، أو الحجر والشجر ، ولو ما رفعوا راية الإسلام ، وحملوا لواء التوحيد ما عرفنا ربنا عز وجل ونبينا وقائدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه ، وما علمنا ماذا أنزله الرحمن على عبده وحبيبه ، وما تركه المصطفى من سنته وحكمته ، وما عرفنا القرآن الذي أنزله نوراً وهدى ورحمة للعالمين. نعم: يقلق مضاجع هؤلاء المتنورين هذا ، ولا يفجعون عن كتاب سليم بن قيس العامري الذي قال فيه جعفرهم - نعم جعفرهم ، لا جعفر الصادق الذي نعرفه ونعلمه - قال: من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس العامري ، فليس عنده من أمرنا شيء وهو سر من أسرار محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الكتاب الذي لم نجد صفحة من صفحاته ، ولا ورقة من أوراقه إلا وهي مليئة بأفقر الشتائم وأخبث السباب ، وكتاب سليم ومثله كتب للقوم لا تعد ولا تحصى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فنقول لهؤلاء القوم عديمي الغيرة ، وفاقدى الحمية: فليهنأ لكم التنور ، وليهنأ لكم التوسع ، فأما نحن فلن ولن نتحمل هذا ، ولن ولن نسكت عن ذلك ما دامت العروق يجري فيها الدم ، وما دام الروح في الجسد واللسان يتكلم. هذا ومثل هذا كثير. ولقد تقدم (بخاريّ القوم) محمد بن يعقوب الكليني إلى أبعد من ذلك فقال: "كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي". ومثل هذا ذكر المجلسي: "هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان". وللسائل أن يسأل هؤلاء الأشقياء وأين ذهب أهل بيت النبي بما فيهم عباس عم النبي ، وابن عباس ابن عمه ، وعقيل أخ علي ، وحتى علي نفسه ، والحسن سبط رسول الله؟ ألا تستحيون من الله؟ ثم وأكثر من ذلك قال الكليني في موضع آخر

من كتابه: "إن الناس يفرعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، فقال:..... إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله ﷺ أهل جاهلية ، إن الأنصار اعتزلت (يعني عن أبي بكر) فلم تعتزل بخير (أي لم يكن اختيارهم لاختيار الحق أو ترك الباطل ، بل اختاروا باطلاً مكان باطل آخر للحمية والعصبية كما ذكر المحشي الملعون على هذه الرواية) جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية (كذب وزور يا كذاب!) يا سعد! أنت المرجأ ، وشعرك المرجل ، وفحك المرجم". ومعناه أنه لم يبق ولا واحد ، لا أبو ذر ولا سلمان ولا المقداد؟ هذا ويذكر شيخي معاصر عكس ذلك تماماً حيث أن القوم يدعون بأن الصحابة ارتدوا عياداً بالله بعد أن أسلموا ، ولكن أحداً من بقايا القوم الناقلين ينكر حتى دخولهم في الإسلام كما يقول وهو يريد علينا بأننا لم ننصف في اتهامنا الروافض حسب زعمه بأنهم يكفرون أصحاب الرسول العظيم عليه السلام! وفي أثناء الرد يقر ويثبت ما ذكرناه ، فانظر إليه كيف يستأسر في حبله نفسه بنفسه:

"ومع ذلك فإني أقول: إن العرب لم يؤمنوا بمحمد إلا بعد أن قرعت الدعوة الإسلامية أسماعهم (انظر إلى الحقد كيف يتدفق ، والبغض كيف يظهر للأمة العربية التي لبنت رسالة الإسلام في باكورة عهدنا ، وحملتها وأدتها إلى العالم أجمع) أي أن محمد صلى الله عليه وسلم دعاهم أولاً للإسلام فأمن من آمن..... ومنهم من تأخر عن ذلك ، ومنهم من ماطل كثيراً ، ومنهم من دخل في الإسلام نفاقاً ، ومنهم من دخل خوفاً ورهباً بعد أن ضاقت عليه الأرض ، ولم يدخل في الإسلام أحد بدلالة عقله إلا شخصية واحدة [وحتى خرجوا علياً وأهل بيت النبي حيث لم يذكروا فيمن ذلك إلا سلمان] خرجت من بلادها طلباً للحقيقة ، ولاقت صعوبات وأخطاراً حتى ظفرت بالحقيقة عند محمد (يعني سلمان) فأمنت به" (كتاب الشيعة والسنة في الميزان) لمؤلف مجهول المقنع بقناع) ، وهو أي الكتاب الذي حاول مجهوله عبثاً الرد على كتابنا "الشيعة والسنة" حيث لم يستطع في الكتاب كله تغليط عبارة واحدة أو مصدر واحد من العبارات أو المصادر التي ذكرناها في الكتاب ، ولا مسألة واحدة ، أو نتيجة من النتائج التي استنتجناها في كتابنا كله ، والله الحمد والمنة على ذلك التوفيق الصائب والشرف الذي أولانا الله عز وجل للدفاع عن حرمة النبي ، ومقدسات الإسلام ، ومحبي الملة الحنيفة البيضاء ، اللهم ألهمنا الرشد والسداد ، واجعلنا من الذين يعرفون القول ويتبعون أحسنه ، ربنا اغفر لنا وإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. ويكتب القمي تحت تفسير قوله تعالى: {وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً} : نزل كتاب الله يخبر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: {وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً} أي لا يكون اختبار ، ولا يمتحنهم الله بأمر المؤمنين عليه السلام" ، {فَعَمُوا وَصَمُوا} قال: حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم {ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا} حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم فعموا وصموا فيه حتى الساعة". هذا ومثل هذا كثير ، انظر لذلك كتابنا (الشيعة والسنة). فهذا هو موقف الروافض من الصحابة ، وذلك هو موقف أهل البيت منهم. موقف أهل البيت من الصديق هذا ونريد بعد ذلك أن نبين موقف أهل البيت من ثاني اثنين إذ هما في الغار ، من الصديق الأكبر رضي الله عنه ، فيقول فيه ابن عم النبي وصهره ، زوج ابنته ، ووالد سبطيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يذكر بيعة أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عند انشغال الناس أي انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب ، كما قاله ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة) الناس على أبي بكر ، وإجفالههم (الإجفال الإسراع) إليه ليبايعوه: فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر ، فبايعته ونهضت في تلك

الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون ، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر ، وسدد ، وقارب ، واقتصد ، فصحبته مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله (فيه) جاهداً". ويذكر في رسالة أخرى أرسلها إلى أهل مصر مع عامله الذي استعمله عليها قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين ، سلامٌ عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد ، فإن الله بخُسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخص من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم (به) من الفضيلة أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم (إليهم) فعلمهم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأدبهم لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما (لا) يتفرقوا ، وزكاهم لكيما يتطهروا ، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضة الله (إليه فعليه) صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه إنه حميد مجيد. ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا امرأين منهم صالحين عملاً بالكتاب ، وأحسننا السيرة ، ولم يتعديا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله". ويقول أيضاً وهو يذكر خلافة الصديق وسيرته: "فاختار المسلمون بعده (أي النبي صلى الله عليه وسلم) رجلاً منهم ، فقارب وسدد بحسب استطاعته على خوف وجد". ولم يختار المسلمون أبا بكر خليفة للنبي وإماماً لهم؟ يجيب عليه المرتضى رضي الله عنه وابن عمه الرسول زبير بن العوام رضي الله عنه بقولهما: "وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ، وإنا نعرف له سنة ، ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حي". ومعنى ذلك أن خلافته كانت بإيعاز الرسول عليه السلام. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال هذا القول رداً على أبي سفيان حين حرضه على طلب الخلافة كما ذكر ابن أبي الحديد وهو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني صاحب (شرح نهج البلاغة) المشهور ، وهو من أكابر الفضلاء المتتبعين ، وأعظم النبلاء المتبحرين موالياً لأهل بيت العصمة والطهارة... وحسب الدلالة على علو منزلته في الدين وعلوه في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب ، والحاوي لكل نافحة ذات طيب.. كان مولده في غرة ذي الحجة 586 ، فمن تصانيفه (شرح نهج البلاغة) عشرين مجلداً! صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ، ولما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي ، فبعث له مائة ألف دينار ، وخلعة سنوية ، وفرساً. ولد بالمدائن وكان الغالب على أهل المدائن التشيع والتطرف والمغالاة ، فسار في دربهم ، وتقبل مذهبهم ، ونظم العقائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم ، وفيها غالي وتشيع وذهب به الإسراف في كثير من الأبيات كل مذهب! ثم خف إلى بغداد ، وجنح إلى الاعتزال ، وأصبح كما يقول صاحب (نسخة السحر): معتزلياً جاهزياً في أكثر شرحه بعد أن كان شيعياً غالباً ، وتوفي في بغداد سنة 655 هـ. يروي آية الله العلامة الحلي عن أبيه عنه: "جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام ، فقال: وليتم على هذا الأمر أذل بيت في قريش ، أما والله لنن شنت لأملأها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً ، فقال علي عليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله ، فما ضررتهم شيئاً ، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك ، لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً لما تركناه". ولقد كرر هذا القول ومثله مرات وكرات ، وأثبتته كتب القوم في صدورهم وهو أن علياً كان يعدّ الصديق أهلاً للخلافة ، وأحق الناس بها ، لفضائله الجمّة ومناقبه الكثيرة حتى حينما سئل قرب وفاته بعد ما طعنه ابن الملجم من سيكون الإمام والخليفة بعدك؟ فقال كما روى "عن أبي وائل والحكيم عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قيل له: ألا توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأوصى ، ولكن قال (أي رسول الله): إن أراد الله خيراً فيجمعهم على خيرهم بعد نبيهم". وأورد مثل هذه الرواية (علم الهدى) - وهو علي بن الحسين بن موسى المشهور بالسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى ، وُلِدَ سنة 355 هـ ، ومات 436 هـ ، هو ركن من أركان المذهب الشيعي ومؤسسيه ، وقد بالغ الشيعة في مدح أخيه الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة مبالغة لا نهاية لها ، قال فيه الخوانساري: كان شريف المرتضى أوجد عصره علماً وفهماً ، كلاماً وشعراً ، وجاهاً وكرماً...وأما مؤلفات السيد فكلها أصول وتأسيسات غير مسبوقه بمقال منها كتاب (الشافى) في الإمامة ، أقول: وهو كاسمه شافٍ وافٍ". وقال القمي: هو سيد علماء الأمة ، ومحبي آثار الأئمة ، ذو المجدين...جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ، فهذا من الفضائل تفرد به وتوحد ، وأجمع على فضله المخالف والمؤلف...له تصانيف مشهورة: (الشافى) في الإمامة ، لم يصنف مثله في الإمامة... قال آية الله العلامة: ومنه استفاد الإمامية وهو ركنهم ومؤلفهم" - للشيعة في كتابه الشافى: "عن أمير المؤمنين عليه السلام لما قيل له: ألا توصي؟ فقال: ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوصي ، ولكن إذا أراد الله بالناس خيراً استجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم". فهذا هو علي بن أبى طالب رضي الله عنه يتمنى لشييعته وأنصاره أن يوفق الله لهم رجلاً خيراً صالحاً كما وفق للأمة الإسلامية المجيدة بعد أن اصطدموا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم برجل خير صالح ، أفضل الخلق بعد نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه إمام الهدى ، وشيخ الإسلام ، ورجل قريش ، والمقتدى به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب ما سماه سيد أهل البيت زوج الزهراء رضي الله عنهما. وكما رواه السيد مرتضى (علم الهدى) في كتابه "عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال: سمعتك تقول في الخطبة أنفاً: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين ، فمن هما؟ قال: حبيبي ، وعماك أبو بكر وعمر ، وإماما الهدى ، وشيخا الإسلام. ورجلا قريش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هُدي إلى صراط المستقيم". هذا وقد كرر في نفس الكتاب هذا: "إن علياً عليه السلام قال في خطبته: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر" ، ولم لا يقول هذا وهو الذي روى: "أننا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حراء إذ تحرك الجبل ، فقال له: قر ، فإنه ليس عليك إلا نبي وصديق وشهيد". فهذا هو رأى علي رضي الله عنه في أبي بكر ، نعم! رأى علي الخليفة الراشد الرابع عندنا ، والإمام المعصوم الأول عند القوم ، الذي يدعون فيه أن من أنكر ولايته فقد كفر ، كما قالوا: "الموالي له ناج ، والمعادي له كافرٌ هالكٌ ، والمتخذٌ دونه وليجة ضالٌّ مشركٌ". وقد نقلوا من أئمتهم: "أبى الله عز وجل أن يتولى قوم قوماً يخالفونهم في أعمالهم معهم يوم القيامة ، كلا ورب الكعبة". فالمفروض من القوم الذين يدعون موالاته علي وبنيه أن يتبعوه وأولاده في آرائهم ومعتقداتهم في أصحاب النبي ورفقانه ، وخاصة في صاحبه في الغار ، الذي نقلنا فيه كلام سيد أهل البيت أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، ورأيه وعقيدته التي نقلوها في كتبهم هم ، وبعباراتهم أنفسهم ، التي ذكرناها آنفاً).هـ. وتحت عنوان: (قتلة الحسين ينوحون عليه!) يقول الدكتور ناصر العمر ما نصه: (إن المتابع للتاريخ الرافضي قديماً وحديثاً قد يلوح له اتهام الشيعة بانفصام الشخصية ، لكن المسألة أعمق من ذلك ؛ وهي تعود في الحقيقة إلى البذرة اليهودية في نشأة التشيع على يد ابن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام ليكيد للإسلام والمسلمين ، واليهود لهم شهرة واسعة في التلؤن بمئة لونٍ في وقت واحد بلا

خجل ، وكذلك خرجت الشيعة الراضية الإمامية. ومثال على ذلك: دَعَتِ الشَّيْعَةُ جَدْنَا الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَوَعَدُوهُ بِنَصْرَتِهِ وَالْوُقُوفَ بِجَانِبِهِ ، ثُمَّ غَدَرُوا بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَخَذَلُوهُ وَتَخَلَّوْا عَنْهُ ، بَلْ وَقَاتَلُوهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا مَظْلُومًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبِعَدَمِ سَالَتِ دِمَاؤُهُ الطَّاهِرَةَ فَوْقَ الْأَرْضِ ، وَرَأَى شَيْعَةَ الْعِرَاقِ الْغَادِرُونَ ، أَدْعَاؤَ حَبِّ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَالتَّعَصُّبَ لَهُ وَالْحُزْنَ عَلَى مَقْتَلِهِ ، وَنَسَبُوا جَرِيمَةَ قَتْلِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ وَأَحْبَابِهِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ نَصَحُوهُ بَعْدَ الذَّهَابِ إِلَى الرَّوَافِضِ بِالْعِرَاقِ ، وَزَادَ الْقَاتِلُ فِي التَّبَجُّحِ فَأَقَامَ سِرَادِقَاتِ الْعِزَاءِ كُلِّ عَامٍ يَلْطَمُ فِيهَا وَيُنُوحُ عَلَى جَدْنَا الَّذِي قَتَلُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْعَجِيبُ أَنَّ بَعْضَ كُتُبِ الشَّيْعَةِ قَدْ صَوَّرَتْ هَذِهِ الْمَشَاهِدَ وَذَكَرَتْ دَعَاءَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى شَيْعَتِهِ الْعِرَاقِيِّينَ عِنْدَمَا رَأَى غَدْرَهُمْ ، «ثُمَّ رَفَعَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ مَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ فَفَرِّقْهُمْ فِرْقًا ، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قَدَدًا ، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا ، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا فَفَقَتَلُونَا». وَتَسْتَمِرُّ الرِّوَايَةُ الشَّيْعِيَّةُ نَفْسَهَا فِي تَصْوِيرِ مَشَاهِدِ الْجَرِيمَةِ ، فَلَا تَذْكَرُ أَيَّ عَقُوبَةٍ لِقَاتِلِ أَهْلِ بَيْتِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَاصَّتِهِ ، بَلْ وَحَتَّى الْحُسَيْنِ نَفْسَهُ ، لَكِنَّمَا مَا إِنْ تَصَلَّ إِلَى تَجْرِيدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سِرَاوِيلِهِ حَتَّى تَسْتَبْشِعَ الرِّوَايَةُ نَفْسَهَا هَذَا الْأَمْرَ ، فَكَأَنَّ ضَمِيرَ وَاضِعِ الرِّوَايَةِ قَدْ اسْتَيْقِظَ مُؤَخَّرًا ، بَعْدَمَا قُتِلَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ مُؤَلِّفُ الرِّوَايَةِ الشَّيْعِيَّةِ نَفْسَهَا: «فَلَمَّا قُتِلَ عَمْدُ أَبِجْرِ بْنِ كَعْبٍ إِلَيْهِ فَسَلَبَهُ السِّرَاوِيلَ وَتَرَكَهُ مَجْرَدًا ، فَكَانَتْ يَدَا أَبِجْرِ بْنِ كَعْبٍ بَعْدَ ذَلِكَ تَيْبِيسَانِ فِي الصَّيْفِ حَتَّى كَانَهُمَا عُودَانِ ، وَتَتَرْتَبَانِ فِي الشِّتَاءِ فَتَنْتَضِحَانِ دَمًا وَوَيْحًا إِلَى أَنْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ». اسْتَيْقِظَ ضَمِيرُ مُؤَلِّفِ الرِّوَايَةِ الشَّيْعِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ آخِرًا ، فَاسْتَبْشَعَ تَجْرِيدَ الْجِثَّةِ الْحُسَيْنِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَكِنَّهُ مَضَى قَبْلَ ذَلِكَ فِي تَصْوِيرِ مَسْرَحِ الْجَرِيمَةِ ، دُونَ مَا اهْتَمَّ أَوْ تَوَقَّفَ عِنْدَ بَشَاعَةِ الْغَدْرِ بِجَدْنَا الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَقَاتَلَتِهِ ، وَتَصْفِيَّةِ خَاصَّتِهِ وَأَهْلِهِ الْوَاحِدِ تَلُو الْآخِرِ وَهُوَ صَابِرٌ ، لَكِنَّهُ هَكَذَا كَانَ الْجَسَدُ الْحُسَيْنِيَّ أَهَمَّ مِنَ الرُّوحِ الْحُسَيْنِيَّةِ لَدَى وَاضِعِ الرِّوَايَةِ ، فَيَتَكَلَّمُ عَنْ مَصِيرِ مَنْ جَرَّدَ الْجَسَدَ وَيَتَحَاشَى مَصِيرَ مَنْ أَزْهَقَ الرُّوحَ. وَقَدْ صَوَّرَتْ فَاطِمَةُ الصَّغْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا الْغَدْرَ الشَّيْعِيَّ الْكُوفِيَّ ، عِنْدَمَا قَالَتْ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ حَسَبَ رِوَايَةٍ شَيْْعِيَّةٍ أُخْرَى: «عَنْ زَيْدِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: خَطَبَتْ فَاطِمَةُ الصَّغْرَى عَلَيْهَا السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ رَدَّتْ مِنْ كَرْبَلَاءَ فَقَالَتْ: ...أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالْخِيَلَاءِ ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ ابْتِلَانِ اللَّهِ بِكُمْ ، وَابْتِلَاكُمْ بِنَا ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا ، فَكَذَبْتُمُونَا ، وَكَفَرْتُمُونَا ، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلَالًا ، وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا ، كَأَنَّ أَوْلَادَ التُّرْكَ أَوْ كَابِلَ ، كَمَا قَتَلْتُمْ جَدْنَا بِالْأَمْسِ ، وَسَيُوفَكُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَانِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لِحَقْدٍ مُتَقَدِّمٍ ، قَرَّتْ بِذَلِكَ عِيُونُكُمْ ، وَفَرَّحَتْ بِهَ قُلُوبُكُمْ ، اجْتَرَأَ مِنْكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَكْرًا مَكْرَتُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، ...تَبَا لَكُمْ ، فَانْتَظَرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ ، ...ثُمَّ تَخَلَّدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَيَلِكُمْ ، ...قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَغَلْظَتْ أَكْبَادُكُمْ ، وَطُبِعَ عَلَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَخُتِمَ عَلَى سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الشَّيْطَانَ ، وَأَمَلَى لَكُمْ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غُشَاوَةً فَانْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ. تَبَا لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، كَمْ تَرَاثَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَكُمْ...، ثُمَّ غَدَرْتُمْ بِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَدِّي ، وَبَنِيهِ عَتْرَةَ النَّبِيِّ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ ، وَافْتَخِرَ بِذَلِكَ مُفْتَخِرٌ فَقَالَ: (نَحْنُ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَبَنِيَّ عَلِيٍّ بِسَيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِمَاحٍ * وَسَبَيْنَا نِسَاءَهُمْ سَبِي تَرْكٍ وَنَطَخْنَاَهُمْ فَأَيُّ نَطَاحٍ) حَسَدْتُمُونَا وَيْلٌ لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلْنَا اللَّهُ». ثُمَّ تَأْتِي بَعْدَ خُطْبَةِ فَاطِمَةَ الصَّغْرَى حَسَبَ الرِّوَايَاتِ الشَّيْعِيَّةِ: خُطْبَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ «خُطْبَةُ زَيْنَبِ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِحَضْرَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي ذَلِكَ

اليوم تقريراً لهم وتأنيباً. عن حذيم بن شريك الأسدي قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء ، وكان مريضاً ، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب ، والرجال معهن يبكون. فقال زين العابدين عليه السلام - بصوت ضئيل وقد نهكته العلة -: إن هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا غيرهم؟ فأومت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى الناس بالسكوت.. ثم قالت - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله -: أما بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر ، والخذل ، ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزفرة ، إنما مثلكم كمثلكم التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، هل فيكم إلا الصلف والعجب ، والشنف والكذب ،... ألا بنس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد أبليتكم بعارها ، ومُنيتم بشنارها ولن ترحضوا أبداً ، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة؟... ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ، فتعساً تعساً ، ونكساً نكساً! لقد خاب السعي ، وتبت الأيدي... لقد جنتم بها شوهاء صلعاء عنقاء سوداء». وقد اعترف الروافض المعاصرون بذلك أيضاً ، وذكره في كتبهم ، ومثال ذلك: ما نقله صاحب كتاب «من قتل الحسين؟» عن الشيعة حسين الكوراني حيث قال في كتابه (في رحاب كربلاء) 60-61: «أهل الكوفة لم يكتفوا بالتفرق عن الإمام الحسين ، بل انتقلوا نتيجة تلون مواقفهم إلى موقف ثالث ، وهو أنهم بدأوا يسارعون بالخروج إلى كربلاء ، وحرب الإمام الحسين عليه السلام ، وفي كربلاء كانوا يتسابقون إلى تسجيلاً للمواقف التي ترضي الشيطان ، وتغضب الرحمن ، مثلاً نجد أن عمرو بن الحجاج الذي برز بالأمس في الكوفة وكأنه حامي حمى أهل البيت ، والمدافع عنهم ، والذي يقود جيشاً لإنقاذ العظيم هاني بن عروة ، يبتلع كل موقفه الظاهري هذا ليطعن الإمام الحسين بالخروج عن الدين! لنأمل النص التالي: وكان عمرو بن الحجاج يقول لأصحابه: قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة». وقال حسين الكوراني أيضاً: «ونجد موقفاً آخر يدل على نفاق أهل الكوفة ، يأتي عبدالله بن حوزة التميمي يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام ويصيح: أفيكم حسين؟ وهذا من أهل الكوفة ، وكان بالأمس من شيعة علي عليه السلام ، ومن الممكن أن يكون من الذين كتبوا للإمام أو من جماعة شبثوا غيره الذين كتبوا... ثم يقول: يا حسين أبشر بالنار». ويقول صاحب الكتاب نفسه - «من قتل الحسين؟» - : «ويتساءل مرتضى مطهري: كيف خرج أهل الكوفة لقتال الحسين عليه السلام بالرغم من حبههم وعلاقتهم العاطفية به؟ ثم يجيب قائلاً: (والجواب هو الرعب والخوف الذي كان قد هيمن على أهل الكوفة. عموماً منذ زمن زياد ومعاقبة والذي ازداد وتفاقم مع قدوم عبيد الله الذي قام على الفور بقتل ميثم التمار ورشيد ومسلم وهاني... هذا بالإضافة إلى تغلب عامل الطمع والحرص على الثروة والمال وجاه الدنيا ، كما كان الحال مع عمر بن سعد نفسه... وأما وجهاء القوم ورؤسائهم فقد أربعهم ابن زياد ، وأغراهم بالمال منذ اليوم الأول الذي دخل فيه إلى الكوفة ، حيث ناداهم جميعاً وقال لهم: من كان منكم في صفوف المعارضة فإني قاطع عنه العطاء. نعم وهذا عامر بن مجمع العبيدي أو مجمع بن عامر يقول: أما رؤسائهم فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم). ويقول الشيعة كاظم الإحسانى النجفي: (إن الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام ثلاثمائة ألف ، كلهم من أهل الكوفة ، ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا هندي ولا باكستاني ولا سوداني ولا مصري ولا أفريقي بل كلهم من أهل الكوفة ، قد تجمعوا من قبائل شتى). وقال المؤرخ الشيعة حسين بن

أحمد البراقي النجفي: (قال القزويني: ومما نقم على أهل الكوفة أنهم طعنوا الحسن بن علي عليهما السلام ، وقتلوا الحسين عليه السلام بعد أن استدعوه). وقال جواد محدثي: (وقد أدت كل هذه الأسباب إلى أن يعاني منهم الإمام علي عليه السلام الأمرين ، وواجه الإمام الحسن عليه السلام منهم الغدر ، وقتل بينهم مسلم بن عقيل مظلوماً ، وقتل الحسين عطشاناً في كربلاء قرب الكوفة وعلى يدي جيش الكوفة). ونقل شيوخ الروافض أبو منصور الطبرسي وابن طاووس والأمين وغيرهم عن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بزین العابدين رضي الله عنه وعن آبائه أنه قال موبخاً شيعته الذين خذلوا أباه وقتلوه قاتلاً: (أيها الناس نشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي وخذتموه، وأعطيتُموه العهد والميثاق والبيعة وقاتلتُموه وخذلتُموه ، فتباً لما قدمتم لأنفسكم ، وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله على آله وسلم إذ يقول لكم: (قتلتُم عترتي وانتهكتم حُرمتي فلستم من أمتي)) انتهى. وقد عرض أحد علماء الروافض بالنجف وهو السيد حسين الموسوي في كتابه «لله ثم للتاريخ» عدداً من هذه الروايات الشيعية في هذا المضمار (والتي سبق بعضها) ثم قال: «نستفيد من هذه النصوص وقد - أعرضنا عن كثير غيرها- ما يأتي: (- ملل وضجر أمير المؤمنين وذريته من شيعتهم أهل الكوفة لغدرهم ومكرهم وتخاذلهم. - تخاذل أهل الكوفة وغدرهم تسبب في سفك دماء أهل البيت واستباحة حرمتهم. - إن أهل البيت عليهم السلام يحملون شيعتهم مسؤولية مقتل الحسين - عليه السلام - ومن معه وقد اعترف أحدهم برده على فاطمة الصغرى بأنهم هم الذين قتلوا علياً وبنيه وسبوا نساءهم كما قدمنا لك. - إن أهل البيت عليهم السلام دعوا على شيعتهم ، ووصفوهم بأنهم طواغيت هذه الأمة وبقية الأحزاب ونَبذة الكتاب ، ثم زادوا على تلك بقولهم: ألا لعنة الله على الظالمين ولهذا جاؤوا إلى أبي عبد الله - عليه السلام - فقالوا له: (إنا قد نبزنا نبزاً أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا ، واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الرافضة؟ قالوا: نعم! فقال: لا والله ما هم سموكم ..ولكن الله سماكم به) (الكافي 34/5). فبين أبو عبد الله أن الله سماهم (الرافضة) وليس أهل السنة. لقد قرأت هذه النصوص مراراً ، وفكرت فيها كثيراً ، ونقلتها في ملف خاص ، وسهرت الليالي ذوات العدد أمعن النظر فيها - وفي غيرها الذي بلغ أضعاف أضعاف ما نقلته لك - فلم أنتبه لنفسي إلا وأنا أقول بصوت مرتفع: كان الله في عونكم يا أهل البيت على ما لقيتم من شيعتكم. نحن نعلم جميعاً ما لاقاه أنبياء الله ورسله عليهم السلام من أذى أقوامهم ، وما لاقاه نبينا صلى الله عليه وآله ، ولكني عجبت من اثنين ، من موسى - عليه السلام - وصبره على بني إسرائيل ، إذ نلاحظ أن القرآن الكريم تحدث عن موسى - عليه السلام - أكثر من غيره ، وبين صبره على أكثر أذى بني إسرائيل ومراوغاتهم وحبائلهم ودسائسهم. كما أعجب من أهل البيت سلام الله عليهم على كثرة ما لقوه من أذى من أهل الكوفة وعلى عظيم صبرهم على أهل الكوفة مركز الشيعة ، على خيانتهم لهم وغدرهم بهم وقتلهم لهم وسلبهم أموالهم ، وصبر أهل البيت على هذا كله ، ومع هذا نلقي باللانمة على أهل السنة ونحملهم المسؤولية! وعندما نقرأ في كتبنا المعتمدة نجد فيها عجباً عجباً ، قد لا يصدق أحدنا إذا قلنا: إن كتبنا معاصر الشيعة تطعن بأهل البيت عليهم السلام وتطعن بالنبى صلى الله عليه وآله» انتهى. وهذه الروايات الشيعية السابقة لها أشباه وأمثلة أخرى في كتب الشيعة ، وهي توافق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في قضية مقتل الحسين ، حيث يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الشيعة فهم دائماً مغلوبون مقهورون منهزمون ، وحبهم للدنيا

وحرصهم عليها ظاهر ، ولهذا كاتبوا الحسين رضي الله عنه فلما أرسل إليهم ابن عمه ثم قدم بنفسه غدروا به ، وباعوا الآخرة بالدنيا ، وأسلموه إلى عدوه ، وقاتلوه مع عدوه ، فأبي زهد عند هؤلاء وأي جهاد عندهم؟ وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله ، حتى دعا عليهم فقال: اللهم قد سئمتهم وسئمتوني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني. وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ويخونونه في الولايات والأموال... فأولئك خيار الشيعة وهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنيه سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحاتيه في الدنيا الحسن والحسين ، وأعظم الناس قبولاً للوم اللانم في الحق ، وأسرع الناس إلى فتنة ، وأعجزهم عنها ، يغرون من يُظهِرُونَ نصره من أهل البيت حتى إذا اطمأن إليهم ولامهم عليه اللانم خذلوه وأسلموه وآثروا عليه الدنيا ، ولهذا أشار عقلاء المسلمين ونصحاؤهم على الحسين أن لا يذهب إليهم مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم ؛ لعلمهم بأنهم يخذلونه ولا ينصرونه ، ولا يوفون له بما كتبوا له إليه ، وكان الأمر كما رأى هؤلاء ، ونفذ فيهم دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم دعاء علي بن أبي طالب ، حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف فكان لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم ودب شرهم إلى من لم يكن منهم حتى عم الشر». لكن على عادة الغادرين ذرف هؤلاء الشيعة القتلة دموع التماسيح على الروح التي أزهدوها ، والجسد الطاهر الذي أرذوه قتيلاً ، فلما رآهم زين العابدين قال لهم - حسب الرواية الشيعية السابقة قريباً -: «إِنَّ هَؤُلاءِ يَبْكُونَ عَلَيْنَا فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَهُمْ؟!». والحقيقة فإن هذه الصفاقة من القتلة تحتاج إلى شيء من إعادة النظر ؛ لأنهم ما زالوا يبكون حتى أيامنا هذه ، ويتخذون من البكاء والندب واللطم حيلة لترويج دعاوهم الفارغة في حب آل البيت الذين قتلوهم. نعم ؛ قتلوهم ، واعترفوا بالقتل وافتخروا به ، كما مضى في كلام ذلك الشيعي الذي ردَّ على فاطمة الصغرى رحمها الله ، وجاء أتباعهم فكتبوا هذا الافتخار وهذا الإقرار بالجريمة ، ثم تغزلوا في الوقت نفسه بآل البيت ، وذرفوا دموع التماسيح على عتباتهم! نعم ؛ قتلوا واعترفوا وافتخروا ودوتوا ذلك كله ، ثم نصبوا سرادقات العزاء ، كما يقول المثل الشعبي الشهير: «قتلوا القتل ومشوا في جنازته!». وهذا الدجل والخداع لا يمكن أن ينتج عن انقسام شخصية أو تناقض كما قد يتصور البعض ، وإنما هو الكيد والعداء القديم للإسلام والمسلمين ، منذ تشيعت الشيعة على يد ابن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام! ثم ما لبث أن ظهر عداؤه الشديد للإسلام والمسلمين ، وهكذا الشيعة دائماً أبداً يقولون ما لا يفعلون ، وينشرون ما يعملون بعكسه ، فقتلوا الحسين لكنهم بكوه أمام الناس ولا زال عويلهم وندبهم مستمراً ؛ إذ لا زالت الحادثة الحسينية تحتفظ بنضارتها وقوتها على جلب المصالح للشيعة ، لكنها إذا فقدت بريقها ولمعائها كعنصر جذب ومصالحة للشيعة فستتخلى الشيعة حينئذٍ عنها وعن العويل واللطم والندب. لا تستغرب أيها القارئ، فالشيعة تحركها المصلحة العليا للشيعة ، والتي على رأسها وفي مقدمتها العداء العميق للإسلام والمسلمين ، وعندما كان من المصلحة الشيعية الإيمان بنظرية الانتظار بعد الغيبة المهذوية ، آمنت الشيعة بنظرية الانتظار! وعزلت نفسها عن أي عمل بناء على عقيدتها في غيبة الإمام ، وأنه لا يأخذ غيرُه موقعةً ، ولا تكون حكومة ولها أعمال في ظل هذه الغيبة المهذوية ، لكنها غيرت عقيدتها عندما تغيرت الظروف ورأت مصلحتها في جهةٍ أخرى ، واخترعت الشيعة نظرية «ولاية الفقيه» ، وأعطته صلاحيات الإمام الغائب ، ولهذا قصة أخرى ربما نأتي عليها يوماً إن أراد الله عز وجل.

والمقصود ببيانه أن الشيعة لها في كل لحظة لون يخص لحظتها ، حسبما تمليه عليها المصلحة العليا للعداء العميق للإسلام والمسلمين منذ بذر بذرتها ابن سبأ ، وجلب عقيدته اليهودية إلى صفوف المتشعبة. فالشيعة ليست منفصلة الشخصية ، وإنما تتلون بحسب مصالحها ومنافعها وما تمليه شهواتها ، فتبيح المتعة حتى وإن حرّمها آل البيت الذين يتشدد الشيعة بحبهم واتباعهم ، وتبيح الشيعة اللطم والنياحة حتى وإن روث هي نفسها في كتبها الأحاديث المانعة لهذا الفعل كما في الحديث الذي ذكره المجلسي وغيره من أئمتهم في كتبهم: «النياحة عمل الجاهلية». كذلك ترى أن الله ما غضب على بني إسرائيل إلا وأسكنهم مصر ، وأنها تورث الديانة ، ومع ذلك يتوددون ويجتهدون في نشر المذهب الشيعي في مصر. فالمهم لدى الشيعة هو ما تمليه عليهم مصالحهم ومنافعهم وشهواتهم ، ثم تأتي التقية والنفاق والكذب والدجل بعد ذلك لخديعة الآخرين. وقد توسع الشيعة في الدجل بشكل فجّ قبيح جداً يخرج عن حدود العقل ، بل ربما ذكروا الشيء وعكسه في وقت واحد ولا يرون في ذلك أي غضاضة ؛ وكمثال على هذا بخصوص قضية «مقتل الحسين رضي الله عنه» التي نحن بصددّها: فقد ذكر إمامهم الشيعي محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) العنوان الآتي: «البحث الثالث في الإشارة إلى بعض ما وقع على أهل البيت وشيعتهم من الظلم والاضطهاد في الدول الإسلامية» ، حيث حشر فيه الشيعة مع آل البيت فيما وقع عليهم من الظلم ، وبدأ هذا البحث بقوله: «قال السيد علي خان في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة: روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان ،...بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، غدروا به ، وخرجوا عليه - وبيعته في أعناقهم - فقتلوه»أهـ. فبينما إمام الشيعة يتصدى للرواية في تعرض آل البيت وشيعتهم للظلم إذا بنصّه الأول في بحثه هذا ، وبالرواية الشيعية نفسها تؤكد غدر العراقيين - وهي معقل الشيعة آنذاك - بالحسين رضي الله عنه ، وقتلهم له. ولا تبحث عن الرابط بين دفاعه وسياقه الرواية في تعرض الشيعة للظلم ، وبين اعتراف الرواية نفسها بظلم معقل الشيعة وغدرهم بالحسين رضي الله عنه ؛ لأنك ستجد عشرات بل مئات الأجوبة لدى «الحاوي» ، الذي يفسر بقرة بني إسرائيل الواردة في سورة البقرة بأنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وفات «الحاوي الأحمق» أن بني إسرائيل قد ماتوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بزمن طويل ؛ لكن هكذا يكون الكذب والدجل مكشوفاً إذا صدر من أحمق(هـ). وفي كتيب: (بطلان عقائد الشيعة الفاسدة وبيان زيغ معتقفيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية) للعلامة: محمد عبدالستار التونسي رئيس منظمة أهل السنة في باكستان ، يوضح صاحب الكتاب بطلان كل عقيدة بالدليل حتى يكون الشيعي على بصيرة من أمره! وأنا هنا سأورد عناوين الموضوعات فقط ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالكتيب! أخذ التونسي عليهم سبعة عشر مطعناً في العقيدة هي: (- الأمر الأول من عقائدهم الفاسدة: عقيدة الشرك بالله. - الأمر الثاني من عقائدهم الفاسدة: عقيدة البداء. - الأمر الثالث من عقائدهم الفاسدة: عقيدة عصمة الأنمة الاثنا عشر. - الأمر الرابع من عقائدهم الفاسدة: عقيدة أن القرآن الموجود محرف ومبدل فيه. - الأمر الخامس من عقائدهم الفاسدة: عقيدة إهانة الرسول صلى الله عليه وسلم وإهانة علي والحسين رضي الله عنهما. - الأمر السادس من عقائدهم الفاسدة: عقيدة إهانة أمهات المؤمنين أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم. - الأمر السابع من عقائدهم الفاسدة: عقيدة إهانة بنات النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة الزهراء ، رضي الله عنهن. - الأمر الثامن من عقائدهم الفاسدة: عقيدة إهانة العباس وابنه عبدالله وعقيل

بن أبي طالب رضي الله عنهم. - الأمر التاسع من عقاندهم الفاسدة: عقيدة إهانة الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم. - الأمر العاشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة عقيدة إهانة أئمة أهل البيت وبني فاطمة رضي الله عنهم. - الأمر الحادي عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة التقية وفضائلها عندهم. - الأمر الثاني عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة المتعة وفضائلها عندهم. - الأمر الثالث عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة جواز استعارة الفرج. - الأمر الرابع عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة جواز اللواط بالنساء. - الأمر الخامس عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة الرجعة. - الأمر السادس عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة الطينة. - الأمر السابع عشر من عقاندهم الفاسدة: عقيدة الاحتساب في النياحة). هـ. وهذه الدنيا إلى زوال ، فليخسأ الروافض وأذنباهم الرطبة من عبيد المال! ثم وجدتني أقول لهم: موتوا بغيظكم! ثم همس الشعر قائلاً: لماذا لا تقولها لهم شعراً؟ فأنشدت:

وَعَالَجُوا غِيظَكُمْ بِالْحَنِقِ وَالْجَحْمِ	عَضُوا الْأَنَامِلَ غِيظاً بِالِغِظِ الْعِظْمِ
وَكَرَسُوا جَهْدَكُمْ فِي كُلِّ مَصْطَدِمِ	وَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ، وَادْعُوا جِحَافَكُمْ
وَاسْتَهْضُوا كُلَّ مَنْ يَسْعَى عَلَى قَدَمِ	وَاسْتَشْهَدُوا عَيْرَكُمْ بِأَمْوَالِ مَوَارِبَةٍ
وَأَتَقَتُوا الْمَكْرَ عَنِ قِصْدٍ وَفِي نَهْمِ	وَاسْتَبَحِثُوا الْأَمْرَ ، لَا تَلُودُوا وَلَا تَهْنُوا
وَأَوْقِدُوا مِنْ سَعِيرِ النَّارِ وَالضَّرْمِ	وَأَشْهَرُوا مِنْ سَيُوفِ الْغَيْبِ أَشْحَدَهَا
إِنِّي اسْتَعْنْتُ بِرَبِّي الْوَاحِدِ الْحَكْمِ	لَنْ أَسْتَكِينَ لِمَا تَلْقَوْنَ مِنْ شُبُهٍ
وَلَنْ يُقَرَّرَ - بِمَا ذَكَرْتُمُوهُ - فَمِي	لَنْ أَسْتَجِيبَ لِمَا طَلَبْتُمْ أَبَدًا
مِنْ سَيِّئِ الْقَوْلِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّهْمِ	وَلَنْ أَلِينَ لِمَا تَهْدَدُونَ بِهِ
وَلَسْتُ - فِي حَرْبِكُمْ هَذِي - بِمَنْهَزِمِ	وَلَنْ يَفْتَتِ الَّذِي يُقَالُ فِي عَضْدِي
وَمِنْ تَغِيظِهَا عَضْتُ عَلَى الشُّكْمِ	وَلَا أَرَاكُمْ سِوَى الْأَعْيَارِ نَاهِقَةٍ
فِدا الصَّحَابَةَ نَفْسِي وَالْحِشَاءَ وَدَمِي	تُغْرُونَنَّا بِوَفِيرِ الْمَالِ يَا هَمْجَاءَ
بِالْعِزِّ فَوْقَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالْأَمَمِ	مَا تَنْقَمُونَ مِنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ مَضُوءًا
وَزاحموا فِي الْعُلَا مَدَارِجِ النُّجْمِ	حَازُوا الْمُنَاقِبَ فِي جُلَى وَمَكْرُمَةٍ
فَأَصْبَحُوا قَادَةَ بَعْدَ ارْتِعَا الْغَنَمِ	وَخَصَّاهُمْ رَبُّنَا بِالْفُضْلِ أَجْمَعِهِ
وَأَحْرَزُوا السَّبْقَ فِي السَّخَاءِ وَالْكَرَمِ	كَانُوا الْأَمَاجِدَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقِ
وَلَا يُدَانُونَ فِي عِزِّ وَلَا شَمَمِ	كَانُوا الْأَسَاطِينِ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبِ

مذ قرروا العيش في منظومة القيم
بل واجهوا بالهذى دغاول القم
يوماً لدنيا تجرّ الناس للعدم
لا يعمدون إلى قتل وسفك دم
وفقاً لهذى النبي المصطفى الهشم
فما لهم جرأة كلا على الخرم
خير النبيين في رشاده التتم
والعدل أس القضا في المنهج اللقم
ومن يعش مثلهم يسعد ويحترم
وضارب كيدهم والمكر في القدم
أبئس بجمع بما جناه منهزم!
وما جهرتم به يا خائنو الذم
والله موهن ما تزجون من أضم
بمطعن - بالسجايا - غير ملتزم؟
من الروافض أهل الدس والنقم
أفرادها برزوا في الساح كالبهم
شتان بين ضياء الشمس والظلم!
وحقق القصد من شعري ومن كلمي!

لم يقبلوا الضيم درباً في معيشتهم
لم يستكينوا لأعداء ولا محن
هم العباقرة الأفذاذ ما ركنوا
هم المغاوير - في الجهاد - تحسبهم
إلا بحق قضت به شريعتهم
هم التقاة الألى يخشون خالقهم
هم الجهابذة الأعلام مذ تبعوا
العادلون هم إن عاملوا وقضوا
والمخبتون هم ، فمن يضارغهم؟
واليوم يحقرهم أعداء ملتهم
تستهزئون بهم ، والله هازمكم
وتسخرن ، ومن يصغي لباطلكم
وتستطيلون بالأقوال كاذبة
أنتنقون من الأشعار دون حيا
وأهل بيت رسول الله قد برنوا
شعري ترفع عن إغراء شردمة
بينني وبينكم الفروق واضحة
رباه كن لي ظهيراً في جدالهم

مصر الإسلام والعروبة

(اقتراح علي المنشد الإماراتي الكبير إبراهيم صالح الهاجري أن أنشد معه عن مصر البلد المسلم العربي الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث روى الإمام مسلم في صحيحه وهو (حديث مرفوع وصححه الألباني): (حدثني زهير بن حرب ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، سَمِعْتُ حَزْمَةَ الْمِصْرِيَّ يُحَدِّثُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ ، عَنْ أَبِي بَصْرَةَ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرًا! وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا ، أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لَبِنَةٍ ، فَأَخْرُجْ مِنْهَا" قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شَرْحِبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ ، يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا). يقول الأستاذ محمد شامي شيبه عن الوصية بأهل مصر ما نصه: (اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصى بأهل مصر: فأحسن إلى المصريين" إلى كل مصري "تحقيقاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في حديث أبي ذر: "إنكم ستفتحون مصر هي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً - أو ذمة وصهراً فإذا رأيت... " رواه مسلم. إن الذي يسئ إلى المصريين "بأي إساءة" فهو مخالف لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن لأهل مصر رحماً ، أي لكون هاجر أم إسماعيل منهم وأن لهم صهراً لكون مارية أم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم منهم - فإيا أيها المسلم اعرف لأهل مصر حقهم واحترامهم والإحسان إليهم. أيها المسلم: إذا رأيت مصرياً فتذكر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم به فأحسن إليه وإلى المصريين). هـ. وتحت عنوان: (فتاتي مصر وعقب التاريخ) يقول الأستاذ شائع بن محمد الغبيشي ما نصه: (أما الفتاة الأولى فبداية قصتها أن إبراهيم - عليه السلام - هاجر بسارة ، فدخل بها قرية [أرض مصر] وفيها ملك من الملوك ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فقيل لذلك الملك دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال أختي! ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي ، فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك ، فأرسل بها إليه ، فقام إليها الملك الجبار ، فقامت تتوضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنت آمنك بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط علي الكافر فغط حتى ركض برجله (فغط) ضاق نفسه وكاد يخنق حتى سمع له غطيظ وهو تردد النفس صاعداً إلى الحلق حتى يسمعه من حوله ، وركض برجله أي حركها وضربها على الأرض]... قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلتها ، فأرسل ثم قام إليها ، فقامت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنك بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر ، فغط حتى ركض برجله... فقالت: اللهم إن يمت قتلتها فيقال هي قتلتها فأرسل في الثانية أو في الثالثة فقال: والله ما أرسلتم إلي إلا شيطاناً ، أرجعوا إلي إبراهيم وأعطوها أجر وفي رواية: (هاجر)! فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة) رواه البخاري. وهبت سارة هاجر لزوجها إبراهيم ، فتزوجها وأنجبت منه إسماعيل ، فأمره الله أن يرتحل بها إلى مكة إلى بيت الله الحرام ، فوضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضع عندهما جرأاً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفي إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يتلفت إليها ، فقالت له: اللَّهُ الَّذِي

أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت إذن لا يضيعنا! ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع - حتى بلغ - يشكرون}. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي ، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى إذا جاوزت الوادي ثم أتت المروة ، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فذلك سعي الناس بينهما). فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها - ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم (يرحم الله أم إسماعيل لو كانت تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً). قال فشربت وأرضعت ولدها فال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن اله لا يضيع أهله. هذه قصة هاجر أم إسماعيل أبونا نحن العرب وأما التي لازلنا إلى أن تقوم الساعة ونحن نفتفي أثرها ونستن بهديها في كل حج وعمرة ، نسعى كما سعت ونصعد الصفا والمروة كما صعدت ونشرب من ماء زمزم المبارك الذي أتبعه الله غوثاً لها ولابنها ولجميع أهل الإيمان! فله ما أعظم منزلتها وفضلها وما أعظم إحسانها إلينا. أما الفتاة الثانية فبداية قصتها عندما أرسل النبي صلى الله عليه و سلم إلى المُقَوِّسِ القبطي صاحب الإسكندرية ومصر يدعو إلى الإسلام فأهداه مارية بنت شمعون وأهدى معها أختها سيبرين ، وخصباً يقال له: مأبور ، فوهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيبرين لحسان بن ثابت ، وهي أم عبد الرحمن بن حسان. وتسرى النبي صلى الله عليه وسلم بمارية: فأنجبت له إبراهيم ابن النبي - صلى الله عليه وسلم - وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ، ودفنت بالبقيع. إن العلاقة بين مصر وبلاد العرب الأخرى علاقة عظيمة قوية قديمة تضرب في أعماق الزمان وتتحدى كل مغرض جبان! فمصر محبوبة لقلوب أهل الإيمان ، وكل من دخل بيت الله ونظر إليه أبصر الكعبة المشرفة تذكر أن أول من بناها وشيدها هو إبراهيم وابنه اسمعيل ولد هاجر المصرية وحينما يسعى بين الصفا والمروة يتذكر أنه يفتفي أثر هاجر المصرية ويتساءل المسلم كيف عاشت بهذا الوادي المقفر بمفردها؟ كيف جعلها الله سبباً لحياة هذا البلد الأمين. وإن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بأهل مصر خيراً فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً. وروى الطبراني والحاكم عن كعب بن مالك مرفوعاً: إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً. وصححه الألباني. في رواية أخرى لحديث أبي ذر عند مسلم أيضاً بلفظ: فإن لهم ذمة وصهراً. وقال المناوي: (فإن لهم ذمة) ذمماً وحرمة وأماناً من جهة إبراهيم بن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإن أمه مارية منهم (ورحماً): قرابة ، لأن هاجر أم إسماعيل منهم. اهـ. قال النووي في شرح مسلم وفي رياض الصالحين: أما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم. اهـ. فأهل مصر ذمة و

لأهل مصر رحم ينبغي لكل مسلم أن يتذكر هذه الوصية و لا يغفل عنها).هـ. ويزيد الأمام السيوطي بيان بركة مصر فيقول في (المناظرة): (ومن القلب إلى القلب كان عشق الأنبياء الذين نزلوا مصر وعاشوا بين أهلها وما هكذا أي بلد في الدنيا ، ولذلك يتفرد هذا البلد ويسمون أهله ، فالذي يقرأ أوراق كتاب فضائل مصر لـ«أبو عمر الكندي» سيذهل من الأنبياء الذين دخلوا إليها ، فهناك إبراهيم الخليل وابن أخيه النبي لوط بن هاران ويعقوب ويوسف واثنا عشر من الأسباط وهم لوط وموسى وهارون ويوشع بن نون وسليمان بن داود ودانيال وأرميا وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام ، ويتردد أن موسى وإدريس وهارون ويوشع قد ولدوا فيها ، وقد قيل أيضاً أن شيث بن آدم نزل مصر ، وهو نبي ، وأن نوحاً طافت سفينته بأرض مصر ، وكذلك من الصديقين ماشطة بنت فرعون التي اشتم الرسول الكريم في ليلة الإسراء ريحتها الطيبة ، وسأل جبريل ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ فقال: إنها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، ويقال والكلام للسيوطي: أن 240 ألفاً من السحرة آمنوا على يد موسى في مصر).هـ. ومن هذا المنطلق أكتب عن مصر المسلمة العربية المباركة!

مِصْرُ يَا فخرَ الأعاجم والعربُ	جَلَّ مَنْ أعطاك هذا ووهب
مِصْرُ يَا مهد الحضارات التي	أخذت - من كل علم - بسبب
مِصْرُ يَا مجداً تسامى أهله	عندما للخير والتقوى انتسب
مِصْرُ يَا أيقونة العُزْبِ اعتلت	سُلم العِز ، ولم تنس العرب
بك يا مِصْرُ سنرقى كنا	واتبأغ الحق أسمى مُكتسب
أهلتنا في مصر لستم وحدكم	والذي منكم هنا لا يغترب
ديننا والعُرف والتاريخ لا	يجعلون الوصل يوماً يضطرب
إنما نحن إليكم وبكم	ومن الميئدان لسنا ننسحب
وخليج العُرب يهوى نياكم	ثابت هذا على مرّ الحقب
بارك الله لنا في مصرنا	ما هوى نجم ، وما مرت سُحْب
رب واحفظها ، وأكرم شأنها	إنني أدعو ، ودوماً أحتسب
قلت: يا داعي ادغني ، ها قد دعا	يا إله الناس لي فلتستجب

أنتهادي لنتعادي؟

(اعتاد ذلك المسافر عن داره وقومه وأهله أن يشتري لكل قريب أو صديق أو جار هدية تناسب مقامه ومكنته حيب الوسع والمقدرة والطاقة. وبعد تسليم الهدايا تبدأ معركة المقارنات بين أصحاب الهدايا! وتنتهي بإدانة المسافر المغترب. فقرر أن ينتهي عنها تماماً ، فلا يشتري أي هدايا لأي أحد. وراح يتساءل قائلاً: والحديث الصحيح البخاري يقول: تهادوا تحابوا! فكيف بنا نتهادى لنتعادي؟! وتحت عنوان: (لله در الهدية!) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت ما نصه: (لله در الهدية! تلك الوسيلة التي تطفئ نيران الضغائن ، وتحل أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات ، فللهدية عظيم الأثر ، وجسيم الخبر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب. وهي دليل على الحب ، وبريد إلى القلب ، وهي شعار التقدير ، وعنوان التكريم ، ولذلك فقد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - الهدية ، ومنحها ، وأقرها ، وأخذها من المسلم والكافر ، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل ، وحث النبي - صلى الله عليه وسلم - على التهادي ، فبها تطيب القلوب وتذهب وحر الخصومة. والهدية سبيل الحب ، وبساط الود ، وأكسير الألفة ، لقول نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - : "تهادوا تحابوا" (البخاري). قال القرطبي: "فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقبل الهدية ، وفيه الأسوة الحسنة ، ومن فضل الهدية - مع اتباع السنة - أنها تزيل حزازات النفوس ، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس". وانظر إلى صنيع بلقيس! فقد كانت - بحق - عبقرية ؛ عندما استخدمت سلاح الهدية ؛ وأثره في تغيير النفوس ، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك ، فقالت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ). قال قتادة: "يرحمها الله! أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها ؛ قد علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس!". ولهذا أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إن الهدية تأخذ بالسمع والبصر والقلب" (ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق 110). وقال: "تَهَادَوْا تَحَابُّوا نِعْمَ مِفْتَاحُ الْحَاجَةِ الْهَدِيَّةُ" (حسن) (الأمثال في الحديث 288). وانظر وتأمل كيف كانت هدايا الصحابة والتابعين ، كيف كانوا أذكىء عندما عاشوا معاني وقيم "الهدية" في حياتهم اليومية ، وكيف أصبحنا أغبياء - عفواً - عندما ماتت فينا ومن بيننا ومن حولنا أخلاق "التهادي". ولقد أقبل سعيد بن العاص يوماً يمشي وحده في المسجد، فقام إليه رجل من قريش ، فمشى عن يمينه ، فلما بلغا دار سعيد ، التفت إليه سعيد ؛ فقال: ما حاجتك قال: لا حاجة لي ؛ رأيتك تمشي وحدك فوصلتك. فقال سعيد لجارته: ماذا لنا عندك؟ قالت: ثلاثون ألفاً. قال ادفعها إليه. وكان شريح إذا أهديت له هدية لم يرد الطبق إلا وعليه شيء. وأهديت إلى إبراهيم بن أدهم هدية ، فلم يكن عنده شيء يكافئه ، فنزع فروه ؛ فجعله في الطبق وبعث به إليه! ولا ترد الهدية. مهما كانت حقيرة: وإياك ، إياك أن تستصغر الهدية مهما ضعفت ، وتحترق المنحة مهما صغرت ، وتتكبر على الأعطية مهما حقرت. لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لو أهدى إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت". (صحيح) والكراع: من الدابة ما دون الكعب. يعني شيء هين لا يذكر. وإذا رددت الهدية. فبين سبب ردها. فلو أهدى إليك ما حُرْم ، أو ما لك فيه عذر لرده ، فبين ذلك لصاحب الهدية ، ووضح له الأمر بسماحة ولطافة مرفقة بابتسامة ، جبراً للخاطر. ففي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - أنه أهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حماراً وحشياً ، وهو بالأبواء أو بؤدان ، فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم". واظفر قلوب هؤلاء بالهدية: (-) الأقربون فهم أولى

بالمعروف ، وعلى رأسهم الآباء والأمهات. - ومن يختلف معك في الفكر أو المذهب. - ومن يحرص على الإساءة إليك ، أو التجريح فيك ، أو النيل من عرضك. - ومن ترغب في هدايته إلى طريق الالتزام والتدين. - ومن ترغب في ضمه إلى العمل الجماعي الخيري أو التطوعي. كان هذا هو مجال الكلم ، فبقي ميدان العمل ، فقم ، وانهض وطبق هذه السنة الميثة ، فاحرص على الهدية ولو كانت رمزية).هـ. والله درك يا ابن ياقوت على هذه النصائح الغالية والدرر الواعية! وتحت عنوان: (الهدية) يقول الأستاذ عبد الله بن سليمان العتيق ما نصه: (الهدية من جوالب المودة بين الناس ، وهي تَعْمُرُ بتياناً راسخاً من المحبة ، لما تحمله من جليل معاني حقيقة الاتصال بين المُهْدِي والمُهْدَى إليه. ويختلف المُهْدُون من حيث هداياهم ، فليسوا سواً! منهم من يُهْدِي مُقِيماً هديته على قانونِ قدرِ المُهْدَى إليه ، ولا ينظرُ إلى الهدية مُغْفِلاً المُهْدَى إلا من لم يَحْظُ بشيءٍ من حقيقة المودّة التي الهدية رسول أمين يحملها إليه ، وإذ كان أناسٌ ينظرون لقدرة الهدية اهتم كثيرٌ من المُهْدِين بقدرها فاستوضعوا نفوسهم من أجل وضعاء نفوس ، فكانت الهدية ممقوتة المعنى ، ولا تباين بين هدية رفيعة القدر وأخرى وضيعة. ومن المُهْدِين من كان شأنه في أن ينظرَ إلى ذات الفعل ، فالإهداء فعلٌ شريفٌ ، يَشْرُفُ بالإهداء المُهْدِي والهدية والمُهْدَى إليه ، ولا يُهْدِي أصحاب هذا النظر هداياهم إلا لمن أدركوا صدق مودتهم ، وصحيح محبتهم ، فكانت الهدية لديهم تكميلاً لأساس ، وليست توثيقاً بمعنى التوثيق. حين تكون الهدية بقدر ذات الإهداء ، فإنَّ النظرَ يتقلب في معنى الإهداء لا في مبناه ، ومعنى الإهداء إبقاءً أو أصر المودّة واستدامتها ، ولذا جاء التوجيه النبوي حاملاً هذا المعنى "تهادوا تحابوا" ، فالهدية تحقيقٌ لمعنى المحبة بين الطرفين. وإبقاءً معنى الإهداء في الهدية يكون بهدية تقوم بالوظيفة ، ويُعْنَى بذات العُمر الطويل ، أو ذات الاستعمال الدائم ، أو ذات الأثر القوي التأثير ، فلا تُعْزَبُ عن قلب المُهْدَى إليه ، ولا يَسْتغني عنها ، ولا تغيب عن جارحة ، فتكون حاضرةً في كلِّ أحواله ، أو في أغلبها ، وفي ملاحظة محبوبات المُهْدَى إليه وميله في الهدية تحقيقٌ لتحقيق معنى الإهداء ، وهذا ذوقٌ من سر الإهداء ، قلَّ من يَنْتَبِهُ إليه. عندما تكون الهدية بهذا الذوق الرفيع يَهْدِي في واديه المُهْدَى إليه ، فَيُدْرِكُ بِذوقه ما جال في خاطر المُهْدِي ، فَيَسْتَبْقِي هديته كما قَصَدَ ، على أقلِّ الحال في حَضْرَتِهِ ، وهذا من أدبها الراقي ، وربما استبقى المُهْدَى إليه معنى الهدية لدى المُهْدِي بهدية الإبقاء ، فَعَدَّتْ الهدايا رُسُلَ وَصَلِ ، والرُّسُلُ لا تكذب. قد يستدعي الإنسان هديةً لإبقاء حقيقة الوصل ، واستدعاء المُبْقِيَاتِ وظيفته عَمَارِ المجدِّ التليد ، وبُناةِ القصدِ الرشيد. فإبقاءً معنى الإهداء بأيِّ مبنى غايةً يسعَى إليها أهل الكمال ، وتهفو إليها نفوسُ الجَمالِ ، فالمعاني تُزَيِّنُ المباني ، والمخابرُ تُطَهِّرُ المظاهر).هـ. وإذن فالهدية هي عبارة عن تفضل من المهدي إلى المهدي إليه! وليست فرضاً واجباً على المهدي! إن كثيراً من الناس اليوم يعتبرون الهدية واجبة في كل الأحوال! وأنا مع قرار بطل قصيدتنا في أن يقصر هداياه على المستحقين من الفقراء والمعوزين!

ملئت من المطاعن والشكايا وأعيتني التجارب والحكايا
وزادتنني المظالم حزن قلب وأشقتني القوادح والروايا
فكل الناس يشكو بؤس قلب تُسببه الهبات مع الهدايا
رأى القوم الهدية فرض عين له نصّ تُعضده وصايا

وعند الله ما تخفي الطوايا!
فعانى الناس ألوان البليبا
أرجع ذكرياتي والتحايا
يلوكون الفواجع والشكايا
على مر الدغاول والرزايا
يد تهوى التفضل والعطايا
ولكن خاب ظني في النوايا
كأني قد ركبت ذرى الخطايا
كما يهدي الكرام من البرايا
وكم للمال يا كم من ضحايا!
وقول: أمسكوا عنه الخفايا
فلا تبقى لدينا من بقايا
للقياه ، فما فيها مزايا!
وعني حكتم أشقى الحكايا
وإن الجود من خير السجايا
ومنع الجود ليس من الدنيا
ولو قسناه من كل الزوايا
لأهل الفقر ، هم أصفى الرعايا
وينشط - في القلوب - لظى الخبايا!!

ولم يعد التواصل سمت أهل
تقطعت الوشائج دون عود
رجعت إلى الديار أزور قومي
فأفيت الجميع على معاد
فعزيت الجميع ، وقلت: صبراً
وأهديت الجميع بما استطاعت
وكنت أظن أن يرضوا بقسومي
فقد عابوا علي ، وأخرجوني
فقول: أنني لم أهد شيئاً
وقول: أنني عبد لمالي
وقول: ليته لم يعط شيئاً
وقول: سوف نرجع ما حبيننا
وقول: لو علمنا ما ذهبنا
فقلت: أنا المعيب ، وليس أنتم
وجودي كان حسب الوسع قطعاً
ولست بملزم شرعاً وعرفاً
وإعطاء الهدية محض فضل
يمين الله بعد اليوم أعطي
وهل نهدي الأنعام لكي نعادي

جعلوني أياس

(عندما يُنصَب أناسٌ من أنفسهم أوصياء على آخرين كاملي الأهلية ، فإنه أمرٌ ممقوتٌ قد يجرُّ إلى اليأس! وإنما عندما تترك لكل فرد حرية أن يختار عقيدته وتصرفاته وسلوكياته وفق ما يدينُّ الله - تعالى به من الحق - ساعتها سنجد القراراتِ الحكيمة في أوقاتها المناسبة! وإذْنُ فلا يجب أن يتسلط الإنسانُ على أخيه الإنسان! إذ الخالقُ القديرُ قد خلق عباده أحراراً ، وأعطاهم الحرية في أن يعبدوه أو يكفروا به! (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).)

تعمسَ التسلط إذ يزيدُ البغضا	ويسوقُ للنفس العذابَ المَحْضَا
ويُوجِّجُ الأحقادَ يسبقها اللظى	ويثِيرُ - بين الأهل - نارَ الفوضى
ويُعكِّرُ الصفو الذي يحيا به	قومٌ ، ويوقدُ - في القلوب - البغضا
تتحكمون ، ولا حياء يردكم	فهل التحكُّمُ فيّ أمسى فرضاً؟
تتصرفون ، وهل أذنت لكم بذا؟	أم أنه جشعٌ عليّ انقضا؟
أبيئتُ مُلتاعاً بفضل خبالكم	ويخوضُ في عرضي الخلائقُ خوضاً؟
وأشتكى الكربات من فرط الجوى	سَهْرانٌ لم تطعمَ عيوني غمضاً؟
وأظنُّ أجتِرَ القنوطَ تغيطاً	وتفيضُ - بالدمع - المشاعرُ فيضاً؟
وألوكُ أحزاني ، ويجرفني الأسى	أن لم أجدُ - وسط الدياجي - ومضا
أنا ما ينسثُ من انفراج بليتي	كلا ، وأرفضُ ما صنعتُم رفضاً
أنا ما سنمثُ ، فإن رحمة خالقي	في مُهجتي - والله - تنبضُ نبضاً
لكنْ ينسثُ من التوافق بيننا	لمأ رأيتُ الدحضَ يتلو الدحضا
لمأ عجزتُ بأن أصدَّ جماحكم	ورأيتُ ظلماً مُستبيناً مَحْضَا
والله يحكمُ بيننا ، سبحانه	وأغضَّ عما قلتُ فيكم غضا
فالله خيرٌ حاكماً يا قومنا	فعلام يهجو بعضُ قومي بعضاً؟

عندما ينحرف الناس

(يقارن كثيرون بين الحاضر والماضي. فيثنون على الماضي واصفين أيامه بالبركة. ويذمون الحاضر واصفين أيامه بالسوء والشر. والأصل أن الزمان لا يتغير ولا ينحرف ، بل الانحراف والتغيير في الناس. وصدق الشافعي إذ قرّر هذا قبلنا عندما قال أبياته المشهورة التي مطلعها الذي إذا قلت صدره أكمل المخاطب العجز: (نعيبُ زماننا والعيبُ فينا! فإذا بمن تتحدث إليه يكمل لك قائلًا: (وما لزماننا عيبٌ سوانا). وهي حقيقة فطن إليها الشافعي في الزمان الأول. والعيبُ كل العيب في الناس بأفعالهم وتصرفاتهم وتصوراتهم! وإلا فالزمان هو الزمان ولكن الناس اختلفوا! وصدق القائل: أضاع لآدمَ هذا الهلالَ فكيف تقول الهلال الوليد؟!)

يا قومي هذي وربي قسمةٌ ضيزى	فعرزوا قـولكم - بالحق - تعريزا
العيبُ فيكم ، وما بالدهرٍ من خلل	إنى أرى - فيكم - التعيبَ مركوزا
قد انحرقتم عن التوحيد في زمن	تميّز الناسُ - في دنياه - تمييزا
وما لخيبتكم شئٌ يُبررها	حتى يُجوّز بعضُ الناس تجويزا
دفتمُ الحق - بالأهواء - في جدثٍ	وكان قبلكم - في الدار - مجنوزا
ما كان أفسده الطاغوتُ في حقب	ثرى نُحرّزه - باللهو - تحريزا؟
ومن يعشُ تانهاً في الناس منحرفاً	فسوف يحيا - مدى الأيام - مبزوزا
ولا يكاد يرى شيئاً يعيشُ له	ورأيه دائماً يظلم مهزوزا
يحيا ذليلاً ، يُحابي من يحركه	مثل الخيوط إذا شدت أراجيزا
يا قوم لا تلعنوا الأيام ، واعتبروا	والفد من يُنجز الأهداف تنجيزا
أسلافنا حققوا أمالهم قذماً	واستخرجوا من تراب الأرض إبريزا
قادوا وكان لهم في الناس سؤددهم	وأحرزوا في مجال السبق تبريرا
لأنهم طبقوا منهاج خالقهم	طوعاً ، وما حكّم الأبرارُ (جكيزا)
هذي مناقبهم ، وتلك قسمتهم	وقسمة العير - من أقوامنا - ضيزى!

هارون المقتري عليه

(إنه الخليفة هارون الرشيد أمير المؤمنين العباسي الذي حلا لكثير من الكُتاب والروائيين السفهاء الجهلاء سدنة الباطل وأعوان التحريف أن يُظهره على أنه خمار زمار سكير طبال عرييد. وهو البرئ من هذا كله. ومن يراجع دواوين السير والتراجم والتاريخ يجد هارون الحقيقي المتعبد الخاشع البر برعيته الرحيم بها. يذكر الإمام الحافظ السيوطي في تاريخه عن الرشيد الكثير. ومن ذلك: •• كان يُصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا ليلة. ويتصدق من خُر ماله كل يوم بألف دينار. •• كان يحب العلم وأهله ويُعظم خُرُمات الإسلام. ويُبغض المراء في الدين والكلام في ضرب النص. •• وكان يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ. •• ولما مات ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الأعيان أن يعزوه في ابن المبارك. •• وكان يحج عاماً ويجاهد عاماً. وغير ذلك الكثير ، فإن أخبار الرشيد يطول شرحها. في (ملتقى أهل الحديث) عثرتُ على بعض الجواهر عن الرشيد أذكر منها: (هارون الرشيد من عظماء أمتنا الذين طأطأ الروم رؤوسهم له وأحنوا هاماتهم رهبة منه ، ذلك الرجل الذي حاول أعداء تاريخنا وأذئابهم أن يُصوّروه بصورة شارب الخمر الماجن ، صاحب الجواري الحسان والليالي الحمراء ، العسوف الظلوم ، مع أنه كان من أعظم خلفاء الدولة العباسية جهاداً وغزواً واهتماماً بالعلم والعلماء ، وبالرغم من هذا كله أشاعوا عنه الأكاذيب ، وأنه لا همّ له سوى الجواري والخمر والسُكر ، ونسجوا في ذلك القصص الخرافية والحكايات الواهية. قال ابن خلكان عنه في كتابه وفيات الأعيان: "كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ، ذا حج وجهادٍ وغزو وشجاعةٍ ورأي". فَمَن هارون الرشيد؟ إنه أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي ، كان مولده بالري حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهي أم الهادي ، عُرف بالشجاعة والقوة ، وقاد الحملات في عهد أبيه ، ولم يتجاوز العشرين. وَلِيَ الخِلافة بعهد معقودٍ له بعد الهادي من أبيهما المهدي في ليلة السبت السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة بعد الهادي ، وكان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر. ولقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: [وَحكى بعض أصحابه أنه كان إذا حجّ أحجّ معه مئة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحجّ أحجّ في كل سنة ثلاثمائة رجل بالنفقة السابعة والكسوة الظاهرة]. وقد أحصى المسعودي سنوات حجه بالناس فكانت: 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 181، 186، 188 هـ. وقال الذهبي في التاريخ: [سنة تسع وسبعين ومئة وفيها اعتمر الرشيد في رمضان ودام على إحرامه إلى أن حج ومشى من بيوته إلى عرفات]. وقال أبو الفدا في المختصر: [ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئة وفيها حج الرشيد وأحرم من بغداد]. وقال الغزالي في فضائح الباطنية: وقد حُكي عن إبراهيم بن عبد الله الخراساني أنه قال: (حججتُ مع أبي سنة حج الرشيد ، فإذا نحن بالرشيد وهو واقف حاسرٌ حافٍ على الحصباء ، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول: يا رب أنت أنت وأنا أنا ، أنا العوّاد إلى الذنب ، وأنت العوّاد إلى المغفرة ، اغفر لي. قال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بن عياض والرشيد وآخر). هـ. وَرَوِيَ أن ابن السماك دخل على الرشيد يوماً فاستسقى ، فاتى بكوز ، فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي! قال: اشرب هناك الله ، فلما شربها قال: أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي! قال: إن ملكا

قيمته شربة ماء وبولة لجدير أن لا ينافس فيه! فبكى الرشيد بكاءً شديداً. وقال ابن الجوزي: قال الرشيد لشيبان: عِظني! قال: لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف. فقال الرشيد: فسّر لي هذا! قال: من يقول لك أنت مسئول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم! فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله. وكان الرشيد يحب العلماء ، ويعظم حُرّمات الدين ، ويبغض الجدل والكلام ، وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله: (ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد ، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله). قال أبو معاوية الضرير: (ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد ، إلا قال: صلى الله على سيدي ، ورويت له حديثه ، وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيأ ثم أقتل فبكى حتى انتحب). وعن خرزاذ العابد قال: (حدّث أبو معاوية الرشيد بحديث احتج آدم وموسى ، فقال رجل شريف: فأين لقيه؟ فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف! زنديق يطعن في الحديث! فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: بادرة منه يا أمير المؤمنين حتى سكن). وأخرج ابن عساكر عن ابن عليّة قال: (أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي؟ قال له: أريح العباد منك. قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها ما فيها حرف نطق به؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجاتها حرفاً حرفاً). وكان العلماء يبادلونه التقدير ، فلقد روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: (ما من نفس تموت أشد عليّ موتاً من أمير المؤمنين هارون ، ولو ددت أن الله زاد من عمري في عمره) ، قال: فكبر ذلك علينا ، فلما مات هارون وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس على القول بخلق القرآن قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم. وفي سنة سبع وثمانين ومائة جاء للرشيد كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التي كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة ريني ملكة الروم وصورة الكتاب [من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد ، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامت مقام الرُخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها ، وذلك لضعف النساء وحُمقهن ، فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها ، وإلا فالسيف بيننا وبينك] فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضباً حتى ما تمكن أحد أن ينظر إلى وجهه فضلاً أن يخاطبه ، وتفرق جلساؤه من الخوف ، واستعجم الرأي على الوزير ، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، ثم سار ليومه فلم يزل حتى نزل مدينة هرقل وكانت غزوة مشهورة وفتحاً مبيناً ، فطلب نقفور الموادة ، والتزم بخراج يحمله كل سنة. وأسند الصولي عن يعقوب بن جعفر قال: خرج الرشيد في السنة التي ولي الخلافة فيها حتى غزا أطراف الروم ، وانصرف في شعبان ، فحج بالناس آخر السنة ، وفرّق بالحرمين مالا كثيراً ، وكان رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في النوم ، فقال له: إن هذا الأمر صائرٌ إليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسّع على أهل الحرمين ، ففعل هذا كله. وقد مات الرشيد أثناء غزوه الروم! قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان. ودفن بها في ثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة هجرية وله خمس وأربعون سنة). هـ. وكتبت الأستاذة سارة حسام عن الرشيد ، وهي تقتبس عن (موقع إسلام ويب) ما نصه: (هارون الرشيد يعد

الشخصية الأكثر جدلاً في تاريخ ملوك المسلمين بعد "الحاكم بأمر بالله" ، فتارة تذكر كتب التاريخ أنه من أكثر خلفاء الدولة العباسية جهاداً وغزواً واهتماماً بالعلم والعلماء! وتارة يزعمون أنه المارق الذي جعل شغله الشاغل الجواري والخمر والطرب. في ذكرى وفاته يوم 24 مارس من عام 809هـ لزم علينا استعادة تاريخ ذلك الخليفة الإسلامي والوقوف على أهم فتوحاته وغزواته. لقد كانت أولى المعارك التي خرج فيها هارون الرشيد في عام 165هـ ضد الروم وحقق فيها الرشيد نصراً ساحقاً جعل والده يعده ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه موسى الهادي. لقد كان تولي الرشيد للخلافة بداية لعصر جديد قوي ومزدهر في تاريخ الدولة العباسية ، فلقد كانت الدولة مترامية الأطراف متعددة الثقافات والعادات والأصول مما جعلها عرضة لظهور الفتن والمؤامرات ، والثورات ، فتمكن الرشيد من الإمساك بمقاليد الحكم بيد من حديد ، كما تمكن من فرض سيطرته وحكمه على جميع الأنحاء المتفرقة من البلاد. ولم يكتفِ "الرشيد" بهذا ، بل سعى بكامل طاقته لأن يجعل منها دولة متقدمة في جميع المجالات ، فشهد عصره نهضة شاملة وارتقاءً هائلاً بالدولة! مما أثبت أن الرشيد لم يكن رجلاً متجهاً نحو اللعب واللهو بل كان قائداً ، وحاكماً يتمتع بعقل وفكر. وقد ذكرت كتب التاريخ أن الخليفة كان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة وله نظر جيد في الأدب والفقه ، كما اتسم الرشيد بالورع والتقوى ، ولقد شهد عهد هارون الرشيد نهضة شاملة كاملة بكافة قطاعات الدولة حيث زادت الأموال الداخلة إلى خزانة الدولة مما عم بالرخاء والازدهار على كافة أركانها ، هذا بالإضافة للتقدم في العلوم والفنون وغيرها ، فشهد عصر الرشيد نهضة معمارية أيضاً فبنيت المساجد والقصور ، وحفرت الترع والأنهار ، وامتد الرخاء إلى بغداد حيث نالت حظها من الرخاء والازدهار ، فاتسعت رقعتها وبنيت بها المساجد والقصور. فضلاً عن هذا شهدت الدولة الإسلامية نهضة علمية واسعة ، فكانت الدولة وقتها هي الملجأ الأول الذي يفد إليها العلماء من فقهاء ولغويين وغيرهم من كل حذب وصوب ، فكانوا يتبادلون العلوم ويلقنون الطلاب علومهم المختلفة. كما يرجع الفضل لهارون الرشيد في إنشاء "بيت الحكمة" وهو أشبه بمكتبة ضخمة جمعت فيها العديد من الكتب من مختلف البلدان كاليهند وفارس وغيرها فكانت تضم قاعات للكتب وأخرى للمحاضرات وغيرها للناسخين والمترجمين. ولم يقتصر دور الرشيد على كونه حاكماً فقط مهتماً بالشئون الداخلية للبلاد والغزوات بل امتدت علاقته للعديد من البلدان فقام بتوطيد العلاقات بين الدول فكان يستقبل الوفود على الرحب والسعة ويرسلهم إلى بلادهم محملين بأعلى وأثمن الهدايا ، مما دفع العديد من الممالك لملاقاته من أجل بناء علاقات قوية مع الدولة الإسلامية وحاكمها. وبالرغم من اهتمام الرشيد بالنهضة والعلم ، إلا أنه كان لخلافته بُعد آخر عامر بالغزوات ، فقبل عنه: يغزو عاماً ويحج عاماً ، فتم في عصره العديد من الغزوات ، وكان أهم تلك الغزوات فتح مدينة هرقلة ، الواصلة ما بين بحر الروم وبحر القلزم. فيما خاض الرشيد العديد من الحروب مع الروم سواء قبل توليه الخلافة أو بعدها والتي كلل فيها بالفوز والنصر وعمل على تأمين البلاد ضد هجماتهم ، كما أعاد بناء البلاد التي قد دمرت في الحروب ، وولى عليها أمهر القادة ، وعمل على تزكية جيشه بأسطول ضخم يدعم مع الجيش حروبه ضد الروم ، ونظراً للانتصارات المتوالية التي حققها الرشيد مع الروم ، فقد طالب الروم بعقد هدنة مع الجيوش الإسلامية! وبالفعل عقدت ريني الملكة الرومية صلحاً مع هارون الرشيد وذلك مقابل دفع جزية سنوية للمسلمين ، وظلت هذه المعاهد قائمة إلى أن توج نقفور امبراطوراً على الروم بدلاً من أمه الإمبراطورة السابقة ريني عام 186هـ ، فقام بنقض

المعاهدة وحاربه الرشيد وانتصر عليه ، ثم عاد فنقض المواعدة التي طلبها فغراه الرشيد وانتصر عليه انتصاراً ساحقاً! وفي سنة تسع وسبعين ومائة اعتمر الرشيد في رمضان ، ودام على إحرامه إلى أن حج ومشى من مكة إلى عرفات ، وفي سنة 181 هـ فتح حصن الصفصاف عنوة). هـ. ولقد كان الرشيد حكيماً بليغاً يتقن صياغة الحكمة المناسبة في الموقف المناسب لها! ولا تزال كتب السير والأدب والتراجم تحمل بين طيات أوراقها عشرات الحكم الهارونية البليغة الصانبة! ومن الأقوال الخالدة التي تمثلها الرشيد وقالها: – فهو الذي قال للسحابة: في أي مكان شئت أمطري فسيحمل إليّ خراجك. – وهو القائل: النفس تطمع والأسباب عاجزة ** والنفس تهلك بين اليأس والطمع. – من شاور كثر صوابه. – نعم وزير إنعام الرأي الحسن. – كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخلة البصرة. – الجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام. – الشرف يمنع صاحبه من الدناءة! وهذه قصة بهلول والملك حيث يحكى أن بهلولاً كان رجلاً مجنوناً في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. ومن طرائف بهلول أنه مر عليه الرشيد يوماً وهو جالس على إحدى المقابر فقال له هارون معنفاً: يا بهلول يا مجنون متى تعقل؟ فرخص بهلول وصعد إلى أعلى شجرة ثم نادى على هارون بأعلى صوته: ” يا هارون يا مجنون متى تعقل؟ فأتى هارون تحت الشجرة وهو على سهوة حصانه وقال له: أنا المجنون أم أنت الذي يجلس على المقابر؟ ولما حملوا هارون الرشيد إلى قبره ليراه. فنظر هارون إلى القبر وبكى ، ثم التفت إلى الناس من حوله وقال: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ} ثم رفع رأسه إلى السماء وبكى وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه). هـ. وكتب الأستاذ عبد الأعلى المصري عن الرشيد فقال ما نصه: (هارون الرشيد الخليفة العادل العابد المجاهد! لقد أثير على الخليفة العادل العابد المجاهد هارون الرشيد شبهتان تطعن في عدالته هما: * شربه للخمر. * سماعه للقيان والمعازف وانغماسه في اللهو. وقبل أن نشرع في رد الشبهتين ، نذكر من هو هارون الرشيد: قال الخطيب في تاريخ بغداد (14/16): ” عن عمرو بن بحر، قال: اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لأحد من جد وهزل ، وزراؤه البرامكة لم ير مثلهم سخاءً وسروراً ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، كان في عصره كجرير في عصره ، ونديمه عم أبيه العباس بن محمد صاحب العباسية ، وحاجبه الفضل بن الربيع أكيس الناس وأشدهم تعاضماً ، ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ، وضاربه زلزل ، وزامره برصوما ، وزوجته أم جعفر أرغب الناس في خير وأسرعهم إلى كل برٍّ ، وهي أسرع الناس في معروف ، أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك ، إلى أشياء من المعروف). هـ. وإليك ردّ هاتين الشبهتين: * ردّ الشبهة الأولى: شربه للخمر: قال الذهبي في ”السير” (290/9): ”قال ابن حزم: أراه كان يشرب النبيذ المختلف فيه ، لا الخمر المتفق على حرمتها”. وقال محمد الخضري في ”محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية” (ص210): ”واشتهر أن الرشيد كان يشرب النبيذ الذي يرخص أهل العراق في شربه”. * وأمّا الشبهة الثانية: وهي سماعه للقيان والمعازف وانغماسه في اللهو ، حيث جاء في ”الاكتفاء في أخبار الخلفاء” (1403/3) في ترجمة هارون أنه كان: ”محباً للندمان ، وسماع القيان ، واستحباب القيان ، وهو أول خليفة هنك الستار”. وقال الذهبي في ”السير” (290/9): ”ومحاسنة كثيرة وله أخبار شائعة في اللهو واللذات والغناء ، سامحه الله تعالى”. وقال محمد الخضري في ”محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية” (ص210): ”وكان يسمع الغناء ويثيب عليه أعظم ثواب ، ولذلك اشتهر في زمنه أعظم الموسيقيين والمغنين من بغداد ممن لم

يأت بعده مثلهم ، كما يرى ذلك من اطلع على كتاب الموسوم بـ (الأغاني) لأبي فرج الأصبهاني". * والردُّ على هذه الشبهة مع الأولى كذلك من وجهين: * الوجه الأول: أن هذه الطعون مفتراة على هارون الرشيد من قبل الرافضة والشعوبية ، كما قال صالح بن عبد الله الغامدي – محقق كتاب "الاكتفاء في سيرة الخلفاء" -: "وأعتقد أن كل ما صرَّح به المؤلف من ثلب وعيب في الرشيد – رحمه الله – لا يصلح ، وإنما هو من طعون أعدائه من الرافضة والشعوبية وغيرهم ، بقصد تشويه سيرته الحسنة ، يحملهم على ذلك الحسد والغيرة ، والحدق والضغينة التي امتلأت بها قلوبهم على الإسلام وأهله ، خصوصًا على من تقلد ذروة سنام الأمة وزمام الخلافة هارون الرشيد ، الذي كان من أنبل الخلفاء العباسيين ، وأحسبهم ، وأمثلهم عفة وطهارة ، وأحسنهم سيرة". * الوجه الثاني: إن سيرة هارون الرشيد في حكمه وعبادته وجهاده تناقض كونه منغمسًا في شرب الخمر والغناء والقيان واللَّهو ، ذلك أنه عُرف بالعدل وكثرة الغزو والحج والصدقة ونوافل الصلوات والزهد وخشية الله إذا ذُكر به ، كما في النقول والآثار التالية: قال الذهبي في (287/9): "وَكَانَ مِنْ أَنْبِلِ الْخُلَفَاءِ ، وَأَحْسَمِ الْمُلُوكِ ، ذَا حَجِّ ، وَجِهَادٍ ، وَغَزْوٍ ، وَشَجَاعَةٍ ، وَرَأْيٍ". وقال: "حَجَّ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَلَهُ فُتُوحَاتٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُودَةٌ ، وَمِنْهَا فَتْحُ مَدِينَةِ هِرَقْلَةَ ، وَمَاتَ غَازِيًا بِخُرَاسَانَ ، وَقَبْرُهُ بِمَدِينَةِ طُوسٍ! عَاشَ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ صَالِحٌ ، تُوفِّيَ: فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً". وقال ابن الكردبوس في "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" (1403/3): "نقش خاتمه: استرشدت بالله" ، ثم قال - بعد جزمه بدعوى انغماسه في الغناء واللهو وشرب النبيذ -: "وكان مع ذلك رجاعًا إلى دين الله. وكان مدمنًا للجهاد والحج ، حجَّ ثماني حجج ، مشى في إحداها إلى مكة راجلاً ، وغزا ثماني غزوات". قلت: واعتراف مؤلف الاكتفاء بهذه الحقائق كان كافيًا في إبطال الفري التي قدّم لها بين يديها! وقال الخطيب البغدادي – رحمه الله - في "تاريخ مدينة السلام" (10-9/16): "أَخْبَرَنَا ابْنُ رَزْقٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَاقِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبِرَاءِ قَالَ: الرَّشِيدُ هَارُونُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَكُنِيَّتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَلِدٌ بِالرِّيِّ ، وَكَانَ يَحُجُّ سَنَةً ، وَيَغْزُو سَنَةً. وَقَالَ ابْنُ ظَافِرٍ الْأَزْدِيُّ (ت 613) فِي "أَخْبَارِ الدَّوْلِ الْمُنْقَطِعَةِ" (ص 239): "ولما ورد عليه كتاب صاحب الثغور ، وذكر له فيه خروج طاغية الروم ، وقع على كتابه: أنا في الأثر ، ومن الله الظفر ، ووقع أيضًا وقد ورد كتاب ثاني منه في المعنى: {وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار} ووقع على رقعة رجل يتظلم من عمرو بن مسعدة: يا عمرو أعمار نعمة الله عندك بالعدل فإن الجور يهدمها". قلت: ومن تعظيمه للمشرع والعلم وعدله أنه جدّد العمل بالشروط العمرية ، كما قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (654/28) عند حديثه عن الشروط العمرية على نصارى الشام: "وَهَذِهِ الشَّرُوطُ مَا زَالَ يُجَدِّدُهَا عَلَيْهِمْ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا جَدَّدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي خِلَافَتِهِ وَبَالَغَ فِي اتِّبَاعِ سُنَّةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْقِيَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَنْزِلَةِ مَيِّزَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْمَةِ! وَجَدَّدَهَا هَارُونُ الرَّشِيدُ وَجَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ وَغَيْرُهُمَا ، وَأَمَرُوا بِهَذِهِ الْكُنَائِسِ الَّتِي يَنْبَغِي هَدْمُهَا كَالْكُنَائِسِ الَّتِي بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ كُلِّهَا". وقال كما مستدرک على الفتاوى (250/3): "وروى الإمام أحمد عن الحسن البصري أنه قال: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة وكذلك هارون الرشيد في خلافته أمر بهدم ما كان في سواد بغداد". وقال تلميذ شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية في "أحكام أهل الذمة" (465/1): "وَأَمَّا هَارُونُ الرَّشِيدِ فَإِنَّهُ لَمَّا قَلَّدَ الْفُضْلَ بْنَ يَحْيَى أَعْمَالَ خُرَاسَانَ ، وَجَعْفَرًا أَخَاهُ دِيوَانَ الْخُرَاجِ"

أَمَرَهُمَا بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعُمِّرَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْجَوَامِعُ وَالصَّهَارِيحُ وَالسَّقَايَاتُ ، وَجُعِلَ فِي الْمَكَاتِبِ مَكَاتِبٌ لِلنِّيَامَى ، وَصَرَفَ الدِّمَّةَ عَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ الْمُسْلِمِينَ عَوَضًا مِنْهُمْ ، وَغَيَّرَ زِيَهُمْ وَلِبَاسَهُمْ وَخَرَّبَ الْكُنَائِسَ ، وَأَفْتَاهُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ". قلت: وكان شديدًا على الزنادقة وأهل البدع والأهواء ، كما كما في الآثار التالية: قال عبدالقادر بن حبيب الله السندي في "تعليقات سنية على البحوث العلمية": "والشاهد في حديث أبي معاوية الضرير والرجل الذي سأل أين لقي موسى ملك الموت وشفع أبو معاوية للرجل عند الرشيد ، هو أن هارون الرشيد رحمه الله تعالى المتوفى سنة 193هـ بمدينة طوس لم يكن من المحدثين ، ولم يكن قد اشتغل بالرواية الحديثية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح قد ولد آنذاك ، وقد عرف وعلم هارون الرشيد عن صحة هذا الحديث الذي استفسر عنه ذلك الرجل القرشي فغضب عليه الرشيد غضبًا شديدًا ، وحكم عليه أنه زنديق". وقال مرعي بن يوسف الكرمي كما في أقاويل الثقات: "ولما كَانَ فِي خُدُودِ الْمُنَّةِ الثَّانِيَةِ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يَسْمُونَهَا مَقَالَةَ الْجَهْمِيَّةِ بِسَبَبِ بَشْرِ الْمُرَيْسِيِّ وَطَبِيقَتِهِ وَكَانَ الْأَيْمَةُ مِثْلَ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَبِي يُونُسَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَالْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضَ وَبَشَرَ الْحَافِي يَبَالِغُونَ فِي ذَمِّ الْكَلَامِ وَفِي ذَمِّ بَشْرِ الْمُرَيْسِيِّ هَذَا وَتَضْلِيلِهِ حَتَّى إِنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ قَالَ يَوْمًا بَلَّغْنِي أَنْ بَشَرًا الْمُرَيْسِيُّ يَقُولُ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظْفَرْنِي بِهِ لِأَقْتَلَنَّهُ قَتْلَةً مَا قَتَلْتَهَا أَحَدًا فَأَقَامَ بَشَرًا مَتَوَارِيًا أَيَّامَ الرَّشِيدِ نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً".

وقال السيوطي في "تاريخ الخلفاء" (ص457/ط. دار المنهاج): "وكان يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمة الإسلام ، ويبغض المراء في الدين ، والكلام في معارضة النص". قلت: ومن موافقه - رحمه الله - في توقيف العلم والعلماء والانصياع لنصائحهم ما يلي: * وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد (14/16): "أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري قال: حَدَّثَنَا الْمُعَاوِيَةُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَرِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمَجْلِسُهُ حَافِلٌ ، فَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَغْفَلَكَ عَنَا وَأَجْفَاكَ لِحَضْرَتِنَا؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَلْقَيْتَنِي بِبِلَادِ بَعْدِكَ حَتَّى أَتَيْتَكَ ، قَالَ: فَأَمْرُنِي بِالْجُلُوسِ ، فَجَلَسْتُ وَسَكَتَ عَنِّي ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ نَهَضْتُ لِلْقِيَامِ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ ، فَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا الْمَجْلِسُ فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي وَغَيْرِهِ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَا أَلْقَيْتَنِي؟ قُلْتُ: أَمْسَكْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ: أَحْسَنْتَ ، وَهَكَذَا فَكُنْ: وَقَرْنَا فِي الْمَلَأِ ، وَعَلَّمْنَا فِي الْخَلَاءِ ، وَأَمْرٌ لِي بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ". وقال الخطيب أيضًا في (9/16): "أخبرنا أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب القاضي قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُرَيْسِيِّ بِوَأَسْطِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو طَاهِرِ الْمُرَيْسِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: أَكَلْتُ مَعَ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَعَامًا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَصَبَّ عَلَى يَدِي رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ هَارُونَ الرَّشِيدُ: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ ، تَدْرِي مَنْ يَصُبُّ عَلَى يَدَيْكَ؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: أَنَا ، قُلْتُ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! قَالَ: نَعَمْ ، إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ". وقال أبو بكر أحمد بن مروان الدِّينَوْرِيُّ فِي (183/2): "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْفَرَسِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ أَبُو يُونُسَ الْقَاضِي فَذَكَرَ أَبُو يُونُسَ حَدِيثَ ابْنِ عَمْرٍ أَنَّهُ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ مِنَ الْعَايَةِ إِلَى تَيْبَةِ الْوَدَاعِ فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ هُوَ الْعَايَةُ ، إِنَّمَا هُوَ الْعَايَةُ. قَالَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، مَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ عَاقِلٌ مِثْلِكَ". وقال ابن ظافر الأزدي (ت 613) في "أخبار الدول المنقطعة" (ص239): "وفي أيامه كملت الخلافة بكرمه

وعدله وتواضعه وزيارته العلماء في مواضعهم كمالك بن أنس وسفيان بن عيينة ، وعبد الرزاق بن همام المحدث ، والفضيل بن عياض وغيرهم ، وفي أيامه توفي مالك بن أنس سنة تسع وسبعين ومائة وله تسعون سنة وصلى عليه ابن أبي ذئب! وفي أيامه أيضاً مات محمد بن الحسن الفقيه ، وعلي بن حمزة الكسائي ، وحين دخل الرشيد الري قال: دفنا العلم بالري...". اهـ. وقال ابن ظافر الأزدي (ت 613) في "أخبار الدول المنقطعة" (ص239): "وكان يعادله إلى مكة في المحل القاضي أبو يوسف..." ثم قال: "وكان الرشيد مضللاً من العلم والأدب والشعر". اهـ. وقال أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم" (3/229): "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْمُخْتَارِ ، نَا يَحْيَى بْنُ أُكْتَمَ قَالَ: أَرَادَ هَارُونَ الرَّشِيدُ أَنْ يُؤَلِّيَ رَجُلًا الْقَضَاءَ ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ وَلَا أَنَا فَقِيهٌ. فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ: لَكَ شَرَفٌ وَالشَّرَفُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَلَكَ حِلْمٌ وَالْحِلْمُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْعَجَلَةِ وَمَنْ لَمْ يُعَجَلْ قَلَّ خَطُؤُهُ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أُمُورِكَ وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ ، وَأَمَّا الْفَقْهُ فَنُضْمٌ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ. قَالَ يَحْيَى: فَوُلِّيَ ؛ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مَطْعَنًا". قلت: وكان هارون كذلك يعنتي بعلوم الطب كما جاء في "تاريخ مختصر الدول" (ص227): "ومن أطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني وياه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وخدم الرشيد ، ومن بعده إلى أيام المتوكل ، وكان معظماً ببغداد جليل القدر وله تصانيف جميلة ، وكان يعقد مجلساً للنظر ، ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرّس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون". قلت: وله أيضاً أخبار في الزهد وخشية الله عز وجل تنافي كونه – كما افترى عليه – يقضي وقته في الغناء وسماع القيان واللهو المحرم. قال أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم" (1/376): "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قُتَيْبَةَ ، نَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ يَقْلَمُ أَظْفَارَهُ فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَخَذُ الْأَظْفَارَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مِنَ السَّنَةِ ، وَبَلَّغَنِي أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَنْفِي الْفَقْرَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَتَخَشَى أَنْتَ أَيْضًا الْفَقْرَ؟ ! فَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ! وَهَلْ أَخَذُ أَحْشَى لِلْفَقْرِ مِنِّي؟!". وقال في (4/295): "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَرْبِيِّ ، نَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ: عَظْمِي وَأَوْجُرُ. فَقَالَ: مَا أَعْجَبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ كَيْفَ غَلَبَ عَلَيْنَا حُبُّ الدُّنْيَا؟ ! وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ كَيْفَ غَفَلْنَا عَنْهُ ، عَجَبًا لِصَغِيرٍ حَقِيرٍ إِلَى فَنَاءٍ يَصِيرُ ، غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ طَوِيلٍ دَائِمٍ غَيْرِ زَائِلٍ!". وقال في (4/427): "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَا: نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونَ الرَّشِيدُ وَقَدْ رَحَّرَفَ مَجَالِسَهُ وَبَالَغَ فِيهَا وَفِي بَنَانِهَا ، وَوَضَعَ فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا. وَقَالَ أَبُو طَاهِرِ السَّلْفِيِّ كَمَا فِي "الطيوريات" (2/645): "عُبِيدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرِو الْقَوَارِيرِيِّ قَالَ: "لَمَّا لَقِيَ هَارُونَ الرَّشِيدُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ قَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: يَا حَسَنَ الْوَجْهِ ، أَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ مَجَاهِدٍ {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} قَالَ: الْوَصْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ: فَجَعَلَ هَارُونَ يَبْكِي وَيَتَشَهَّقُ " ، وهذا إسناد صحيح. وقال الذهبي في "السير" (9/287-288): "قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً ابْنُ السَّمَاكِ الْوَاعِظُ ، فَبَالَغَ فِي إِجْلَالِهِ ، فَقَالَ: تَوَاضَعْتُ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ... ، ثُمَّ وَعَظَهُ ، فَأَبْكَاهُ ، وَوَعَظَهُ الْفُضَيْلُ مَرَّةً حَتَّى شَهَقَ فِي بُكَائِهِ ، وَكَانَ يَقْتَنِي آثَارَ جَدِّهِ إِلَّا فِي الْحَرِصِ". قلت: بل اعترف بكون هارون الرشيد مفترى عليه أحد الكتاب في صحيفة "الأهرام المسائي المصرية" عدد (9262) (الاثنين 3 من ذو الحجة 1437

هـ 5 سبتمبر 2016م) حيث قال: "هارون الرشيد ذلك البطل المسلم والخليفة المتواضع الذي ظلمه المستشرقون فافتروا عليه بالكثير من الأكاذيب التي صدّقها العوام ، وكثرت الأعمال الدرامية المليئة بهذه الأكاذيب ، وكأنها قد انقلبت إلي حقائق! والذي لا يعرفه الكثيرون أن هارون الرشيد من أكثر خلفاء الازدهار الإسلامي أعمالاً مجيدة وعبادة كثيرة! ففي عهده كانت الدولة تمتد من الصين غرباً إلى المغرب في الغرب ، فكانت من أكبر وأعظم الدول التي عرفها التاريخ! لقد كان الرشيد أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزواً وحجاً". وسئل الشيخ صالح الفوزان كما في موقعه الرسمي:- "ذكرتُ بعض كتب التاريخ ولا سيما - كتاب ألف ليلة وليلة - بأن خليفة المسلمين هارون الرشيد لا يعرف إلا اللهو وشرب الخمر فهل هذا صحيح؟ فأجاب حفظه الله: "هذا كذب وافتراء وُدس في تاريخ الإسلام ، وكتاب ألف ليلة وليلة كتاب ساقط لا يُعتمد عليه ولا ينبغي للمسلم أن يضيع وقته في مطالعته ، وهارون الرشيد معروفٌ بالصلاح والاستقامة والجد وحسن السياسة في رعيته ، وأنه كان يحج عامًا ويغزو عامًا ، وهذه الفرية التي ألصقت به في هذا الكتاب لا يُلْتفت إليها ، ولا ينبغي للمسلم أن يقرأ من الكتب إلا ما فيه الفائدة ؛ ككتب التاريخ الموثوقة وكتب التفسير والحديث والفقه وكتب العقيدة التي يعرف بها المسلم أمر دينه ؛ أما الكتب الساقطة فلا ينبغي للمسلم ولا سيما طالب العلم أن يضيع وقته فيها". اهـ. قلت: فهذا ما تيسر جمعه في الذبِّ عن هذا الخليفة العادل العابد المجاهد ، ولا يعني هذا أنه كان معصومًا ، بل هو بشر من البشر ، قد يقع في مخالفة متأولاً ، وقد تصدر منه الهفوات ، لكن لا ترتقي هذه الهفوات إلى أن يُطعن بها في عدالته وأن يُتهم بالفسق (والفجور). هـ. ومن هنا رحلت أقول لمن يتناولون على الرشيد بقصة أو بتمثيلية أو بمسلسل أو بقصيدة أو بمقالة: أيها الناس رويداً رويداً ، فليس هارون كما تزعمون. أم أنه الاستسلام لآراء الغرب الحاقد والاستشراق المغرض؟! لقد حقق هارون الرشيد نهضة علمية وأدبية في عصره ؛ حيث قَرَّب الشعراء وأهل العلم والأدباء من مجالسه. وطوّر النشاط التجاري ، وكذلك العلاقات السياسية بين دولة الخلافة العباسية وممالك أوروبا ؛ وأهدى هارون الهدايا القيّمة والمميّزة إلى الإمبراطور (شارمان). وفي أثناء توجّجه شرقاً لقيادة جيش لإخماد ثورة من الثورات غافلت هارون الرشيد المنية ليتوفّي سنة 809 م الموافق 192 هـ في مدينة طوس (مشهد الإيرانية حالياً). وأعتقد أنه وبعد هذه المقدمة الطويلة التي كان لا بد من لإيضاح الحقيقة وليبين الحق ، قد وضح تماماً أن هارون خليفة مفترى عليه!

كفاكم - لخير الرجال - احتقاراً	فكم أغرّت الترهّات السُّكاري!
وكم بالأباطيل ضلّت فِئاماً!	وكم جلب الزيف - للصيد - عارا!
وكم بالأراجيف ضاعت حقوقاً!	وكم أوقد الزور - للشّم - نارا!
وكم بالأضاليل داجى سقية!	وأجج - في المُرجفين - السُّعارا!
وكم بالأكاذيب راجت ظنون	وباتت - لمن يجتبيها - شِعارا!
وكم بالأغاليظ زلت فهوّم	قد انحدرت - للضلال - انحدارا!

ليُحَقِّقَ - بالصالحين - الشُّنَّارَا!
فَزَادَ أَمُورَ الْبِرَايَا تَبَارَا!
قَدْ أَشْتَهَرَتْ - بِالْجَنُونَ - أَشْتَهَارَا!
قَدْ اغْتَرَّ بِالسُّفْسُطَاتِ اغْتَرَارَا!
تَغْنَى بِرَدِّ الدِّفَاعِ اسْتَتَارَا!
لَأَنَّ الْمَهْمِيْمَ يَحْمِي الْخِيَارَا
وَيَرْزُقُ أَهْلَ الضَّلَالِ الْخَسَارَا
لِيَعْتَبِرَ الْعَالَمُونَ اعْتِبَارَا
وَيَكِيدُ الْيَهُودَ وَيَكِيدُ النَّصَارَا
وَإِن لَنَا بِالرَّشِيدِ الْفَخَارَا
فَكُلُّ أَعْدَاءِ الْمُؤَدَى وَالشُّفَارَا
وَيَنْفَخُ - فِي الْخَافِقِينَ - الْأَوَارَا
وَيُتْرَعُ كَأَسِّ التَّشْفِي مَرَارَا
عَيَاناً بَيَاناً ، جَهَاراً نَهَارَا
وَيَزُورُ - خَلْفَ التَّحْدِي - اَزْوَارَا
وَيُلْحَقُ بِالعَبْقَرِي الصَّغَارَا
نَدِيمَ الكَوْوُسِ عَشِيْقَ العِذَارِي!
وَلَمْ يَهُوَ غُوداً ، وَلَمْ يَهُوَ طَارَا
وَلَمْ يَلْبَسِ الْمَاسَ يَوْمَ سُوَارَا
وَلَمْ يَهُوَ غُوداً ، وَلَمْ يَهُوَ طَارَا
وَلَمْ يُدْمِنِ الْمَسْتَنِيْرُ الْقِمَارَا

وَكَمْ بِالسُّفَاهَاتِ لَاحِي جَهْوَلْ
وَكَمْ بِالْحَمَاقَاتِ بَارِي ظَلْوَمْ
وَكَمْ بِالتَّخَارِيْفِ شَطَطَ عَقْوَلْ
وَكَمْ نَسَجَ الْغِيْشِ ثَوْبَ جِبَانْ
وَكَمْ طَمَسَ الْحَقَّ غِرَّ غَشْوَمْ
وَلَمْ يَظْفُرُوا بِالذِّيْ أَمَلْوَهْ
وَيَهْزُمُ أَهْلَ الْأَبَاطِيْلِ ، قَطْعاً
وَأَيَّاتِ رَبِّي بِذَا شَاهِدَاتْ
وَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ كَيْدَ الْبِرَايَا
وَهَارُونَ مِمَّا افْتَرَوْهُ بِرِيْ
تَنْقِصَهُ الْبُلَّةُ أَهْلَ الْمُخَازِي
لِيَطْعَنَ - بِالْكَيْدِ - لَيْثاً هَصَوْرَا
وَيَهْتِكُ عِرْضَ الْخَلِيْفَةِ جَهْرَا
وَيَغْتَالُ سُمْعَةَ عِبْدِ تَقِي
وَيَنْفُتُ سُمَّ الْأَفْعَاعِي انْتِقَامَا
وَيَجْهَرُ بِالسُّوْءِ دُونَ احْتِرَامِ
وَهَارُونَ لَيْسَ كَمَا صَوَّرُوهُ
فَلَمْ يَكُ قَطْ صَرِيْعَ الْغَوَانِي
وَلَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ ، حَاشَا ، وَكَلَا
وَلَمْ يَجْعَلِ الْخُكْمَ مُلْكاً عَضْوَدَا
وَلَمْ يَجْعَلِ الْعُمَرَ كَهْفَ الْجَوَارِي

ولم يكُ يصبو لذل الرعايا
ولم يكُ يهوى الغنا والبغايا
ألا إنه عاش عبداً شكوراً
فعاماً يحجّ لمحو الخطايا
وعاماً يجاهد في ساح حرب
أقام الشريعة لم يأل جهداً
وكان يرقّ إذا مسّ وعظاً
وكان يقرب منه اليتامى
وكان يجيزُ الذي ضاق ذرعاً
وكان يجلّ التقاة النشامى
وكان يعز الذي حاز علماً
فرققاً بهارونَ يا من أثمرتم
أراكم أسأتتم ، لذا فارحمونا
لينكسروا - للعتي - اضطرارا
وما كان قط يُغني جهارا
يحب الرشاد ، ويرعى الذمارا
ويعتذر الفذ عنها اعتذارا
وتقتحم الخيل فيها الخبارا
وصحّح - للمؤمنين - المسارا
وبعدُ تفيضُ الدموعُ بحارا
ويحزن إمارأهم حيارى
وأمل - عند الرشيد - الجوارا
ويختارُ أهل الرشاد اختيارا
وبين البرايا يراه منارا
عليه - بغير الدليل - الغبارا
من الترهات تذر العوارا

سفانة

(وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى طيئ فريقياً من جنده ، يتقدمهم علي بن أبي طالب. ففزع من ذلك عدي بن حاتم. وكان من أشد الناس عداً لرسول الله. فصيح علي القوم واستاق خيلهم وأنعامهم ورجالهم ونسانهم إلى رسول الله. فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم فقالت: يا محمد ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلي عني ، ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه ، يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الدار ويرعى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر. وما أتاه أحد في حاجة فردّه خائباً. أنا بنت حاتم الطائي. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : يا جارية هذه صفات المؤمنين ، لو كان أبوك مسلماً لترحمتنا عليه ، خلوا سبيلها أو قال: خلوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق. ثم قال: ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع بين جهال. وامتت عليها فأطلقها إكراماً لها. فاستأذنته في الدعاء فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا! فقالت: أصاب الله ببرك موقعه ، ولا جعل لك إلى لنيم حاجة. ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردّها. فلما رجعت إلى أخيها عدي بدومة الجندل أخبرته الخبر ثم أثنت على النبي. فقررا الذهاب إلى النبي. وأسلما معاً عنده! والحقيقة أنني كتبت القصيدة قبل علمي بضعف الحديث الوارد فيها! ومرّت مرحلة عليّ لم أكن أتثبت من صحة الأحاديث ، فليغفر لي ربي هذا الجرم! وأسأل الله أن لا أكون ممن قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار!) واحترت ماذا أفعل في القصيدة في طبعة الديوان الثانية تلك! واهتديت إلى إيرادها مع الإشارة إلى ضعف الحديث لإبراء الذمة وإقامة الحجة وإيضاح المحجة! فالقصيدة مدحٌ لها ولأخيها وقد أسلما ، والقصيدة مدحٌ لمكارم الأخلاق التي جاء نبينا - صلى الله عليه وسلم - ليتممها ، وأفضل من ذلك أن القصيدة تشيد بجود وكرم وتواضع النبي - محمد صلى الله عليه وسلم - . والحقيقة المرة أن هذا النص مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل فيه عبارات مستهجنة من وصف الراوي - وهو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لجسم هذه الفتاة ، وعينيها ، وفخذيها ، وقامتها وساقها ، و...!!! ومن هنا فإن هذا النص بلا شك من وضع أحد الوضاعين وهو: ضرار بن صرد أبو نعيم الطحان ، فإنه كما قال يحيى بن معين: كذابان بالكوفة: هذا وأبو نعيم النخعي . انظر الميزان (327/2). وفي الإسناد أيضاً: أبو حمزة الثمالي ، وهو متروك ليس بثقة. الميزان (363/1). وفي الإسناد محمد بن السائب الكلبي ، والواقدي ، وقد عرّف حالهما وليس هناك داع لذكره. وللقصة طريق آخر ، لكنّ فيه سليمان بن الربيع النهدي ، وقد تركه الدارقطني ، وقال مرة: ضعيف. الميزان (207/2). قال الألباني في "السلسلة الضعيفة والموضوعة" 11 / 661: موضوعٌ أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (باب وفد طيء - من المجلد الثاني - مخطوطة الأوقاف الحلبية) ، وعنه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (4 / 32 / 1 و 19 / 223 / 1) عن أبي سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي: حدثنا ضرار بن صرد قال: حدثنا عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال: قال علي بن أبي طالب: لما أتني بسبايا طيء وفتت جارية [حمراء ، لعساء ، دلفاء ، عيطاء ، شماء الأنف ، معتدلة القامة والهامة ، درماء الكعبيين ، خدلة الساقين ، لفاء الفخذين ؛ خميسة الخصرين ، ضامرة الكشحين ،

مصقولة المتنين. قال: فلما رأيتها أعجبت بها ، وقلت: لأطلبن إلى رسول الله [أن] يجعلها في فيئي ، فلما تكلمت ؛ أنسيته جمالها من فصاحتها] ؛ فقالت: يا محمد! إن رأيت أن تخلي عنا ، ولا تشمت بنا أحياء العرب ؛ فإنني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويقرى الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ! أنا ابنة حاتم طيء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ...فذكره. فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله! تحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده! لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق". قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً ، وله علل: الأولى: جهالة عبدالرحمن بن جندب ؛ أورده الحافظ في "اللسان" ، وقال: "مجهول". الثانية: أبو حمزة الثمالي - واسمه ثابت بن أبي صفية - ؛ قال الحافظ في "التقريب": "ضعيف رافضي". الثالثة: ضرار بن صرد ؛ قال الحافظ: "صدوق له أوهام". الرابعة: عبيد بن كثير - وهو الثمار ، شيخ الطبراني في الحديث المتقدم قبله - ، وهو ضعيف جداً كما عرفته. وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير بقوله عقب الحديث: "هذا حديث حسن المتن ، غريب الإسناد جداً ، عزيز المخرج"! وأما تحسينه لمتنه ؛ فالظاهر أنه يعني: الحُسن اللغوي ، لا الاصطلاحي ؛ أي: من حيث المعنى ، ولعله عنى المقدار المرفوع منه فقط ، وإلا ؛ فيدُ الصنع والوضع ظاهرة فيه عندي ، لا سيما في وصف علي - رضي الله عنه - للجارية ، كما لو كان رآها عارية أمام النبي - صلى الله عليه وسلم -! وإلا ؛ فمن أين له أن يصفها بقوله: (خدلة الساقين) ؛ أي: ممتلئة الساقين؟! بل قوله: (لفاء الفخذين) ؛ أي: سمينتهما ، بحيث تدانبا من السمن؟! وقوله: (خميسة الخصرين) ؛ أي: ضامرة الخصرين؟! وقوله: (ضامرة الكشحين) ؛ وكأنه تفسير لما قبله ؛ فإن الكشح ما بين الخاصرة والضلع؟! وقوله: (مصقولة المتنين) ؛ أي: ناعمة المنكبين؟! ومعنى (حمرء): البيضاء أو الشقراء ، ومنه الحديث الموضوع: "خذوا نصف دينكم عن الحميراء"! وقوله: (لعساء) ؛ أي: باطن شفتها أسود؟! وقوله: (دلفاء) ؛ أي: تمشي رويداً ، وتقارب الخطى من سمنها؟! وقوله: (عيطاء) ؛ أي: طويلة العنق؟! وقوله: (درماء الكعبين) ؛ أي: غطاهما اللحم والشحم ، حتى لم يبين لهما حجم؟! ثم رأيت الحافظ ابن حجر قد ساق الحديث في "تخريج المختصر" من طريق البيهقي به ؛ واقتصر على تضعيفه بقوله: "هذا حديث غريب ، أخرجه الحاكم في "الإكليل" هكذا ، والبيهقي في "الدلائل" من طريقه" ! ولم يبين علله! ولمن أراد التأكد والبحث بنفسه عن مكان هذه القصة فعليه بالمصادر التالية:- (موقع ملتقى أهل الحديث - دلائل النبوة للبيهقي (341/5). - تاريخ دمشق لابن عساكر - تراجم النساء - (ص 151-152). - تاريخ دمشق (193 /69 ، 197 -198). وحاشا علياً بن أبي طالب أن يصف النساء بإسفاف!)

أثنى النبي على ما قلت إكباراً	وأشهر القول - في الأصحاب - إشهاراً
فقد مدحت بألفاظٍ ممجدةٍ	قد أسفرت - كالصباح الغضّ - إسفاراً
خطيبة تبهرُ العقولَ خطبتها	وإن - في لفظها الأخاذ - أسراراً
كأنها - في اختيار السجع - ناظمة	حتى غدا السجع - تلو السجع - أشعاراً
وأوتيت - في بيان الحق - مؤهبة	وفي الفصاحة مقياساً ومِعياراً

فحازتِ المجدَ مغزراً ومدرارا
وزادها شرفاً يُرجى ومقدارا
تجري دما طيبَ الأعراقِ مغوارا
وقد أقرَ الذي قالتَه إقرارا
وناولتهم عن (الطائي) أخبارا
وأكبروها بما قالتَه إكبارا
فما النبيّ - معاذ الله - جبارا
وأكرموها - ببذل الخير - مكثارا
وللولا نم يا كم أوقد النارا!
لكنما اتبع الطائيّ أحبارا
شمسٌ ، وما فارق الظلام أسحارا
بما حوتْ يُكرمُ الكريمُ زوارا
فلتقرأوا - عن عطا النبيّ - آثارا
وأنتِ جربتِ ما أولاك أسفارا
وتغذرين - إلى الرحمن - إعدارا
ولم يكنْ يُضمِرِ الجدالَ إضمارا
أن يغفرَ الربّ آثاماً وأوزارا
وأذرتْ قومها الغالين إنذارا

وخصّها الله بالإسلام تكرمة
طابتَ محادثُها ، والدينُ جمّ لها
أسيرة همّة الأحرار في دمها
و(أحمد) الخير قد أصغى لخطبتها
ما عاقها الأسر عن تذكير من أسروا
والكل أنصت - للأخبار - في شغفٍ
لكن (الأحمد) فيها رأي حكمته
فقال عنها: فخلوا ، واحقنوا دمها
فإن (حاتم) للأخلاق حارسها
لو كان أسلم أجزلنا الدعاء له
صلى عليك مليك الناس ما طلعت
هذا هو الجود ، لا جوداً بمأدبة
حقنُ الدماء وعقُ النفس مكرمة
(سفانة) الخير جود المصطفى عمّ
حتى أتيتِ عدياً تذكيرين له
فجاء - في صدره - صليب ملته
وبعدُ أسلم - للرحمن - ملتمساً
وبعدُ أسلمت (سفانة) تبعاً

في الإشارة ما يُغني عن العبارة

(اعتاد ذلك الأسيب على التلفظ بالألفاظ الفاضحة جداً كلما أراد أن يعبر عن شيء ما. وكأنه شب على هذه العادة القدره وشاب عليها. وكان الغاية عنده تبرر الوسيلة. وإن الذي تعبدنا بالغايات تعبدنا بالوسائل. وإذن فللمقاصد الحسنة في ديننا وسائل حسنة. ولا يشفع سمو الغاية (أضحاك الناس) للألفاظ الحقيرة التي توصل إليها. وإن رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - لم يصرخ باللفظ الجارح إلا في الدفاع عن التوحيد أو في بيان الشريعة وأحكامها أو في إقامة حد من حدود الله عز وجل. * ففي حديث ما عر في الصحيحين: (أكان منك فيها كما يكون المرود إذا أدخل المكحلة؟) وكذلك في ذات الحديث عندما اعترف ما عر على نفسه أربع شهادات بالله ، أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرره على نفسه بأسئلة تمهيدية منها: (لعلك قبلت ، لعلك فأخذت ، وأخيراً قال كما في الصحيح: (أني.تها يا ما عر؟!). فلما قال: نعم أقام الرسول عليه الحد. * ولما سألت المرأة رسول الله عن طهرها من الحيض أمرها بالتمسك بخرقه. (والمعنى أن تحشر خرقه رقيقة في فرجها لتمتص الدم المتبقي!) فسألت: كيف؟ فاستحيا النبي ، وقال: علميها يا عائشة. فقالت لها عائشة: تتبعي بها أثر الدم. (وإذن فحتى أمنا الصديقة عائشة استحيت من التصريح!) * ولما سئل - صلى الله عليه وسلم - هل للمرأة ماء؟ فقال: وأنى يشبهها ولذاها إذن؟ * ولما سئل النبي: متى يكون الولد لأبيه؟ فكان جوابه: (إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الولد لأبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل كان الولد لأمه). * وقوله: (من مس ذكره فليتوضأ). * روى البغوي في شرح السنة باب (التعزي بعزاء الجاهلية) من حديث أبي كعب أنه سمع رجلاً قال: يا فلان. فقال له: اعضض بهن أبيك ولم يكن. فقال له: يا أبا المنذر ما كنت فاحشاً. فقال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا!) والحديث أخرجه أحمد ورواه البخاري والطبراني ورجاله ثقات وإسناده صحيح. * ورأى ابن عباس رجلاً يتظلف عن ذكر السواتين (أي يتحرّج) فقال: (إن تصدق الطير ندى لميساً). ودخل في الصلاة يريه أن ذلك مما لا يُخرج. * وقال محمد بن سيرين في قوله تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراماً): أي إذا مروا بذكر الفروج كنوا عنها. * ومن هنا كانت كنايةات العرب عن الفروج: الذكر - السواة - الهن - البضع - الفرج - الحال - العضو ، ونحو ذلك. * ولقد حافظت الكتب والمراجع على الحياء في تناول ذكر الفروج وما يتعلق بها إلا كتابين: في القديم الأول هو (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، وهو كتاب ملعون كالرافضي صاحبه ، حوى الكثير من الكذب والفحش والبهتان والدجل والتلفيق والمجون والسحف. والثاني هو (محاضرة الأدياء ومحاورات الشعراء البلغاء) لأبي القاسم الراغب الأصفهاني. على أن هذا يختلف نسبياً عن الأغاني ، ولكنه لم يسلم من التصريح بذكر الألفاظ الجارحة! ويمكنني أن أحق بهذين الكتابين كتاباً ثالثاً هو (المستطرف في كل فن مستطرف) للإبشيهي. * وإذن فهذا نبينا الكريم الحي - صلى الله عليه وسلم - الذي إذا حدث شيء يחדش الحياء ، فكان حبّ الرمان قد فقع في وجهه الشريف. فلقد كان - صلى الله عليه وسلم - كما يخبر عنه أصحابه أشدّ حياءً من العذراء في خدرها. ومع هذا كله فإنه إذا انتهك توحيد الله أو نيلت العقيدة بسوءٍ من أحد أو كانت إقامة حدود الله واحتاج الأمر إلى بيان أو كان يبين للناس أحكام شريعة الله ، واحتاج الأمر إلى مزيدٍ من الإيضاح ، فلا بأس باللفظ الصريح أحياناً. وأكتب قصيدي في هذا! روى الترمذي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء). قال ابن بطل في قوله: (ولا الفاحش). أي: فاعل الفحش أو قائله. وفي النهاية أي: من له الفحش في كلامه ، وفعاله ، قيل أي: الشاتم. والظاهر أنّ المراد به الشتم القبيح الذي يقبح ذكره. (ولا البذيء). وهو الذي لا حياء له ، كما قاله بعض الشُّرَّاح. وفي النهاية: البذاء بالمد ، الفحش في القول ، وهو بذيء اللسان ، وقد يقال بالهمز وليس بكثير. اهـ. فعلى هذا يخص الفاحش بالفعل لنلا يلزم التكرار ، أو يحمل على العموم ، والثاني يكون تخصيصاً بعد تعميم بزيادة الاهتمام به لأنه متعد). وروى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: انذنوا له ، بنس أخو العشييرة أو ابن العشييرة ، فلما دخل الآن له الكلام. قلت: يا رسول الله ، قلت الذي قلت ثم ألتت له الكلام. قال: أي عائشة ، إنّ شرَّ الناس من تركه الناس - أو ودعه - الناس اتقاء فحشه). (قال الخطابي موضحاً الآداب النبوية المستقاة من هذا الحديث: جمع هذا الحديث علماً وأدباً ، وليس في قول النبي صلى الله عليه وسلم في أمته بالأمر التي يسيهم بها ، ويضيفها إليهم من المكروه غيبية ، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض ، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ، ويفصح به ، ويعرف الناس أمره ، فإنَّ ذلك من باب النصيحة ، والشفقة على الأمة ، ولكنه لما جبل عليه من الكرم ، وأعطيه من حسن الخلق ، أظهر له البشاشة ، ولم يجبهه بالمكروه ؛ لتقتدي به أمته في اتقاء شرِّ من هذا سبيله وفي مداراته ؛ ليسلموا من شرِّه وغائلته). (والفحش ، والبذاء ، مذموم كله ، وليس من أخلاق المؤمنين. وقد روى مالك عن يحيى بن سعيد أن عيسى بن مريم لقي خنزيراً في طريق فقال له: انفذ بسلام. فقيل له: تقول هذا لخنزير؟! فقال عيسى ابن مريم: إني أخاف أن أعود لساني المنطق السوء. فينبغي لمن ألهمه الله رشده ، أن يجنبه ويعود لسانه طيب القول ، ويقتدي في ذلك بالأنبياء عليهم السلام ، فهم الأسوة الحسنة. وفي حديث عائشة أنه ، لا غيبية في الفاسق المعطن ، وإن ذكر بقبيح أفعاله. وفيه: جواز مصانعة الفاسق ، وإلانة القول لمنفعة ترجى منه). وأعتقد أنه بعد هذا التفصيل لا يكون هناك حُجة لمن يجهر بالألفاظ السيئة!

بهذا الحزم تتضح العبادة	ونبلغ بالتقى أوج الإجمادة
ونفقه شرعنا ديناً ودينا	ونصيح - في الورى - أهل القيادة
فبالأخلاق يسمو كل شعب	ويؤمسي أهله للناس سادة
هي الألفاظ تأسر كل قلب	ففي الألفاظ تختبئ السعادة
فكم من حاجة قضيت بلفظ	وأجزل من قضى بعض الزيادة
وكم من لفظه جرحت شعوراً	وإن تخير الألفاظ عادة
فبعض الناس قد يختار صخراً	ليقذفه بلا أدنى هواده
يُصيبُ به مقاتل من يلاغي	ويعلم ربنا - قطعاً - مُرادَه

بـدون تحفـظٍ وبـلا إفـادة
ويُطلـقـه بـأجـراس مُعـادة
كـأن الغـر قـد فـقد الإـرادة
يُبـيـدُ عـفـافَ مـن يُصـغـي إـبـادة
مـشـاعـزُ كـهـلـنـا تـشـكـو الـبـلـادة
وـشـاب عـلـيـه مـُجـتـنـيـاً حـصـادـه
يُجـنـبـه المـثـالـب والنـكـادة
بـسـخـريـة تـغـلـفـهـا الصـلـادة
سـوى فـي أـمـر تـوضـيح العـبـادة
فـيـسـأل كـي تـتم لـه الشـهـادة
يـشـيـد بـمـا يـدـينُ بـه إـشـادة
ولـم يـعـرـف تـأسـيـهم زهـادة
وـحـرـصٍ دـون نـقـص أو زـيـادة
وعمـرا والتـقـيـ (أبـا قـتـادة)
وخصـ بـكل مـسـألـة (عـبـادة)!
لـذا عـاشـوا لـأهـل الأـرض قـادة
وقـد يُعـطـون مـنزلـة الشـهـادة
لـثـدرك - فـي مـعـيشـتـك - الرغـادة

وبعضُ الناسِ يجهزُ بالمساوي
يلوكُ اللفظ - بين الناس - لوكاً
يُصرخُ بالقبائح في اختيال
ويخـدشُ بـالكلام بـلا حـيـاءٍ
وفي التلميح ما يغني ، ولكن
على الإسفاف شب ، وذلك طبع
ولست تراه مزدجراً بوعظ
ومن عجب يُقابلُ أي نصح
وإن نبينا لا لم يُصرخ
أو الحد الذي يُودي بنفس
أو التوحيد يطعنه كفور
وعاش الصاحبُ يتبعون هدياً
ولكن طبعوه بكل تقوى
وسل خلفاءه عن كل هذا
وسل أصحابه عن كل قول
تجدهم في نري الأخلاق كانوا
وعند الله أجر من استقاموا
تأس بهم ، وتابغهم ، وأحسن

الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} أما بعد: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وأسأله التوبة والمغفرة. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجي عندي من عملي ، سبحانك لا إله غيرك أغفر لي ذنبي وأصلح لي عملي إنك تغفر الذنوب لمن تشاء ، وأنت الغفور الرحيم يا غفار أغفر لي يا تواب تب علي يا رحمن أرحمني يا عفو أعفو عني يا رؤف أرف بي. اللهم أغفر لي جدي وهزلي وخطني وعمدي وكل ذلك عندي. اللهم إني أستغفرك من كل ذنب أذنبته وتعمدته أو جهلته ، وأستغفرك من كل الذنوب التي لا يعلمها غيرك ، ولا يسعها إلا حلمك. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يعقب الحسرة. ويورث الندامة ويحبس الرزق ويرد الدعاء. اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت منه ثم عدت إليه ، وأستغفرك من النعم التي أنعمت بها علي فاستغنت بها علي معاصيك. وأستغفرك من الذنوب التي لا يطلع عليها أحد سواك ، ولا ينجيني منها أحد غيرك. ولا يسعها إلا حلمك وكرمك ولا ينجيني منها إلا عفوكم. اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ، فأغفر لي يا أرحم الراحمين. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يدعو إلى غضبك أو يذني إلى سخطك أو يمل بي إلى ما نهيتني عنه أو يبعدي عما دعوتني إليه. اللهم إني أستغفرك من كل ذنب يصرف عني رحمتك أو يحل بي نقمتك أو يحرمني كرامتك أو يزيل عني نعمتك. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يزيل النعم ويحل النقم ويهتك الحرم ويورث الندم ويطيل السقم ويعجل الألم. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يحق الحسنات ويضاعف السيئات ويحل النقمات ويغضبك يا رب الأرض والسموات. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يكون في اجترانه قَطْعُ الرجاء ورد الدعاء وتوارد البلاء وترادف الهموم وتضاعف الغموم. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يردُّ عنك دعائي ويقطع منك رجائي ويطيل في سخطك عنائي ويقصر بي عنك أمني. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يميت القلب ويشعل الكرب ويشغل الفكر ويرضي الشيطان ويسخط الرحمن. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يعقب اليأس من رحمتك والقنوط من مغفرتك والحرمان من سعة ما عندك. اللهم إني أستغفرك من كل ذنب يدعو إلى الكفر ويورث الفقر ويجلب العسر ويصد عن الخير ويهتك الستر ويمنع الستر. اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يذني الأجال ويقطع الآمال ويشين الأعمال. اللهم إني أستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب آتيته في ضياء النهار وسواد الليل وفي ملاء وخلاءٍ وسرٍ وعلانيةٍ يا حلِيم. اللهم أغفر لي ذنبي مغفرة أنسى بها كل شئ سواك ، وهب لي تقواك واجعلني ممن يحبك ويخشاك. اللهم إني مستغيث أستمطر رحمتك الواسعة من خزائن جودك ، فأغثنني يا رحمن. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين. يا من إذا عظمت على عبده الذنوب وكثرت العيوب ، فقطرة من سحائب كرمك لا تبقي له ذنبا ، ونظرة من رضاك لا تترك له عيباً ، أسألك

يا مولاي أن تتوب علي وتغفر لي. إلهنا إن كل الذي كتبه الكاتبون ونظمه الشعراء ليتقاصر
عن مدحك يا رب العالمين!

ما نسجناه من بيان بديع ليس إلا خواطراً قاصرات
أي شيء أتقى وأتقى وأرقى من حروفٍ بمدحه مترعات
فالق الحب والنوى جل شائناً وضياء الدجى ونور السراة
قبايضٌ باسطٌ معززٌ مذل لم يزل مرغماً أنوف الطغاة
شافعٌ واسعٌ حكيمٌ سليمٌ بالنوايا والغيب والخاطرات
خافضٌ رافعٌ بصيرٌ سميعٌ لدبيب النمل فوق الحصاة
نافعٌ مانعٌ قويقٌ شديدٌ قاصمٌ ظهر كل باغٍ وعات
كم تألى ذوو عنادٍ وكفرٍ فاستحالت عُروشهم خاويات

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أتى بالمعجزات في زمانه شهدها من شهدها وآمن بها من
بعده من آمن! وجاء بالمعجزة الخالدة التي لا تخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبها القرآن!

أخوك عيسى دعاً ميثاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرّم
والجهل مَوْتٌ فإن أوتيت معجزةً فأبعث من الجهل أو فأبعث من الرّجَم
قالوا غرّوت ورسل الله ما بُعثوا لقتل نفسٍ ولا جاؤوا لسفك دم
جهلٌ وتضليل أحلامٍ وسفسطةً فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذي حسبٍ تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقاه بالخير ضيقت به ذرعاً وإن تلقاه بالشر ينحسِم

اللهم أنت أعلم بمقصدي ونيتي من كتابة الشعر ، وتعلم أنني أوتر ما عندك من الأجر! وتعلم
أنني لا أحب الأضواء ولا أحب أهلها! وتعلم أنني طوعت شعري ونثري لخدمة الكتاب والسنة!
وها نحن أولاء قد وصلنا لخاتمة ديواننا: (الشعر مسبحتي وتغريدتي) سائلاً المولى العلي
القدير أن يتقبله عني وأن يأجر كل من يقرأه ابتغاء مرضاة الله! لقد عمدت إلى هذه التسمية
المعبرة للديوان ليكون الشعر فعلاً مسبحتي التي أذكر الله على عد حباتها! وكذلك الحال فإنني
أذكر الله على عد قصاندي! تلك التي كتبتها لله تعالى ، وكل قصيدة تمثل خرزة من حرزات
السبحة! والشعر أخيراً تغريدتي التي كان لي شرف ما كنت أصبو إليه! وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين!

ترجمة الشاعر

(الشاعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصرالعربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة المنصورة - دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. وكانت له صفحة يومية بجريدة الوحدة الإماراتية عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحلها القديمة والحديثة: نقداً وتحقيقاً ومتابعة وتغطية. كما أن الصفحة تتبنى المواهب المتطلعة لشعر أفضل!

وأخيراً يمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

- 1 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 2 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 5 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 6 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات: (ملحمة شعرية ألفية).
- 8 - الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 10 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر)
- 16 - قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
- 17 - قراءة أسلوبية في شعر عنتر بن شداد العبسي.
- 18 - قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية.

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – الشعر مسبحتي وتغريدتي

صفحة	البحر	القافية	الأبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	دعاء				الإله
9	ة		دم	ة	الم
11	ة	ي	اح	ة	الاف
13	لاف			ورة الغ	ص
15	وان			ذا الدير	ه
17	ر	شع	ع ال	تسي م	رح
23	الخفيف	الأيامي	39	توبة بين السماء والأرض	1
26	الخفيف	الغزاء	24	لا اجتهاد مع النص	2
29	الكامل	أوطان	16	العدل أساس الملك	3
32	البسيط	والغنم	19	انتكاسة غير مسبوقه	4
38	البسيط	الفقرا	18	رسالة من يتيمة	5
41	الكامل	يشرق	42	الشورى قوام الإدارة	6
43	الرمل	مصونة	41	أمي الحنونة	7
44	البسيط	والكرم	15	نور	8
47	الكامل	المدى	35	المتوكل أثر الرفيق الأعلى!	9
50	البسيط	والقيم	21	مت بغيظك	10
53	الوافر	وأجر	33	تحية لمركز الحساوي بالشارقة	11

56	البسيط	أنهارا	26	عقيم تتحدى العقم	12
58	البسيط	يستترُ	26	سترك الله كما سترتني	13
60	الرمل	ظلومُ	16	زمان الحب	14
62	الكامل	مُسكِرُ	22	رسالة إلى مُدمن	15
64	المتدارك	الطلب	22	تحية شعرية للنادي العربي بالشارقة	16
65	البسيط	والكرم	20	تحية شعرية لمدير محترم	17
67	الوافر	خاضا	26	صقور الأرض	18
69	الخفيف	عيني	27	أطياف الذكريات (عبد الله وعبد الرحمن)	19
71	الكامل	والجمي	24	ابتسم	20
73	منوع	منوعة	----	تعريب قصيدة لوري بيركنر (بذرة)	21
77	المتقارب	مفصحة	22	رسالة إلى ساقطة	22
79	البسيط	العَجَبُ	44	ليته كان ولدي!	23
85	الطويل	الهَمَّا	35	وسقطت ورقة التوت!	24
88	البسيط	سليمانا	133	الآن طاب الموت	25
114	الخفيف	النيران	22	بين نارين	26
117	البسيط	فَرطَا	21	النادلة والعجري!	27
119	البسيط	يحتسبُ	18	وجبتُ لكِ المسألة	28
121	الرمل	سِمَة	22	وترجون من الله ما لا يرجون	29
123	الكامل	يا شيماء	16	رسالة يُسطرها الحب!	30
124	البسيط	وإعلان	37	بغداد بين الازدهار والانهيال!	31

129	مخلع البسيط	الرزايا	21	موزة وحفصة	32
131	المديد	سُودْدُهُ	14	مشروع جراحة	33
132	البسيط	متهم	26	لقد أكل الغرور قلبك يا هذا!	34
134	مخلع البسيط	التحايا	22	رسالة زوجة إلى زوجها الأسير	35
136	البسيط	وألوانا	35	في مسرح العرائس	36
142	المجتث	المُيُولِ	17	لماذا الجدل؟	37
144	البسيط	جثمانا	36	طبت حياً وميتاً يا أبتاه!	38
146	البسيط	العَبْرُ	66	القرصانُ التائب	39
151	المديد	بحالي	18	فأين تذهبون مستقبلاً؟	40
153	البسيط	برهانا	18	سموم وهموم وغموم!	41
159	المتدارك	والسامع	30	اتسع الخرق على الراقع	42
162	الكامل	الورى	35	دفاعك عن نفسك أولى!	43
163	البسيط	القيم	43	جيرانٌ لا جدران	44
170	الرمل	بدين	26	فإنها لا تعمى الأبصار	45
172	السريع	والعارِ	13	سُحْقاً للندالة	46
173	مجزوء المتقارب	منكرة	12	قوم معهم سياط	47
173	مجزوء الخفيف	البشر	9	الدنيا لا تزال بخير	48
175	البسيط	بيتسُم	50	وأجري على الله	49
181	المتدارك	الصائب	26	لا تعلق العين على الحاجب	50
184	المتقارب	ما أشأمة	14	أشيب لم ينذره الشيب!	51

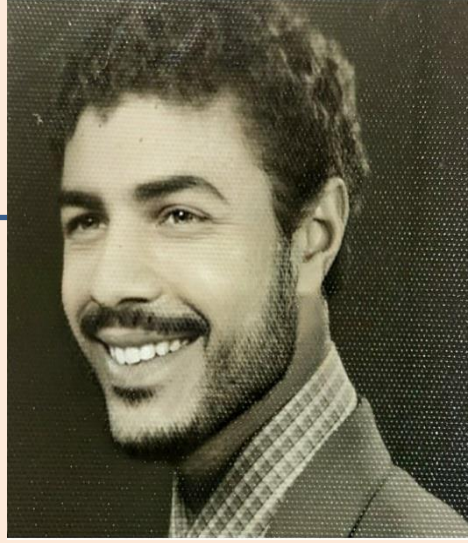
185	البيسط	السيم	33	حفصة بنت سيرين	52
190	البيسط	ومردولا	12	فيسبوا الله عدواً بغير علم	53
194	البيسط	تعتق	21	مهاجرة إلى الله	54
200	البيسط	الورم	47	كفّ بعشرة آلاف دينار!	55
205	الكامل	هوان	37	لقطاء لا أبناء!	56
208	الوافر	والعتابا	50	عتاب لا تنقصه الصراحة	57
245	البيسط	من ألم	42	مكرة أستاذك لا بطل!	58
249	البيسط	والجحم	35	موتوا بغيظكم	59
267	الكامل	ووهب	12	مصر الإسلام والعروبة	60
270	الوافر	والحكايا	24	أنتهادي لنتعادي؟	61
273	الكامل	المحضا	18	جعلوني أياس	62
274	البيسط	تعزيزا	18	عندما ينحرف الناس	63
275	المتقارب	السكرارى	40	هارون المفترى عليه	64
285	البيسط	إشهارا	23	سفانة بنت حاتم الطائي	65
288	الوافر	الإجادة	35	في الإشارة ما يُعني عن العبارة	66
291	_____ة	_____	_____	_____ات_____م_____	ال_____
293	_____ر	_____اع_____	_____	_____مة_____الش_____	ت_____
295	_____ات	_____	_____وي_____	_____ست_____الم_____حت_____	ف_____

تم بحمد الله وتوفيقه ديوان (الشعر مسبحتي وتغريدتي!)

تتوية هام

**حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية
800 ، 811**

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فضن فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البُردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرثُ عمَّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!